

# الفصل

مجلة ثقافية شهرية  
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 21 FEBRUARY 1979

العدد (٢١) - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ / فبراير ١٩٧٩ م





# الفصل

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن  
دار الفیصل الثقافية

فبراير ١٩٧٩ م

العدد (٩١) ربيع الأول ١٤٠٠ هـ

## فخذ العدد

٤	من كتاب هذا العدد
٦	الحركة الثقافية في شهر
١٩	الحرية .. شعاراً .. وحقيقة .. محمد العربي الخطابي
٢٤	تحديات أمام الشباب المسلم المعاصر .. د. محمود أحمد إبراهيم
٣١	ديوان الموت في الشعر العربي .. د. سيد نوفل
٣٥	القدس .. مدينة السلام (مدينة وتاريخ)
٥١	المنهج التجريبي .. ماضيه وحاضره .. د. أحمد سميحان
٥٤	الرسول .. المرابي القدوة .. عبد العزيز المسند
٦١	اللغة عند علماء العرب الأقدمين وعلماء الغرب المعاصرين المستشرقين .. د. اوديت بيتي
٦٥	قصيدة .. وقصة .. المرابطون .. دولة البطولات .. د. عبد السلام المراس
٦٦	من أمثال العرب
٧٠	من أمثال الشعوب
٧١	الجوائز ودورها في الحركة العلمية والفكرية (ندوة الشهر)
٧٢	من محاورات برتراند رسل .. ترجمة جلال المشري
٧٧	وصف إفريقيا (رحلة في كتاب) عرض وتقديم: د. عبد الرحمن حيدة
٨٣	البيان والتبيين (من كتب التراث) .. د. كامل السوافيري
٩١	كيف أنساك يا أبي (قصيدة) .. الأمير عبد الله الفيصل
٩٥	الرادار .. (الإنسان والعلم)
٩٨	القياب .. أشكائها .. مصادرها .. تطورها (موضوع خاص) .. د. صالح لمحي مصطفى
٩٤	الحقيقة التاريخية وأدب الرحلات (لقاء مع) .. حمد الجاسر
١٠٦	الفيصل .. والتنمية الاجتماعية .. حسن محمد حسن
١١٢	إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد .. محمد عبد الله الوابل
١١٦	الطريق إلى الله .. عايش الرادادي
١٢١	تكوين ونمو البلورات .. د. أحمد عبد القادر المهندس
١٢٢	لوحة وفنان (الوداع) .. عبد الحليم رضوي
١٢٦	دور الأم العاملة في تنمية شخصية طفلها .. د. عبد الرحمن عيسوي
١٢٨	صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية .. يعقوب محمد اسحق
١٣٠	زهرة اللوتس الجميلة .. عبد الكريم محمود منجد
١٣٤	رسالة غير لطيفة (قصة) .. فاضل السباعي
١٣٩	كولوشا (قصة) .. ترجمة: الهامي سهيل ايوب
١٤٣	بانمة الثقاب (قصة) .. ترجمة عبد الله بغداددي
١٤٥	الترجمة العربية للشعر العالمي .. محمد فهمي الممدان
١٤٧	دائرة المعارف
١٥١	مناقشات وتعليقات
١٥٤	سؤال وجواب
١٥٥	مع الأصدقاء
١٥٦	ردود قصيرة
١٥٧	كتب وردت إلى المجلة
١٥٨	مسابقة مجلة الفيصل
١٥٩	

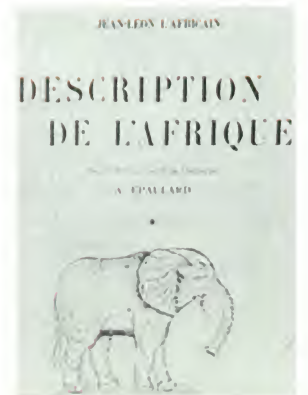


★★ على كثرة ما كتب عن القدس فإنها تظل مدينة تاريخ لا ينتهي ، وأروسة عربية متجددة ، ووجهاً إسلامياً يتلأل سلاماً ، وعدلاً ، وإيماناً .. وستظل القدس كما كانت مدينة عربية إسلامية .. ومدينة للسلام .. رحلة مع تاريخ القدس (ص ٣٥) ★



★★ اللوتس .. ليست مجرد زهرة من زهور الأرض .. بل جزء من تاريخ بعض الشعوب ومعتقداته ، وها هيبتها الطبية ، والغذائية عند الشعوب القديمة ، أشار إليها هوميروس في الأوديسة .. (طالع ص ١٣٤) ★

★ كان مسلماً ، جرى وراء المعرفة فجاس خلال بلاد عديدة ، في إحدى رحلاته البحرية قبض عليه الفرانسة الطليبان ، وأخذوه إلى روما وقنعوه هدية مع زرافة إلى البابا «ليون العاشر» الذي أجبره على اعتناق النصرانية ، وأصبح يسمى «ليون الإفريقي» بعد أن كان يسمى «الحسن بن محمد الوزان الزيناني» ، ألف كتاب «وصف إفريقيا» .. ماذا عن الوزان .. وكتابه هذا .. إنها قصة مثيرة (ص ٨٣) ★









\* \* من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .  
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق \* \*

- اللغة العربية ، لغة العلم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٠ م .
- اكتشاف أقدم نص للكتابة العربية في العراق .
- مؤتمر للمرأة .. والطفل الفلسطيني .
- مؤتمر للجغرافيين المسلمين . ومعرض للخرائط والصور في مدينة الرياض .
- رسومات الأطفال .. في نتيجة حائط .. وطوايع بمناسبة عام الطفل .
- معرض للكتاب في الرياض يضم عشرة آلاف كتاب .

- يتحول إلى الرسم ، بحثاً عن الراحة من عناء الكتابة !
- اكتشاف مدينة تاريخية في الصين .
- معرض للخط العربي ، القديم والمعاصر في أميركا .
- عقل الكتروني للترجمة من لغة لأخرى .
- اكتشاف نسخة نادرة من القرآن الكريم .



● «بلادنا والزيت» يشترك في هذا الكتاب عدد من المفكرين .. من إعداد الشيخ عبد الله بن خنيس . خمسة مؤلفات سوف يصدرها النادي الأدبي في الرياض ضمن نشاطه .

● «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» يشترك في إعداده مجموعة من العلماء والباحثين ، وكان المقصود له الملك فيصل قد أوصى بإخراجه .

● «زهرة حثان» ديوان من الشعر الشعبي السائي للشاعرة ريم الصحراء .  
● «المملكة العربية السعودية» دراسة سلبوجرافية إعداد شكري العناني . نشره دار العلوم بالرياض .

● «الفناء الباقي .. في رباعيات الحيام وغرامه» .. أو «فلسفة الكوز» ، تأليف أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، بالاشتراك - تأليفاً - مع عبد الله الماجد .

● «ديوان القيمي» تأليف عبد الله بن علي بن صقبة ، وهو ديوان من الشعر الشعبي ، الجزء الثاني ، شرح لأبي عبد الرحمن بن عقيل ، ومقدمة عبد الله بن خنيس .

● «دراسات في الأدب العربي» تأليف الدكتور عمر الطيب الساسي .  
● «المُرشد إلى المنهل الصافي» لابن تفردي بردي ومنال السطاب في شرح طوال الغرائب ، لابن الأمير ، وبحر الدم فيما أصابه أحمد بمدح أو ذم ، لابن عبيد الهادي ، وغريب الحديث ، للخطابي ، والأموال ، للدودي ، وأصول ابن اللحام ، لابن اللحام البعلبي الخنيلي ، لابن الساعاتي الخنيسي . هذه الكتب الثرائية ، يقوم مركز البحوث العلمي بكتابة الشريعة بمكة المكرمة بتحقيقه . يقوم بعملية التحفيز عدد من الباحثين في المركز .

● «من شعر الشباب السعودي المعاصر» دراسة نقدية من تأليف أبي عبد الرحمن ابن عقيل ، سوف يصدر قريباً .

## السعودية

### معرض للكتاب بالرياض

افتتح بالرياض معرض الكتاب الذي نظمته إدارة المكتبات بوزارة المعارف بالتعاون مع دار الميرخ للنشر لنصاحبها عبد الله الماجد ، وقد احتوى المعرض على عشرة آلاف كتاب .. اشتركت في المعرض مجموعة دور النشر السعودية والعربية والعالمية ، بلغ عددها ما يقارب (١٢٠) داراً .

### مؤتمر للجغرافيين المسلمين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، قررت عقد مؤتمر للجغرافيين المسلمين يشترك فيه علماء الجغرافيا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي .. وسوف يتم إنشاء عقد المؤتمر ، تنظيم معرضين ، أحدهما للخرائط الجغرافية والصور والأشكال التوضيحية عن المملكة ، وبغية دول العالم الإسلامي .. وخرائط التراث والرحالة المسلمين ، والمعرض الثاني ، سيخصص لكتاب الجغرافيا وما يتعلق به من علوم فرعية .

### معهد خاص للمبتعثين

هناك دراسات تم بين الوزارات الحكومية اغتفقت من أجل إيجاد معهد خاص للمبتعثين إلى خارج المملكة ، يبرون عليه قبل سفرهم .. وذلك من أجل معرفة مدى سلامة المبتعثين .. وتقديم المعلومات والخدمات اللازمة عن البلد الذي يقصده ، وسوف يكون ذلك في دورات عديدة ما بين ثلاثة إلى ستة أشهر .

### كتب لأعضاء ندوة التوجيه التربوي

في الندوة التي أقيمت للتوجيه التربوي بالطائف ، أهدى نادي الطائف الأدبي للأعضاء الذين اشتركوا فيها (٤٠٠) نسخة من إصداراته المختلفة .

### إهداء مكتبة

أهدى فضيلة الشيخ إبراهيم فطاني مكتبته إلى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. وفضيلته ، واحد من القضاة والعلماء المعروفين بالهكمة الشرعية ، والمكتبة التي أهداها ، تحتوي على مجموعة كبيرة من كتب تراث الفكر الإسلامي وجميع نواحي الثقافة والمعرفة .

### الفن التشكيلي في شوارع جدة

ضمن عملية التجميل التي تشهدها الشوارع والميادين بجدة ، استحدثت البلدية عدداً من كبار الفنانين التشكيليين الإيطاليين ومن جنسيات أخرى للاشتراك بأعمالهم في هذه الحملة .. وأول هذه الأعمال «تكوين» جميل الشكل يتم إعداده لوضعه في الحديقة المحاورة لجسر الأمير فهد بجدة .

### مؤتمر للتنمية

مؤتمر المنظمة العربية الإدارية الذي عقد بالرياض ، تميز بدراساته وإبحاثه الجادة ، المتكاملة .. وهو يعتبر تجربة جديدة ، تؤكد اهتمام المملكة بالتنمية الإدارية ، فهي الأساس الذي تبنى عليه التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية .

### \* كتب جديدة \*

- «صور عربية من إسبانيا» تأليف عبد الله الشهيل .
- «موت على الماء» مجموعة قصصية للكاتب الشاب عبد العزيز بشري .
- «رسالة الألوان» تأليف الإمام ابن حزم ، وتحقيق مجموعة من الباحثين .
- «رسالة امرأة تموت» مجموعة قصصية ، تأليف سليمان المهجد .

### محاضرة عن حقوق الفلسطينيين

ألقى الدكتور إسرائيل شاهاك ، أستاذ الكيمياء العضوية في عدد من الجامعات الإسرائيلية ، ورئيس لجنة حقوق الإنسان الإسرائيلية ، محاضرة في جامعة «بيريت» بعنوان «القضية الفلسطينية وحقوق الإنسان» ، وذلك بناء على دعوة من نادي دراسات الشرق الأوسط في الجامعة . المعروف أن شاهاك من مؤيدي الشعب الفلسطيني في الوسط اليهودي . وقد تعرض للاضطهاد والملاحقة مرات عديدة من قبل سلطات الاحتلال بسبب مواقفه السياسية والإنسانية .

### معرض التراث الفلسطيني

بناي الموفطين بالقدس ، أقيم بقاعته معرض للتراث الفلسطيني ، وذلك ضمن الاحتفالات بأسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني ، كما ضم المعرض أيضاً ، بعض القطع الأثرية .

### دار نشر لإحياء الفكر الفلسطيني

أسست في الناصرة دار جديدة للنشر باسم «الصوت» كمشروع غير تجاري . وذلك بهدف إحياء الفكر الفلسطيني ، وقد تشكلت على الفور لجنة تأسيسية ، دعت لعقد اجتماعات تحضيرية ، ثم خلالها وضع النظام وأقراره .

### \* كتب جديدة \*

- لجنة التراث الشعبي التابعة لجمعية الأسرة في مدينة «البيرة» الفلسطينية . تقوم حالياً بإعداد قاموس باللهجة العامية الفلسطينية ، حيث يتولى أعضاؤها جمع الكلمات السائدة واليائدة لهجة العامية .
- «أوراق شخصية للمناضلة دلال المغربي» من تأليفها ، وهي من مواليد (١٩٥٨م) ، وقد قُلت خلال قيامها بعملية فدائية على الطريق الساحلي بين حيفا ونل أبيب .. والكتاب تتناول فيه «دلال» معرفتها لفلسطين المحتلة شراً شبراً من خلال أحاديث والديها وأقاربها .
- «قصائد» ديوان جديد للشاعر الفلسطيني سالم جبران .



## كلمة

### رحم الله الفيصل

في وجدانه القدس .. وعينه خارطة العالم الإسلامي، وما عليها من بشر وأحداث .. ودخل عقله هموم أمته الإسلامية والعربية، وآمالها وطموحاتها .. وقلبه يسكنه الإيمان، وحسب الخير، والسلام .. ومن خلال هذا كان يسعى بكل ما أوتي من صبر وجلد إلى تحقيق مجتمع السرخاء، والعدل القائم على تعاليم الشريعة السمحة داخل بلاده في وجه المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الساعية إلى قتل الروح، وتغليب الإنسان .. وكان «موقفاً» صلياً تراجعته أمامه تيارات الفكر الداعية إلى التفلت، و«سياجاً» صد رياح الدعوات اقدامه ..

لقد كان «الإنسان» همه الأول، وبأق التصنيع، والتنمية، بآليات كوستل مساعدة لخدمة هذا الإنسان، لأنه عاش الفترة التي حولت فيه الصناعة الإنسان في أوروبا وأمريكا إلى آلة، وجعلته أداة مسلوطة الإرادة والإحساس تتحكم فيها عناصر الزمان والمكان، ومنطلق الريح .. والفائدة ..

كره الشيوعية، لأنها مذهب لا إنساني و«منافق»، ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب، وقد رأى بعينه نتائج التجربة أثناء زيارته الأولى والأخيرة لموسكو منذ زمن طويل .. لقد كان الناس يتساقطون من الجوع، والأمراض في الوقت الذي كانت المآذب الحافلة بالمآلات من خبرات الشعب الروسي تفقه بها بطون نقر قليل من حكام الكرملين ..

ورفض بعزة وإباء إقامة علاقات دبلوماسية بين دولته حامية أراضي الله المقدسة، وبين دولة تنكر وجود الله .. ولم يدر بقلده إقامة أي نوع من العلاقات مع إسرائيل ..

كان قدره أنه جاء في عصر كله فلاق، وانقلابات، وعواصف مجنونة أثبتت على الأخضر واليابس، وكانت المنطقة تمر بحالة هيجان لم يعرف التاريخ مثلاً، فسقطت كثير من القلاع، وبقي الفيصل بن عبد العزيز قلعة شائعة صامدة، وقد أثبت أن الرجال معادن، وأن المحسن «غابر» الرجال، وأن الأزمات تكشف المعدن الردي، والمعدن الأصلي ..

قاد الفيصل بلاده وشعبه وسط كل هذه الظروف، وتعمل الكثير من الأبداء والتجريب والنهوض، لكنه استطاع الوصول إلى شاطئ الأمان في أحلك الظروف، ووسط كل المؤامرات .. وحين هدأت العاصفة كاشفة عن الخسائر التي لحقت بالإنسان والأرض، كان الفيصل هو الواحة التي ما زالت تحتفظ بالماء، والحصب، والزرع، ففتح قلبه قبل مساعدته المادية، وتلاوات سماء الرياض بنجوم العرب .. وعرف الجميع فيصلاً على حقيقته بعيداً عن وسائل التضليل الإعلامية، وتكشفت الحقيقة الناصعة أمام الجميع .. وتساقطت كل الأقنعة، وظل الفيصل كما عاش وجهاً يشرق بالإيمان والصدق، وقلباً لا يعمل الضغينة والحقد، وسلوكاً مستقلاً، وعرف الناس من هم العملاء، ومن هو الفيصل ..

لقد عاش كثير من الزعماء في «الصورة» وكانت وسائل الإعلام بأصواتها، تحيط بهذه الصورة تجميلاً، وتكبيراً، وتهليلاً، صباح مساء، لكن هذه الوسائل تحولت بعد غيابهم إلى سهام حادة، وأقواء جائعة أكلت لحمهم ميتاً قبل أن تحف قبورهم .. إلا فيصل بن عبد العزيز فقد بكاه العدو قبل الصديق، وحزن على غيابه الذين أكلوا لحمه حياً، وإذا الجميع يجمعون على صدق زعامته، وتزاهه مساره العربي الإسلامي، وهذه ظاهرة «فيصلية» لم يحظ بها زعيم من الزعماء، ولم يلتفت إليها المخلون السياسيون، والمؤرخون على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ..

«المجلة»

### اتحاد الكتاب الليبيين

في الجلسة العامة لاتحاد الكتاب الليبيين، تم تثبيت الأدب خليفة محمد التليسي أميناً عاماً للأحزاب، وعضوية: عبد الله الفوري، وعلي مصطفى المصراطي، ورجب الماحري، وعلي حشم، وأمين مازن، وأحمد الزوي ..

### معرض للفولكلور والتراث

أقيم في طرابلس، مهرجان شعبي فولكلوري، ضم العديد من الصناعات والحرف العربية من مسوجات ومشغولات وسجاد وخزف وسيراميك، كما تم عقد ندوات، دار النقاش فيها حول الصناعات الفولكلورية العربية ..

أشرف على هذا المهرجان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ..

### مجلة للإعلام العربي

لجنة التفتيشية للرابطة العربية لمعاهد التدريس والإعلامي، انتهت من اجتماعاتها توصية ندوة لتخصيص إصدار مجلة الإعلام العربي، وقد اشترك من السعودية الدكتور محمد سعيد الشامي، ومحمد قنديل ممثلاً مراقباً لليونسكو ..

### معارض تشكيلية

في وقت واحد، سوف يقام معرض تشكيلي مشترك بين سورية والعراق، وهذه الفكرة، تأتي معبرة عن استمرار التكامل الفني بين الفنانين السوريين وملازمهم العراقيين ..

كما أقيم معرض للفن الهندي المعاصر، وذلك ضمن إطار التبادل الثقافي بين سورية وأهند ..

### \* كتب جديدة \*

- «الصيداؤون ولعبة الموت» مجموعة من القصص القصيرة (٢٢ قصة)، تأليف فر كيلاني، الناشر: اتحاد الكتاب العرب بدعشق .. والمعروف أن فر كيلاني، قد كتب من قبل في ميدان الرواية الطويلة، وروايتين، هما «بستان الكرز» و«أيام مغربية» ..
- «أقوى من الستين» مجموعة قصصية، للكاتب وداد سكاكيني ..
- «الحرب .. والقروسية» اسم الكتاب الحديد الذي أصدرته وزارة الإرشاد القومي، وهو حرر، مقتطف من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، ومن إعداد مديرية التراث العربي ..
- «ناظم حكمت شاعراً وإنساناً» دراسة للقصاص السوري حنا مينه، حيث يلقي الضوء على الشاعر وعلاقته بالمرأة ونظريته للحياة ..
- «الكتابة في دفتر دمشق» مجموعة شعرية للشاعر إسماعيل عامود، الناشر اتحاد الكتاب العرب ..
- «تعالى لنحيا معاً» ديوان شعري للشاعر فيصل قرقيطي، الناشر: وزارة الثقافة والأرشاد القومي ..
- «واقصلا» ديوان شعري، للشاعر فيصل بليبل، الناشر دار مجلة الثقافة ..
- «السيد» مسرحية، تأليف عبد الفتاح رواس القلمجي ..
- «سبعة أصوات خشنة» مجموعة مسرحيات، تأليف وليد اخلاصي ..
- «بيانات السريالية»، ترجمة صلاح برمدا ..

### رسومات الأطفال في نتيجة حائط

الرسومات التي رسمها الأطفال في مصر، والتي فازت في المسابقات الفنية التي اشتركوا فيها، انتهت مصلحة الاستعلامات لإصدارها في نتيجة حائط للعام الجديد، متعاونة في ذلك مع المجلس الأعلى للفنون والآداب ..

### ناد ثقافي جديد

تأسس في القاهرة «نادي القصيد»، وذلك عقب الاجتماع الذي ضم عدداً من شعراء مصر ونقادها بدار الأدباء بالقاهرة، وقد انتخب الشاعر إبراهيم صبري رئيساً للمجلس التأسيسي الأول للنادي .. وأخذت الأساس إقامة هذا النادي، هو النهوض برسالة الشعر العربي .. وحشد الطاقات الشعرية، وإحياء ذكرى الفحول من شعراء العرب، وإصدار كتاب «القصيد» السنوي .. وإعداد موسوعة الشعراء التاريخي ..



## يهدى مكتبته للجامعة

الفيلسوف الراحل، الدكتور عثمان أمين الذي كان يعمل رئيساً لقسم الفلسفة السابق بجامعة القاهرة، أهدى مكتبته إلى جامعة القاهرة... وهي تحتوي على مؤلفات نادرة، كما تضم مجموعة من أهم الكتب الفلسفية النادرة في التراثين العربي والغربي لكي تكون في خدمة الطلاب، وذلك حسب وصيته.

## كتب جديدة

● «تاريخ حضرموت قبل الإسلام»، تأليف، الباحث أحمد العطاس، يتناول فيه عهد المكارب، ثم الملوك وملوك حضرموت، كما يحتوي الكتاب على أربعين نصاً أثرياً مكتوباً بالخط المسند.

● «هيريت ماركوز»، الذي وضع نظرية المجتمع الأحادي البعد، يصدر عنه كتاب من تأليف الدكتور فؤاد زكريا، وهذه هي المرة الثانية الذي يوضع فيها كتاب عن هذا الفيلسوف، وقد كان الكتاب الأول الذي صدر عنه يحمل عنوان «ماركوز.. أو فلسفة الطريق المسدود».

● «الصواريخ.. والفضاء»، تأليف الصحفي حسين الطنطاوي، الناشر دار الشعب.

● «مجيئ محفوظ.. الرؤية والآداة»، لأدب نجيب محفوظ، تأليف الدكتور عبد المحسن طه بدر، أستاذ الرواية العربية بكلية آداب القاهرة.

● «المدرسة الصولتية»، تأليف الدكتور أحمد حجازي السقا، الذي يتناول فيه بالدراسة، المدرسة الصولتية التي أنشأها الشيخ رحمة الله الهندي مؤلف كتاب «أظهار الحق».

● «مسرح الشارع في أميركا»، يصدر قريباً في ترجمة عربية، وهو من إعداد الناقد الأميركي «هنري لينيك»، وذلك ضمن سلسلة الكتب الجديدة التي تصدر تحت عنوان «كراسات الفكر المعاصر»، يقوم بالترجمة عبد السلام رضوان.

● «أعلنت عليك الحب»، طبعة جديدة للمؤلفة غادة السمان، الناشر، دار مدبولي بالقاهرة.

● «الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي»، طبعة جديدة، تأليف الدكتور يوسف خلف، رئيس قسم اللغة العربية بأدب القاهرة.

● «مفهوم الشعر» دراسة عن مفاهيم الشعر عند النقاد العرب القدامى... وكيف تم انعكاسها على الحركة الشعرية، تأليف الدكتور جابر عصفور.

● «حكايات الأمير» مجموعة قصصية، تأليف يحيى الطاهر.

● «مسافة بين الوجه والقناع»، تأليف نبيل عبد الحميد، الناشر دار الهلال.

## معرض تشكيلي لفنانة إسبانية

الفنانة الإسبانية «خاكيثا كاساس» أقامت في المركز الثقافي الإسباني معرضاً للوحاتها، وهذه الفنانة واحدة من الفنانات اللاتي استقرن بين المقام في مصر، منذ عشرين عاماً تقريباً، وقد ظهرت لوحاتها متأثرة بالبيئة المصرية.

## بين «الفضيلة» و«بول وفرجين»

دراسة مقارنة بين قصة «بول وفرجين» التي كتبها الفريسي، رينار دان دي سان بيس وبين رواية «الفضيلة» التي كتبها مصطفى لطفي المنفلوطي. قامت بهذه الرسالة ابتسام علي، من كلية الآداب جامعة عين شمس، ونالت بها درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف.

## مؤتمر للشباب الإسلامي لبحث مشاكله

في مارس / آذار ١٩٧٩م، سيعقد في القاهرة مؤتمر للشباب في الدول الإسلامية، هذا المؤتمر سوف يشرف على تنظيمه المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر، وذلك لبحث ما يواجهه الشباب من مشاكل اجتماعية ودينية في وطننا العربي والإسلامي... ويشارك في هذا المؤتمر عدد من الأساتذة المتخصصين من الوطن العربي وأيضاً من بعض الهيئات الدولية المهتمة بشؤون الشباب.

## عملة ذهبية وفضية.. جديدة

احتفالاً بمناسبة مرور (١٤) قرناً على الهجرة النبوية الشريفة، ستصدر هيئة بنك العملة، عملة جديدة من فئة الخمس جنيهات الذهبية والجنيه الذهبي والجنيه الفضي.

## حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

٤ فبراير

١٨٨١ بداية الثورة العربية.

١٩١٧ مولد الدكتور عبد الرحمن بدوي.

٦ فبراير

١٩٧٢ وفاة الكاتب خيرى حماد.

٨ فبراير

١٨٨٩ مولد المؤرخ عبد الرحمن الرافعي.

١٣ ربيع الأول

١٣٩٥ استشهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (طالع شخصية الشهر).

١٠ فبراير

١٩٠٨ وفاة الزعيم الوطني مصطفى كمال.

١١ فبراير

١١٩٨ وفاة الفيلسوف العربي ابن رشد.

١٨٨٦ مولد الأدبية مي زيادة (طالع تاريخ وفاتها في العدد ١٧، من هذه المجلة في هذه الزاوية، وزاوية شخصية الشهر).

١٢ فبراير

١٩٧٠ غارة إسرائيلية على مصنع مدني في «أبو زعبل».

١٩٧٧ انعقاد الندوة الإسلامية الأولى في جامعة تورنتو بكندا.

١٣ فبراير

١٩٤٩ اغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

١٥ فبراير

١٢٥٨ سقوط بغداد في يد المغول.

٢٢ فبراير

١٨٧٣ مولد الشاعر المسلم محمد إقبال.

١٩٧٤ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في لاهور.

٢٣ فبراير

١٩١٨ وفاة حفي ناصف.

٢٤ فبراير

١٩٢١ وفاة الأديب محمود تيمور.

٢٥ فبراير

١٩٥٠ اليوم الوطني للكويت.

٢٦ فبراير

١٩٦١ وفاة الملك محمد الخامس ملك المغرب (ولده الملك الحسني الحسن الثاني).

٢٧ فبراير

١٩٦٨ إعلان قيام اتحاد الإمارات العربية في الخليج العربي.

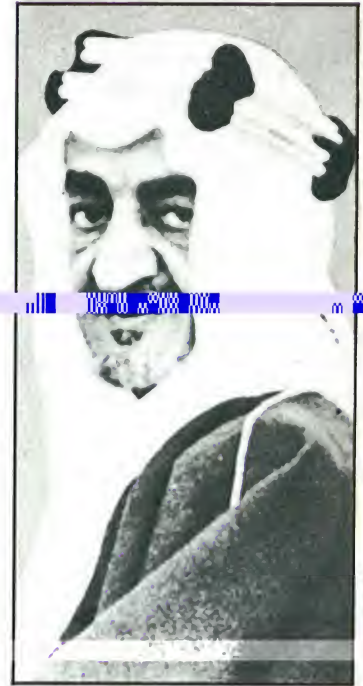
- «مصر الفراغة» تأليف سير ألن جاردنر، ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم .
- الدكتور حسين مؤنس، انتهى من كتابة مجلد ضخيم عن «تاريخ المغرب العام».. في الفترة، من قيام الإسلام، إلى العصر السعودي، الناشر دار المعارف .
- «امراة أخرى» .. رواية، تأليف محمد الحديدي .
- «الكتب المقدسة» في ضوء المعارف الحديثة، تأليف الفرنسي موريس بوكاي، الذي أهدى الكتاب للملك الراحل «فيصل»، الناشر دار المعارف .
- «تاريخ الفكر المصري الحديث» تأليف الدكتور، لويس عوض .
- «الشعر في المعركة» تأليف حسن النجار .
- «هوى الأريمين» ديوان للشاعر سالم حقي .
- «قلب على سفر» مجموعة قصصية، تأليف يوسف عز الدين .
- «لحظة سعادة» مجموعة قصصية، تأليف إبراهيم البوهي .

## تقريب

- «انتعاق» ديوان شعري، صدر للشاعر الطيب الشريف الذي توفي مؤخراً، والديوان يضم بين أوراؤه مضامين إنسانية واجتماعية عميقة، وقد صدر عن «الدار التونسية للنشر» .

## شخصية الشهور

فيصل بن عبد العزيز  
(١٣٢٤هـ - ١٣٩٥هـ)  
(١٩٠٦م - ١٩٧٥م)



- «دروس في المبادئ الدينية» تأليف حمودة المهيري .. والكتاب يهدف إلى تقديم المبادئ الإسلامية للمبتدئين .
- «شواطيء العطش» ديوان شعري، للشاعر الصادق شرف .
- «بلاد خير» دراسة تاريخية، من تأليف عمر السعيد .
- ملتقى ثقافي
- انتهى الملتقى الثاني للفلسفة الإسلامية، وقد نوه منصور السخيري، بدور هذه الملتقيات التي تساهم في نشر الثقافة، والحفاظ على الحضارة العربية الإسلامية .
- دار الكتب الوطنية
- اقتنت دار الكتب الوطنية مؤخراً .. وذلك ضمن خطتها في تعزيز رصيدها من المخطوطات - مكتبة آل بلخوجة التي تحتوي على ٨٣ مخطوطاً من المخطوطات النادرة .
- والجدير بالذكر أن الجزء الثالث من فهرس المخطوطات المحفوظة بدار الكتب الوطنية، قد صدر وهو يحصي عدداً من المخطوطات المتعددة الجنسيات في شتى فنون المعرفة .

## \* كتب جديدة \*

- «مكتبة المدرسة الابتدائية» وهو من الكتب التي نهم العاملين في مجال المكتبات، وخاصة مكتبات الأطفال المدرسية .

- هو فيصل بن (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ١٢٩٧هـ - ١٣٧٣هـ) .
- ولد في عام ١٣٢٤هـ - نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٦م، بمدينة الرياض .
- توفيت أمه «طرفة بنت عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ» وهو في الشهر الخامس من عمره .
- تعلم منذ صغره تلاوة «القرآن الكريم» وفن الفروسية واستعمال السلاح، كما برزت موهبته في قرض الشعر .
- انتدبه والده وهو في عامه الثالث عشر لتمثيله في مباحثات اللورد كورزون بلندن، ففرض احترامه .
- تولى وهو في الخامسة عشرة من عمره أول قيادة عسكرية كلفت بتنظيم الأمن في منطقة عسير (١٩٢١ - ١٩٢٤م) .
- عينه والده الملك عبد العزيز وهو في العشرين من عمره نائباً عنه على الحجاز .
- قاد الحملة التي فتحت الجنوب وتفاوض مع الانجليز في المؤتمر الدولي الخاص بوضع اليمن .. بعدها عين وزيراً للشؤون الخارجية للمملكة التي أصبحت تحمل اسم «المملكة العربية السعودية» لأول مرة، فقام برحلات عديدة، أهمها رحلاته إلى فرنسا وانجلترا وروسيا وتركيا والولايات المتحدة، وأجرى
- بعد وفاة الملك عبد العزيز في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٣م، عين ولياً للمهد .
- تبوأ عرش المملكة العربية السعودية في شهر رجب ١٤٠٤هـ، (الرابع من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٦٤م)، وقام خلال سنوات ملكه العشر باصلاحات شاملة في كل المجالات .
- دعا إلى تضامن المسلمين لمواجهة التحديات العالمية التي تحيط بهم، ومن أجل تحقيق دعوته قام بزيارات متعددة إلى جميع البلدان الإسلامية فنجحت الدعوة وقوبلت بكل حفاوة وتقدير وكان لها آثارها البعيدة على مسار حركة التاريخ المعاصر .
- دعا في بلاده إلى تحرير العبيد، وساندها بجهوده، فزال الرق، وأصبح مجرد ذكرى تاريخية .
- دعا إلى تعليم المرأة في بلاده، بفتح المدارس، والكلليات، وأصبحت المرأة السعودية إحدى ركائز المجتمع السعودي القائم على العلم والمعرفة، وشاركت المرأة في العمل في حدود ما تسمح به الشريعة السمحة، ومن نتائج هذا أن عدداً طيباً من السعوديات يحملن اليوم شهادات عالية كالمجستير، والدكتوراه .
- وفي عهده عرف المجتمع السعودي التلفزيون، وأصبح يساهم بدوره في التنمية والتوعية من خلال ما ينشئه من برامج .
- استشهد في ١٣/٣/١٣٩٥هـ، (الموافق ٢٥/٣/١٩٧٥م) في مدينة الرياض، ودفن فيها، وقد سار في جنازته ملوك العالم ورؤسائه، وعم الحزن العالم العربي والإسلامي والإنساني .



## دعوة للعلماء العرب في أوروبا

مكتب نسق التعريب في الوطن العربي بالرباط، وهو المكتب التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم، دعا العلماء العرب المتواجدين في أوروبا للقيام في نشاط المكتب، المعروف أن مكتب التنسيق، يقوم حالياً بإعداد المعاجم المتخصصة وذلك لتوفير المصطلحات العربية المختلفة للمصطلحات الأجنبية.

### \* كتب جديدة \*

● «الإسلام .. والصورة الفنية»، تأليف محمد بن عزيز، حيث تناول فيه، أثر الفن الإسلامي على فنون أوروبا وفنانيها، وتأثيره أيضاً على الشعراء الرومانسيين.



● «مع أبي الطيب»، تأليف الناقد عبيد الله الطيب، الذي يبحث الجوانب المتعددة في حياة المتنبي، الذي كان من خلال عمله كوزير لسيف الدولة الحمداني لمدة تسع سنوات، استطاع أن يقوم بعمل إعلامي من خلال صورة الشعرية التي تعمل طابعه الشخصي.



### \* كتب جديدة \*

● «من قصص القرآن الكريم»، تأليف أمينة الصاوي، وهو من الكتب المبسطة للأطفال.



### الاحتفالات بكتاب !

«مختارات من الشعر الايطالي المعاصر»، أحدث كتاب قام بترجمته د. عيسى الناعوري، يضم عدداً من القصائد الشعرية لخمسة وعشرين شاعراً.. سوف نقيم السفارة الإيطالية في عمان وعمش وبيروت، حفلات ثقافية لتقديم هذا الكتاب من خلال السفارة كليليا ساويزنلي، رئيسة قسم اللغة العربية في المعهد الجامعي الشرقي في نابولي.

### \* كتب جديدة \*

● «حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية»، من تأليف سووكوفسكي، إصدار جمع اللغة العربية الأردني، وذلك ضمن الحملة التي يقوم بها الجمع لتعريب التعريب العلمي في الجامعات العربية.

● «وليمة على شرف أوديب»، مجموعة قصصية، تأليف ثابت مكودي.

## من أقوال الفيصل

ديمقراطية، ما دام أنها تعلمنا بأن الناس متساوون أمام خالقهم، وأن المصالح الشخصية يجب أن تخفى دائماً أمام الخير العام والمصلحة المشتركة.

● «إن ادخال أي تعديل على مصنع أو طريقة تقنية لا يحتاج غير بضعة أسابيع، بينما تحويل الرجال يحتاج إلى أجيال كثيرة».

● «إنه من الصعب جداً دفع الشعب في طريق التقدم دون تمزيق الغشاء الدقيق لبنيتهم الصحيحة، إنها مهمة صعبة أن تجد في كل مكان تفضي به الضرورة، مع الحفاظ على فلسفة سياسية ثابتة، تلك التي تنبع من تعاليم القرآن».

● «كان عرب فلسطين ضحايا عدوان لا سابقة له، إنه لم يحدث أبداً، حتى في أشد عصور التاريخ ظلمة، أن شعباً بأكمله قد أخرج من دياره، ليحل محله غريباء، ولن يكون سلام دائم ما دام أن بيت المقدس لم يتحرر».

● بعد أن أصدرت الدار التونسية للنشر «شهرزاد» لتوفيق الحكيم، أصدرت كتابين آخرين له «بجاليون»، و«أشواك السلام»، وذلك ضمن النشرة المغربية لأعمال الحكيم، حيث تقترب هذه الكتب من قارئ المغرب العربي، وهي عملة بالرسوم والألوان، ومطبوعة بأحدث الحروف الأنيقة.

● «الريح الشتوية»، الجزء الثاني من رواية الكتب المغربي مبارك ربيع، الناشر الدار التونسية للنشر.



### اللغة العربية عام ٢٠٠٠

كان مكتب نسق التعريب في الوطن العربي بالرباط، قد بدأ حملة تحت شعار: «اللغة العربية لغة العلم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٠»، وقد بادرت الأوساط الثقافية والعلمية في الوطن العربي بالاستجابة لهذه الحملة.. وسوف يتم تنظيم لقاءات فكرية وثقافية في الأسبوع الثقافي المزمع إقامته في العاصمة.. مع عرض المعاجم المتخصصة التي أصدرها المكتب في معرض للكتاب.

### نصف طن نقود في «سراجهن»

عثر مؤخراً في مراكش، على كميات كبيرة تصل إلى نصف طن، من العملات الفضية المغربية والإسبانية، التي يرجع بعضها إلى أوائل القرن الثامن عشر.. وهذا الاكتشاف ثم بلا علماء آثار.. فقد كانت الصدفة وحدها هي السبب، حيث كان بعض العمال يقومون بالعمل في قلعة سراجهن، بالمنطقة التي تقع عند سفح جبل أطلس.

المعروف أن هذه الأرض - قديماً - كانت ملكاً لسعوى قبائل سراجهن، في عهد السلطان مولاي بن عبد الله والسلطان مولاي سليمان اللذين حكما في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

وقدورت كمية العملات التي اكتشفت بما يزيد على المليون فرنك فرنسي.

● «إن الصبر ومرور الزمن الطويل يصنعان من القوة أكثر مما يصنعه التهيج الغاضب».

● «إن الإسلام ليس احتكاراً لأحد، لا لفرد ولا لجماعة، ولا لشعب ولا لبلد، وإنما هو دين الله سبحانه وتعالى - بعث به نبيه، صلوات الله وسلامه عليه - لجميع الأمم، وجميع الأقطار، سواء منهم الأبيض والأسود، وسواء منهم الغني والفقير...».

● «إن الدعوة الإسلامية حينما انبثقت من هذه الأماكن، وشع نورها في جميع أقطار الأرض، كانت دعوة خيرة، تدعو إلى السلم، وتدعو إلى الحق، وتدعو إلى العدل وتدعو إلى المساواة».

● «كيف يمكن أن تكون هناك شريعة أرفع من تلك التي أوحى بها الله إلى نبيه؟ إن أوامره، التي تطبق بأمانة والتي تؤخذ ككل، هي أكثر الأوامر

- «جسدي كان الغريال» ديوان شعر لإبراهيم نصر الله .
- «يوميات أندلسية» وهو من أدب الرحلات ، تأليف القاضي ماجد ديب غنم .
- «عقيدة المسلم» تأليف الشيخ عبد الحميد السائح . وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية الأسبق .
- «من أساليب البيان في القرآن الكريم» تأليف محمد علي أبو حمدة .



#### وفاة فيليب حتي

العلامة العربي الدكتور «فيليب حتي» الذي توفي منذ فترة في شهر ديسمبر/كانون الأول الماضي عن (٩٢ عاماً) . أقيم له احتفال تذكاري بولاية نيوجرسي الأميركية ، الذي كان له فضل الريادة في بعث التاريخ العربي والحضارة العربية في الحياة الثقافية الجامعية بأمريكا ، والدكتور «فيليب» من مواليد لبنان ، وحاصل على عدد من الأوسمة ، وله عدد ضخم من المؤلفات التي ساهم من خلالها في إنقاذ نضوء على ثقافة العرب بالنسبة لأوروبا .

#### مدينة ثقافية

بم وضع التصاميم النهائية لـ «مدينة جنين لاط الشافعية» . التي ستضم مكتبة ومركزاً لحفظ تراث جنين ، وقاعة تتسع لأكثر من خمسة آلاف مقعد . المكان الذي ستقام عليه «المدينة» . هو قطعة أرض في بلدة عين زرين - قضاء الشوف ، قدمها المرحوم سبيع وعمود السحبة .

#### \* كتب جديدة \*

- «الجيل .. والأرض» رواية . تأليف سعيد فرحات . نعالج قضية الإنسان الفلسطيني .
- محمد شعري يضم خمس مجموعات شعرية لشاعر الأرض المحتلة حلمي الزواقي . المجموعة هي «تشيخ الخراج» عبر الذاكرة ، «الخرب على وجه الضياع» ، «قائمة الموت» ، «الغضب ..» وسوف يصدر هذا العمل الأدبي عن دار العودة ببيروت ، ويقوم برسم غلاف المجلد الفنان الفلسطيني محمد سلمان .. أما الرسوم الداخلية فهي للفنان الفلسطيني - أيضاً - شفيق رضوان .
- «الرحيل» مجموعة قصصية من الأدب الفلسطيني ، ترجمة سهيلة منصور . عن الاتحاد لعدم للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .
- «دراسات في الفكر العربي» . تأليف ماجد فخري . رئيس دائرة الفلسفة في جامعة لأميركية ببيروت .
- «أزمن الشعراء» ضعة ثانية . لشاعر أدونيس . كانت الطبعة الأولى عام ١٩٧٢ م . وقد أهدى الشاعر عدد من النكات الجديدة إلى ضعته الثالثة .

وما دام أن الأراضي العربية كلها لم يتم الجلاء عنها ، وما دام أن الذين طردوا من ديارهم لا يستطيعون العودة إلى تراثهم الوطني وممارسة حقهم كاملاً ، في السيادة والاستقلال .

● «إننا نرعى عقيدتنا بمثل ما نحترم عقائد الآخرين ، وسبيلنا إلى ما نؤمن به هو التطبيق لا التصفيق» ، والدليل والبرهان ، لا الدعوة ولا الإعلان .

● «لن نستعيد عزتنا وكرامتنا إلا عن طريق العودة إلى عقيدتنا» .

● «في علاقاتنا بإخواننا العرب لا نهمنا أن تكون هذه الأراضي أو تلك الجزر أو الجبال والوديان لنا أو لهم .. ما دمنا جميعاً إخوة عرباً» .

● «لقد آن الأوان أن تراجع أنفسنا ، ونفكر في مستقبلنا ، وأن نعود إلى

- «صاح عندليب في غابة» ديوان ، للشاعرة أمل جراح .
- «الموج في جزيرة الميون» ديوان ، للشاعر فوزي عطوي .
- «العقل عند المعتزلة» تأليف حسني زينة .
- «مسي زيادة .. التوهج والأفوال» ، تأليف روز غريب ، والكتاب يتناول حياة وشخصية الأدبية اللبنانية وأعقابها المؤلفة من شعر ونثر ، الناشر مؤسسة لوقل .
- «أبدأ من رقم عيشي» المجموعة الشعرية الأولى للشاعر حمزة عيود .
- دراسة يقوم بإعدادها للنشر الناقد الياس خوري عن الشعراء أدونيس . محمود درويش . بدر شاكر السياب .

- «الأرض تنشر أسرارها» ديوان للشاعر مريد البرغوثي . الناشر دار الآداب .
- «صدمة الحداثة» تأليف أدونيس .
- بمناسبة عام الطفل ، سوف تصدر موسوعة علمية ملونة للأطفال ، وستكون الموسوعة في خمسة أجزاء تشمل كل ما يهم الطفل في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية . الناشر دار الشروفي .



#### أقدم نص للكتابة العربية

تم العثور على أقدم نص تاريخي للكتابة العربية الإسلامية حتى الآن . وقد تم الاكتشاف عن طريق هيئة التنقيب عن الآثار ، على جدار من «الخص» في أحد القصور التاريخية القديمة بمحافظة البصرة جنوب العراق .. والنص يعود تاريخه إلى سنة (٥٧ هـ) ، وهو يلقي الضوء على مدينة البصرة قديماً .

#### ترشيح «القينجي» للجائزة

صالح المهدي . الفنان العراقي ، رشح الفنان محمد القينجي ، للحصول على الجائزة العالمية للموسيقى ، في الدورة المقبلة لمؤتمر المجلس الدولي للموسيقى ، الذي سيعقد بإستراليا في عام ١٩٧٩ م . وقد تم هذا الترشيح ، باعتبار أن «القينجي» من أبرز الفنانين المرموقين في الغناء العربي .. وخاصة في ذلك النوع المعروف بالمقام العراقي .

#### مؤتمر المرأة والطفل الفلسطيني

أوصى مؤتمر المرأة والطفل الفلسطيني ، الذي أقيم في بغداد ، بضرورة تنظيم الدورات التدريبية والثقافية والقومية للمعلمين .. وأيضاً توجيه البرامج المسموعة والمرئية والتربوية للطفل الفلسطيني داخل الأرض المحتلة . كما أوصى المؤتمر بإصدار نشرات تعليمية خاصة بأطفال الأرض المحتلة ، حيث تتناول هذه النشرات تاريخ فلسطين وجغرافيتها .

#### ١٢ مليون دينار لانقاذ بابل

أقيمت ندوة من أجل انقاذ الآثار التاريخية في بابل ، وقد توفرت فيها المشروع الذي

حظيرة الإسلام ، ونقوم بما هو واجب علينا ، وأن نكرس كل الجهود لنصرة هذا الدين ، ولتطهير نفوسنا من الشوائب التي تعترض سبيلنا .

● «نحن لسنا في حاجة إلى أن نستورد تقاليدنا من الخارج .. وقد كان لنا تاريخ ، وقد كان ماض مجيد ، قدنا العالم ، فبإذا قدناهم ؟! قدناهم بكلمة الله ، وتوحيد الله ، وسنة رسوله» .

آخر كلماته التي رد بها على أحد الصحفيين الأجانب قبل وفاته بيومين :

● «نحن نريد أن تكون هذه المملكة الآن ، وبعد خمسين سنة من الآن ، إن شاء الله ، مصدر إشعاع للإنسانية والسلام ، يسكنها شعب مؤمن بالله يحتفظ بتقاليد المنبثقة عن تعاليم الإسلام والأخلاق العربية الأصيلة ، ويبني البلاد على أسس راسخة من الإيمان والأخذ بالعلوم الحديثة الحضارية النافعة والتفوق في الصناعة والتكنولوجيا بعون الله ومشيئته» .



## قطرة

### طوايح بمناسبة عام الطفل

إدارة البريد القطرية، قررت - بمناسبة عام الطفل - إصدار عدد من طوايح البريد التذكارية، وقد طرحت هذه الطوايح في الأسواق بأسعار (٣٥ درهماً)، و(٨٠ درهماً).

### \* كتب جديدة \*

● «ناندا» مجموعة نصية، تأليف الأدب السعودي الشاب محمد حمد الصويغ، الناشر مؤسسة العهد.

## الكويت

### ماجستير في شعر الكويت الحديث

● «الشعر الحديث في الكويت» الذي صدر من قبل، من تأليف عبد الله السجاري، تقدم به لنيل درجة الماجستير. وقد قسم الدراسة إلى أجزاء، الأول منها عن دراسة تاريخ الكويت اجتماعياً وثقافياً في الحقبة الماضية، ثم حركة الشعر الكويتي وسدايته. مع ذكر أهم أعلام الشعراء القدامى والحديثين حتى عام (١٩٥٠ م)، ثم في الجزء الثاني، يستعرض اتجاهات الشعر التي مثلها شعراء المراحل الثلاث الذين ترجمهم قسم الكتّاب، ثم الانجاسات الأخرى. والخصائص الفنية لأشعارهم.

### أسابيع ثقافية خارج الكويت

في أوائل مارس / آذار ١٩٧٩ م، سيقم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أسابيع ثقافية في المغرب والسودان. والمجلس يستعد منذ الآن لهذه الأسابيع الثقافية.

### \* كتب جديدة \*

● «العلم.. ومشكلات الإنسان المعاصر» تأليف زهير الكرمي، وقد صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، والكتاب يعتبر عمل أكاديمي لربط مشكلات الإنسان المالية بالعلم والتكنولوجيا الحديثة.

وضعه الأثريون لانقاذ مدينة بابل من طغيان المياه الجوفية والأعشاب، وذلك من أجل الحفاظ على أثارها التاريخية. وإعادة بناء وإحياء تلك الحضارة، وصيانتها، وإقامة الحدائق حولها بما يتفق مع طابعها.

وسوف يتم رصد أكثر من (١٢ مليون) دينار عراقي، لإنشاء الطرق التي تمكن السواح من الاطلاع على معظم معالم مدينة بابل.

### \* كتب جديدة \*

● «الفتح الوامض في علم الفرائض»، تأليف الشيخ عمر القره داغي، وهو من إصدارات الجمع العلمي العراقي.

● «معجم السفر» تأليف المحافظ صدر الدين بن أبي طاهر أحمد بن محمد الأصفهاني (٤٧٢ - ٥٧٦ هـ)، وقامت بتحقيقه الدكتورة بهيجة الحسيني، من مطبوعات وزارة الثقافة والفنون العراقية.

● «مواسم العشق والرياح» ديوان شعري جديد، للشاعر علي الحلبي، مستشار وزارة الإعلام العراقية، الديوان يصدر قريباً.

● «الرواية التاريخية» دراسة تأليف جورج لوكاش، كان قد كتبها في (١٩٣٦ - ١٩٣٧ م)، وهي دراسة نظرية للتفاعل بين الروح التاريخية وبين أنواع الأدب الأخرى التي تصور التاريخ، قام بترجمتها مؤخراً، د. صالح جواد الكاظم.

### ★ الطفل في الدول المتقدمة ★



### ★ الطفل في الدول النامية ★



لقطة

## جائزة فرنسية لكاتب سوفيتي

الكاتب: «**بيلفكر**»، والأستاذ الجامعي السوفيتي «**الكسندر رينوفيف**»، منحه فرنسا جائزة ميديني، وذلك عن روايته «**المستقبل المشرق**» .  
والكسندر من مواليد روسيا عام (١٩٢٢م)، وتعد أشهر مؤلفاته «**الارتفاعات الشاهقة**»، (١٩٧٥)، وقد ترك روسيا فراراً من حجم الحكم الشيوعي .

● «**المؤامرة الروسية والأميركية الكبرى**»، تأليف جاك برجيه، الناشر دار «**البان ميشال**»، والكتاب يتناول توقع المؤلف، حول إمكانية حصول اتفاق بين الدولتين الكبريين، يؤدي في النهاية إلى اتحادهما في إمبراطورية واحدة تسيطر على العالم بأسره، وذلك انطلاقاً من القضاء الخارجي .

## الاحتفال بشاعرة !

احتفلت الأوساط الثقافية والأدبية في باريس بصدر البهجة الشعرية الجديدة لـ «**شادية صنبر**»، كما أفردت جريدة «**لوموند**» مكاناً لتسليط الضوء في صفحاتها الثقافية على الشاعرة وأشعارها .

## وفاة كاتب موسوعي

توفي بباريس في أواخر العام الماضي، الكاتب الموسوعي، والباحث الاجتماعي «**روجيه كايوا**»، عن عمر يناهز الخامسة والستين، على أثر إصابته بـ «**الزهايمر**» . والمعروف أن «**روجيه**»، كان عضواً بـ «**مجمع الأكاديمية الفرنسية واليونيسكو**» . وله ثلاثون مصنفاً من أدب

## حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

١ فبراير	٩ فبراير	١١ فبراير	١٢ فبراير	١٤ فبراير	١٥ فبراير
١٥٥٢ مولد عالم القانون الإنجليزي إدوارد كوك .	١٨٧٤ وفاة المؤرخ والكاتب الفرنسي جول ميشليه .	١٦٥٠ وفاة الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت .	١٨٤٧ مولد المخترع توماس أدسون .	١٨٠٤ وفاة الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت .	١٧٧٥ وفاة الكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو .
١٩٤٦ انتخاب « <b>تريغيني</b> » في أول سكرتير عام للأمم المتحدة .	١٨٨١ وفاة الروائي الروسي دستوفسكي (طالع تاريخ مولده في العدد ١٨ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩١٦ وفاة الأدب الأمريكي هنري جيمس .	١٨٠٩ مولد أبراهام لينكولن أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٨٣٧ وفاة الشاعر بوشكين (طالع تاريخ مولده في العدد الأول - السنة الثانية من هذه المجلة، في هذه الزاوية)
٢ فبراير	١٩٣٤ قيام حرب البلقان (بين تركيا واليونان ورومانيا ويوغوسلافيا) .	١٩٧٠ وفاة الفيلسوف البريطاني برتراند رسل .	١٧٣٢ مولد جورج واشنطن .	١٧٧٩ وفاة المخترع الإنجليزي جيمس كوك .	١٨٤٠ مولد المخترع « <b>هيرام ستيفنس مكسم</b> »، مخترع مدفع مكسم وبعض أنواع المفرقات .
٣ فبراير	١٤٦٨ وفاة جوتنبرج (مخترع آلة الطباعة) (طالع شخصية عالية) .	١٧٧٥ وفاة الكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو .	١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .	١٨٩٠ مولد الكاتب بوريس باسترناك صاحب رواية « <b>دكتور زيفاجو</b> » الشهيرة .
٤ فبراير	١٨٨١ وفاة الكاتب الإنجليزي توماس كارليل .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٧٣٢ مولد جورج واشنطن .	١٧٧٩ وفاة المخترع الإنجليزي جيمس كوك .	١٨٩٨ مولد الشاعر الألماني برتولد بريخت (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .
٥ فبراير	١٨٤٠ مولد المخترع « <b>هيرام ستيفنس مكسم</b> »، مخترع مدفع مكسم وبعض أنواع المفرقات .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .	١٩٢٣ وفاة العالم الألماني « <b>ويلهلم رونجن</b> »، مكتشف أشعة أكس .
٧ فبراير	١٨١٧ مولد الأدب الإنجليزي تشارلز ديكنز (طالع تاريخ وفاته في العدد الأول - السنة الثانية من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .	١٩٢٣ وفاة العالم الألماني « <b>ويلهلم رونجن</b> »، مكتشف أشعة أكس .
٨ فبراير	١٨١٩ مولد الكاتب الإنجليزي جون رسكن .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .	١٩٢٣ وفاة العالم الألماني « <b>ويلهلم رونجن</b> »، مكتشف أشعة أكس .
١٨ فبراير	١٨٣٨ مولد الكاتب الفرنسي جون فرن .	١٧٦٦ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب الستين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .	١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .	١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .	١٩٢٣ وفاة العالم الألماني « <b>ويلهلم رونجن</b> »، مكتشف أشعة أكس .



واقعية للتطور الزمني .. وكيف كان يلعب الأطفال في الماضي ، حتى وصلت هذه اللعبة الآن إلى تشغيلها إلكترونياً .

### ثلاث لوحات مزيفة بـ ٦ ملايين فرنك !

الفنان التحريدي .. «موندريان» الذي توفي عام ١٩٤٤ م ، نشر هذه الأيام مشكلة للتحف الفن الحديث في باريس ، فقد أراد التحف شراء ٣ لوحات له يبلغ سنه ملايين فرنك فرنسي ، إلا أنه في آخر لحظة ، اكتشف أن الثلاث لوحات مزيفة .. لكنها تجعل توثيقه .

#### ● أحدث الكتب ●

● عن دار «جاليمار» صدرت أطول سيرة حياة ، تناولت بالتفصيل حياة الكاتب الفرنسي البير كامو ، قام بتأليفها الكاتب الأمريكي هيربرت لوتمان .

● «فلسفة الأخلاق عند ابن باجة وتأثيرها في الفكر الغربي» تأليف جورج زيناتي ، باللغة الفرنسية إصدار دار فران الباريسية للطباعة والنشر .. تضم صفحات الكتاب دراسة تأثير الفكر الأندلسي على الفكر الغربي في العصور الوسطى .. وعصر النهضة الأوروبية وعلى الأخص في القرن السابع عشر الميلادي .

● «مختارات من الصوفية» تأليف دي فيثي ، وهو يهتم سالفاه الضوء على أعمال النصوص .

● «عشاق البندقية الثلاثة» رواية تدور أحداثها عن الكتابة الفرنسية «جورج صاند» (١٨٠٤ - ١٨٧٦ م) .

● «من الغرات .. إلى جبال أطلس» تأليف المستشرق جاك بيرك ، في جزأين ، دراسة في أصل الجنس البشري في الدول الإسلامية العربية .

● «تجيريا الدولة الأسطورية» تأليف الكاتب المسرحي والسبجاني البحريني أولابالوجوم .

● «الكتاب الذهبي للديوان» ديوان شعري ترحم إلى الفرنسية للشاعر الفارسي حافظ الشيرازي الفيلسوف المتصوف الذي اشتهر في القرن الرابع عشر .

● «القافلة الأخيرة» تأليف الصحفي الفرنسي جان لاف مونتجو ، الذي عمل سائقاً على سيارات الشحن في المملكة العربية السعودية حتى العام الماضي .

● «فوق إفريقيا» تأليف جون زيميلر ، الناشر دار لوسوي .. يتناول المأساة التي تعيشها القارة الإفريقية وما تعانيه من غرق .

## الكتاب

### اللغة العربية في الأبحاث التكنولوجية

بدأت الشركات الأوروبية بإصافة اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية المستخدمة في أبحاثها التقنية والتكنولوجية .. وقد بادرت شركة «سيمتز» الألمانية بأرسال خطاب إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، تبلغها فيه ، بأنها قد قررت ادخال اللغة العربية إلى بنك المعلومات الإلكتروني التابع لها .. والذي كان يحتوي على لسان لغات أوروبية فقط .

#### مركز إسلامي جديد

السقراء العرب في «يون» فرووا إقامة مركز إسلامي في العاصمة ، سوف يضم المركز الجديد مدرسة .. ومكتبة وداراً للضيافة .. ومسجداً .

تكاليف هذا المشروع تزيد على عشرة ملايين مارك ألماني ، من ضمن هذا المبلغ ، يستخرج جزء قدره ٢.٥ مليون مارك ، لشراء قطعة الأرض التي تصل مساحتها إلى ١٢ ألف متر مربع .

### الاحتفال بأول روضة أطفال في العالم

أول روضة للأطفال في العالم ، قد مر على تأسيسها مئة عام .. هذه الروضة بمدينة «ستوتجارت» وهي تحمل اسم «رومنجر» نسبة إلى يوهانس رومنجر ، الذي قام بتأسيسها . وقد أقيم مهرجان للأطفال بهذه المناسبة ، وقد كان مؤسسها يهدف من إنشائها ، إلى توفير عيش دافئ وأمان وترفيه للأطفال الذين أصبحوا ضحية لموجة التصنيع التي جذبت الآباء والأمهات إلى العمل .

### الرجل ذو المروحة في الرأس !

«ويلي مستر سميت» مخترع أول طائرة نفاثة في التاريخ ، توفي أخيراً عن (٨٠ عاماً) ، وقد كان يطلق عليه «العبقري ذو المروحة في الرأس» .. وأول طائرة من صناعه ، ظهرت عام ١٩٢٦ م ، وقد كانت كلها مصنوعة من المعدن .. وفي عام ١٩٣٥ م ، صنع الطائرة المطاردة الشهيرة «M 109» .

جنوب أميركا ، وفن الشعر ، وعلم الاجتماع .. ونماذج الأحجار الكريمة ، التي كان يعشق جمعها .. وأيضاً ، تعتبر أعماله الكتابية محاولات فريدة في الفكر المعاصر ، فهو حاول البحث في أسرار الكون دون تنكر لثراث الإنسانية العقلي .

#### متحف ومعهد إسلامي

سيقام في باريس متحف ومعهد إسلامي ، حيث قام الرئيس جيسكار ديستان بتكليف الدبلوماسي الفرنسي «جان بازديفو» بمهمة التمهيد لذلك المشروع في البلدان العربية ، وذلك من أجل معرفة ما يمكن أن تقدمه هذه البلدان من تعاون في هذا الشأن .

#### جائزة جوتنبرج

«باتريك موديانو» حصل على جائزة جوتنبرج ، وهي كبرى جوائز الرواية في فرنسا ، وذلك عن روايته «شارع الدكاكين المظلمة» ، وتمتاز هذه الرواية في رأي لجنة التحكيم ببساطتها الكبيرة .

#### الفن الهندي .. من القرن الرابع إلى التاسع

في إحدى قاعات الفن في العاصمة الفرنسية ، أقيم معرض للفن الهندي خلال خمسة آلاف سنة ، حيث ضم المعرض نماذج مختلفة من نقش على الحجارة المحروقة والتمثيل المفقوشة ، في الفترة ما بين القرن الرابع ، إلى القرن التاسع .

#### معرض للأطفال .. فقط !

مع بداية عام ١٩٧٩ م ، أقيم في متحف اللوفر معرض يضم ألعاب الأطفال .. والتطور الذي طرأ عليها منذ القرن السادس عشر حتى هذا العصر ، والغرض منه ، إعطاء الطفل صورة

## شخصية عالمية



يوهان جوتنبرج  
(١٣٩٧ - ١٤٦٨ م)

★ اسم أبيه : جيز فليش .

★ أخذ اسم «جوتنبرج» عن أمه .

★ يعتبر أول أوروبي استخدم حروف الطباعة المنفصلة على الرغم من أن الريادة في هذه القضية تنسب إلى «لورنس يانسون كوستر» و«بامفليو كاستالدي» وغيرهما .

★ قام باختراع آلة الطباعة عام ١٤٣٦ - ١٤٣٧ م .

★ استطاع إنشاء مطبعة في ماينز بألمانيا (مسقط رأسه) حيث قام بطبع إنجيل مازارين .

★ بسببه أصبحت «ماينز» المدينة ، مركزاً للطباعة .

## شاعرة

### ■ ■ أزمة الترجمة في العالم العربي

مرت الترجمة بمراحل عديدة من التفوق والانحطاط. ولكنها ظلت مرتبطة بطبيعة الظروف التي تزدهر فيها أو تنحسر، وترتفع أو تنحط.

وفي كل مرة، كانت هذه الظروف المؤثرة كبيرة السيطرة على المضمون الفكري للأعمال المترجمة. أو بمعنى آخر، فإن عنصر الإبداع يهدف إغراء المكتبة الأدبية بالأعمال الرفيعة، قد تلاشى في ظل الأهداف المادية. لاحتراز الكسب والذبيوع.

وكانت الغزارة في الإنتاج مظهراً من مظاهر هذا التفوق. لعامل الكسب والانتشار. وتلاشت في ظل هذه الحقيقة، الكثير من المصاعب الفكرية في تصاعيف العمل التجاري البحت.

وقد ظهر خلال العشر سنوات الأخيرة، العديد من المترجمين، وظهرت معهم أو من خلال نشاطهم أعمال كثيرة في الآداب العالمية المختلفة، ولا سيما في الأدب الفرنسي، وبعض الآداب العالمية الأخرى.

وظهرت بعض الترجمات لأعمال كبيرة نقلت عن لغة بسيطة، كالانجليزية أو الفرنسية من الآداب الألمانية والروسية والإسبانية والإيطالية.

وكانت بيروت، مركز هذا النشاط ومصدره الرئيسي. وتعرضنا لأحداث الحف، تضاملت لسنة الترجمات، وأعزق باب الأطلاع على الفكر الإنساني. وكان المهمة لم تكن مسؤولية عامة، يجب أن يضلح بها كل المفكرين القادرين، وأصبحت - حتى بالنسبة للمركز الثقافي ببيروت - محصورة في عدة أسماء شهيرة في عالم الترجمة. وبإغلاق سوق الترجمة. أو سوق بيروت الثقافية بكل ما كانت تعطيه وتقدمه، تضاعف نصيب الترجمة للأعمال الكبيرة، وأصبح القارئ العربي محصوراً في إطار الإصدارات العربية، إلا من أوتي مهارة الأطلاع بلغات أخرى. وهذه فئة محدودة يندر وجودها بين مثقفينا بصورة خاصة.

لقد تذكرت هذه الحقيقة. حقيقة الجفاف الذي يعيشه سوق الترجمة إلى العربية. وأنا أطلع «قوة الأشياء» لسيمون دي بوفوار: وكنت قد خرجت من قراءتي لهذا العمل بانطباعين:

● أولاً: أن الأسماء الشهيرة في عالم الفكر المعاصر تظل أكثر حظوة لدى المترجمين العرب. وليس مبدأ الحداثة والحدوة في طبعة الأعمال.

● وثانياً: أن الترجمة لم تعد تلوقاً بقدر ما صارت تجارة، تجود أهدافاً مادية بحتة. ولا تتلاقى مع الأهداف الفكرية التي تترك عادة على الوعي الثقافية أكثر من التركيز على الكم مع غنائه وروادته.

ولا فائدة يمكن أن يفهم القارئ، من عبارات كهذه:

«هو صدور «المثقفون»، كنت ناتالي ساروت، مقالاً تدبّر فيه الترجمة التقليدية، ويقعها في رأيي لا محل له، لانه يفرس ميتافيزيقية لا تنهض على ساقها».

وتقول كاتبة هذا الكلام: سيمون دي بوفوار في الصفحة (٣٦٦) من كتابها قوة الأشياء (الجزء الأول). «ليس من المستحيل أن نكتب انطلاقاً من نزعة سيكولوجية باطلة، كتباً جديدة، ولكننا بكل تأكيد لن نستطيع أن نستخرج منها جالية ذات قيمة».

وتقول: «إنني موافقة على أن الحوار يطرح مشكلة على الروائي، ولكني لا أعفد على الاطلاع، أن الكلمة هي امتداد الحركات الحفية».

لقد ذهب المص، واحتفت الفكرة الفلسفية لـ «سيمون دي بوفوار من وراء تحديد القيمة الجالية للمضمون الإنساني للعمل الأدبي، وتلاشت الصور الحية للأبعاد الفكرية هذا التقييم الدقيق لتأثير الشجرات الداخلية للأدب على الشكل أو القلب الخارجي للعمل الأدبي.

تلاشى كل هذا، لأن القدرة على نقل الفكرة اعتماداً على معرفة مسبقة، لما يريد صاحب العمل أن يقول، هذه القدرة غير موجودة. وأصبحت الترجمة نقلاً للعبارات من لغتها المبردة إلى لغة أخرى، دون الاثام بما يريد أن يعبر عنه من مضامين وصور جالية.

إن «عائدة مطرجي إدريس» هي المترجم هذا العمل، وهي من أكثر المترجمين العرب نشاطاً. وربما قدره على استخلاص الأفكار الكلية للأعمال الأدبية، ومع هذا فقد تضاعفت الأفكار الرئيسية وراء عملية الترجمة النصية، فتوهبتها إلى حد التناقض بين ما تريد سيمون أن نقوله، وبين ما ذهبت إليه المترجمة.

إن أزمة الترجمة العربية، ما تزال قضية خطيرة في الوسط الثقافي العربي. خطيرة لأنها فقدت مضمونها الفكري أولاً.. ولأنها تكاد تكون معدومة في الوقت الراهن ثانياً.

ولا ندرى كيف يمكن أن نعالج هذا النقص وذلك القصور، إذا نحن لم نعلن بالترجمة دراسة، واستخلاصاً ونحماً.

هاشم عبده هاشم  
جدة

### أشعة الليزر على النوتة الموسيقية

الموسيقار ريتشارد فاغنر (١٨١٣ - ١٨٨٣ م)، الذي كان يستلهم مؤلفاته الموسيقية من خلال الأساطير الشعبية، تخيّرني الآن عملية فحص لبعض أعماله المكتوبة على النوتة الموسيقية، ويقوم العلماء بحراء الموسيقى باستعمال أشعة الليزر، تساعدكم في العمل زوجة «فاغنر».. للكشف عن مضمون كثيرة لم تنشر بعد.

### الفن المصري المعاصر

أقيم معرض «الفن المصري المعاصر» في مدينة «ليفركوون» الواقعة على مسافة (٦٠ كيلو متراً) من بون العاصمة.. اشترك في المعرض عدد من الرسامين والمثاليين والخفارين المصريين، منهم سيف والي. وصالح طاهر.. ووصل عدد المشاركين إلى ٢٩ فناناً. الدعوة لإقامة هذا المعرض كانت كلها على نفقات المدينة الألمانية.

### \* أحدث الكتب \*

● «حياة بريخت» تأليف كلوس فولكر، تناول فيه الجوانب الحفية في حياة بريخت الكاتب المسرحي، الذي اشتهر مسرحياته الملحمية.. صدر هذا الكتاب بمناسبة مرور ٨٠ عاماً على مولده.

● «ديتشه» مؤلفاً موسيقياً، تأليف كورت بول جنز، كتاب يكشف من خلاله المؤلف، أن الفيلسوف ديتشه قد مارس التأليف الموسيقي، ويشير أيضاً إلى الصداقة بالموسيقار فاغنر الذي كان معاصراً له.



### الخط العربي .. في أميركا

استمر معرض الخط العربي لمدة شهرين، والذي كان قد أقيم في مكتبة الكونجرس في العاصمة الأميركية. ضم المعرض العديد من اللوحات القديمة والمعاصرة، كما اشترك في المعرض الخطاط الأميركي عماد أوريك زكريا.. وكانت من أبرز اللوحات الخطية التي عرضت في المعرض لوحة الخطاط الفنان محمد إبراهيم طولها (٣٦,٥ بوصة) وعرضها (٢٥ بوصة). وقد كتبت عليها جميع الآيات القرآنية بالخط العاصري.. وتقع كلها في اللوحة في (٧٢,٤٣٠)، كلمة.. ويرجع تاريخ اللوحة إلى عام ١٩٤٦ م.

### عقل الكتروني للترجمة !

توصلت إحدى الشركات الأميركية إلى صنع عقل الكتروني صغير الحجم، يستطيع القيام بعملية الترجمة من لغة إلى أخرى، أطلقوا عليه اسم «جهاز استعمال الكلمات في عدة لغات»، سوف يعرض هذا العقل بصورة رسمية على المؤتمر السنوي المقبل لمجموعة المترجمين الأميركيين.

### ثلاث سنوات وراء.. «الغريب» !

بعد ثلاث سنوات تحق وراء الشهادات الحية عن حياة وصيرة الروائي الفرنسي الكبير البير كامو، من خلال مقابلاته مع زملائه ومن صادقه أيام شبابه في الجزائر، تمكن الصحفي الأميركي هيربرت لومان، من تكوين دراسته في (٧٠٠ صفحة) .. واختار لها عنواناً مشفقاً من أعمال كامو نفسه.. وهو: «كامو.. ذلك الغريب».

### لوحة .. قيمتها أكثر من ثلاثة ملايين !

«الحسناء» إحدى لوحات الفنان العالمي الهولندي وهرانت، والتي كان قد رسمها في أوائل حياته، وقد رسمت في المراد العلني الذي أقيم في نيويورك بمبلغ ثلاثة ملايين وربع مليون دولار على الدكتور أرمان هومر رئيس اتحاد شركات النفط الغربية.. والغريب أنه، بعد شرائها، أهداها على الفور إلى متحف لوس أنجلوس.

### الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري

احتفالاً ببدء القرن الخامس عشر الهجري، عقد مؤتمر إسلامي تحت إشراف هيئة مسجد توسان بالولايات المتحدة الأميركية، وذلك للتخطيط والدراسة والبحث عن الطرق والوسائل التي تؤدي إلى استمرارية نشر الدعوة الإسلامية وحقائق الدين الإسلامي وتعريف العالم بها. وجهت الدعوة من قبل الهيئة باسم المسجد، للعلماء والمنظمات الإسلامية في الشرق الأوسط وأوروبا للمشاركة في هذا الاحتفال.



## سريقاتنا

### عدد هائل من الكتاب .. في كتاب واحد

السير الذاتية للمؤلفين والكتاب البريطانيين ، وكذلك الأميركيين ، وكل ما كتبوه ، تم اقتباسه وترتيبه إيجدياً .. وطبقاً للموضوع ، وذلك في قاموس تعدى معلوماته عشرة آلاف معلومة .. أما المواضيع التي فيه ، فيصل عددها إلى ١٣٠٠ موضوع ، وعدد الكتاب المختارين ٢٧٠٠ كاتب معاصرين وقدامى .. اشترك في إعداد هذا العمل الضخم «جاستين ونيل» من بريطانيا . وريتشارد كينين من أميركا ، عاونهم في ذلك مجموعة تتكون من سبعة عشر عالماً وباحثاً .

#### \* أحدث الكتب \*

- **لحظات عظيمة في تاريخ الهندسة المعمارية** ، تأليف الرسام الإنجليزي دافيد ماكولي ، الذي يعمل مؤرخاً للهندسة ، وقد طرح في كتابه قضية ، أساسها أن المهندسين السابقين قد أخطأوا في فهم تاريخ العالم ، ولكي يتم تصحيح أفعالهم ، لا بد وأن توضع هذه الأعمال في موضع الانسجام مع مسيرة التاريخ الماضي ، والمستقبل .
- **العميل الإنساني** ، رواية جديدة ، تأليف الكاتب الإنجليزي جراهام جرين ، الناشر دار روبرت لافون ، التي قامت بترجمتها إلى الفرنسية .
- **دخايات ديورر** ، هو اسم الكتاب الجديد الذي صدر بمناسبة الذكرى الـ ٥٠٠ على مولد الرسام الكلاسيكي «ديورر» .. وقد ضم الكتاب عدد من رسومات واسكتشات الفنان ، الذي يعتبر من أحب الفنانين جاذبية بأعماله في القرن الخامس عشر .
- **البندقية وغصن الزيتون** ، تأليف الصحفي البريطاني دافيد هيرست ، عن منشورات فابر أند فابر .. يقع الكتاب في ٣٧٠ صفحة .
- **رجال بلا ظلال** ، رواية ، تأليف حسين القبانى ، صدرت منها طبعة بالإنجليزية ، ترجمة اللواء محمد شلبي .
- **دليل أكسفورد عن الأدب الإسباني** ، أحدث موسوعة عن الأدب والفكر في الدول الناطقة بالإسبانية .. من تأليف فيليب وارد .
- **حقوق الإنسان** ، تأليف ديفيد أوين ، وزير الخارجية البريطاني .

## اسمائها

### مهرجان نقاي

في عام ١٩٨٠ م ، سيقام مهرجان الأندلس النقاي في غرناطة .. الهدف منه إلقاء الضوء

والتعامل مع أبناء عشيرته بتواضع ، بالإضافة إلى ما كان يتحلى به من رأي سديد . فهو لا يحب العنف ولا يستعمله وإن كان حازماً في مواقفه ، كما كان مربياً عظيماً ، لا يتسامح حتى مع أفراد عائلته في التواحي التي يعتقد أنها أساسية .. وكنا كأبنائه ننظر إلينا نظرة عادية جداً ، لا على أساس الإمارة ، أو أن والدنا ملك ، بل على أساس المساواة والاعتدال على الذات في صنع المستقبل ، والتعامل مع الناس ، هذا إلى جانب عدائه للهو وتفضيله الجدية والالتزان في تصرفات الجميع .

### صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل أكبر أبحال الشهيد

- «بعد أن تدرب على الدبلوماسية وتعلم من الصحراء ، لا يصبح غريباً أن يفقد الملك فيصل حركة التقدم في المنطقة العربية بأسرها» .

### الزعيم الفرنسي الراحل «شارل ديغول»

- «لا شك أن الملك فيصل يتمتع بمزايا رجل الدولة» .

### الرئيس الأمريكي الأسبق «ليندون جونسون»

- «لم أجدى إلى العربية السعودية لأنكلم فيها عن النفط كما هو شأن أكثر

### سرقة ثلاث لوحات قيمتها ثلاثة ملايين دولار

سرقت ثلاث لوحات قيمتها ثلاثة ملايين دولار لأحد الرسامين الفرنسيين . اللوحات لم تكن معروضة في أحد المعارض .. لكنها كانت مودعة في أحد المتاحف ، بمعهد الفنون بـ شيكاغو ، وقد اكتشف أحد الموظفين هذه السرقة .

#### \* أحدث الكتب \*

- **دوهم الكنتيلا** ، تأليف الباحث الفيلسوف وليم بارت ، حيث يتعرض في كتابه للتكنولوجيا ، وكيف تمكنت من الحد من قدرات الإنسان . وقد هاجم وليم بارت ، فكرة قيام التكنولوجيا والدعوة لتعويضها لأنها تحد من حرية الإنسان .
- **روبرت كيندي .. وعصره** ، تأليف آرثر سليتزجر .
- **آراء في النفس الإنسانية عند الفلاسفة المسلمين** ، تأليف الدكتور ديمتري جوتاس ، الأستاذ المساعد في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة «بيل» .
- **مجلة الأدب العربي** ، التي تصدر مرة في كل عام ، صدر منها العدد الثامن .. وكان أول عدد صدر منها عام ١٩٧٠ م .. يشرف عليها عدد من المشرقين في جامعات أوروبا ، ضم العدد مجموعة من الدراسات والمراجعات لعدد من الكتب العربية والأجنبية .
- **كتاب الأصدقاء** ، المجلد الثالث ، انتهى من كتابته المؤلف الأمريكي هنري ميلر (٧٧ عاماً) ، وسوف يصدر مع بداية العام المقبل .
- **آرثر ريكس** ، تأليف توماس برجر .

## قالوا عن الفيصل

- «ولئن رحل زعيمنا قبل أن يؤدي الصلاة في أولى القبلتين فسوف يؤديها عنه كل أفراد شعبه ، وكل المؤمنين ، تنطلق من هناك دعواتهم له بالرحمة والرضوان» .

### جلالة الملك خالد بن عبد العزيز

- «إن الملكة العربية السعودية باعتبارها قبلة المسلمين ، وبلد المقدسات هي الأمانة على مقدسات هذه الأمة الإسلامية ، ولهذا نعتقد اعتقاداً جازماً ، وأكداً بأن وسيلتنا لإظهار قوة هذا العالم الإسلامي من خلال تضامنه حتى نستطيع الوصول إلى أهدافنا بأن نكون شركاء في رسم السياسة الدولية ، هذه الدعوة التي رفع لواءها شهيدنا الغالي الملك فيصل ، وسير على منهجه جلالة الملك خالد الذي أخذ على عاتقه القيام بهذا الدور بإيمان ورحابة صدر ، حتى يصل العالم الإسلامي إلى ما يريد من عزة ورفعة وقوة ، وهو أمر نرجو من الله عز وجل أن يوصلنا إليه لتكون كلمة الله هي العليا» .

### صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

- «من الصفات التي كان يتصف بها رحمه الله ، البساطة في العيش ،

على الثقافة الإسبانية العربية في الفترة ما بين القرن العاشر، إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ودراسة الأفاق المستقبلية لتوثيق التعاون الثقافي بين إسبانيا والوطن العربي .

#### «أوراق» .. مجلة جديدة

المعهد الإسباني العربي للثقافة، أصدر حديثاً مجلة ثقافية تحمل اسم «أوراق» .. حيث تقوم بالإشراف عليها تحريرياً الدكتورة مانويلا مارين .. يعاونها مجموعة من الأساتذة والباحثين من الوطن العربي .. وإسبانيا .

#### \* أحدث الكتب \*

● «القصائد التي كتبها الشاعر الشيلي بابلو نيرودا عام ١٩٤٥ م، صدرت في مجلد .

بابلو نيرودا من الشعراء الذين حصلوا على جائزة نوبل (١٩٧١ م) . وتعتبر أشهر أعماله، وهو ديوانه الذي صدر في (١٩٥٠ م)، تحت اسم «الأغنية الشعبية» .

#### إيطاليا :

#### دكتوراه .. في «الوشم» !

حصلت الإيطالية ماتيلدا جاليارددي على رسالة الدكتوراه، وكان موضوع الرسالة عن مسار القصة العراقية الحديثة، وقد بنت - ماتيلدا - رسالتها على رواية «الوشم» للكاتب العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي .

#### \* أحدث الكتب \*

● «نشر مكتب الجامعة العربية في روما كتاباً للدكتور عيسى الشاعوري، باللغة الإيطالية عن «فدوى طوقان، شاعرة المقاومة العربية» .. وهو يشتمل على تسع عشرة فصيدة من أشعارها، وقد وزع الكتاب في حفل توزيع الجوائز، وقد حل هذا الكتاب بالترتيب - أكثر - بالشاعرة الفلسطينية التي فازت بالجائزة ولم تتمكن من حضور الحفل، وهي تعيش داخل الأرض المحتلة .

● «الحياة السفلى» تأليف البرنو مورافيا، المعروف بمناصرته للقضية العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية .

الناس، لقد جئت لاستيفيد من حكمة الملك فيصل ...» .

الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون»

● «وأخيراً .. وجدنا «الرجل المعتدل» فيصل ...» .

رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «هارولد ويلسن»

● «في عهد فيصل بدت المملكة العربية السعودية كواحة للسلام والحكمة .. ولكنها لا تشبه أبداً سويسرا بعزلتها الطبيعية والتاريخية والسياسية» .

الكاتب الفرنسي «مارسيل جرو»

● «كان المعروف منذ زمن طويل أن المملكة العربية السعودية تلعب دوراً ثانوياً في مشكلة الشرق الأوسط، أما الآن فهي تلعب دوراً كبيراً .. والسبب أن لديها رئيساً يعرف ما يريد، هو الملك فيصل ...» .

الصحفي الألماني «ماجالي فون برنتانو»

● «إن فيصلاً من بين كل الحكام هو الذي قابل خلال حياته السياسية أكبر عدد من رجال السياسة ورؤساء الدول» .

الكاتب الإنجليزي «جيرالد دوجوري»

#### وفاة روائي إسباني

عن ٩٢ عاماً، توفي الروائي الإسباني سلفادور دي مادرياحا، ولقد كان سلفادور ضمن الفنانين الذين تركوا إسبانيا في عهد حكومة فرانكو، مثل بيكاسو وغيره من المهجرين والمهاجرين .. وقد عمل سلفادور في إنجلترا أستاذاً للغة الإسبانية وأدبها في جامعة أكسفورد .

#### يتحول إلى الرسم بحثاً عن الراحة من عناء الكتابة

«المأساة» آخر أعمال الروائي السويسري فريد ريشن ديرنمات، لكن هذا الاسم ليس على إحدى روايات أو مسرحيات الكاتب، وإنما هو اسم لوحة زيتية مزوجة أيضاً بالوان الجواش، مقياس (٨٢×٦١ سم) .

هذه أول مرة يعلن فيها الكاتب السويسري أنه يمارس فن الرسم عندما يريد الاستراحة من متاعب التأليف، وقد غامر الكاتب في إقامة معرض تشكيلي لأكثر من مئة لوحة من أعماله المرسومة بالزيت .. لكن المعرض لم يلاق في ذلك النجاح الكبير الذي حققته من قبل مسرحياته وأعماله الأدبية .

#### دليل مصور

البعثة السويسرية الموفدة عن دار النشر «بيرلتز» انتهت من تصوير المعالم الأثرية والسياحية في صعيد مصر، وذلك لطبع دليل مصور في تسع لغات أجنبية، وسوف تهدي الدار السويسرية حوالى ألفي نسخة من ذلك الدليل إلى وزارة السياحة المصرية لتوزيعها في مكاتبها بأنحاء العالم .



#### «مجرى» شاعر الألوان !

سوف يتم نقل لوحات - عددها ٢٠٠ لوحة - من قصر الفنون الجميلة ببروكسل إلى مركز جورج بومبيدو بباريس .

اللوحات للفنان رينيك مجريت، الذي ظل لمدة خمسين عاماً يرسم كل ما في العالم من أشياء، وحتى أطلقوا عليه شاعر الأشياء اليومية، وهو بالفعل يملك روح شاعر، فهو عندما يرسم شيئاً فإنه يريد أن يقول شيئاً آخر .

رينيك مجريت من مواليد (١٨٩٨ م) .

● «إن هذا الرجل ذو الوجه التحليل والخطو المشامخ هو فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ملك الجزيرة العربية وحارس المدينتين المقدستين، أحد أكثر الحكام غنى وأقواهم في الأرض، في ذلك النصف الثاني من القرن العشرين» .

الكاتب الفرنسي «بنوا ميشان»

● «نحت حكم مليكها الجديد (فيصل)، سوف تؤكد المملكة العربية السعودية أن الانتقال من دولة تقليدية إلى دولة حديثة لا يتطلب بالضرورة ثورة أو اشتراكية عربية» .

الصحيفة البريطانية «ديلي تلليجراف»

١٩٦٤ م

● «فيصل سيد الساعة» .

المجلة البلجيكية «ملاحظات إفريقية»

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

● «فيصل هو رجل العام» .

المجلة الأمريكية «تايم»

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م



### معرض تشكيلي عن عصر نابليون الثالث

أقيم بأحد القصور في طوكيو، معرض للفن الفرنسي في عصر الإمبراطورية الثانية، يضم مجموعة مختارة من الأعمال الفنية المختلفة التي توضح ملامح المجتمع الفرنسي في ذلك الوقت تحت حكم نابليون الثالث .  
وقد كانت لوحة «الإمبراطور والإمبراطورة» من أشهر الأعمال التي عرضت، والتي اشترك في رسمها الفنانان «فلندران» و«تروهلز»، وكذلك لوحة «السيدة ذات الرداء الأحمر» التي رسمها «ليسيو» .

### قانون يمنع الصبية من الغناء !

هناك رجل استطاع أن يغير السلطات النسائية على تطبيق قانون يمنع الصبية من الغناء، وقد حدث ذلك لأول مرة خلال (٤٨٠) سنة .. «لجوة الصبية الغنّين» المشهورة في العالم .. ويرجع السبب في ذلك، أن ابن ذلك الرجل رسب في الامتحان عندما تقدم للانضمام إلى هذه «الجوة» .. وقد طبق القانون بعدم ممارسة «جوة الصبية» للغناء، لأن هناك قانون يمنع الصبية الذين تحت سن (١٥) سنة من العمل خلال العطلات وأوقات الراحة .

### \* أحدث الكتب \*

● «انطباعات عن تونس» مجموعة من القصائد الشعرية للشاعر التونسي هوجو شنوفسكي، صور فيها الحياة اليومية التي عاشها في تونس .. في صور شعرية .

### اكتشاف مدينة تاريخية

في مقاطعة «فوشان» شمالي الصين، اكتشفت مدينة تاريخية، تعود إلى العصر الأنابوليبي .. حيث عثر أعضاء البعثة العلمية الصينية على ٤٠٠ وعاء، وعدد من الهياكل العظمية .. و٧٧ مدفنًا .. ويجري العلماء بعض الدراسات حول هذه المكتشفات التي تدل على وجود آثار أخرى مختلفة .

### \* أحدث الكتب \*

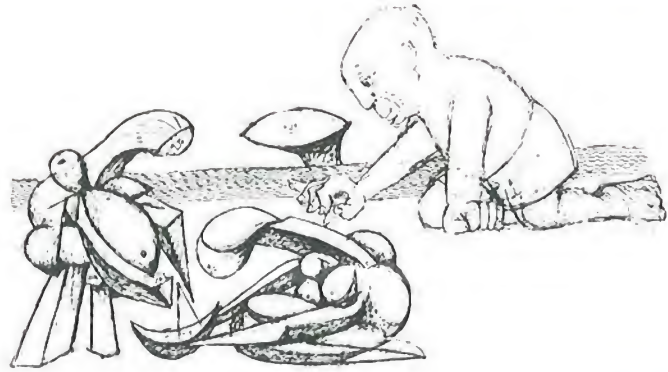
● «الصمت والموت» مختارات من قصص الكتاب السورين، ترجمت إلى اللغة الروسية، تحت إشراف م. مالميشيف، بتقديم ف. شاجال .  
عنوان المجموعة مأخوذ من أحد القصص للكاتب السوري فاضل السباعي تم طبع (٥٠) ألف نسخة منها .

### \* أحدث الكتب \*

● «دور المرأة في الأدب الروائي المعاصر في شمالي إفريقيا والعالم العربي» .. كتاب باللغة الإنجليزية للمعترية اللبنانية «إيفلين عقاد» .. وهو نص رسالتها التي تقدمت بها إلى جامعة أنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية .

## كاريكاتير

- وضع الرسومات الداخلية لأعمال كافكا وزولا الكاملة .
- أصدر كسألوجين لرسوماته المتنوعة، الأول عام ١٩٦٠ م، والثاني عام ١٩٦٩ م .
- تقترب رسومات «تم» الكاريكاتيرية من التصوير الفوتوغرافي وخاصة في رسمه للوجوه «البورتريه» .
- وتغلب أغلب رسوماته إلى التعبير عن المواقف السياسية لدى الشخصيات الرسمية والتعبير عن المواقف الإنسانية لدى الشخصيات الأدبية والفنية .
- له رسومات معروفة تصور ديجول وبومبيدو وخروشوف من ناحية ومالرو وسيزان وبيكاسو من ناحية أخرى .
- ويمثل الرسم المنشور هنا الفنان بيكاسو في رسمه، فإذا تأملنا شكل بيكاسو وتكوينه لوجدنا أوجه الشبه كبيرة بينه وبين الفنان «تم» .
- و «تم» هو أحد البولنديين القلائل الذين برعوا في فن الكاريكاتير وانطلقوا عبر آفاق الفن الرجبة في باريس .



تيم TIM

- لوي ميتلبرج تيم ولد في ٢٩ يناير/كانون الثاني عام ١٩١٩ م بمدينة كالوزين ببولندا .
- درس العمارة بالدراسة القومية العليا للفنون الجميلة بباريس .
- نشر رسوماته الكاريكاتيرية الأولى بمجريدة «فرانس» اللندنية .



# الحرية شعاعاً وحقيقية

بقلم : محمد العربي الخطابي

عليه أن يمنحها ثقته ، وبذلك نسري في نفسه - لا شعورياً - فناعة « حرة » لا تلبث أن تؤثر في اختياراته من حيث مواد الاستهلاك وأماكن الاستجمام والراحة والمتعة بل حتى من حيث المشرب السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي ينبغي له أن ينحوه .

ويضطر هذا المرء نفسه ، بحكم الضرورة اليومية ، إلى استقلال وسائل النقل الجماعي المتوفرة في بلده فيختلط بالناس في زحام شديد يكاد يمنعه من الحركة والتنفس ، ثم يقضي معظم يومه في مصنع تتحكم في سيره آلات مزعجة الضجيج أو في مؤسسة تثقله فيها آلات الأضابير والجذاذات والآلات الكاتبة والحاسبة ، وتوجه عمله وتفكيره نظمات إلكترونية (كومبيوتر) تحلل له المعطيات وتستخلص النتائج وترسم سير العمل واتجاهاته .

وفي أيام الفراغ يجتهد الإنسان - إن هو أسعفته الوسائل - في البحث عن أسباب الراحة والترفيه في شواطئ البحار أو في قلب الغابات ورحاب الحقول أو في بعض الأندية وأماكن اللهو ، فلا يكاد يجد بقعة هادئة يستجمع فيها أنفاسه ويروّج فيها عن أعصابه المهدودة ، فالطرق مخنوقة بقوافل السيارات ، وأماكن الاستجمام مكتظة بالناس مصدوعة بالصخب ، والأنهار والبحيرات ملوثة وشبه آسنة تفسد على الناس متعة الصيد والاسترخاء فضلاً عما تحاط به الأماكن الهادئة القليلة من سياجات وحواجز تعلوها إعلانات ولافتات تمنع الدخول من هنا وتحظر الجلوس أو التفسح هناك .

هذا ويمتلئ فضاء الدنيا الواسع بالتوابع الصناعية تجري في مدارات معلومة وتتجسس على الأرض وتلتقط آلاف الصور عن موارد الطاقة والمعادن وعن تحركات الجيوش وأسلحة الدمار وعن حركات البشر وسكناتهم فتحصي عليهم الأنفاس .

أضف إلى ذلك كله هذه الموجات العارمة من الإباحية والانحلال والمهجنة الجديدة التي تحتاح كثيراً من أقطار الأرض وتتجلى فيما يعرض في القاعات والأسواق من أفلام وكتب ومجلات تخاطب أطح الغرائز وتجدد العنف والدعارة والارهاب ونبد القيم الخلقية والروحية ، وبذلك تكثر الجرائم ويتفشى الانتحار

قال نيوسيديد : « لا سعادة بدون حرية ولا حرية بدون شهامة » ، فإذا كان هذا القول يعني أن الشهامة هي قوام الحرية والسعادة معاً فإننا نعلم أن الشهامة ليست ، وبلا للأسف ، من حظ كل الناس .

فالمخلوقات البشرية فيها الضعيف والمستضعف والجبان ، وفيها عبد الهوى والمادة ، وهؤلاء جميعاً تعوزهم الشهامة حقاً ، أضف إلى هذا أن المجتمع كثيراً ما يفرض ضروياً من القسر الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بل وحتى التكنولوجي ، يفقد معها الإنسان حرية الاختيار فتصبح الشهامة آخر ما يحرص سواد الناس على التحلي به .

ونحن نعلم أن الإنسان في عصرنا هذا - ولا سيما في الدول المتقدمة صناعياً - يتعرض لضغوط من النوع الذي ذكرناه تجعله يفقد قسطاً كبيراً من حريته ، هذه الحرية التي طالما تغنى بها الناس ونصبوها التماثيل ورفعوا شعاراتها في كل مكان ، والتي هي - كما قال الشاعر والمفكر پول فاليري - « من تلك الكلمات البغيضة التي تفوق قيمتها معناها » .

## حرية السراب والخرقة

إن وسائل الاتصال الجماعي - التي هي حق من حقوق الناس في هذا العصر - تمد يدها الناعمة لتتألف في رفق وإصرار من « حرية » الأفراد وهم مذعنون راضون .

فالإنسان المعاصر يحرص على الاستماع إلى الاذاعة ومشاهدة التلفزيون والسينما ويقرأ فيما يتاح له من خلوة أو في زحام الحافلات واكتنظاظ المقاهي صحيفته المفضلة فيكون عنده « رأي » عن أمور الحياة والناس ، رأي يؤخى به إليه في الغالب فيسري في فكره وقلبه بعدوية فلا يلبث أن يؤثر في سلوكه العام وتصرفاته اليومية .

ويعر المرء في الشوارع متسحاً أو ساعياً إلى عمله أو بيته فيشاهد عشرات الاعلانات الملونة والمضيئة ترشده إلى نوع القهوة التي ينبغي له أن يشربها أو الصابون الذي يستحسن أن يغتسل به أو الهيئة السياسية أو النقابية التي يجب



وإدمان المخدرات بين الشباب والشابات وتروج بينهم العقائد الإغراضية المدمرة للأسرة والفرد والمجتمع .

كل هذا يجعل من حرية الإنسان ضرباً من السراب ويحيل الأفراد إلى عبيد من نوع جديد . وما أصدق تلك القول التي فاحت بها مدام رولان وهي تقاد إلى المفصلة إبان الثورة الفرنسية : « أيتها الحرية ، كم من جرائم تقترف باسمك » قالتها وهي تواجه تمثال الحرية المنتصب أمامها في ساحة الثورة بباريس ، وما أكثر ما تطابق هذه القول حالة الحرية في هذا الزمان المعاصر .

\* \* \*

ما هي ، إذن ، هذه الحرية التي يتحدثون عنها كثيراً ، هل هي فكرة وقيمة أم أنها نظام سياسي واجتماعي واقتصادي ، أم أنها محض حلم ما زال يراود الفلاسفة وأهل الفكر؟ ذلك ما سنحاول بحثه فيما يلي من كلام ننتهي به أو ينتهي بنا إلى تحليل مفهوم « الحرية » في الفكر الاسلامي .

### الحرية .. في اللغة

أصل الحرية في اللغة حالة يكون فيها الفرد سيد نفسه لا يملكه غيره بسي أو بيع أو شراء أو سخرة ، والحرية بهذا المعنى نقيض الرق والعبودية تنفق في ذلك اللغة العربية واللغات الأخرى .

يقول ابن منظور في ( لسان العرب ) : « الحرُّ ، بالضم ، نقيض العبد ، والجمع أحرار وجزار ... والحرّة نقيض الأمة ، والجمع حرائر . وحرّؤه : أعتقه ، والحرور الذي جعل من العبيد حرّاً فأعتق » .

ولفظ الحرية في اللغات الأوروبية مشتق من كلمة LIBERTAS اللاتينية ومعناها - حسب المعاجم الفرنسية التي رجعنا إليها وأهمها ( روبير الكبير ) و ( معجم لاروس الموسوعي ) « حالة الشخص الذي لا تربطه تبعية مطلقة لأحد ... وهي خلاف العبودية » .

وتلخص الموسوعة البريطانية معنى الحرية بقولها : « الحرية تناقض ، على الخصوص ، سياسة الإخضاع والخيس والرق » .

لقد كانت المجتمعات القديمة عموماً مؤلفة من سادة (أحرار) وعبيد (أرقاء) ومع الزمن اكتشف الناس ، بالمقارنة بين حالتي الحرية والعبودية ، أن لفظ الحرية يمكن أن ينطوي على معاني أخرى تذهب أبعد من دلالاته الأصلية المحدودة ، وفي هذا يقول بول فاليري : « كانت جل المجتمعات المنظمة مؤلفة ، طوال قرون ، من فئتين من الأفراد : العبيد والأحرار ، ثم أصبحت الحرية بعد ذلك مثلاً وأسطورة وخيرة ... وغدت كلمة الحرية مليئة بالوعود مجللة بالأخطار ... هذه الحرية التي يبدو من الصعب فصلها عن مفاهيم المساواة والعدل » .

وقبل النظر في التطور الذي آل إليه مفهوم الحرية مع الزمن نعود ، برهة ، إلى صاحبنا ابن منظور لنكتشف معه بعض المعاني التي كان العرب القدماء يعطونها للفظ الحرية فضلاً عن المعنى الذي أشرنا إليه من قبل ؛ جاء في ( لسان العرب ) : « تحرير الولد : أن يفرد لبطانة الله عز وجل وخدمة المسجد ، وقوله تعالى : ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني ﴾ ، قال الزجاج : هذا قول امرأة عمران ومعناه : جعلته خادماً يخدم في متعباتك ، وكان ذلك جائزاً لهم وكان على أولادهم فرضاً ولم يكن ذلك النذر في النساء إنما كان في الذكور ... » .

ويضيف ( لسان العرب ) : « الحرُّ من الناس أحرارهم وأفاضلهم ، وحرية العرب أشرافهم ، وقال ذو الرمة :

فصار حياً وطئاً بعد خوف

على حرية العرب الهزالي

أي على أشرافهم ... ويقال هو من حرية قومه أي من خالصهم . والحرُّ كل شيء فخر من شعر أو غيره ، والحرّة والحر : الطين الطيب ... وحرُّ الرمل حر الدار : وسطها وخيرها ... وطين حرّ : لا رمل فيه ، ورملة حرّة : لا طين فيها ، والجمع حرائر ، والحرّ : الفعل الحسن ، والحرّة : الكريمة من النساء » .

ويلخص ( المعجم الوسيط ) كل ذلك بقوله : « الحر الخالص من الشوائب ، والحرية الخلو من الشوائب والرق واللؤم » . وهكذا نرى أن الحرية عند العرب الأقدمين كانت حالة اجتماعية أو مجرد صفة مادية أو حلية فلم يكن هذا اللفظ بذاته يدل على قيمة معنوية أو مبدأ سياسي واجتماعي .

### الحرية .. في التاريخ

وفي هذا العصر قد يدل لفظ الحرية بمعناها الواسع على حالة من لا يعاني نيروداً أو أنها القدرة على التصرف دون قسر أو إكراه ... إلا أن الأمر في الواقع ، ليس على هذا القدر من البساطة .

فهذا ( لالاند ) في معجمه الفلسفي يقول لنا بأن الحرية هي « انعدام أو زوال كل قيود تعتبر شاذة وغير مشروعة ولا أخلاقية » .

وتتدخل الاعتبارات القانونية والسياسية والاجتماعية في أمر الحرية وبذلك يمكن تعريفها بأنها قدرة الإنسان على أن يتصرف ، داخل مجتمع منظم ، بملي إرادته وفي حدود القوانين القائمة .

ويسيطر القانون والعرف السائد سلطتهما على الحرية فيسمحان للأفراد بممارستها باعتبار أنها حق من حقوقهم المضمونة ، لكن في حدود معلومة لا يجوز لهم تعديها .

الم يقل المفكر مونتسكيو بأن الحرية هي « الحق في فعل أي شيء نبيحه القوانين » وذلك بعد أن أكد أنه « لا توجد كلمة أعطي لها من المعاني أكثر مما



أعطي للحرية ، وبعد أن وصفها بأنها « خيرٌ يتيح لنا الاستمتاع بالخيرات الأخرى » ؟ جاء ذلك في كتابه (روح القوانين) .

وإذا ربطنا الحرية هكذا بالقانون وما يتيح من حقوق ويقدمه من ضمانات فإن نقيض الحرية يكون الفوضى والإباحية ، وقدماً زعم أفلاطون أن الحرية الفردية هي ما يمكن الإعراب عنه دون حدود ، وسمّاها الديمقراطية المباشرة أو الفوضى ، وهذا ما يزعمه في عصرنا هذا قوم من الفوضويين الذين سلطوا الدولة والقانون وينكرونها .

\* \* \*

جاء في التصريح العالمي لحقوق الإنسان أن « الحرية هي القدرة على عمل أي شيء لا يضر بالغير . وهكذا فإن ممارسة الحقوق الطبيعية لكل إنسان لا يحدّها إلا ما يضمن لأفراد المجتمع الآخرين الاستمتاع بنفس الحقوق ، وهذه الحدود لا يمكن أن يقيّمها سوى القانون » .

وعلى كل فإن أوصافاً ونعوتاً شتى تضاف إلى الحرية لتحدد دلالاتها المختلفة في القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، بل في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق كذلك .

فالحرية الطبيعية فطرة في نفس الإنسان تجعله يتصرف باختياره لا بإكراه خارجي ، وحرية الاختيار أن يكون في استطاعتك أن تقرر بنفسك شؤون نفسك بمعزل عن العلة والدافع .

والحرية المعنوية (أو الخلقية) حالة الكائن الذي يتصرف بماء وجدانه وبعد تفكيره ، وهي بهذا المعنى نقيض الطيش والاندفاع وعدم التبصر . قال أوغست كونت : « أفضل الحرية ما يجعلنا نعمل جهد المستطاع من أجل أن تتغلب نزعات الخير على نزعات الشر » ، وينطوي هذا المفهوم على عين الحكمة وكأنه قد استنبط من فلسفة الاسلام الذي يربط الحرية بالعقل والخلق كما سئى .

ومن سفاة الرأي ما ذهب إليه فولتير حيناً قال : « الحرية عندي هي القدرة على التفكير في شيء أو عدم التفكير فيه ، كما أنها القدرة على التحرك



\* فولتير \*

الحرية : القدرة على التفكير أو عكسها



\* أحمد شوقي \*

للحرية الحمراء باب

أو عدم التحرك طبقاً لاختيار فكرك » . فهذه هي السفسة بعينها ، وإلا فكيف يكون الموقف السلبي حرية والحال أنها شيء إيجابي ، وهي لا تتحقق إلا بالتفكير والحركة والفعل ، وعكس ذلك لا يمكن أن يكون إلا ضللاً وعدمًا .

**هذا وللحرية معناها الخاص في الفلسفة وعلم النفس ، فهي الطابع اللائحي لارادة الإنسان أو هي استقلال الارادة ، وقد لخصها سارتر في شيء واحد هو « استقلال الفكر » . ويقول ديكارت : « ان حرية الارادة فينا تعرف بدون أدلة بل يكفي ما يحصل لدينا عنها من تجارب » .**

وإذا انتقلنا إلى ميدان القانون والسياسة والاجتماع نجد أن الحرية في القانون العام تنحصر في قدرة الفرد على فعل أي شيء لا يضر بالآخرين ، ويمكننا أن نميز في هذا الميدان نوعين من الحرية هما :

١ - الحرية المدنية : وهي انعدام القيود التعسفية وضمان حقوق الأفراد المدنية في نطاق احترام القانون .

٢ - الحرية السياسية : ويقصد منها حق الأفراد في المساهمة في الحكم عن طريق التصويت وتولي الوظائف العمومية ، حسب المفهوم الانجلوسكسوني - أو هي حق الشعب والمواطنين في وضع القوانين مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارونهم - أو هي ، بإيجاز ، حق الأفراد في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم - حسب المفهوم الفرنسي - .

**والحريات العمومية (أو العامة) عبارة شائعة في هذا العصر خاصة : حرية الفرد ، والحرية البدنية ، وحرية الاجتماع وتأسيس الجمعيات والانخراط فيها ، وحرية الرأي والتعبير والصحافة ، وحرية الضمير والاعتقاد ، وحرية التعلم والشغل والتبادل ، وحرية الحياة الخاصة (أي حرمة البيت والمراسلة) .**

**وهذه الأنواع من الحريات العمومية معروفة ومنصوص عليها في الدساتير والقوانين السائدة في معظم دول الغرب والشرق كما ينص عليها التصريح العالمي لحقوق الإنسان وغيره من المواثيق الدولية والاقليمية .**

وقد اتسع مدلول الحرية ، لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى وما خلفته من تدهور اقتصادي ، فأخذ يتجه للدلالة على ما يتاح للناس من فرص وأمن في الميدان الاقتصادي ؛ وتأثير الحركات المذهبية الاقتصادية في ذلك واضح كما تقول (الموسوعة البريطانية) .

هذا وتدل الحرية أيضاً على وضع الشعوب التي لا تزح تحت نير سلطة طاغية أو سيطرة أجنبية ، وبهذا المعنى ورد ذكرها في البيت المشهور لأحمد شوقي : وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة تدق .





## الارادة في الاسلام

بعد هذه الجولة يجدر بنا الآن أن نبحث بإيجاز في مفهوم الحرية في الحضارة والفكر الإسلاميين .

لقد سبق أن لاحظنا أن لفظ الحرية لم يكن سائداً عند العرب القدامى بدلوله السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفلسفي الذي نعرفه اليوم ، غير أن هذا لا يعني أنه لم تكن هنالك ألفاظ أخرى تؤدي بعض هذه المعاني التي أشرنا إليها وذلك في قالب يتفق مع روح الإسلام ومقاصده .

على أن الحذر . . حرر . . وارد في سبعة مواضع من القرآن الكريم بالصيغ الثلاث التالية : الحر ، تحرير ، محرر .

ففي سورة البقرة / ١٧٨ نقرأ قول الله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ والحر هنا نقبض العبد كما هو واضح .

أما لفظ «تحرير» فقد تكرر ثلاث مرات في سورة النساء / ٩٢ : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ . «وورد نفس اللفظ في سورة المائدة / ٨٩ وسورة المجادلة / ٣ ،

وتحرير هنا بمعنى العتق والفك .

وجاء لفظ «محرراً» في سورة آل عمران / ٣٥ :

﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ . وقد عرفنا معناه في موضع آخر .

هذا وقد ورد في كلام العرب القديم ، شعراً ونثراً ، لفظ الحرية بمختلف الصيغ إلا أن المعنى كان منحصراً فيما سبق أن بيناه نقلاً عن صاحب (لسان العرب) .

وفي هذا الصدد لا غمك إلا أن نقف مبهورين أمام تلك القولة المشهورة المأثورة عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟» ومعناه العميق أن الحرية فطرة يولد الناس عليها ، وأنهم لم يخلقوا عبيداً وأن العبودية شذوذ يخالف القاعدة . فأين هذا الكلام النافذ الحصيف من تلك الآراء التي كان يعتقدها بعض مفكري الغرب ومنهم السير روبرت فيلر الانجليزي الذي كان له موقف يتلخص في أن البشر ولدوا عبيداً وأنهم ليسوا أحراراً بالفطرة ؛ وقد رده إلى الصواب معاصره جون لوك وقد مزاعمه في كتابه المشهور (في الحكم

المدني) الذي نقله إلى العربية الأستاذ ماجد فخري ضمن مجموعة (الروائع الانسانية) .

\* \* \*

ومهما يكن من أمر فليس المهم أن يكون لفظ الحرية بذاته قد استعمل في الفكر الإسلامي للدلالة على المعاني التي نفهمها منه اليوم ، إنما قصدنا أن نتعرف على المفهوم الإسلامي للحرية بوصفها قيمة خلقية وممارسة فعلية لا مجرد لفظ وتعريف ، وربما يكون من المناسب أن نتمعن في مدلول بعض الألفاظ والمصطلحات التي قد استعملت للدلالة على الحرية بمعناها الواسع كما يراها مفكرو الإسلام .

واللفظ الأول الذي لفت نظرنا هو «الارادة» وقد عرفها الشريف المجراني في كتابه «التعريفات» كما يلي : «الارادة صفة توجب للحی حالاً يقع فيه الفعل على وجه دون وجه» وأنها «ميل يعقب اعتقاد النفع» .

ويعرفها الراغب الأصفهاني في مفرداته بقوله : «والارادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل» ، ثم يستعمل مرة في المبدأ وهو نزوع النفس إلى الشيء وتارة في المنتهى وهو الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل .

والجمل التي وضعنا تحتها خط تجعل مدلول الارادة يقارب الحرية المعنوية أو الخلقية التي قلنا بأنها حالة الكائن الذي يتصرف بملى وجدانه وبعد تفكيره ، في كل «ميل وشهوة وحاجة» وفي كل «ميل واعتقاد النفع» .

هذا وقد قرأنا لشيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة له عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : «وكل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي ، ولا بد أن يؤمر ونهى ، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف وإما بمنكر» ثم قال : فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته ، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بها فعل نفسه ويقتضي بها غيره إذا أمكن ذلك ، فإن الانسان حي يتحرك بإرادته وينو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض» .

ففي هذه «الارادة» - كما فهمها مفكرو الاسلام - تكمن حرية عاقلة متحركة تقود خطوات الانسان وترشده وتدله على الخير





والشر ليفعل أو يترك ويكون على نفسه حسيباً رقيباً في ظل الإرادة الالهية المطلقة ، فالحرية بهذا المعنى تستوجب المسؤولية وهما متكاملتان ، قال الله تعالى : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ﴾ ( الانعام/ ١٠٤ ) .

وهنا نتطرق إلى مسألة « الاختيار » وهو نوع من الحرية الفطرية التي ينبغي ألا تنقيد إلا بإرادة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ ( النحل/ ٧٨ ) وقال ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ ( الانسان/ ٢ ) فالسمع والبصر والفؤاد وسائل جعلها الله للإنسان كي يستعين بهما على الاختيار ؛ والابتلاء دليل على هذه الحرية الفطرية التي أشرنا إليها ، المقصود أن يعرف الإنسان طريق الخير والشر بنفسه وأن يختار أيها يسلك مستعيناً بما يملكه من عقل وإحساس وبصيرة ؛ ويتضح هذا المعنى في الحديث الشريف : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون » ( صحيح مسلم ) .

ولا حاجة بنا إلى الاطالة في مسألة « الاختيار » هذه التي هي من دلالات الحرية المرتبطة بإرادة الله ، وحسبنا أن نذكر بهذه الآيات الكريمة : ﴿ وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ( النجم/ ٣٩ ) ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ( الانسان/ ٣ ) ﴿ ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين ﴾ ( البلد/ ١٠-٩-٨ ) ومعنى « النجدين » طريقا الخير والشر .

ولست أرغب في أن أخوض فيما خاض فيه أهل الجدل والكلام من أمور الجبر والاختيار ، فليس هذا هو قصدنا ولا موضوع حديثنا إنما أريد أن ألفت النظر إلى قاعدة أخرى من قواعد الحرية في مفهوم الاسلام ، تلك هي « الهداية » التي قال عنها الراغب الأصفهاني في مفرداته إنها « تختص بما يتحرره الانسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنوية أو الآخروية ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة يمكن أن نفهم منها أن الهداية نوع من حرية الاختيار ، ميز الله بها الانسان بما وهبه من عقل وإدراك وتمييز ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ( طه/ ٥٠ ) ﴿ الذين

آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ ( يونس/ ٩ ) فالهداية - كما قال الشريف الجرجاني - « طريق يوصل إلى المطلوب » . وهي تبعد الإنسان عن الضلال واتباع الهوى وتجعله خاضعاً بالعبودية لله وحده ، وهو بذلك يتحرر ويحقق استقلال ذاته وإرادته .

قرأت لاستاذنا المرحوم علال الفاسي في كتابه ( النقد الذاتي ) : « إن الفكر الديني في الإسلام معناه الحرية الكاملة ، والتفكير المطلق في اعتداد بالمثال الأعلى ، ومراقبته في كل الشؤون وعدم الخضوع لأحد أو لجماعة تريد أن تعطي لنفسها مكان التمثيل الالهي في الأرض وتعبيد الخلق باسم الدين لأهوائها » .

هذا وإن احترام حرية الآخرين داخل الجماعة يتحقق بقاعدة عملية من قواعد السلوك في الاسلام هي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي قاعدة قوامها الشريعة وغايتها جلب المنافع للفرد والجماعة ودرء المفسدات عن الجميع أي حماية الحرية وضمان الحقوق .

والتقوى خلق آخر من أخلاق الاسلام يلزم الحرية ويدلها على حدودها ، فالتقوى صوت الضمير يكتسبها الإنسان بالتربية ولا يكره عليها ، فهي ، إذن ، اختيار حر - إن صح التعبير - يبتدي إليه الإنسان المؤمن ويبتدي به في طريق الحياة .

وهناك مبدآن آخران من مبادئ الإسلام يكملان الحرية بمفهومها الصحيح وأقصد بهما : الإخاء والمساواة فهما يجعلان المرء يحس بقيمته وكرامته بين أمثاله ، الكل سواسية أمام الله لا يفرق بينهم العنصر أو اللون أو النسب أو اللغة ، مقياس المفاضلة الوحيد هو التقوى ، والأمر في ذلك راجع إلى الله وحده : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وبعد ، فإن الحرية الحق هدى من الله ، وهي حرية مسؤولية عاقلة متحركة قوامها الفرد نفسه ، والفرد بالجماعة : لا ضرر ولا ضرار ، ولا عدوان ولا جبروت ، ولا حكم لهوى أو طاغوت . والإنسان الحر يرتبط أمره بالله وحده لا واسطة بينه وبينه في دعاء أو طلب أو رغبة في الهداية ، وصلاح الحياة حرية تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون والعدل ، وكل شيء يقضي به الله فهو الأصلح ولا حرية بعد ذلك ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ .



# تحديات أمام الشباب المسلم المعاصر

بقلم: د. محمود أحمد إبراهيم

## دور الانسان في حياة الأم

لقد كان الإنسان ، وما يزال ، هو العامل الأول في رقي الأمم وتقدمها . وهذه حقيقة لا يغيرها أبداً اختلاف الظروف والأحوال ، وتطور وسائل الإنتاج وشيوع استعمال الآلة ، إذ إن أي تطور في مجتمع من المجتمعات ، يكون للإنسان الدور الأول في إحداثه . ولذا لم يكن من الغريب أن يركز القرآن الكريم على الإنسان في مواضع كثيرة من سوره وآياته ، وأن يجعل التغير الذي يصيب قوماً من الأقوام ، رهناً بتغير النفس الإنسانية ﴿ إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

والذي يتعمق في دراسة الحضارة الإسلامية ، يجد أن من معالمها البارزة ، التركيز على الإنسان ، دون أن تهمل بيئة الإنسان ، على عكس الحضارة الغربية الحديثة ، التي تركز على بيئة الإنسان أكثر من تركيزها على الإنسان نفسه . فلم يكن عجباً والحالة هذه ، أن أخرجت الحضارة الإسلامية نماذج إنسانية ، ربما كانت أروع النماذج التي عرفها تاريخ البشرية ، من حيث تكاملها وتوازنها وتوافر نواحي العظمة المختلفة فيها ، في حين أن الحضارة الغربية ، لم تنتج مثل هذه النماذج الإنسانية المتكاملة المتوازنة ، وإنما أنتجت أعظم ما قدمه الإنسان حتى الآن من معطيات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان ، ممثلة في آلات وأدوات كانت تطبيقاً لنظريات العلوم الطبيعية الحديثة .

والواقع ، أن الدعوة الإسلامية الأولى ، وما تلا هذه الدعوة من مناشط وأعمال ومنجزات ، تقيم الدليل القاطع على دور الإنسان في حياة الأمم . ذلك أن رسول الاسلام صلوات الله عليه ، قد جند الطاقة البشرية المحدودة في الجزيرة ، على أحسن وجه ممكن ، حيناً دعا بدعوته ، ثم جاء الخلفاء الراشدون من بعده ، فجندوا هم الآخرون تلك الطاقات البشرية المحدودة ، المتمثلة في جماعة المسلمين الصغيرة نسبياً ، إذا ما قورنت بالشعوب المجاورة للجزيرة ، فكان أن حققت هذه الطاقة البشرية من المنجزات ، ما لا يتناسب إطلاقاً مع الطاقات المادية المتوافرة للمسلمين حينئذ ، لا سيما إذا قيس تلك الطاقات بطاقات الفرس والروم وغيرهما من الأمم التي وقتت موقف المواجهة للإسلام الوليد ، والجماعة التي آمنت به .

وفي المقابل ، فإن أي تضرع يصيب أمة من الأمم في وقتنا هذا أو قد أصابها في وقت ماض ، لا بد أن تكون علته هي الانسان قبل أية علة أخرى . وإن مشكلة العالم الاسلامي في وقتنا هذا هي مشكلة الانسان المسلم المعاصر ، لا مشكلة الموارد والاقتصاد والسلاح ، إذ إن هذه كلها أمور يمكن للإنسان الصالح أن يتدبرها بعقله وحكمته وحسن تصرفه وتأتيه .

## الأهمية الخاصة للشباب

وإذا كان هذا هو دور الإنسان بصورة عامة في حياة الأمم ، فإن للشباب بصورة خاصة ، دوراً أكبر من أدوار غيرهم في حياة أمتهم ، وفي حياة الأمة الإسلامية على وجه الخصوص ، وذلك لعدد من الأسباب .

فالشباب في الأمة الإسلامية ، كما في الأمم النامية بصورة عامة ، يكوّنون نسبة كبيرة من الناحية العددية ، إذا ما قورنوا بنظرانهم في الأمم التي تدعى متقدمة . وذلك لأسباب لا تحصى ، منها كثرة المواليد في الأمم النامية ، وانخفاض معدل عمر الإنسان فيها .

وعني عن البيان ، أن هذه الطاقة العددية الكبيرة ، تستمتع بطاقة جسدية كبيرة كذلك ، إذ إن مرحلة الشباب في حياة الإنسان ، هي مرحلة القوة والقدرة على الاحتمال ، وهما من لوازم

الفاعلية والإنتاج في ميادين الإنتاج المختلفة كما لا يخفى على أحد . وفي ميدان القتال والدفاع عن الأمة ، يكون للشباب الدور الأول ، إذا أحست الأمة إعدادهم وتجهيزهم .

ومع الطاقة الجسدية في الشباب ، تكون الطاقة الفكرية ، لا سيما في زمن انفتحت فيه أبواب الثقافة كما لم تفتح من قبل ، وأصبح جزء مهم من فترة الشباب ينقضي في التحصيل العلمي ، وشحن الطاقة الفكرية ، باعتبار هذا التحصيل والشحن ، مقدمة للعطاء في ميادين الحياة المختلفة ، التي أصبحت جميعها تعتمد على العقل المثقف المدرب .

وفي مرحلة الشباب ، لا يكون الإنسان منشداً إلى مركز أو مصلحة قد يعوقه عن الانطلاق في سبيل قيم أو مثل يؤمن بها ، لا سيما أن هذه المرحلة ، هي المرحلة التي يتطلع فيها الإنسان إلى المثل والقيم ، ويحاول أن يلتزم بها ، دون التفكير كثيراً فيما قد يجره التزامها بها عليه من خسارة وضرر .

ومع التطلع إلى القيم والمثل ، يكون تطلع إلى الانتقاء . فمرحلة الشباب ، هي مرحلة البحث عن انتهاء إلى دعوة من الدعوات ، أو جماعة من الجماعات ، ولذا فهي المرحلة المناسبة جداً لأن نضمن انتهاء الشاب فيها إلى دعوة الاسلام وجماعة المسلمين ، لأن غياب الانتقاء السليم عن حياة الشاب ، سينشأ عنه قطعاً انتهاء من نوع آخر ، قد يكون انتهاءً أنانياً إلى الذات ، أو انتهاءً إلى دعوة خاطئة ، أو جماعة منحرفة .

ومرحلة الشباب ، هي مرحلة الآمال والطموحات الواسعة العريضة ، ولذا فهي أنسب المراحل لتوجيه الإنسان وجهة يحقق فيها آماله الواسعة من ناحية ، وتستغل فيها هذه الآمال استغلالاً إيجابياً لمصلحة الأمة جمعاء من ناحية أخرى . ومعلوم أن الآمال ، والتطلعات ، والنظرة المتفائلة المستبشرة للحياة ، كلها عوامل حافزة للعمل والإنتاج ، على عكس التفرغ والقسوت ، وانعدام الأمل في المستقبل .

ثم إن من نافلة القول ، أن نذكر أن الشباب هم الذين سوف يشيرون الأمور في بلادهم في مختلف المواقع ، حين يتسلمونها من القائمين عليها حالياً ، وبالتالي فإن إعدادهم لما ينتظرون من مهام ، هو شكل من أشكال التخطيط السليم لأمر آت لا ريب فيه .

## التحديات القائمة

فإذا سلّمنا بأهمية الإنسان في حياة الأمم ، وأهمية الشباب بصورة خاصة في حياة أمتهم ، فإن من الواجب أن نشخص الصعوبات والتحديات التي تواجه هؤلاء الشباب . ونحن معنيون هنا بالتحديات التي تواجه الشباب المسلم المعاصر ، لعل ذلك يساعد على تلمس الحلول وتحطّي المصاعب ، في سبيل الوصول بالأمة المسلمة إلى المستوى الذي أراد الله لها ، منذ أن أنزل على نبي الإسلام قرآناً حُدّد المسيرة لها والإنسانية جمعاء .

والتحديات والمصاعب التي تواجه الشاب المسلم المعاصر ، هي من الكثرة ، بحيث يتعذر استقصاؤها في أوراق معدودة ، إذ قد نحتاج إلى كتاب ذي فصول كثيرة لشرحها وإيضاحها . ولذا فإننا بحكم الضرورة ، سنلمح إلماحاً إليها ، أو إلى بعض منها فحسب .

ومن هذه التحديات التي تحيّر الشاب المسلم وتؤذي مشاعره ، واقع البلاد الإسلامية المؤلّم ، في ميادين الحياة المختلفة : فمن تمزق سياسي ، إلى ضعف عسكري ، إلى اضطراب اقتصادي ، إلى ظلم اجتماعي ، إلى ضياع نفسي ، إلى غير ذلك من ألوان الضعف والمعاناة والتعثر ، التي يقاسيها المجتمع الإسلامي بصورة عامة . ويزيد الألم ويتفاقم في نفس الشباب المسلم ، حين يتذكر أن الطاقات الكامنة في العالم الذي ينتمي إليه ، هي طاقات هائلة ، من حيث



موقعه وإمكاناته الاقتصادية والبشرية وعقيدته ، ورواه الحضاري والتاريخي ، والتجاسس الجبر بين أبنائه . وفي المقابل ، ينظر هذا الشاب إلى شعوب في الغرب لم تنافر لها كل هذه الإمكانات ، ف يرى أنها في الغالب الأعم ، متفوقة على الشعوب الإسلامية في ميادين السياسة والاقتصاد والقدرة العسكرية ، وبالتالي فهي أعظم تأثيراً من المسلمين في توجيه الأحداث في العالم الذي نعيش فيه .

ويصل شعور الألم عند الشاب المسلم إلى حد الإحساس بالذلة والهوان ، حين يرى هذا الشاب ، أن الأمر قد وصل إلى حد احتلال أجزاء من أراضي المسلمين ، لها قيمة خاصة في تاريخ الإسلام ، على أيدي جماعة من الغرياء ، نتيجة التفكك الذي يعاني منه المسلمون . وما

للمزلق والأخطاء ، ثم انقسام المجتمع الواحد إلى مجتمعات متعددة ، يتعدى بينها التآلف والتعاطف . وهذا التباين في المواقف والحكم على الأمور بين شباب المجتمع الإسلامي الواحد ، بذكر بنمطين من الثقافة يتلقاها الشباب المسلم في طول العالم الإسلامي وعرضه : نمط قائم على الثقافة العربية الإسلامية ، ونمط قائم على الثقافة الغربية ، دون أن يكون بين المخططين جسر يعبر عليه ، بل ومع وجود شعور من عدم الاطمئنان وعدم الثقة قائم بين فريقي المثقفين . وقد أدى ذلك إلى منهجين في التفكير ، وطريقتين في الحياة ، بل ونمطين من المواطنة في البلد الواحد .

وقد يتوقع المرء أن تخفف غمطر الثقافة التي لا تقوم على أسس إسلامية ، عن طريق البيت المسلم ، الذي يوجد الجو الإسلامي لأبناءه من خلال الممارسات اليومية من عبادات ومعاملات وعلاقات ، فيعوض البيت بهذه الطريقة ، ما قد يكون الشاب يفترق إليه من ثقافة إسلامية .

ولكن هذا الأمر لا يمكن التأكد منه في وقتنا الحاضر ، فليست كل بيوت المسلمين الآن أمكنة تمارس فيها الحياة الإسلامية ، ويوجد فيها الجو الإسلامي . بل قد يحدث كثيراً ، أن يكون الشاب المسلم الطيب ، يعاني من انعدام القدوة الحسنة في بيت أبويه ، حتى لقد لقي شباب وشابات ما يشبه الاضطهاد من آباءهم وأمهاتهم لأنهم أرادوا أن يلتزموا في مسيرة حياتهم بالإسلام . وقد لا يقتصر غياب القدوة الحسنة على البيوت ، إذ قد يتعداها إلى المدارس والجامعات كذلك . ومنذ عشرات السنين فقط ، كان من الممكن أن لا يتعرض الشاب المسلم للمزلق ، بسبب البيئة الخاصة أو العامة التي يعيش فيها ، لأنها كانت في الغالب بيئة محافظة ، قد لا يجد فيها الشاب ، حتى لو أراد ، مجالاً للانحراف والانزلاق ، ولكن الأمر الآن مختلف جداً . فالمغريات التي يتعرض لها الشاب الآن أكثر من أن تحصر ، لا سيما إذا اجتمع له المال والفراغ . ولذا لم يبق بعد أن توافرت للشباب المسلم كل أدوات الإغراء وتسهيلاته ، إلا أن يوجد فيه وازع ذاتي من داخل نفسه هو ، دون الاعتماد على رادع من خارج نفسه ، وفي فترة الشباب والسندفاعة ، يكون من الصعب كبح جماح الرغبات والانفعالات العنيفة ، حين تنهبا لها الظروف المساعدة . ومن هذه الظروف المساعدة التبرج ، والاختلاط الذي لا حدود له بين الجنسين في جميع مراحل العمر ، كما هي الحال في عدد من البلاد الإسلامية ، وفي المقابل ، تقوم في زمننا هذا مجموعة من العوامل المعوقة للزواج المبكر ، مثل تكاليفه الباهظة وندرته المساكن ، وارتفاع أجورها ، مما يزيد الأمر تعقيداً ، حتى إن اللغة تصبح تحدياً شديداً لإرادة الشاب وصلابة عقيدته وإيمانه .

ثم إن علينا أن نتذكر ، ونحن نعالج التحديات التي يتعرض لها الشباب المسلم ، أن هذا الشباب جزء من الشباب في العالم الكبير ، الذي ترابطت أجزاؤه على نحو لم يسبق له مثيل ، كما أوردنا سابقاً . ولذا فهو معرض لما يتعرض له هذا الشباب ، أو بجزء منه على الأقل . ومن ذلك انحسار الحس الديني في كثير من المجتمعات ، وفي قطاع الشباب بوجه خاص ، أو عدم رسط الحس الديني بالحياة ، وشعور الأثرة والفردية ، وغياب الإنشاء الكبير إلى الأمة ، وعدم ثقة الشباب

المجتمع الانشاء إليها . ولذا لم يكن غريباً في المقابل أن يتصور الكثيرون من شباب المسلمين ، وجود رابط بين الازدهار الذي يستمتع به الغرب في نواحي الحياة المختلفة ، وبين الأسس التي تقوم عليها الحياة في الغرب ، فينتجوا نتيجة لذلك إلى الإيمان بتلك الأسس ، بدلا من البحث عما هو غائب من الأسس الإسلامية الصحيحة في حياة المجتمعات المسلمة .

ويرتبط هذا الأمر ارتباطاً طبيعياً عضواً بظاهرة غير سليمة ، ما فتئت المجتمعات المسلمة تعاني منها منذ قرون ، وترك انطباعاتاً سيئاً في نفس الشاب المسلم : تلك هي **الفجوة القائمة بين النظرية الإسلامية في الحياة ، وبين ممارسات المسلمين الواقعية في حياتهم** . إذ المعروف أن المجتمعات الإنسانية ، إذا آمنت بنظرية خاصة في طريقة العيش ، تمارس هذه النظرية فعلاً في حياتها . فإذا لم تعد تؤمن بها ، فإنها تعلن اطراحها وإيمانها بنظرية أخرى تتخذ منها قاعدة لممارستها المعيشية ، ولكن الذي حدث في المجتمع الإسلامي ، أنه ظل يعلن عن إيمانه بالإسلام بطريقة حياة ، مع أنه منذ قرون عديدة ، لا يتخذ من الإسلام فعلاً قاعدة لممارساته ، إلا في جوانب محدودة فقط ، مما أوقع الشاب المسلم في حيرة واضطراب ، بين نظريات ينادي بها ، وممارسات يُعْمَلُ بها مخالفة لتلك النظريات .

بل إن الأمر ليزداد تعقيداً أمام الشاب المسلم ، حين يرى في أكثر من حالة واحدة ، أن بعض دعاة الإسلام أنفسهم ، لا يلتزمون بالإسلام سلوكاً وممارسة في تصرفاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين . وعيناً يحاول المرء أن يبين هذا الشاب وأمثاله ، أن الخطأ خطأ الإنسان ، وليس خطأ الفكرة التي ينادي بها ، إذ إنه وأقرانه من الشباب ، يتمثلون الفكرة في إنسان يمارسها ، وليس في نظرية تجريدية لا ترى من خلال التطبيق ، وشيئاً فشيئاً ، قد ينساق هذا الشاب إلى ما انساق إليه الشباب الأوروبي والأمريكي ، إلى الفكرة القائلة بفصل الدين عن الحياة ، وبأن الدين قضية شخصية ضمنية تخص دخيلة الفرد ، ولا علاقة لها بممارسات الإنسان وعلاقاته وطريقة عيشه وعيش المجتمع الذي ينتمي إليه . وما أشد أثر هذه الفكرة على الحياة والسلوك ، كما برهنت التجربة الغربية .

والحديث عن النظرة الغربية هذه إلى الحياة ، نجر تلقائياً إلى أثر الحياة الغربية نفسها على حياة شبابنا . وهذا الأثر لم يعد مقتصر على نفر محدود من شبابنا يعيشون في الغرب فترة من حياتهم للدراسة أو لأسباب أخرى . بل أصبح عاملاً لا يكاد ينجو منه أحد ، بعد أن أصبح العالم كله متصلة أجزاؤه بوسائل الاتصال والمواصلات ، ونقلت الحياة الغربية إلى المسلمين في بيوتهم مرأى ومسمعا عبر أجهزة التلفزيون .

ولسنا بالطبع من دعاة الانغلاق والانطواء على الذات ، ولكننا بكل تأكيد ، لا نقبل هويتنا الحضارية أن تنطمس ، وتصبح نعباً من الناحية الحضارية للآخرين ، وذلك من أجل أمننا المسلمة والناس جميعاً ، لأن الحضارة الغربية ، على ما فيها من إيجابيات كثيرة ، ليست حضارة متوازنة ولا نغرات خطيرة . ونحن نؤمن أن حضارة تقوم على الأسس الإسلامية الأصيلة



فيهم انتهاء قوي، حتى إلى فكرة غير صحيحة، يستطيعون أن يعملوا الكثير. والمثال الصارخ على ذلك، أثر الانتاء التعصبي الأعمى في الإنسان اليهودي إلى صهيونيته، وما تركته عملية الشحن الفكرية عبر القرون الطويلة في نفس هذا الإنسان، حتى أصبحت صهيونيته جزءاً من دينه وعقيدته، وانطلق منها لكي يفعل ما فعل في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية، والانتاء القوي في العدو، لا يقف أمامه إلا انتهاء أقوى في الطرف المقابل، لا سيما إذا كان انتهاء الخصم قائماً على التعصب والعدوان والزيف والتزوير، في حين أننا نريد شباباً إسلامياً يقوم انتاؤه على الحق والصدق والعدل والانصاف.

وقد يقال هنا، إننا قد نتحكم في ثقافة الشاب، ما دام مقبلاً في بلده، ويتلقى دراسته في مؤسساتها الثقافية، ولكن أعداداً كبيرة جداً من الشباب المسلم، يتلقون الثقافة في بلاد غير إسلامية، لها فلسفات ثقافية وتربوية، مختلفة عن الفكرة الإسلامية. وهذا بالطبع أمر واقع، ولا يمكن تلافيه كلية. غير أن من المعقول والممكن، أن تتبع سياسة ثقافية عامة في البلاد الإسلامية، تقضي بالآتي توجه الشاب إلى الخارج للدراسة، إلا من أجل التخصص بعد الشهادة الجامعية الأولى، لأنه يكون إذ ذاك قد قارب الخامسة والعشرين من عمره، واكتسب من الثقافة وتجارب العمر ما يجعله في الغالب مستقراً على قاعدة فكرية، وبمسن حتى في هذه الحالة، أن يتزوج الشاب قبل سفره إلى الخارج، كلما كان ذلك ممكناً. والواقع، أن الحكومة الباكستانية مثلاً تحرص الآن، كما جمعت من مجموعة رؤساء جامعاتها مؤخراً، على أن تؤمن الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الأولى ما أمكن، في جامعاتها نفسها، باعتبار أن ذلك يحقق مجموعة من الأهداف، من بينها ضمان بقاء متقفيها فيها بدلاً من البقاء في الخارج بعد الانتهاء من دراستهم، وتوفير مبالغ كبيرة على البلاد كانت ستصرف في الخارج. ونحن ندرك بالطبع، أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون مستوعباً شاملاً لجميع الحالات، فتمتة تخصصات نادرة قد لا توجد في جامعة البلاد الإسلامية، مما يستوجب دراستها في الخارج.

لقد عانى الشاب المسلم كثيراً من شعور النقص، وانعدام الثقة بالنفس، وساعدت عوامل كثيرة في زمننا هذا على هذا الشعور الممض. ونحن، إذ نثبت في نفس هذا الشاب الروح الإسلامية الصحيحة، عن طريق معتقده وتربيته وفكره، فإنما نقضي بذلك على شعور النقص هذا، وانعدام الثقة بالنفس، ونستبدل بها شعوراً بالاستعلاء بالعزة ولرسوله وللمؤمنين. وبالطبع ما نقصده هنا بالاستعلاء، وهو الاستعلاء عن الزيف والباطل والمظاهر الكاذبة، وليس الاستعلاء المبني على العجب والكبر والرياسة بالناس. وإذ ذاك، فإن هذا الشاب يتخلص من نظرة العبيثية والعدمية التي يعاني منها قطاع كبير من الشباب، وشعر أن هذه الحياة لها غاية عظيمة، وأنها ليست عبثاً، وأنها بالتالي تستحق أن نحارب للوصول من خلالها إلى الغاية العظيمة التي خلق الله هذا الكون من أجلها. ومنذ نزل القرآن الكريم، نرى فكرة العبيثية في الخلق والحياة: ﴿أفحسبم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾.

وغير خاف أثر هذه النظرة على نشاط الإنسان وسلوكه وعلاقته مع الناس، وإذ يصل الشاب المسلم إلى هذه النظرة إلى الحياة، فإنه يحس بأنه صاحب رسالة يؤذيها للناس جميعاً، بدءاً بأقرب الناس إليه، وانتهاء بأقصى الناس عنه. ولقد شهدت بعيني في أوروبا وأمريكا، انشغافاً من هذا الشباب المؤمن، الذي يحس، وهو يعيش في بلاد غير إسلامية، أنه يحمل رسالة عليه أن يبلغها للناس، وأحسست بنفسني، كيف أن الناس من حول هؤلاء الشباب، وجدوا بالفعل في هذه الرسالة شيئاً يسعى إليه، لا سيما أن حملة الرسالة هؤلاء، كانوا يجارسون ما يدعون إليه، مما أكسب دعوتهم طابع الصدق المؤثر في النفوس.

وحين نتحدث عن هذا الخط من الشباب المؤمن، لا نريد أن نتقص من الشباب الآخرين الطيبين، الذين يتمتعون إلى أم وعقائد أخرى. ولكن مزية الشباب المسلم الملتزم بمقيدة الاسلام وما ينبثق عنها من طريقة حياة، هي هذا التوازن والتكامل في شخصيته، الذي لا يجعله جيداً في ناحية من النواحي، سيئاً في ناحية أخرى، في حين أننا نجد اختلالاً في هذا التوازن في شباب لم يلتزموا هذا الالتزام في مجموع تصرفاتهم.

ويجوزنا الحديث عن الشباب المسلم المغترب، إلى حديث عن ضرورة التواصل والتعاون بين الشباب في نطاق العالم الإسلامي، وحينما وجدت مجموعة من هؤلاء الشباب خارج العالم الإسلامي، ذلك أن العمل الجماعي، دونه بكثير العمل الفردي، بل إن العمل الجماعي سمة من سمات النشاط الإسلامي، تتبدى في العبادات والممارسات على السواء، والدعوة إلى هذا النوع من العمل، مبثوثة في أكثر من مكان في القرآن الكريم والسنة النبوية على السواء، وكلاهما يحذر من الفردية، ويدعو إلى التكامل والتواصل والتعاضد في كل شيء. من أجل ذلك، ينبغي أن تعزز فكرة لقاءات الشباب المسلم، سواء أكانت هذه اللقاءات في مخيمات كشفية، أم معسكرات صيفية، أم مؤتمرات تعقد داخل البلاد الإسلامية وخارجها. ولا يخفى على إنسان، ما تثيره روح الجماعة في نفس الإنسان من حماس

بالكبار، وثورة الشباب العالمية على النظم والتقاليد والقيم المتعارف عليها، في محاولة للانفلات من جميع ضوابط المجتمع، والانطلاق إلى آفاق جديدة غير واضحة، حتى للكثيرين من الشباب أنفسهم. وهذه الثورة أدت بمجموعات منهم إلى نظرة ساخرة للحياة، صورتها بسلا غاية أو هدف، وقادت إلى نظرة عبثية أو عدمية هدامة مدمرة، تنزاع في أشكال أصحاب هذه النظرة وملاسهم وتصرفاتهم التي توحي بالتيه والحيرة والضياع.

## افكار حول سبل العلاج

ما أسهل على المرء أن يشخص الداء! بل قد يسهل عليه كذلك أن يصف الدواء نظرياً، ولكن يبقى بعد ذلك أصعب المراحل وأشقها. وهي ممارسة العلاج وتطبيقه لكي ينتهي الأمر بالشفاء ووزوال الداء! والحديث الذي يلي، هو من أجل ذلك، وصف نظري لسبل العلاج اللازمة للتحديات والمصاعب التي تواجه الشباب المسلم، في حين يبقى تطبيق العلاج في أيدي المؤسسات المسؤولة في كل بلد من بلاد الإسلام.

إن المنتج لدعوة رسول الإسلام صلوات الله عليه، يدرك أنه قد ابتدأ رسالته الخالدة بتثبيت العقيدة الجديدة في نفوس المؤمنين من أصحابه، حتى إذا ما ثبتت هذه العقيدة وترسخت، انطلق بهم إلى ممارسات تنسق مع عقيدتهم. ونحن مدعوون بحكم النص القرآني الخالد إلى أن نتخذ من الرسول الكريم قدوة لنا وأسة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾، وصحيح أن الظروف الآن هي غير الظروف في زمن رسول الإسلام، ولكن تغير الظروف إنما يستلزم تغير الأساليب والطرق في احتضاننا للرسول عليه الصلاة والسلام، لا تغير الأسس والمبادئ. ولذا، فإن مهمتنا الأولى بالنسبة إلى الشباب المسلم في الربع الأخير من القرن العشرين، هي إعادة ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوسهم، لكي تصل إليهم قوة صافية، خالية من أية شوائب، ولكي تكون القاعدة الفكرية التي ينطلقون منها في جميع أمورهم. والهدف من ذلك، إيجاد الضمير المسلم في نفس كل واحد من هؤلاء الشباب، ثم تربية هذا الضمير، صعوداً مع سني الحياة.

وما أن ظروف نهاية هذا القرن، هي غير ظروف فترة الرسالة، فإنه ينبغي أن ندرك أن تربية الضمير المسلم هذه ينبغي أن تكون عملية متسلسلة متصلة، تبدأ بالبيت المسلم وتسير مع الصغير إلى مدرسة ابتدائية فالدراسة الثانوية فالجامعة، مع الحرص، ضمن أقصى حد مستطاع، على توفير الجو المناسب لفتياننا وفتياتنا عن طريق وسائل النشر والاعلام، ووسائل التنقيف والتأثير المختلفة، من مسجد وناد وجمعية. إلى آخر هذه الوسائل.

ومع تربية الضمير المسلم هذه، ينبغي أن تسير جنباً إلى جنب، نشئة الفكر المسلم. وإذا كان الضمير هو الذي يحكم على صحة الأمور وخطئها في إطار معين من الاعتقاد، فإن الفكر هو الذي تنبثق منه نظرة الإنسان إلى الحياة في منشأها، ومسيرتها وغايتها ومنشأها المختلفة. وإذا كانت الأمم في زمننا هذا، تحرص على أن تقوم ثقافتها وحضارتها على أسس فكرية معينة، كما هي الحال في كثير من الدول، وتسير بمنهجها وموادها التنقيفية وفق هذه الأسس، فإن من الضروري في البلاد التي تريد لشبابها أن ينطبع بالطابع الإسلامي، أن تحفظ لجميع وسائل التنقيف فيها، لأن تخرج الشاب المثقف المسلم. وهذا يقتضي أمرين:

● **أولهما**، ألا تغيب الثقافة الإسلامية في مستويات مختلفة، عن المتعلم المسلم، في أية مرحلة من مراحل الدراسة، وفي أي تخصص من التخصصات.

● **ثانيهما**، أن تكون القاعدة الفكرية لأي لون من الدراسات، هي القاعدة الإسلامية. وبهذه الطريقة نقيم الجسور بين مختلف الثقافات والاختصاصات، ونتخلص من وجود شاب مثقف بالثقافة الإسلامية، وهو يجهل العلوم الحديثة، أو شاب مثقف بالعلوم الحديثة، وهو يجهل الثقافة الإسلامية.

وينبغي على ذلك وجود نوع واحد من المواطنين في البلد الإسلامي، ركيزته الفكرية إسلامية، بغض النظر عن المادة التي تخصص بها. وهذا التجانس في الركائز الفكرية، يقيم في الواقع وحدة ثقافية بين البلاد الإسلامية، بغيرها لا يمكن أن تقوم أية وحدة. وغني عن البيان أن ما تبته المدرسة والجامعة في نفوس الطلاب والشباب من أفكار، ينبغي ألا يبلغه ويصل أثره ما تبته وسائل الاعلام ووسائل التنقيف الأخرى، وذلك لكي تكون عملية التنقيف متكاملة يعطل بعض منها عمل بعض.

ومن الآثار التي سوف نشأ عن عملية كهذه، لو حصلت، انتهاء الشباب المسلم انتهاء قوياً واعياً إلى أمته. فغير خاف أن قسماً كبيراً من هذا الشباب يعاني الآن من هجرة إلى الذات، بمعنى الانتفاء إلى ذاته، بدلاً من الانتفاء إلى الأمة التي ينتسب إليها، والعقيدة التي يدين بها. وقد أثبت تاريخ الحضارات، أن الإنسان الذي لا ينتمي إلى شيء، لا يبدع في شيء، بل لا يستطيع أن يقوم بعمل ذي أهمية. والتاريخ الحديث يثبت من ناحية أخرى أن الذين يوجد



واقبال على العمل وثقة في نجاحه، وشعور بالانتماء الكبير إلى جماعة كبيرة تشاركه أفكاره وآماله وتطلعاته.

وفضلاً عن الفوائد الجلية التي تجلبها مثل هذه اللقاءات بين الشباب المسلم، فإنها تنفضي على الشعور بالفراغ عندهم، والفراغ كان وما يزال هدراً للطاقة، وتبديداً للزمن، ومساعدة إلى الفساد، وكلها أمور يتحاشاها الشاب المسلم ويرفضها. ولذا، فإن من الواجب أن يوضع تخطيط واع للقضاء على الفراغ وعلى الشعور به بين الشباب. والعالم الإسلامي في حاجة إلى كل ساعة من ساعات شبابه، لكي تنفق في أمور كثيرة يحتاج إليها هذا العالم. فبالإضافة إلى ما ذكر من لقاءات الشباب في مؤتمرات وندوات ومعسكرات، فإن الحاجة إلى مجاهدة المعتدين على شراب الأرض الإسلامية، تنفضي من الشباب إعداداً وتدريباً، ثم مقارعة فعلية هؤلاء المعتدين تستوعب الكثير من الجهد والوقت. فضلاً عن ذلك، فإن المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة إلى شباب يعملون في وقت فراغهم في معسكرات عمل، في قطاعات مختلفة، وما أكثر المعسكرات التي يقيمها العدو في أرضنا المغتصبة، ويتوافتد للعمل فيها خلال الصيف الشباب اليهود من مختلف أنحاء العالم، بل قد يجنذبون كذلك شباباً من غير اليهود من أوروبا وأمريكا، تجذبهم الدعاية الصهيونية، ويفيد العدو منهم في معسكرات العمل التي يقيمها في أنحاء مختلفة من أرضنا المحتلة. والذي لا يملأ فراغه جهاد أو إعداد لجهاد، أو عمل في معسكرات عمل، سيجد حتماً ما يشغل فراغه، حين يخطط له التخطيط السليم، في شكل طموح علمي، يستلزم الدراسة أو القيام بتجارب، أو في مؤسسة ثقافية أو رياضية تقوم على أسس سليمة هادئة، وتجمع ما بينه وبين من يشاركونه فكره وغاياته.

والذين عرفوا الشباب الأوروبي والأميركي، يعرفون أن هذا الشباب قد يعتمد على استشارات فكرية أو شعورية مصطنعة، لأنه قد كفي التفكير في أشياء عملية تمس متطلبات حياته وحياته المجتمع الذي ينتمي إليه. فهذا الشاب في أوروبا أو أمريكا، يعيش في بلاد غير مهددة بالعدوان الخارجي، وغالباً ما يكون مكفياً احتياجه من الغذاء والكساء، مؤمناً اجتماعياً وصحياً، مضمونة له ثقافته الجامعية، مطمئناً على مستقبله. وكل هذه الضمانات قد نبعث فيه شعوراً بالاسترخاء، بل وربما بالملل، يبعث على أن يتلمس الاستشارات المصطنعة في حياته، لأن الإنسان بطبعه لا يرتاح إلى حياة رخيّة لا يوجد فيها شيء مثير، فيكون في تلك البلاد ما نسمع عنه من تصرفات وممارسات للشباب تبدو لنا غريبة شاذة لا معنى لها، ولا يقصد منها إلا إضفاء عنصر الاستشارة على الحياة.

لكننا في العالم الإسلامي، لسنا بحاجة إلى استشارات اصطلاحية لشبابنا، لأن متطلبات حياته العملية، على نطاق الفرد والأسرة أو المجتمع، كافية لاستيعاب نشاطنا كله، ونشاط فوق نشاطنا كذلك. ويكفي أن يتذكر الشاب المسلم أن بلاده مهددة، وحضارته مهددة، وأنه بحاجة إلى تأمين أساسيات الحياة لنفسه وأسرته والجماعة التي ينتمي إليها، وباجة إلى أن يؤمن ثقافته ومستقبله، وغير ذلك، مما يحتاج إلى وقته كله وجهده كله، ولا يبق مجالاً للبحث عن أية مشغلة لا طائل تحتها، ولا تقدم حلولاً لمشكلاته.

وما يرتبط بما ينبغي أن يشغل الشباب المسلم المعاصر، استغلال الطاقات الكامنة الماثلة في العالم الإسلامي، التي تلجأ في استغلالها حتى الآن إلى العقل الأجنبي، واليد الأجنبية والخبرة الأجنبية، ويكتلفنا ذلك من المال الكثير، بما كان يمكن أن يستعمل في تنمية البلاد، بدلاً من أن يسرب إلى الخارج، فضلاً عن أننا قد لا نكون مطمئنين تماماً لهذه الأعداد الكبيرة من الخبراء والفنيين، الذين لا ينتمون إلينا من باب من الأبواب، بل قد يكونون ممن يحدقون على هذه الأمة وتراثها وحضارتها، ويتمنون لها تبعية دائمة لبلادهم من أجل مصلحتهم ومصلحة بلادهم. وليس سرّاً أن عدداً كبيراً من شبابنا المثقف، ومن ذوي الاختصاص المطلوب جداً في بلادنا، يعملون الآن في أوروبا وأمريكا، في حين أننا نستورد من هم أقل منهم علماً وخبرة ومعرفة من الأجانب، ونأمنهم على استغلال ثرواتها، وكان الأول أن تستغل موارد عالمنا الإثنيلاقي بأيدي أبنائنا المتتمين إليه، والذين يرتبط مصيرهم بمصيره. والمسؤولية في غياب هؤلاء الشباب عن أوطانهم، مسؤولية مشتركة فيما بينهم وبين حكومات هذه البلاد جميعاً، إذ إنهم يجب أن يتنازلوا عن بعض ما يتوافر لهم في الغرب، مثلاً يجب أن يعاهاهم في بلادهم الظروف المواتية المشجعة. ولا يقبل أبداً من هؤلاء الشباب أن يعملوا في المدن الأوروبية أو الأمريكية، ثم يكتفوا بنقد الأوضاع في بلدانهم، إذ المفروض أن يقوموا هم، من خلال مواقع المسؤولية، بإصلاح ما ينبغي إصلاحه في البلاد ومواجهة المشكلات القائمة فيها.

هذا، ومن الانصاف أن نعترف، بأن الشاب المسلم في زمننا هذا، قد تعرض للشعور بالاحباط وخيبة الأمل في نصف القرن الأخير نتيجة انتكاسات متوالية واجهتها الأمة خلال صراعها مع الصهيونية ومن يوالونها. وكان للفرقة بين المسلمين وتقصير المسؤولين عن أمورهم دور كبير في هذه الانتكاسات، مما جعل الشباب ينفقون موقف الساخط على أمتهم في حاضرها، المشكك في مستقبلها، غير المؤمن بماضيها، واستغلت فئات مختلفة هذا الشعور، لا سيما بعد

عام ١٩٦٧ م، فتفتحت في النار، وحاولت أن تنسف إيمان الشاب المسلم بأمنه كلية. وكان بعض هذه الفئات يعمل من الداخل، وبعضها من الخارج، حتى لقد خيل إلى بعض هذه الفئات أن الحضارة الإسلامية قد أصبحت شيئاً من الماضي، ولم يعد لها وجود في الحاضر، وبالطبع، لن نزيل شعور الاحباط هذا عند شبابنا بأن نشم الآخرين ونكيل لهم الاتهامات، فإن ذلك لا يجدي شيئاً، خاصة أننا نتعامل الآن مع شباب مثقف واع. والواقع، أن تاريخ هذه الأمة، كثيراً ما كادت معالمه الحقيقية تختفي، بين متحمسين له يكتبون بعواطفهم لا بعقولهم، وبين ناقلين عليه همهم تشويه وإبراز ما هو مستنكر فيه. ولذا، فإننا بحاجة إلى كتابة تاريخ هذه الأمة من جديد، ماضيه وحاضره، كتابة موضوعية علمية تعتمد على الحقائق المجردة، وتبين ما فيه من مآثر، وما خالطه من أخطاء، لأن الإنسان يستفيد من أخطائه مثلاً يستفيد من نجاحه، وكذلك الأمم. وإن كتابة كهذه لتاريخنا، تضع شبابنا أمام رؤية واضحة لا زيف فيها، ونوقفهم على الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية. والتي لمطمئن أن مثل هذه الكتابة الموضوعية، ستكون فائدة كبيرة، لأن في تاريخ هذه الأمة من الخير والعطاء للإنسانية كلها، أكثر مما فيه من الأخطاء والانحرافات، وإن كان هذا التاريخ، كتاريخ أية أمة أخرى، لا يخلو من أخطاء وانحرافات، يجب الاعتراف بها بشجاعة، والاستفادة منها في تجاربنا اللاحقة.

ومن التحديات التي تواجه الشباب المسلم الملتزم بإسلامه في زمننا هذا وجود جماعات مسلمة غلصت ترى كل واحدة منها أن السبيل الصحيح للنهوض بالإسلام والمسلمين، هو السبيل الذي اختارته هي لنفسها، وأن السبيل الأخرى، مهما أخلص لها أصحابها، هي سبيل خاطئة، بل، قد يصل الأمر، بهذه الجماعات، أن يقف بعضها موقف العداء من الآخرين، لأن الآخرين اتبعوا في دعوتهم سبيلاً غير سبيلهم، وتكون النتيجة بطبيعة الحال تناحراً مدمراً، فتلغي كل فئة نشاط الفئة الأخرى وتعطله بدلاً من أن تكون الواحدة منها رداً للأخرى وعوناً لها. وينسى هؤلاء المتناحرون، أنه حتى الدعوة الصادقة، يبطل مفعولها وينعدم أثره، عندما يتخصم القائلون عليها، لأنهم يظهرون أمام الناس في مظهر المتعادين للنفسين، والناس لا يؤمنون بدعوة ينقسم القائلون عليها فيما بينهم. كما أن هؤلاء ينسون أنه لم يحدث في تاريخ الدعوات كلها، أن كان الناس نسخاً كربونية متشابهة، بعضها عن بعض، وأنه يكفي أن تكون الخطوط العريضة متوافقة، حتى يتآزر السائر عليها ويتعاونوا. ولا بد من أن نتعظ بتاريخ الفرق الإسلامية التي تعصب كل منها لما يدعو إليه، ووقف موقف العداء من الآخرين، فكانت هذه الفرق المتجادلة عامل تمزيق للمجتمع الإسلامي، وصرف له عن الجهاد، بلاد من أن تكون عامل توحيد وحث على العمل المجدي.

فإذا أخذنا العبرة من الماضي، فإنه ينبغي للدعاة الإسلام حيث كانوا في العالم الإسلامي أن يتواصلوا ويتعاونوا ويتكاتفوا، ويملا كل منهم الشفرة التي قد توجد عند أخيه، لا سيما أنهم جميعاً، لا يكونون إلا نسبة صغيرة في العالم الإسلامي كله.

ويجعل القول إننا نتطلع إلى شباب مسلم يعي مشكلات عصره ويعيش في زمانه ويكتسب العلم والمهارة اللذين توفرهما ثقافة العصر، فيكون إنساناً معاصراً لا يعيش في الماضي ويكتفي باجترار ذكرياته، ولكنه يدرك في الوقت نفسه، أن الحاضر امتداد للماضي، وأن تجربة الماضي يجب أن تكون مصدر فائدة وإرشاد للحاضر.

كما ينبغي أن يدرك كذلك، أنه ابن أمته، في جميع أحوالها وأوضاعها، وأن معاناة أمته ينبغي ألا تدفعه إلى التنكر لها، بل على العكس من ذلك ينبغي أن تدفعه إلى التشبث بها، كما ينشبت الإنسان البار بأسرته عندما تكون هذه الأسرة في حالة ضيق وركب. وإذ ينتمي إلى أمته وعقيدتها وحضارتها على هذه الشاكلة، فإنه ينبغي عليه أن يسهم في استغلال طاقات هذه الأمة المادية والحضارية على أفضل وجه ممكن، وأن يكون على بصيرة لما يمكن أن تعطي من جديد لبني البشر، لأن النهوض الصحيح بأمة من الأمم، هو عطاء للبشرية كلها، والأمة التي تريد مشاركة الأمم الأخرى، في حضارتها وعطاءاتها، دون أن تعطي هي شيئاً من عندها، هي كالتاجر الفلّس الذي يطلب مشاركة مع تجار موسرين، دون أن يسهم هو في مال التجارة المشتركة المنشودة.

ولقد كانت الحضارة الإسلامية عطاء كبيراً للإنسانية في زمن مضى، ولا بد لهذه الحضارة من أن تعطي مرة أخرى، فالإنسانية الآن محتاجة فعلاً إلى حضارة عطاء، تتنفع بمواد هذه الأرض، دون أن تنقطع صلتها بالسما.





# البلاغة النبوية

بقلم: د. أحمد عمر هاشم

إن الحديث عن البلاغة النبوية ، حديث متسع الجوانب ، لا يحيط به بحث ، ولا يحصره كتاب .. وذلك لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مبلغ عن ربه سبحانه وتعالى ، وداع إلى سبيل ربه ، ومبعوث في وقت وصلت فيه البلاغة والفصاحة إلى مكانة عالية ، فلا بد أن يرسل بلسان قومه ، وأن تكون معجزته الكبرى وهي : « القرآن الكريم » من جنس ما برع فيه القوم ، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وهم أهل الفصاحة والبيان ، وأدرى الناس بفنون الألفاظ والعبارات ، كان ذلك من أقوى الأدلة على صدق صاحب الدعوة ، وأنه مرسل من ربه ، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ولقد عصم الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، من الخطأ ، ومن الهوى ، وعصمه من الناس ، وكيف لا ، وهو المبلغ عن رب العزة سبحانه وتعالى .

وقد أقسم الله سبحانه ، بأن رسوله على الحق والعلم والهدى ، وأنه بعيد كل البعد عن الضلال والغواية ، وعن النطق عن هوى نفسه ، فقال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ﴾ سورة النجم ( ١ - ٦ ) .

فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لا ينطق إلا حقاً ، ولا يقول إلا حقاً ، في كل أحواله ، حتى في وقت الغضب ، وحتى إذا مزح فلا يقول إلا حقاً .

روى الإمام أحمد - بسنده - عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، أريد حفظه ، فنهني قريش ، فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال :

« أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » .

إنه يلازم الحق ، والحق يلازمه ، فلا يتخلى عن ذلك في وقت من

ولقد أوتي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، جوامع الكلم ، وفضل الخطاب ، وكان يعجب الصديق رضي الله عنه ، من فصاحته عليه الصلاة والسلام ، ويقول له : « لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك فمن أدبك » ؟

قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .  
وقال رضي الله عنه : يا رسول الله ، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال :  
« كانت لغة إسماعيل قد درست ، فجاء بها جبريل فحفظتها » .  
وهذا يدل على أن عناية السماء ، ورعاية الله تعالى ، وراء هذا الإعداد والاستعداد .

وناهيك بمن كانت عناية الله معه ، وفضل الله ورحمته عليه ، ومن أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم ، فما لا شك فيه - والحال كذلك - أن يكون أفصح العرب ، وأقوى الناس حجة ، وبياناً ، قال الله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وإنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ سورة النساء ( ١١٣ ) .

الأوقات ، ولا في حال من الأحوال ، حتى في وقت الغضب ، ووقت المزاج والمداعة .

بل إن الأمر الذي يخبر به ، هو الذي لا شك فيه ، ولا رية تحوم حوله ، وهذا جانب هام من أهم جوانب الفصاحة والبلاغة والبيان ..  
فالفصحاء والبلغاء وأهل البيان ، والشعراء والكتاب - من سائر البشر - تتميز تعبيراتهم بطابع من الخيال الخصب والعاطفة الجياشة ، والمبالغة التي تكسب أساليبهم ضخامة في المعنى ، وقد تفرق في الخيال والمبالغة فتبعد عن الحق والواقع ، بل أكثر من ذلك : وهو أنها كثيراً ما تكون مشوبة بالكذب ، حتى أنه قيل : «أعذب الشعر أكذبه» .

وأما البلاغة النبوية ، وفصاحة صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، فطابعها الأساسي : «إن هو إلا وحي يوحى» .  
وسماتها المعروفة الواضحة الحق والصدق ، فهو الصادق الأمين .  
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه» . رواه البزار .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : «لا أقول إلا حقاً» ، قال بعض أصحابه :

فإنك تداعينا يا رسول الله ؟

قال : «إني لا أقول إلا حقاً» .

ولقد اجتمعت أسباب أخرى لفصاحة الرسول ﷺ وبلاغته ، سوى ما تقدم .

وأهم تلك الأسباب وأولها ، ما سبقت الإشارة إليه من تعلم الله تعالى له ، وتأديبه إياه .

● كذلك : نشأته في بني سعد بن بكر ، فهو من قريش ، ولسانه لسان بني سعد بن بكر .. ومثل هذه الأسباب كفيلاً أن تبعد عنه أدنى خيط من اللحن ، وكفيلاً باستقامة اللسان في الفصاحة والبلاغة .

ولقد أشار صلوات الله وسلامه عليه ، إلى بعض هذه الأسباب :  
أخرج ابن عساکر عن محمد بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رجل : يا رسول الله أئذالك الرجل امرأته ؟ قال : نعم إذا كان مُفْلَجاً ، فقال له أبو بكر : يا رسول الله ما قال لك ، وما قلت له ؟

قال : إنه قال : أئطالُ الرجل أهله ؟ قلت له : نعم إذا كان مُفْلَساً .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ؟

قال : «أدبني ربي ، ونشأت في بني سعد بن بكر» .  
وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أعرب العرب ، ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، فإني يأتني اللحن ؟» .

● وبالحكمة والموعظة الحسنة ، دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، إلى ربه ، وبإتيه هي أحسن جادل المعارضين والمعارضين ، مستجيباً لأمر الله تعالى ، القائل له في محكم التنزيل :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم

## بالمهتدين ﴿ سورة النحل (١٢٥) .

● ولقد ألفت البلاغة إلى رسول الله ﷺ زمائماً ، فكان كلامه عليه الصلاة والسلام واضحاً لا غموض فيه ، وافيلاً لا قصور حوله ، مناسباً بيناً لا فضول ولا تقصير ، ولا افراط ولا تفريط ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما كان رسول الله يسرد كسر دكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه .

وروي أنها قالت : إنه كان يحدث حديثاً لو عدّه العاذ لأحصاه ، ويقول الجاحظ ، عن بلاغة الرسول ﷺ ، وعظمة كلامه : ألقى الله على كلامه الحبة ، وغشاه بالقبول ، وجع له المهابة والحلاوة ، وهو مع استغنائاه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس أسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً من كلامه ﷺ .

وكان لديه المقدرة الفائقة لأن يخاطب كل جماعة أو قبيلة بلهجتها . عن عاصم الأشعري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليس من أمير أمصيام في أمصفر» يريد : ليس من البر الصيام في السفر ، وهي لغة الأشعريين يبدلون اللام ميماً .

● وتميز الأسلوب النبوي الحكيم بالامجاز مع كثرة المعاني ، وبالبعد عن الصنعة والتكلف ، يستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، ويهجر الغريب الوحشي ، ويرغب عن المهجين السوقي ، فلم ينطق عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، كما وصفه الجاحظ .

وقد وصف الرافعي ، كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : «كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ، ولا تسترله الفجاءة ، وما يَبْذُه من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع ، وعن الفط الغريب ، والطريقة المحكمة ، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً ، ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة ، ونتاج الحكمة وغاية العقل ، وما إلى ذلك مما يخرج من الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد ، وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية» .

● وإذا حاولنا تعليلاً لبلاغة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فإن أول ما يُطالِعنا هو توفيق الله تعالى له ، وتوقيفه ، حيث بعثه في العرب أهل الفصاحة والبيان ، فكان أبلغهم وأفصحهم ، فقد كاشفته اللغة بأسرارها ، فملك زمائماً وحقائقها ، فكان يخاطب كل قوم بلهجتهم ويخاطبهم على قدر عقولهم .

كما كانت له فطرته النقية الصافية ، وحسه الدقيق ، ونفاذ بصيرته ودقة حكمته .

هذا بالإضافة إلى نشأته الخصبية بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وتقلبه في أقوى القبائل منطقاً ، وأسلمهم لساناً ، وأعذبهم بياناً ، قال ﷺ :



المملوك : سيدي وسيدي ، وقال لمن ادعى أنه طبيب « أنت رفيق وطيبها :  
الذي خلقها » أخرجه أحمد .  
والجاهلون يسمون الكافر الذي له علم لشيء من الطب : حكماً وهو من  
أسفه الخلق .

ومن هذا قوله للخطيب الذي قال : « من يطلع الله ورسوله فقد رشد ،  
ومن يعصها فقد غوى » : « بش الخطيب أنت » - أخرجه مسلم - ومن  
ذلك قوله : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ،  
ثم ما شاء فلان . وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني الله  
نذا؟ قل : ما شاء الله وحده اه .

وهكذا يتضح لنا عناية الرسول ﷺ ، ببلاغة الكلام ، وسلامة العبارة ،  
وفصاحة اللسان المسلم ، بحيث لا يزل بكلمة فيها خروج عن مبادئ الإسلام  
وتعاليمه ، أو فيها إسفاف وضعف ، فالإسلام هو دين العلم والمعرفة ، قام على  
عقيدة صحيحة ، تغرس العزة والكرامة في نفوس المسلمين ، وتجعل منهم خير  
أمة أخرجت للناس .

وإذا كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قد ملك زمام البلاغة  
والفصاحة ، وكان أفصح العرب .. فإنه عليه الصلاة والسلام دعا إلى انتشار  
البلاغة والفصاحة ، وإلى تهذيب العبارة ، واختيار الكلمات والأساليب ،  
بالنسبة لغيره من المسلمين .

فكان للبلاغة النبوية آثارها الطيبة على لغة التخاطب بين الناس ، وعلى  
تعبيرات المسلمين ، حيث أكسبتهم ، دقة في التعبير ، وحسن اختيار للألفاظ  
والكلمات .

كما أنه عليه الصلاة والسلام .. قد دعا المسلمين ، إلى هجر الكلمات  
التي لا تتفق مع عقيدتهم الإسلامية ، ولا تساير معنى التوحيد والتنزيه .  
فظهر الرسول عليه الصلاة والسلام ، محيط باللغة العربية من بعض  
الرواسب التي خلفتها عهود الجاهلية .. كما نرى اللغة من بعض ما كاد يشوبها  
من شوائب أخرى .

● ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، يوجز القول ، حيث كان المقام  
يستدعي الإيجاز ، ويطلب القول إن لم يكن من الإطالة بد ، فكما يقول  
العلماء : لكل مقام مقال . وفيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن  
رسول الله ﷺ ، خطب بعد العصر ، فقال :

« ألا إن الدنيا خضرة حلوة ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف  
تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يمنعن رجلاً غشافة الناس أن  
يقول الحق إذا علمه .. » .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : ولم يزل ﷺ ، حتى لم يبق من  
الشمس إلا حمرة على أطراف السعف ، فقال ﷺ :  
« إنه لم يبق من الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » رواه  
الترمذي .

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه :  
« ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ ،  
وسمعتها يقول :

« مات حنث أنفه » وما سمعتها من عربي قبله .  
فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، يا أبلغ الناس وأفصحهم ،  
ويا خير من نطق بالصاد .



★ مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة وتبدو القبة الخضراء حيث ينوي نحتها قبره الطاهر ، وقبرا صاحبيه ، الصديقين  
والخطاب ★

« أنا أفصح العرب بيد أبي من قریش ، ونشأت في بني سعد بن بكر » .  
ويقول الرافعي : وليس في العرب قاطبة من جمع الله تعالى فيه هذه  
الصفات ، أعطاه الخالص منها ، وخصه بمجلتها ، وأسلس له مأخذها ،  
وأخلص به أسبابها كالنبي ﷺ ، فهو اصطنعه لوحيه ، ونصبه لبيانه وخصه  
بكتابه ، واصطفاه لرسالته ، وماذا عسى أن يكون وراء ذلك في باب  
الإلهام ..

ولقد عقد - الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله - فصلاً في كتابه « زاد  
المعاد » عن هدى الرسول ﷺ ، في حفظ المنطق ، واختيار الألفاظ ، فقال :  
« كان يتخير في خطابه ، ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها  
وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش ، فلم يكن فاحشاً ولا  
متفحشاً ، ولا صخباً ولا فظاً ، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون  
في حق من ليس كذلك ، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس  
من أهله . فمن الأول : منعه أن يقال للمنافق « سيد » وقال : « فإن لم يكن  
سيداً فقد أسخطم ريكم عز وجل » .

ومثله أن تسمى شجرة العنب كرمًا ، ومنعه تسمية أبي جهل بأبي  
الحكم ، وكذلك تغييره لاسم أبي الحكم من الصحابة بأبي شريح ، وقال :  
« إن الله هو الحكم وإليه الحكم » .

ومن ذلك نهيه للمملوك أن يقول لسيده أو لسيده : ربي وربتي ، وللسيد  
أن يقول لمملوكه : عبدي ، ولكن يقول المالك : فتاي وفتاتي ، ويقول



# ديوان الموت في



## الشاعر العربي

بقلم: د. يوسف نوفل

وله قصيدته الشهيرة ومطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد  
وفيهما يكثر ذكر الموت في قالب فكري فلسفي تأملي عرضه بنجاح وهو يرثي بعض  
الفقهاء فهو يقول:

صاح هذي قبورنا غملاً الرحب فأين القبور من عهد عاد  
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد  
ويقول:

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكا من تزاحم الأضداد  
ويقول:

إن حزنا في ساعة الموت أضعا  
ف سرور في ساعة الميلاد  
خلق الناس للبقاء فضلت  
أمة يحسبونها للنفاد  
إنما ينقلون من دار أعمى  
ل إلى دار شقوة أو رشاد  
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم  
فيها والعيش مثل السهاد

فهو ينطلق من فلسفة تشاؤمية، وإيمان بتفاعة الحياة وضآلة الإنسان وإيمان بالحياة  
الآخرة.

وقد ظهرت صورة الموت كمصافة تحرم الإنسان من لذاته ونعمائه، ومن هنا رأينا في  
معظم رباعيات الحيام تحذيراً منها وتحسيداً لخطورها الجليل:

لا تؤجل فرصة اليوم لغد وأمصابي من غد إن أقبلا  
ورفاقي هامة تعوي بقاع  
ويعتبر النشيد الثاني من الرباعيات نشيد الموت:

وإذا بساقي المنايا أوجبا شربة مضت ومرت علقما  
فاحس جلدا خمرة الموت الزؤام

أما شاعر اليوم فاللوت في نظره نهاية صراع عنيف مرير. صراع بين أطباع البشر  
وأحقادهم، صراع بين الإنسان والزمن. بمأساه ومشاكله، صراع يخلفه تعقد الحياة،  
واستبداد ضراوتها.

وتلك النهاية تعبر عن هزيمة الإنسان أمام كل شيء حتى نفسه، وتلك في الحقيقة  
مشكلة كل مثقف لما بالك بالفنان؟ فلنقرأ أبياتاً لآلياس فريحات تصور الموت كنهاية  
حيث يقول:

إن الخلائق أنهر  
تجري إلى البحر الوسيغ  
يصل البطيء إليه كرهماً

يقول العقاد: «فداؤنا الحديث، داء الانتحار وداء كل عجز ونكوس، هو أننا نهاب  
الم الجسد ولا نصبر على عنت البلوى وتبريح العذاب»<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فهناك وجهة نظر أخرى لا تنفر من الموت ولا تعشفه وإنما تسلم به كضرورة  
من ضرورات الحياة ولوازمها. وتتمثل هذه الفكرة في سطور خطها هيدجر قائلاً:  
«عندما نرى أن الوجود الإنساني وجود نحو الموت يصبح الموت عنصراً ضرورياً من عناصر  
الوجود الإنساني».

ويقول الحيام:

أترى الدنيا سوى دار سفا  
ذات بايين ظلام ونها  
كم وكم من ملك جم الفخار  
حل فيها برمة وارتملا  
حين لبي دعوة الداعي المطاع

فالحياة حلقات تؤدي كل منها إلى لاحقتها، وهي تطور هابط نحو غاية محتومة لا معدى  
منها ومن هنا كان تسلم متصوفة الإسلام بهذه الظاهرة على أنها شيء ينال الصورة المحسوسة  
دون أن يخترق الجوهر، فالوت كما يرى ابن عربي: (تفريق لا إعدام). ومن هنا  
يمكن أن نركز النظرة إلى الموت في معنيين: رضا، وخوف، ويمكن أن  
نتنقل بتلك النظرة إلى مجال الأدب لنتعرف على وجهة نظر الشعراء  
المحدثين كما يمكن قبل ذلك كله التعرف السريع على وجهة نظر الأدب  
الجاهلي ثم الإسلامي.

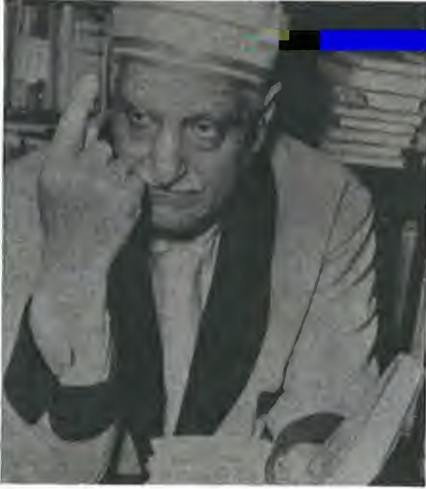
نظر الشاعر الجاهلي إلى الموت نظرة استسلام ورضا وصبر. يقبل التضحية  
ويستعذ بها، وكان ذلك إذعاناً منه للأقوى منه فكانت نظرتة رواقية، وأحس الجاهلي  
دائماً أنه قابل للهزيمة وبالرغم من إحساسه هذا فإنه كان يقبل على الموت، متخذاً من  
رهبته دافعاً لقلقه فلا يفكر إلا في الموت، إما أن يموت وإما أن يميت، هذا لبيد يقول  
عن نفسه:

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَعْتَلِقَ بَعْضُ النَفُوسِ حَمَامَها  
أما الشاعر الإسلامي فلم تقتصر نظرتة على الموت فحسب بل تعدتها إلى  
شيء آخر هو ما بعد الموت، فلقد حذر الإسلام من ذوبان الإنسان في دولة الحياة  
دون أن ينتبه لما بعدها من بعث وحساب، فأصبح خوف الشاعر مما بعد الموت لا  
من الموت ذاته، ولعل ذلك وحده هو ما يصلح أساساً لتفسير دوران ذكر الموت في  
شعر عمر بن أبي ربيعة على الرغم من شهرته الناعمة اللاهية، إذ يكثر من ذكر  
الحين والخنف، وأنه سوف يقبر وسيلك، كما يتعنى قائلاً: يا ليتني مت، ويتمنى  
أن يفتدي محبته بالنقص من عمره، كما يصطحب السيف، ويكثر من ذكره.

وهذا هو أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) رهين المحبين نجاهه شديد الشعور  
بمأساة الحياة منذ مات والده فهو يقول:

تخططنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك





★ عباس محمود العقاد ★  
الم الجسد وعنت البلوى



★ نازك الملائكة ★  
الخيوط المشدود في شجرة السرور



★ أبو العلاء الماعري ★  
الموت... فلسفة وفكر

إذا ما رأى الله رأي العيان  
وقد سار زحفاً على صدره  
فأي انسحاق وأي انكسار  
يشعان من عينه الضارعة

وقد كتب الشاعر عدة قصائد في الكويت حيث كان يعالج من داء الصدر، وكان من عادته، دائماً، أن يذيل كل قصيدة بتاريخ ومكان ميلادها، وتلك ميزة كبرى يفرح بها رجال الأدب ونقادها، لأنها تعين الدارس على فهم مراحل نمو الشاعر وتطوره، وتطلعوننا على ما خفي من ملاسبات وظروف العمل الفني كما قلعتنا، لقد ذيل قصائده بالتاريخ والمكان وكان من ذلك القصائد التالية:

- ليلة الوداع: صفحة ٦٤٩ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٨/٢١ م.
- وفي غابة الظلام: صفحة ٧٠٤ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٧/٩ م.
- ورسالة: صفحة ٧٠٧ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٨/٣ م.
- ونفس وقبر: وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/١١/١٠ م.

ثم قصيدة إقبال دليل صفحة ٧١٦ ولم تذيل بشيء، مما جعل مقدم الديوان الأستاذ ناجي علوش، الذي أسهم إسهاماً كبيراً في الديوان، جعله يذهب، بحق، إلى أن هذه القصيدة قد تكون آخر ما كتبه الشاعر، وتضاف إلى ما كتبه بالكويت. في قصيدة ليلة وداع يضيف الشاعر إلى العنوان: (إلى زوجتي الوفية)، ومن الجلي إذن أن هذه القصيدة تمزج بين الخاص والعام، فهو ينطلق من مشكلة مرضه المستعصي على العلاج، إلى مشكلة الفراق الموقوت الذي سينتهي إلى قرار حتى بينه وبين زوجته، يقول:

أوصدي الباب فدنيا لست فيها  
ليس تستأهل من عيني نظرة  
سوف تمضين وأبقى.. أي حسرة؟  
أتمنى لك ألا تعرفها؟  
أه لو تدرين ما معنى نوائي في سرير من دم  
تأكل الظلماء عيناوي ومحسوها في  
نائها في واحة خلف جدار من سنين  
وأنين

.....

في غد تمضين صفراء اليد  
لا هووى أو مغنى نحو العراق  
وتمسكين بأسلاك الفراق

إلى أن يقول:

أوصدي الباب غداً تطويك عني طائرة  
غير حب سوف يبقى في دمانا

مثلاً يصل السريع  
فالشاة تفتك بالكلا  
والذئب يفتك بالقطيع  
والصقر يفتك بالقطا  
والموت يفتك بالجميع

ولقد شاع ذكر الموت وذاع لدى الكثيرين برز منهم الشرنوبلي، والزهاوي، الذي يقول:

يا ويلنا ساموت بعد قليل وأفارق الدنيا وكل جميل  
لكن هذه النظرة لا تمثل نظرة الشعراء المحدثين بوجه عام، ولعل أصدق منها تمثيلاً لنظرة شعر اليوم نظرة القبول لا الرفض ونظرة الترحيب لا الامتناع.

إن شاعراً كيدور شاكور السياب يرفع ألوية الموت السوداء في جنبات دواوينه: أزهار ذابلة م (١٩٤٧)، وأساطير (١٩٥٠)، الموسم العمياء (١٩٥٤)، والأسلحة والأطفال (١٩٥٥)، حفار القبور، وأنشودة المطر (١٩٦٠)، والمعبد الغريق (١٩٦٢)، ومنزل الأقبان (١٩٦٣)، وشناشيل ابنة الجلبي (١٩٦٤)، وإقبال (١٩٦٥)، إلى جانب ما لم يجمع من شعره في ديوان. ويدير عينيه فيما حوله فبرى: الموت... الموت، يختطف الموت زوجته وفيقة، وأخاه حميداً، كما يختطف بودلير، ثم يخرب جيكور ديوان شعره ومسقط رأسه ومسراح آسالة وأغانيه.

وهو يهمس إلى ابنه حين دار حديث حول قيام الساعة سنة ١٩٦٢ م، على لسان عالم هندي يقول: ونجهل أن موتك فيه بعثك.

إن للدنيا نهاية سلم

يفضي إلى أبد من الملكوت

ثم يتجه إلى زوجته في قصيدة الوصية<sup>(٢)</sup>:

لا تخزني إن مت أي بأس

أن يحطم الناي ويبق لحنه حتى غدي؟

لا تبعدي لا تبعدي لا...

ويتعجل نهاية الصراع العنيف بينه وبين آلامه فيقول: (٣)

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد

لعله ينسى من عمره الامسا

ثم يختتمها بقوله:

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد

لأنه يذكره السهر

بأنه أقل من بشر

وفي رثائه لأخيه حميد يقول: (٤)

ولست أدري بأي قلم كتب السياب هذه القصيدة الأليمة ، مخاطباً زوجته . ولعله يحس أنها المرة الأخيرة في مجال مخاطبتها ، أن القصيدة على غير ما تعود السياب ، لكنها تحمل حرارة عالية ونبضاً صارخاً .

أما قصيدته « في غابة الظلام » ، فتصور الموت الذي ينتظر الشاعر ، ومن خلال رؤيته يرى قبره وجهته ، ويرى العراق حزناً ، يقول :

عيناي تحرقان غابة الظلام

بجمرتيها اللتين منها سقر  
ويفتح السهر

مغالب الغيوب لي فلا أنام  
وأسير الأرض إلى قرارها السحيق

ألم في قبورها العظام  
فطالعتني - كالسراج في لظى الحريق -

تكشيرة رهيبة رهيبة  
تلمحها ججمتي الكثيبة

.....

عيناي من سريري الوحيد  
تحقدان في المدى البعيد

الليل وحش تطعنانه مع النجوم  
بخنجرهما وخنجر السحر

الليل خنزير الردى العنيد  
يشق خنجرهما إهابه الغشوم

لألمح العراق مزج القمر  
على تراه البليل ضوءه الحزين

.....



★ السياب ★  
ألوية الموت السوداء

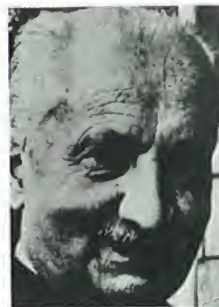
ويبلغ بنا الشاعر أوج الفجعة في قصيدته « رسالة » ويستند دموعنا بقسوة بالغة حين يصور لنا رسالة من زوجته إليه وهو على فراش موته بالمستشفى الأميري بالكويت ، وفيها نرى حبه وحب زوجته ، ونرى طفله (آلاء) ونكاد نسمع صوتها ، ويستحضر الشاعر صورة عودته وقرعة الباب (فتفتحن ، ونحني ظلنا الستر!!) .

يقول الشاعر :

رسالة منك كاد القلب يلثمها

لولا الضلوع التي تشنيه أن يبتها

رسالة لم يهب السورد مشتعلا



★ هيدجر ★  
الموت .. والوجود الإنساني



★ ابن عربي ★  
الموت .. تفريق لا إعدام

فيها ولم يعبق التاريخ ملتتها  
لكنها تحمل الطيب الذي سكرت  
روحي به ليل بنتنا نرقب الشهباء  
إلى أن يقول :

ويا حديثك عن « آلاء » يلذعها

بُعدي فتسال عن بابا « أما طابا »

أكاد أسمعها

رغم الخليج المدوي تحت رغوته

أكاد ألتئم خديها وأجمعها

في ساعدي

كأنني أفرع البابا ...

.....

إن هذه القصائد ، مع غيرها من إنتاج الشاعر ، تمثل بعض أروع ما حفل به ديوان الشعر العربي من شعراء الفجائع واللوعة . إن الشاعر ينجح نجاحاً واضحاً في تحويل الخاص عندة إلى عام ، فيه شمولية واضحة ، فكثيرون يمرضون ، وكثيرون يموتون ، وكثيرون هم حياة زوجية وعائلية وأطفال ، لكن السياب حين يتناول هذه الأمور كأنه يتناول أمراً فريداً وحيداً ، وكأنه ينقلنا إلى مسأته ، أو بمعنى آخر يحملنا عمله ، ويجرنا كاسه .

ويتحدث كمال نشأت في قصيدته « الشاعر والموت » في ديوان (ماذا يقول الربيع) :

يا شاعر الكون المائق في الدجنة أدمعه

حوم على هذا الوجود على المجالي الممتعه

فغدأ ستمضي ذرة مسكية في الزويعه

.....

يا شاعر الشفق الحزين خبا الضياء ولن يشوب

ومضى الزمان وملء كفيه جراحات الشعوب

وغدوت ججمه وحفنة ترية وفراغ كوب

يتناول الشاعر الموت تناولاً هادئاً ثابتاً وكأنه حدث عادي من أحداث الزمان يستقيم إليه ويرتضيه .

وكتبت نازك الملائكة قصيدة « الكوليرا » حيث أفلحت الشاعرة في نقل تجربة الشعب المصري مع هذا الوباء وتجسيدها .(\*)

وقد بدأت من الأدب إلى الأعلى متدرجة متطورة فتدعوك (اصغ إلى وقع صدى الأنات) وتقول (في كل مكان روح تصرخ في الظلمات) وتقول :

عشرة أموات عشرونا

لا تحصى أصخ للباكين

.....

موق .. موق ضاع العدد

موق .. موق لم يبق غد

فانتقلت الشاعرة من الأنات والأهات إلى الموت ، ثم إلى تأثر الناس ثم إلى تضاعف أعداد الموق ، وأخيراً إلى فقدان الثقة في المستقبل .

وهي تصور الكوليرا تصويراً مفزعاً مريعاً قائلة :

هبط الوادي المرح الوضاء

بصرخ مضطرباً بمنجونا

لا يسمع صوت الباكين

.....

حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير

الجامع مات مؤذنه

الميت من سيؤنه ؟ .. الخ

ثم تنتقل بالموت إلى صورة عاطفية في قصيدتها : (الخييط المشدود في شجرة السرو) ، حيث فوجئ شاب بمصرع حبيبته ، فشرذ عقله وبدأ يتعلق بشيء تافه وهو الخييط المشدود في شجرة سرو تقوم قرب القبر ، وهي تعمد إلى تجسيد الموت ليسمع ويرى :





وهو هنا يأخذ على الناس برود عواطفهم نحو المصابين على الرغم مما يظهرونه من باب المشاركة الوجدانية ، وليس هذا تعميقاً فكرياً لتأمل ظاهرة الموت ، كما نرى لدى الشاعر في القصيدة ذاتها إذ يثير تساؤلات حول الموت ، وعن مصير كل إنسان ، وعن خلوده بعد موته :

يقول في المعنى الأول : ما جدوى أن أحيأ أو يحيا الآخر؟  
هذا غدنا .. أن يحملنا محمولين !!  
ويقول في المعنى الثاني : «المؤمن يحيا خلف جبال الموت هناك  
بلا موت» .  
وأنا أتساءل :

ولماذا لا نحيا دنيانا الحلوة في هذا البيت؟

وكان من الممكن أن يستثمر الشاعر هاتين الفكرتين السرائرتين ويجلّهما ويعمق مدلولها ، مثل كثير من الشعراء حين تأملوا معنى الموت كالمصري ، لكنه أوجز في خاطريته ، وانساق إلى الانفعال الصارخ في قالب احتجاجي غير معقول وغير مقبول في لهجة غير مؤمنة !! قائلاً :

لو نملك .. قلنا للقايح في أعماق الجرح

جادلنا بالحرف

واسقط من يدك سكاكين الذبح

وما يمكن أن نتجه به من حديث نحو الشاعر العزب قد نتجه به أو بمعظمه لسائر الشعراء الذين تناولوا الموت من خلال نظرة ذاتية جعلت شعرهم غنائياً ينقل خواطرهم وانفعالاتهم الثائرة لا نظرتهم ورؤياهم الشعرية المثالية المتكاملة .

### هوامش

(١) ساعات بين الكتب ص ٣٧ .

(٢) العيد الغريق ص ٣٦

(٣) أقبال: ص ٢١

(٤) نفسه .

(٥) شظايا ورماد ص ١٢١ .

ويرن الصوت في سمعك : ماتت

إنها ماتت ..

فترى الحبيب حبالاً من جليل

عقدتها أذرع غابت ووارتها المئون

ولكي تجعل رؤيته قاسية مفزعة نقول :

وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفتي

إنها ماتت ، صدى يصرخ في النجم السحيق

وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروق

وهكذا تعدد صور تناول الموت لدى الشعراء ما بين الإقبال والنفور ، والدنر والبعد ، امتياعاً من معين نفسي لدى الشاعر تفتيح فيه عاطفته ورؤاه يمكنون العاطفة والرؤى لدى مجتمعه ومن حوله من الناس ليكون الشاعر ، من موقعه الفني ، معبراً عن حوله .

ومن تأمل تلك التجارب الفنية بوجه عام نجد أن السمة العامة ، وإن باعث قصائد الموت أو أبياته لدى الشعراء غالباً ما يكون باعثاً ذاتياً . أي مرتبطاً بظروف شخصية مرت بالشاعر كمرض أو ألم ، أو موت حبيب أو قريب عزيز ، أو ضيق وتيرم بالحياة .. وهو باعث أشبه ما يكون بمثير فني موقوت ، ولهذا قل أن نجد في قصائد الموت فلسفة أو موقفاً فكرياً يعتمد على وجهة نظر ذات أسباب وقرائن وأدلة ، وذات نتائج محددة . وإنما هو شيء أشبه بالخواطر والانفعالات ، فهذا هو الشاعر محمد أحمد العزب يكتب سنة ١٩٦٤ م ، قصيدة (موت أمي) قائلاً :

«أمي ماتت»

وأحرق خلف عيون الناس فلا أبصر حزناً

يا قسوة عين لا تبكي أحزان الناس !!

«أمي ماتت»

لكن حاتم جارتنا تمضي عني

مثنى مثنى

وأنا أتخس كلمات ذابلة الوجه بلا معنى

«ماتت ... ممتنا» !

ويتمم شيخ تلجي الإحساس :

«أجل .. يرحمها الله»



\* عمر الحيام \*  
نشيد الموت



# مكة وتاريخ



★ باب الذهب، من أبواب سور القدس الأسمى ★

# القدس مدينة السلام

★ لمدينة القدس مكانة فريدة تتميز بها عن مدن الأرض قاطبة ، فهي المدينة الوحيدة التي تستأثر بتقديس قرابة ثلثي سكان الأرض من أتباع الديانات السماوية الثلاث : المسلمون ، النصارى ، واليهود ، وعوضاً عن أن تكون «مدينة السلام» التي تنعم ، هي والأرض التي بارك الله تعالى حولها لا تسفك فيها الدماء ، كما كانت أيام الخليفة عمر الفاروق ومن بعده صلاح الدين الأيوبي ، فقد كان من قدرها أن تكون في معظم حقبة تاريخها ميداناً للنزاعات والحروب والمجازر الرهيبة والآلام ★



والقدس هي المدينة الثالثة في قدسيتهما عند المسلمين لعدة أسباب :

● « الطابع الإبراهيمي » للديانة الإسلامية ، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾ ، لأن قبوله بتضحية ابنه كان أسطع برهان على إسلامه لربه .

● وإلى المسجد الأقصى في القدس أسري بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ، وكانت من قبل القبلة الأولى للمسلمين ، لأنهم كانوا قبل الهجرة يتجهون أثناء صلاتهم إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ثم أمر الله رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، بأن يولي وجهه شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة .. قال تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ ، ولا يزال هناك في حي بني سلمة ، في المدينة المنورة ، شاهد على الفترة التي كان فيها المسلمون يتجهون بصلواتهم نحو بيت المقدس ، هو (مسجد القبلتين) ، والذي لا زال يحفظ بقايا عرّاب قديم يتجه نحو الشمال ، في مواجهة المهراب الأحدث الموجه نحو الجنوب ، نحو مكة المكرمة ، وقيل إن تحويل القبلة إلى مكة المكرمة ، كان يوم الثلاثاء في منتصف شهر شعبان ، وقيل في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

● وسيظل الإسراء الحدث العظيم ، الذي يصل رسالة محمد ﷺ ، بالأمكنة المقدسة في القدس ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿ سيحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ . والمسجد الأقصى هو حرم القدس ، أي المسجد الواقع إلى جنوب الصخرة .

وقد أسري بالرسول الكريم ﷺ ، من مكة المكرمة إلى القدس ، ومن فوق الصخرة امتطى البراق ، الذي صعد به إلى السماء السابعة ، وقابل أثناء صعوده كل الرسل والأنبياء الذين سبقوه ، وعلى الأخص إبراهيم وموسى وعيسى ، وقد كان إمامهم في الصلاة إلى أن أصبح لوحده في حضرة رب العالمين جل جلاله .

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بي إلى السماء » . وقد كان المعراج بالنسبة للرسول تركيزاً على أن بعثته هي في الخط التوحيدي العظيم ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

● الأحاديث النبوية التي تدلل على عظم مكانة القدس كثيرة ، فقد روى ابن منبده بسنده عن أنس بن مالك قال : « إن الجنة تحت شوقاً إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهو سر الأرض » . وقد ثبت في الصحيح : « أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال بباب لُد » . وقالت ميمونة مولاة رسول الله ﷺ : « قلت لرسول الله ﷺ ، أفتنا عن بيت المقدس ، قال : « نعم المصل ، هو أرض الحشر وأرض المنشئ ، إيتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كالف صلاة » . قلت : بأبي أنت وأمي أنت ، ومن لم يطق أن يأتيه ، قال : فليبد له زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى إليه كان كمن صلى فيه » .

وقال أبو ذر : سألت رسول الله ﷺ ، عن أول مسجد وضع في الأرض قال المسجد الحرام ، ثم قلت : ثم أين ؟ قال : المسجد الأقصى . وجاء في الحديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » ، وعن ابن عباس قال : « من حج وصلى في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، وروي أيضاً ، قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فليتنظر إلى بيت المقدس » .

كما قدم الخليفة العادل عمر بن الخطاب بنفسه لبيت المقدس عند الفتح وصلى فيه . ● وقد دفن في بيت المقدس عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين ، منهم الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري ، والصحابي شداد ابن أوس ، والزاهدة أم الخير رابعة العدوية ، والمتكلم محمد بن كرام ،

صاحب الفرقة الكرامية ، وحدث بكر بن سهيل الدمياطي .

● وكانت أم الدرداء زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء ، تقصد بيت المقدس من دمشق ، وتقيم نصف السنة في بيت المقدس . وكانت في زيارتها للقدس تحالّس الفقراء والمساكين وتحن عليهم . وقد خطبها معاوية ، بعد وفاة أبي الدرداء فأبت . وحدث أنها كانت في مسجد الصخرة ، بينما كان عبد الملك بن مروان جالساً في ناحية منه ، فأذن المؤذن لصلاة المغرب ، فقامت أم الدرداء تتوكل على عبد الملك ، حتى أدخلها مكان النساء في المسجد ومضى فصل الناس .

● وقدم معاوية بن أبي سفيان إلى بيت المقدس سنة ٤١ للهجرة . وقال الليث : « بوع معاوية باليلاء في رمضان بيعة الجماعة » . كما قدم الخليفة عبد الملك ابن مروان باني قبة الصخرة ببيت المقدس وصلى فيه ، كما سبق وذكرنا . مثلاً كان يتردد عليه الوليد بن عبد الملك ، ويقول المقدسي : « كان الوليد يعطي قصاص القضاة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس » .

● وأتى الخليفة سليمان بن عبد الملك إلى بيت المقدس ، وقدمت الوفود إليه بالبيعة ، وكان يجلس في صحن بيت المقدس فيما يلي الصخرة ، فيدخل إليه الناس لقضاء حوائجهم . وكان سليمان قد همَّ بالإقامة في بيت المقدس واتخاذ منزلاً وعاصمة لدولته بدلاً من دمشق .

● وجاء أبو جعفر المنصور بعد قرن من قدوم معاوية ، أي عام ١٤١ هـ ، واجتمع بالإمام الليث بن سعد . وقدم الخليفة المهدي ، ابنه ، إلى القدس وأمر ببناء ما نشأت من المسجد الأقصى .

وقصد معظم الحجاج بيت المقدس في ذهابهم إلى بيت الله الحرام ، وفي عودتهم منه ، حتى أضحت المدينة المقدسة مزاراً يترك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة ، مثلاً استحبوا الاحرام بالحج والعمرة منه .

ففي سنن ابن داود من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله له ما تقدم من ذنبه » .

وجاء في كتاب الأنس الجليل : « بيت المقدس سر هذا الوطن المقدس وملتحى أقطاره ومعراج النبي عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الأنبياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل ينزل به الأمر والنهي ، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده .. عيسى الذي أكرمه برسالته وشرفه بنبوته » .

### جغرافية القدس

تقع القدس فوق إحدى فقرات تلك السلسلة الجبلية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ، والتي تواكب الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، إذ لا تبعد القدس عن ساحل هذا البحر أكثر من خمسة وعشرين كيلو متراً على خط مستقيم ، أو ٥٩ كيلو متراً على الأرض ، في حين يقل بعدها عن ساحل البحر الميت ، عن عشرة كيلو مترات على خط مستقيم أو ٣٣ كيلو متراً ، على الأرض . وتترأى من ساحله بالآفاق مآذن وأبراج المدينة المقدسة ، هذا إذا كان الطقس صحواً ولا سياً قبيل الغروب .

وتقع على خط العرض الشمالي ٣١ درجة و٤٦ دقيقة ، وخط الطول ٣٦ شرقاً ، على ارتفاع يبلغ ٧٩٠ متراً وسطياً ، فوق سطح البحر ، ولكنها تطل على البحر الميت من الشرق على ارتفاع يقارب ١١٧٣ متراً .

وتتراوح أمطارها السنوية بين ٥٠٠ و ٩٠٠ مم ، تهطل في مدة تتفاوت بين ٤٠ و ٦٥ يوماً ، ولكن المعدل السنوي للأمطار خلال فترة امتدت على ٦٣ سنة ، كان ٥٨٤,٢ مم ، أي تعادل أمطار باريس وأكثر من ثلاثة أضعاف كمية أمطار دمشق . وقد تنغط أسطح منازل المدينة في بعض السنوات برداء الثلج الأبيض ، وذلك في حالة تعرض المنطقة لرياح شمالية قارسة قادمة من أواسط آسيا وشرقي أوروبا ، ولكن يندر أن يبقى الثلج على الأرض أكثر من يومين أو ثلاثة .

وقد بلغ معدل الحرارة السنوي في القدس ١٧,٤ درجة ، ويبلغ معدل الحرارة العظمى السنوية ٢٢,٦ درجة ، ومعدل الصغرى ١٢,١ ، ومتوسط الرطوبة النسبية ٦٤,٥ . ولكن يهبط معدل شهر كانون الثاني (يناير) إلى ٨,٧ درجات ، ويرتفع متوسط شهر آب (أغسطس) إلى ٢٤,٨ درجة .

وكتب المقدسي بصف مناخها : « لا شديد البرد وليس بها حر وقل ما يقع

بها الثلج ١٠٠، وسألني القاضي أبو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت : سيجح لا حر ولا برد شديد، قال : « هذه صفة الجنة » .

ويتألف النبات الطبيعي في منطقة القدس من بقايا الغابة البدائية التي استؤصلت ولم يبق منه سوى التز السيسر الذي يشهد عليها ، كاشجار السنديان والخروب والصنوبر والسرو والخور والسدر والسرير والزعرور واللوز البري ، وقد أدخلت إليها أشجار (الأوكالبتوس) ، أما الأشجار المثمرة المزروعة فتتألف من الزيتون والتين واللوز والعنب .

### مياه القدس

عرفت القدس منذ القدم بشح مائها ، وكان توفير الماء لها على مر الأزمنة أمراً شاقاً ، لأنها تقوم فوق تلال مرتفعة لا ينبع منها الماء ، مؤلفة من صخور كلسية تتصف بشدة نفاذيتها للماء ، هذا فضلاً عن وقوعها على خط تقسم المياه بين حوض البحر الأبيض المتوسط وحوض البحر الميت ، إذ سرعان ما تنساب مياه الأمطار نحو الحاضرتين الجبليتين مما لا يدع لها الوقت الكافي للترسب في باطن الأرض والاستقرار فيه كي تكون في متناول الناس فيما بعد .

وهكذا كان جل اعتمادها في العصور الغابرة على مياه الأمطار وعلى ينابيع الضئيلة الواقعة في سلوان في الجنوب الشرقي من المدينة والتي يذكرها أبو العلاء :

ولعين سلوان التي في قدسها طعم يوهم أنه من زمزم

ولذلك كانت البرك من أهم مصادر مياهها ، وهي البرك التي تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول المنحدرة من المرتفعات المجاورة ، وكان أهمها «بركة سلوان» إلى الجنوب من عين أم الدرج ، والبركة التحتانية إلى الجنوب الشرقي من بركة سلوان ، ويسمونها «البركة الحمراء» ، ويثر أيوب على مسافة ٢٨٠ متراً تقريباً من البركة الحمراء ، والتي يتفجر منها الماء في فصل الشتاء . ومن جملة عين القدس نذكر «عين اللوزة» الواقعة على مسافة ٥٠٠ متر ، من بئر أيوب إلى الجنوب .

وفي القدس صهاريج كثيرة تتجمع فيها مياه الأمطار ، وفي كل بيت صهريج ، وفيها برك كبيرة أيضاً ، حفرها الأقدمون لهذا الغرض . ومن هذه البرك بركة ماملا ، وبركة السلطان ، وبركة حزقيا . ويذكر المقدسي قبل عشرة قرون من الزمن : «قل دار ليس بها صهريج وأكثر . وبها ثلاث برك عظيمة ، بركة بني اسرائيل ، وبركة سليمان وبركة عياض ، عليها حماماتهم ، ولها دواع<sup>(١)</sup> من الأزقة . وفي المسجد عثرون جباً متبحرة ، وقل حارة وليس فيها جُب مُستبل . غير أن مياهها من الأزقة ، وقد عمد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاء ، وشق منها قناة إلى البلد توحد وقت الربيع فتعلا صهاريج الجامع وغيرها .

وظلت مشكلة المياه الجيدة نوعاً والوفرة كما الشغل الشاغل لمدينة القدس ، لا سيما بعد أن كثرت سكانها . وفي ١٩٢٩ م ، وجدت حكومة الانتداب حلاً في عين فارة ، على مسافة ١٤ كيلو متراً ، شمال شرقي القدس ، فحرت مياهها للمدينة . وبعد عامين أضافت إليها مياه عين الفوار ، التي تبعد ٦ كيلو مترات شرقي عين فارة . وفي ١٩٣٥ م ، راحت القدس تستقي الماء أيضاً من عين القلط ، إلى أن بلغ المجموع الكلي للمياه الواصلة إلى القدس في العام المذكور ٥٩٣ مليون غالون . ولكن المشكلة لم تحل تماماً فقامت الحكومة ، بمشروع جر مياه نبع رأس العين الذي يبعد عن القدس ٣٧ ميلاً إلى الشمال الغربي ، والذي يقدم ألف غالون بالساعة . وذلك بواسطة أنابيب بلغ طولها ٦٠ كم ، وقطرها ١٨ بوصة . وبعد احتلال اليهود للقدس العربية عام ١٩٦٧ م ، ارتبطت بشبكة المياه العامة ، أو القطرية كما يسمونها ، والتي تعتمد إلى حد بعيد على مياه نهر الأردن وروافده ، وتتطلع إسرائيل حالياً لجر مياه نهر الليطاني .

### الجبال المحيطة بالقدس

وقد دعت بهذه الصفة ولكنها ليست في الحقيقة أكثر من تلال مرتفعة .

● جبل المشارف : ويرتفع حوالي ٨٥٠ م ، عن سطح البحر وسمي بهذا الاسم لأنه يشرف على القدس ، ويبتدىء من شمالي شعفاط وينتهي بجبل الزيتون . ويقع في شمالي بيت المقدس بانحراف قليل نحو الشرق ، على مسافة تقل قليلاً عن كيلو مترين ، وفي شرق

قرية العيسوية . ويقوم جبل المشارف على الطريق المؤدية إلى مدينة رام الله . ويقال له أيضاً جبل المشهد وجبل الصوانة . وكان معظم الفاتحين يقيمون معسكراتهم عليه كالفاتح تيتوس الروماني عام ٧٠ م ، والفريجة الصليبيون بعد ألف عام تقريباً أي سنة ١٠٩٩ م ، ويمتعون أنظارهم بمرآى هذه المدينة المقدسة . والناسر إليها من هذا الجبل يرى لها منظراً أخاذاً . كما يرى على يساره سهل الغور والبحر الميت وبلاد الكرك ، وغيرها من مرتفعات الضفة الشرقية . ويسميه الأوروبيون جبل سكوبيوس ، ومعناها باليونانية ملاحظ أو مراقب . ويسميه اليهود هارها تسوفين ، وهي ترجمة حرفية للتسمية العربية . وقد أقام اليهود عليه جامعهم العبرية فوق أرض اشتروها من السير جون غراي الانكليزي عام ١٩٢٧ م .

ويعتبر الكثيرون جبل المشارف امتداداً لجبل الزيتون لجهة الشمال الشرقي . وبين جبل المشارف والقدس يقع وادي الجوز ، الذي طغت عليه المساكن فراحته تمتد أيضاً على سفوح الجبل .

●● جبل الزيتون : ويدعى أيضاً جبل الطور ، ويقع إلى الشرق من القدس ، وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو وادي «قدور» ، وامتدادها من الجنوب إلى الشمال . ويقع إلى الجنوب من جبل المشارف وارتفاعه ٨٢٥ م ، عن سطح البحر . ويكشف المدينة المقدسة قديمها وحديثها واسمها مأخوذ من شجر الزيتون الذي كان منتشرأ عليه بكثرة .

وكثيراً ما كان المسيح (عليه السلام) ، يصعد على جبل الزيتون ، لا سيما عندما كان اليهود يحاولون إلحاق الأذى به .

وذكر أن الزيتون الوارد في الآية الكريمة ، «والتين والزيتون وطور سينين» ، هو جبل الزيتون عند بيت المقدس . ويسميه اليهود هار هازيتيم ، ترجمة للاسم العربي ، ويفصل جبل الزيتون عن القدس وادي الست مريم المعروف أيضاً بوادي جهنم ، ووادي النار ، ووادي سلوان . وعلى هذا الجبل تقوم قرية تدعى الطور . وقد كان هذا الجبل مكسواً قديماً بالزيتون والبطم والتين والسنديان وبالنخل في بعض المواقع كالعيزرية . وقد كان بالقرب من قننه شجرتان من الأرز ، ولكن لم يبق شيء من كل ذلك سوى الزيتون والتين .

ولما نزل الأسقف أركولفوس القدس سنة ٦٧٠ م ، في أيام خلافة معاوية ، ذكر مزروعات هذا الجبل بقوله : «ليس على جبل الزيتون من أشجار سوى العنب والزيتون ، ولكن يزرع فيه نوع جيد من القمح» .

ويقع في أعلى قمة في جبل الزيتون مقام الشيخ والعالم الصالح محمد بن عمر العلمي ، وجامعه المؤرخ ٩٦٤ هـ ، أو ١٥٣٨ م .

●● جبل بطن الهوا : وهو امتداد لجبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية من القدس ويفصله عنها وادي سلوان .

●● جبل صهيون : ويقع في جنوب غربي القدس القديمة ، وكانت تقع عليه قلعة البيوسيين التي انتزعها منهم النبي داود حراً .

●● جبل موريا : وهو الجبل الذي يقوم عليه الحرم الشريف ، وهو الجبل الذي نزل عليه كبش الفداء ويدعى الكبش في بعض اللهجات المحلية مرياع .

●● جبل المكبر : وسمي بهذا الاسم لوقوف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عليه ، يطل على المدينة المقدسة قبل تسليمها له ، وكان يقول : الله أكبر ، وتردها من خلفه جموع المسلمين .

### أسماء القدس

القدس مدينة كنعانية عربية ، اسماً ووطناً منذ خمسين قرناً من الزمن ، ولكنها اتخذت أسماء عديدة على توالي العصور تبعاً للاسم والشعوب التي استوطنتها أو حكمتها ومن هذه الأسماء :

● «ديوس» ، وذلك نسبة لأول قوم سكنها ، وهم اليبوسيون الكنعانيون ، في نحو الألف الثالث قبل الميلاد ، حين هاجر الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين ، وكانت لهم مدينة عريقة ، وسجل التاريخ عدداً من أسماء ملوكهم ، ودام كيانهم السياسي فيها قرابة ٢٠٠٠ عام . إلى أن احتلها النبي داود في أوئل الألف الأول قبل الميلاد .





★ مسجد الصخرة من الداخل ، حيث تدور الصخرة المقدسة ★

وحرقت ييوس في السجلات الهيروغليفية إلى يابتي ويابتي ، وذلك قبل عهد موسى بعدة قرون . ولا تزال هناك قرية على طريق دمشق بيروت تدعى إلى اليوم « كفر ييوس » أي قرية ييوس .

وكان للمدينة عند البيوسيين اسم آخر فقد سموها أورسالم ، كما يظهر ذلك في رسائل تل العمارنة التي تعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور مدونات التوراة بأكثر من ألف عام . ومعنى أورسالم مدينة السلام وشالم اسم آله البيوسيين الأكبر . وقد بنوا له هيكلًا على مرتفع الظهور . فنسبوا مدينتهم له تمجيداً لاسمه .

ويتضح أن تسمية أورشليم هي في الحقيقة كلمة كنعانية آرامية أصيلة . وبعد أن ظهر اليهود وتكونت لهجتهم العبرية المشتقة من الآرامية صار اليهود يسمونها بالعبرية بروشلايم . وقد ذكرها العرب في الجاهلية في أشعارهم بهذه التسمية فقالوا أورشليم كما جاء في معجم البلدان لياقوت ، أو كقول الأعشي :

وطوقت للمال آفاقه عان فحمص فأورشليم  
أتيت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض المعجم

وكتبت أيضاً على شكل أورشالم ، وأورشالم وورشالم وورشلم . وذكرها الفيروزآبادي فقال : إن شالم وشليم وشلم اسم بيت المقدس . وقال ياقوت إن شاعراً من شعراء الجاهلية أسماها أورسلمو .

وتعترف التوراة صراحة بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم . فلما خاطب حزقيال أورشليم قال : « أبوك أموري وأمك حثية » ، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين على ما جاء في التوراة التي اعتبرت أدوني صادق آخر ملوك أورشليم في عداد الملوك العموريين . وتؤكد التوراة أن اليهود لم يستطيعوا طرد البيوسيين من أماكنهم في أورشليم « فسكنوا معهم إلى هذا اليوم » وبما يؤكد أن الملك داوود لما أراد أن ينشئ الهيكل في أورشليم اضطر إلى شراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من البيوسيين .

واسماها اليونانيون يروسالم . وقد أضفى عليها المؤرخ اليهودي يوسيفوس طابعاً هليينياً ، فاسماها هيروسلميا ، وكانت تدعى في أوائل الفتح الروماني هيروسلميا ، ثم صارت هيروساليم ، ومنها أخذت الأمم الأوروبية اسمها المعروف جيروسالم .

★ السجاد والقوش ، داخل قبة الصخرة ★







★ لقطة عامة لمدينة القدس مأخوذة من أعلى جبل الزيتون ★

ذلك ، لموقعها الجغرافي والاستراتيجي وتطلع معظم الأمم القريبة والبعيدة للاستحواذ عليها حرماً كل هذا من أن تكون في عداد المدن السعيدة .

ومن المؤكد تاريخياً أن اليهوديين هم مؤسسو القدس ، وكانت تدعى في أيامهم ييوس ، واليهوسيون بطن من بطون أوائل العرب ، نزحوا عن جزيرتهم مع سواهم من القبائل الكنعانية واستقروا في ديار فلسطين على ما يبدو منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

ومن ملوكهم ملكي صادق ، وهو أول من اختطها وبنائها بعد أن ظل قومهم من سكان الكهوف لفترة طويلة من الزمن ، وعرف بالقوى ، لما غشي امرأة ، ولا أراق دماً ، وما أكل سوى الخبز ، وكان محباً للسلام ، حتى أطلق عليه ملك السلام ، ومن هنا جاء اسم المدينة سالم وشالم .

ومن ملوكهم سالم اليبوسي ، الذي زاد في بنيان القدس ، وشيد على التل الجنوبي المعروف في أيامنا بجبل صهيون برجاً يقصد الدفاع عن المدينة . وكان الكنعانيون في بادئ الأمر من رعاة الشاة . ولما طلب لهم المقام في هذه البقعة سميت باسمهم كنعان . وكانوا على درجة من المنعة والقوة ، بحيث تمكنوا من صد العبرانيين ، فقد صدوهم وقاوموهم زمناً طويلاً ، لأنهم كانوا متحدين . وكانت مدينة ييوس على درجة من الأهمية التجارية ، إذ كانت تقع على طريقين تجاريين هامين ، الأولى تصل البحر بالبادية الشرقية ، والثانية تربط حبرون (خليل الرحمن) ببית ايل القريبة من رام الله الحالية ، وفي بيت ايل كانت الطريق تسلك اتجاهين : الواحد نحو شكيم ، أي نابلس ، والآخر نحو أريحا ووادي الأردن .

وبقيت قلعة أورشل ، التي كانت تسمى حصن ييوس ، أي حصن صهيون ، صامدة أمام سائر الغزاة قبل عصر النبي موسى بنحو ألف عام ، وقد بقيت ثابتة أمام الموسويين ، حتى تمكن الملك داود من احتلالها بعد الاستيلاء على مصدر مائها من غير قتال على الأرجح .

وتعترف التوراة أنه ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشل القديمة لا من حيث التسمية ، ولا من حيث القومية . فقد اعتبرت آدونى صادق آخر ملوك أورشل في جملة الملوك العموريين . وتؤكد التوراة أن اليهود لم يستطيعوا إجلاء اليهوديين عن أماكنهم في أورشل «فسكنوا معهم إلى هذا اليوم» .

وعندما حاصرها تيتوس عام ٧٠ م ، كان الرومان ، يسمونها سوليموس . وفي عام ١٧٥ م ، كانوا ينادونها سوليمًا وسماها المكابيون يروسوليمًا . وسميت أريثل ، ومعناها أسد الله مثلما دعت مدينة الله وعرفت باسم مدينة يهوذا .

وفي سنة ١٣٩ م ، أسماها الإمبراطور هادريان إيليا كابيتولينا ، أي إيليا العظمى ، وظلت محتفظة بهذا الاسم حتى أوائل العهد الإسلامي ، كما ورد اسمها على هذه الصورة في المعهدة العمري وتاريخها ١٥ هـ ، أو ٦٣٦ م . وقال «ياقوت» : إن إيلياء أو الباء اسم لبنت المقدس ومعناه بيت الله ويقول الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرفا

إلا أن الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين ، حاولت عبثاً إعادة اسم أورشل إلى هذه المدينة ، وقد زارتها سنة ٣٢٤ م ، ولكن المدينة ظلت محتفظة باسمها إيلياء . ومن اسمائها كما جاء في انحاف الاحصا ، للسيوطي بيت ايل ، ومعناها بيت الرب ، ومن اسمائها القرية وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : ﴿ ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ .

● القدس : وبعد الفتح الإسلامي غلب على المدينة المقدسة اسم «القدس» ، وبيت المقدس والبيت المقدس ودار السلام وقرية السلام ، ووصفت تأدياً وتكريماً لها بكلمة الشريف ، وصار المسلمون لا ينطقونها إلا موصوفة بها . وقد ذكر المعري اسم القدس في شعره فيقول :

يا شاكي النوب انهض طالباً حلباً  
نهوض مضني لحسم الداء ملتئم  
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً  
كفعل موسى كلم الله في القدس

### تاريخ القدس

يبدو تاريخ القدس شديد التعقيد ، كثير التداخل ، حتى ليبدو وكأنه مخطوط استعمله النساخ مرات عديدة ، فأصبح من المتعذر فك رموزه وتحليل عناصره ، ولا غرابة في



## القدس والفرس

٥٣٨ ق. م. ، احتل كورش ملك الفرس بابل سنة ٥٣٩ ق. م. ، ومن ثم احتل أورشليم سنة ٥٣٨ ق. م. ، وكانت زوجته هي استير فطلبت منه أن يأذن لقومها المنفيين في السبي الأول سنة ٥٩٧ ق. م. ، والسبي الثاني ٥٨٦ ق. م. ، في العودة إلى فلسطين لمن أراد منهم مثلما سمح لهم ببناء المعبد . وأعادوا بناء الهيكل سنة ٥١٥ ق. م. ، في عهد الملك الفارسي داريوس ، وتولى أمرهم عزرا ملكاً ، ثم تلاه شمعون الصديق ، الذي ظل تحت السيادة الفارسية وكان يدفع لهم الضرائب إلى أن احتل أورشليم الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق. م. .

## القدس في عهد اليونان

دخل الاسكندر يروشالم بعد انسحاب الفرس منها ، فسماها اليونانيون **هيروسلما** . وبعد موت الاسكندر كانت فلسطين من حصة سلوقوس ، وصارت مصر من حصة البطالسة . ولما تولى بطليموس الملك وجد جماعة من الأسرى الاسرائيليين ينهضون عدهم الثلاثين ألفاً ، فحررهم وطردهم ، ثم غزا فلسطين وقتل عدداً كبيراً من اليهود ، ثم آلت لحكم السلوقيين بعد أن احتلها أنطيوخوس ابيفانس سنة ١٦٨ ق. م. . وفي عهده ثمر اليهود بزعامة يهوذا المكابي وفازوا باستقلالهم تحت حكم سمعان .

## القدس في عهد الرومان

٦٣ ق. م. ، كانت فترة شديدة الاضطراب . وقد دخلت القدس في دائرة النفوذ الروماني عام ٦٣ ق. م. ، عندما غزا يوميثني أورشليم ودمرها . وعمل نائبه على سورية غابينيوس على تجريد المملكة اليهودية من كثير من مظاهرها وقسمها إلى أقاليم . وعمل الإمبراطور أنطونيوس على اسناد شؤون الشرق إلى الأسرة الهيرودية ، وهي أسرة أدموية الأصل اعتنقت اليهودية . وبرز منها **هيرودس** عام ٣٧ ق. م. ، فقصى على المكابيين ، وراح يدير **هيروسلما** باسم روما . وعرفت المدينة في عهده حركة عمرانية نسبية كجر المياه بواسطة القناة من برك سلیمان ، وبني القلعة بباب الخليل ، وهو الذي أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم ، وكان من هؤلاء المسيح ولهذا هربت أمه به إلى مصر . وبعد قلائل متعددة قضى الرومان على آخر مظاهر السيادة اليهودية ، ونم حكم بيلاطس المدينة في أيام بعثة السيد المسيح .

وعلى أثر موت الإمبراطور نيرون حل محله فسباسيان ، الذي حاصر أورشليم بعد ثمرها ودمر الهيكل من قواعده ، وثار اليهود مرة ثانية في عهد **هادريان** ، فسحقها بعنف وأبدل اسم أورشليم بإيلياء . وعلى أثر ظهور المسيحية لحق باليهود قتل شديد وسبي وتشريد ، وازدهرت إيلياء في عهد **قسطنطين** ، وكانت والدته نصرانية ورعة . وقد شيد **قسطنطين** كنيسة القيامة وهدمت هيلانة كل المعابد اليهودية نهائياً . وفي عام ٥٢٧ ق. م. ، قام الملك ستيانيان بانشاء عدد من الكنائس ولا سيما كنيسة العذراء ، في موضع المسجد الأقصى الحالي ، وفي أيامه ثار اليهود والسمرية فقمع ثورتهم . ولكن ضعف ملوك **بيزنطة** ، أدى إلى اجتياح الفرس للبلاد فاحتلوا إيلياء سنة ٦١٤ م. ، وذبحوا ألف مسيحي وهدموا كنيسة القيامة واشترك اليهود بالعملية ، وقتلوا الكثير من النصارى ، ولكن **هرقل** استرد القدس في ٦٢٩/٤/١٤ م. ، واسترد الصليب من الفرس .

## القدس الإسلامية

١٥ هـ ، أو ٦٣٦ م. ، على أثر معركة اليرموك المظفرة ، وقعت معركة اجنادين ، التي انتصر فيها المسلمون أيضاً وانهمز الأوطيون ولجأ إلى القدس ونحصر بها فخره أبو عبيدة ، موقتاً ، وراح يفتح مدن فلسطين الأخرى ، مثل غزة ويافا ونابلس وعمواس ويافا ورفع ، وتلقى الرسالة التالية من الخليفة عمر :  
« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة : أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه . فقد وصلني كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك والسلام . »

ويؤكد ذلك أن الملك داوود لما أراد أن ينشئ الهيكل في أورشليم ، كما رأينا ، اضطر لشراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من أدونة اليبوسي ، وعاش اليهود أقلية بينهم حتى تم سبيهم إلى بابل في عهد الكلدانيين .

## القدس .. وبنو إسرائيل

سنة ١٠٤٩ ق. م. ، بعد انتقال موسى عليه السلام لجوار ربه وعلى أثر انقضاء ٤٠ سنة في صحراء النيه ، تولى قيادة بني إسرائيل **يشوع بن نون** ، فعبر بهم الأردن سنة ١١٨٩ م. ، واحتل أريحا فدخلها دكاً ، بعد أن أباد سكانها عن بكرة أبيهم ، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء على يوبس التي لم تسقط إلا بعد ظهور النبي داوود ملكاً على بني إسرائيل سنة ١٠٤٩ ق. م. ، فزحف من حبرون بجيش يضم ثلاثين ألف مقاتل . وسقطت المدينة بعد أن استولى ابن أخته يوباب على عين روجل المورد الرئيسي لأهل المدينة ، وعلى أثر ذلك اقتبس العبرانيون مدينة اليبوسيين ، وأخذوا يكتسبون بالأقشة الصوفية ، وخلصوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وأخذ داوود أورشليم عاصمة له وبني قصره الملكي فيها . ثم حكم سلیمان من بعد أبيه مدة أربعين سنة بين ٩٦٣ - ٩٢٣ قبل الميلاد . وبني سلیمان الهيكل سنة ١٠٠٧ ق. م. ، واستغرق بناؤه سبع سنوات ، بإيدي البنانيين والمعماريين من الكنعانيين ، وكلمة هيكل ذاتها كنعانية . وقد دمر وأحرق هذا الهيكل عدة مرات في التاريخ ولا وجود له في الوقت الحاضر ، رغم كل المحاولات التي جرت للعثور على بقاياها . وهكذا لم تدم دولة اليهود سوى فترة قصيرة امتدت من سنة ١٠٢٠ إلى سنة ٩٢٣ ق. م. ، أي أقل من قرن من الزمن أي نفس الفترة التي حكم فيها الصليبيون بعد ألفي عام .

## القدس والفرعنة

وقد حكم مملكة يهوذا تسعة عشر ملكاً . واستغل تيشنق فرعون مصر ، خلافاً وقع بين ولدي سلیمان ، فزحف على أورشليم واحتلها سنة ٩٧٠ ق. م. ، وعاد إلى مصر بعد أن نهب خزائنها كغنائم حرب . وكانت فترة حكم العبرانيين للقدس مشحونة بالدسائس والمكائد . ثم تعرضت إلى غزو شامي في عهد الملك **بحداد الأول** ، وكان ذلك حوالي سنة ٨٣٩ - ٨٤٣ ق. م. .

## القدس وآشور

من المؤكد أن أقدم غزو تعرضت له الأرض المقدسة في الشمال بعد الانقسام الذي وقع عام ٩٢٢ ق. م. ، كان على يد الآشوريين . فقد حاول الملك شلمنصر القضاء على يهود السامرة ، منطقة نابلس ، ولكنه مات قبل أن تستسلم له . وقد أعلن ملك إسرائيل خضوعه التام للفتحين بتقديم الهدايا الثمينة لهم والجزية . وحاول **هوشع ابن إيله** ، آخر ملك إسرائيل ( ٧٣٣ - ٧٢٢ ق. م. ) ، أن يستعين بفرعنة مصر ضد الآشوريين فزحف هؤلاء على السامرة وتمكن سرجون سنة ٧٢٢ ق. م. ، بعد حصار استمر ثلاث سنوات أن يدك أسوارها وسبى نخبة أهلها وأرسلهم إلى بلاده . وقدر عدد السبي بحوالي ٢٧٣٠٠ نسمة ، ثم ارتحلوا عنها ، وعادوا واحتلوا مرة ثانية ، واعتقلوا ملكها منسبه وأرسلوه إلى بلادهم مصغداً بالأغلال سنة ٦٧٨ ق. م. ، لكنهم عادوا فأطلقوا سراحه فعاد إلى أورشليم وبني سورها الثاني .

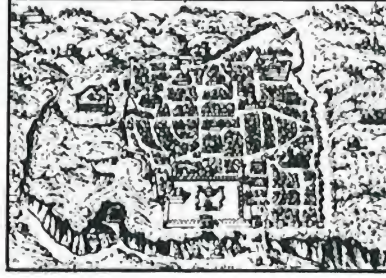
## القدس والكلدان

سنة ٥٩٩ ق. م. ، راح البابليون من جهة والمصريون من جهة أخرى ، يتنازعون على السيطرة على أورشليم . فسلم حاكمها **يهوياقيم** مملكته لتبوخذ نصر ، بما في ذلك المدينة سنة ٥٩٩ ق. م. ، وعاش عبداً له ، ومن ثم ثمر فنفاه مع ابنه ووجهاء قومه إلى بابل وبلغ عددهم ٨٠٠٠ نسمة ، مكبلين بالحديد وسمي هذا السبي الأول . وبعد فترة ثمر الملك صدقيا على البابليين فحاصرها نبوخذ نصر واحتلها عام ٥٨٧ ق. م. ، فدمرها وأحرق الهيكل وسلب الخزان ونقلها إلى بابل وأخذ من أهلها ٤٠٠٠٠ أسير ساقهم مقيدين بالأصفاد إلى بابل . أما الملك وأتباعه ، فقد نقبوا السور وهربوا فلحق بهم الكلدان وأتوا به إلى نبوخذ نصر فقتل أبناءه جميعاً أمامه ، ثم سملت عيناه واقتاده إلى بابل .





حفر على عظم التمساح يبين سقوط القدس في أيدي الرومان



خارطة للقدس وضعت في القرن السادس عشر وهي أول خارطة تبين الطبوغرافية الصحيحة للمدينة



خطة لتطوير القدس أيام العثمانيين

ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية ، كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم - أي أهل إيلياء - فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويغلي بيعه وصلبه فإنه آمن على نفسه وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا أمانهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصاده ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة (أي ٦٣٦ م) .

وبعد أن تبادل الفريقان العهد والائمان دخل الخليفة القدس فاستقبله صفرونيوس بطريرك الروم ودخل من ورائه المسلمون مهللين مكبرين ، وذكر أن من دخل منهم يومئذ أربعة آلاف ، وكانوا متقلدين سيفوهم ، ثم زار الخليفة عمر بن الخطاب كنيسة القيامة ، ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فأشار عليه البطريرك أن يصلي حيث هو ، فامتنع وصلى خارجها ، كي لا يتحول مكان صلاته مسجداً للمسلمين فيما بعد .

ثم زار مكان الصخرة فوجده عبارة عن مستودع للقمامة ، فراح ينظفها ويجعل بردائه الأوساخ وعمل سائر المسلمين مثله إلى أن تم تنظيفها تماماً . وبعد إقامة استغرقت عشرة أيام في جبل المكبر قرب بيت المقدس ، عاد عمر بن الخطاب إلى عاصمته بعد إعطاء أهل إيلياء عهداً جاء فيه ما يلي :

« هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة إيلياء .. إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذراينا وأموالنا وأهل ملتنا . وشرطنا لكم أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيها حوهاً ديراً ولا كنيسة ولا قلاية (مسكن الأسقف) ، ولا صومعة رهب ، ولا نجس منها ما كان في خطط المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا أن يتزها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار . وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل . وأن ننزل من ممر من المسلمين ثلاث ليال نطمعهم ولا نوارى في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكم غشاً

ولما ذهب أبو عبيدة محاصرة القدس ، ووصل إلى الأردن بعث الرسل إلى القدس مع

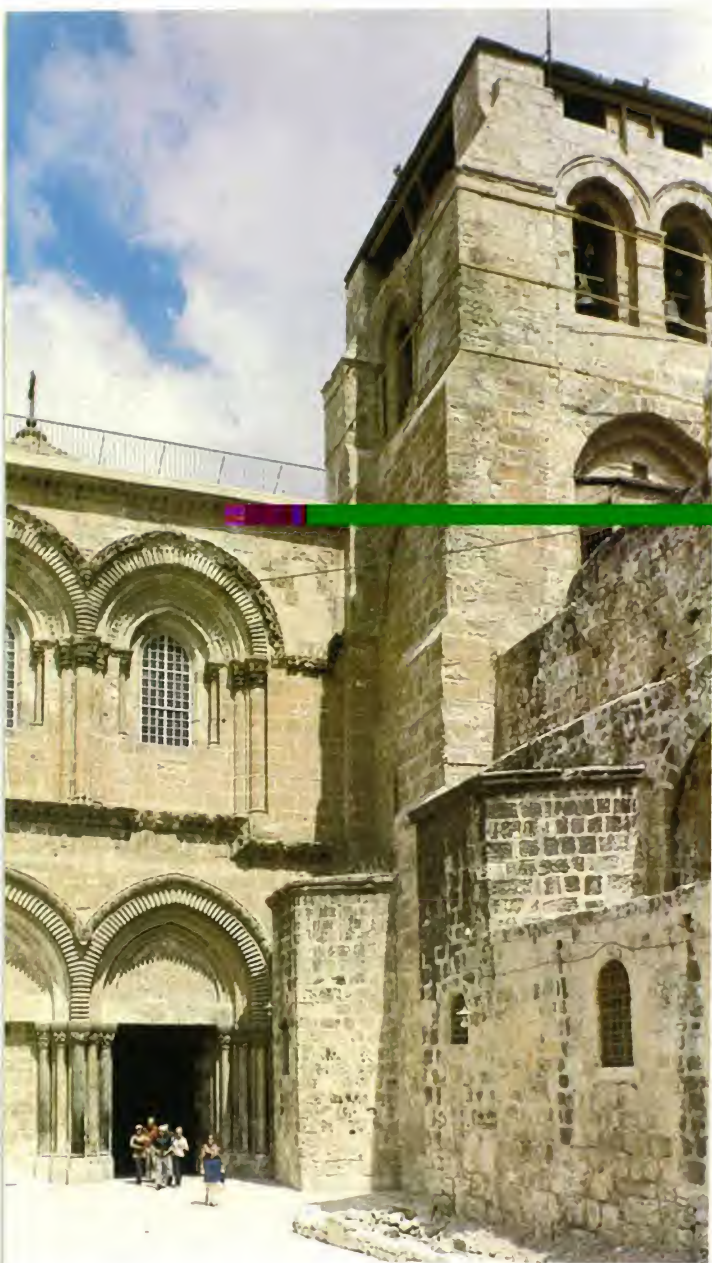
الإنذار التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد : فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرايكم ، وكنتم لنا إخواناً ، وإن أبيتم فاقروا لنا بالجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإن أنتم أبيتم سرت إليكم يقوم هم أشد حياً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير . ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذرايكم » .

وتقدم جيش المسلمين محاصرة إيلياء ، وكان أول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن ، فلقاهم الروم بالنبال ، ثم جاء الآخرون ونشبت معارك متعددة ، وفي اليوم الحادي عشر أشرفت راية « أبي عبيدة » وفي رفته عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، فاستقبلهم المسلمون بالتهليل والتكبير ، ودام الحصار أربعة أشهر ولم يمر يوم دون قتال إلى أن قنط السكان وحل بهم الضنك والجوع . ونزل أهل إيلياء على شروط القائد المسلم ولكنهم اشترطوا أن يتولى العقد الخليفة بنفسه . وأمر جندته بالكف عن القتال . ثم أرسل أبو عبيدة يبلغه بالأمر . وبعد أن استشار الخليفة عمر بن الخطاب أهل الحل والعقد من المسلمين غادر المدينة المنورة مبيناً بيت المقدس . ولما وصل إلى معسكر المسلمين على مقربة من السور ، وفي قول على جبل الزيتون بالقدس ، استقبله المسلمون بجليلهم ورماحهم وقد اصطفوا راكبين خيولهم متقلدين سيفوهم يهلمون ويكبرون . وكان الخليفة على قلوبهم ولم يكن معه سوى خادمه . وبعد أن استراح قليلاً ، قص عليه أبو عبيدة الخبر اليقين عما جرى منذ أن افترقا . فأمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك صفرونيوس بقدمه ففعلوا . وجاء البطريرك في الحال حاملاً الصليب ومن ورائه القساوسة والشمامسة والرهبان حاملين الصليبان ، ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقاءهم وقبلوا بشروط التسليم وكتب لهم وثيقة الأمان التالية التي اشتهرت بالعهد العمري :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبانهم . وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ،





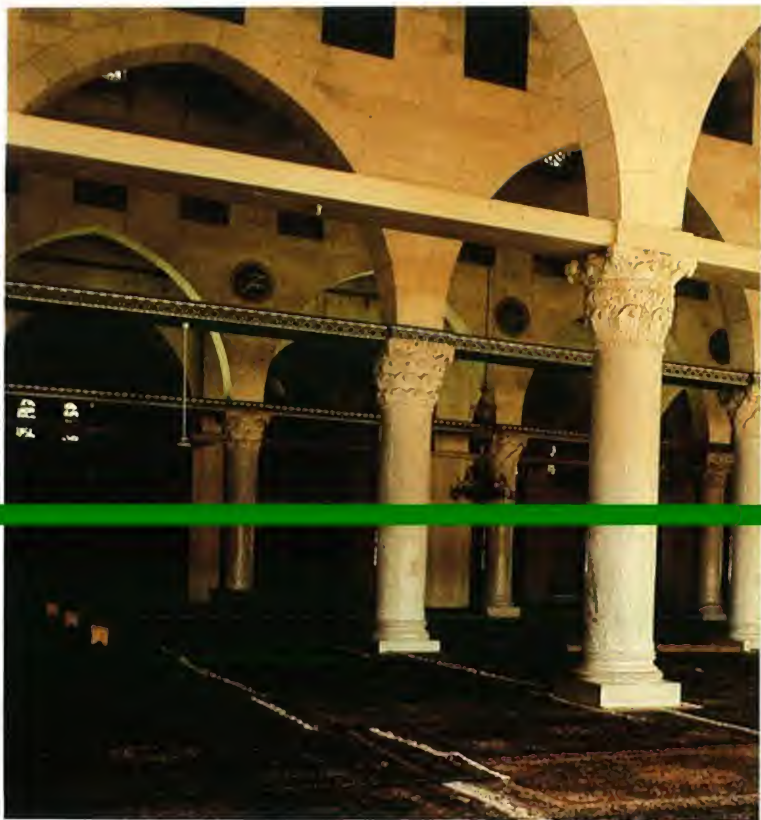
★ كنيسة القيامة ★

للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر مشركاً ، ولا ندعو إليه أحداً ، ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام ، إن أراده وأن نوفر المسلمين ونقدم لهم من مجلسنا إذا أرادوا الجلوس ولا ننشبه في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا ننكح بكنائهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر ، وأن نجز مقدم رؤوسنا ، وأن نلزم زينا حيث كنا ، وأن نشد زنا نير على أوساطنا ولا نظهر الصلب على كنايسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا في كنايسنا إلا ضرباً خفيفاً ، ولا نرفع أصواتنا على موتانا ، ولا نتخذ الرقيق مما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم .

وضمت القدس إلى الشام في العصر الأموي ، وأصبحت مع سائر فلسطين جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية ، وفي عهد الخليفة عبد الله بن مروان ، تم بناء المسجدين ، قبة الصخرة والمسجد الأقصى .

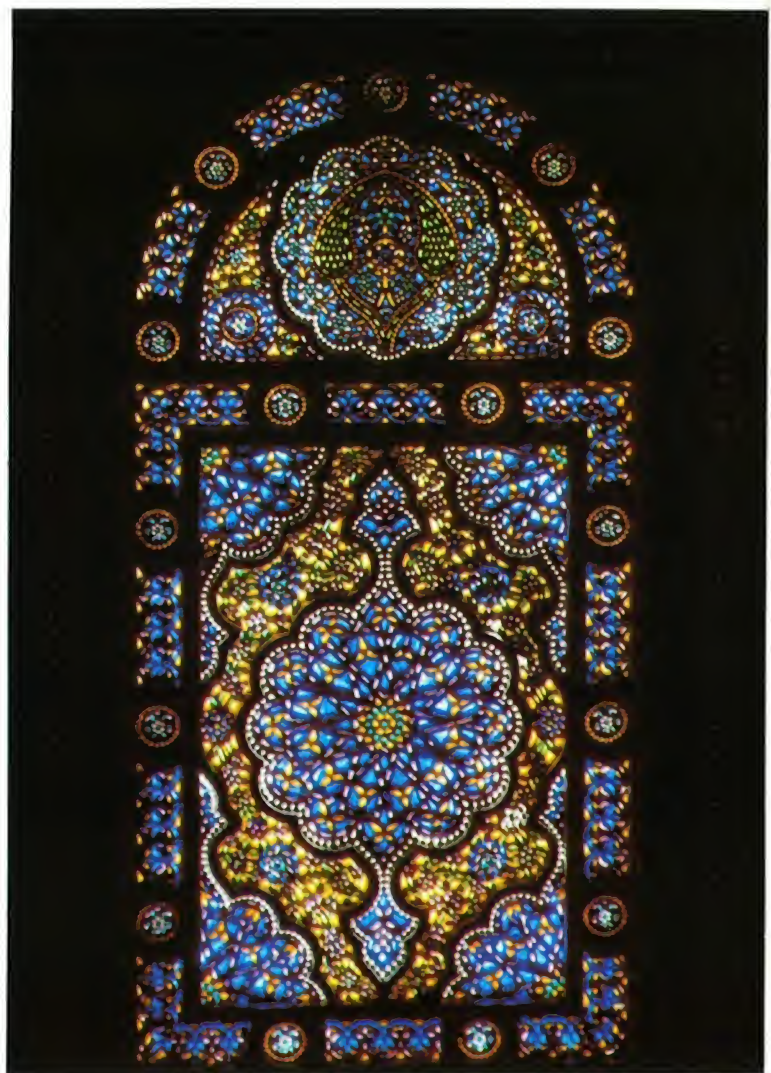
#### القدس في العصر العباسي

٧٥٠ م ، قصد أبو جعفر المنصور بيت المقدس ، وكان المسجد الأقصى معلماً



★ أروقة المسجد الأقصى ★

★ إحدى نوافذ المسجد الأقصى ★







★ منظر عام لمدينة القدس ، مأخوذ من جنوب سور المسجد الأقصى ، وقد هدم اليهود جميع الأبنية الرائعة في الجانب الغربي من سور المسجد ، واتخذوه مكناً لهم ، وهذا القسم من السور ، هو حائط البراق ★

مشهورة بزيتونها وزيتونها وصابونها ونينها وقطنها وعنبها وزبيبها وتفاحها وخروبها . ولكنها كانت تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد الرملة ، وفي هذا العصر يصف المقدسي هذه المدينة ويعدد أبوابها ويأخذ على حماماتها قلة النظافة لشح الماء . وزارها ناصر خسرو عام ١٠٤٧م ، فكتب في سفرنامه يقول : «مدينة القدس مزروعة زرعاً جيداً ينبت فيها القمح والتين والزيتون ، كما ينبت فيها أنواع كثيرة من الأشجار ، أسعارها معتدلة ، وزيتها كثير ، وكثيراً ما يملك الواحد من رؤسائها ٥٠٠٠٠ من زيت الزيتون ، ويحفظ الزيت في الآبار والأحواض ، ويصدر إلى خارج البلاد ، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار لحفظها من الديدان ويستعمله العطارون من أجل صيانة العقاقير من الحشرات ، ويحيط بالمدينة سور منيع مبني بالحجارة وللور أبواب من حديد ، ويقطن بين سكانها كثير من الصناع ولكل صنعة سوق خاصة بها » .

#### القدس والأثرية السلامية

في عام ٤٦١هـ (١٠٧٢م) ، استولى على القدس اليب أرسلان وانتزعها من

مجلة الفيصل - ص ٤٣

بتأثير زلزال عام ٧٤٧م ، فعمل على عمارته عام ٧٧١م ، وتخرب بزلزال ثان عام ٧٧٤م ، فأمر المهدي بن المنصور بتجديد عمارته سنة ٧٨٠م ، وفي عام ٨٧٠م ، زار القدس العالم المعروف برنارد الحكيم ، بعد أن نال موافقة البابا في روما فكتب : «إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام ، وأن الأمن العام مستتب للغاية ، حتى أن المسافرين ليلاً يفرض عليه أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته ، وإلا رُج في السجن حتى يحقق في أمره ، وإذا سافرت من بلد إلى بلد ونفق جلي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها ، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد » .

وفي ٨٧٨م ، حكم القدس الطولونيون ، ثم آلت إلى الأخشيديين في ٩٣٨م ، وزارها أحد الرحالة فكتب يقول : «إنه كان في القدس يومئذ ٢٠,٠٠٠ نسمة ، وإن فيها أسواقاً جبلية وعالية وإن أرضها مرصوفة بالحجارة ، وإنه يوجد على حافة سهل معروف بالساهرة مدافن كبيرة فيها مقابر كثيرة من الصالحين » .

وفي ٩٦٦م ، استولى جوهر الصقلي ، قائد المعز الفاطمي على هذه البلاد ، وكانت

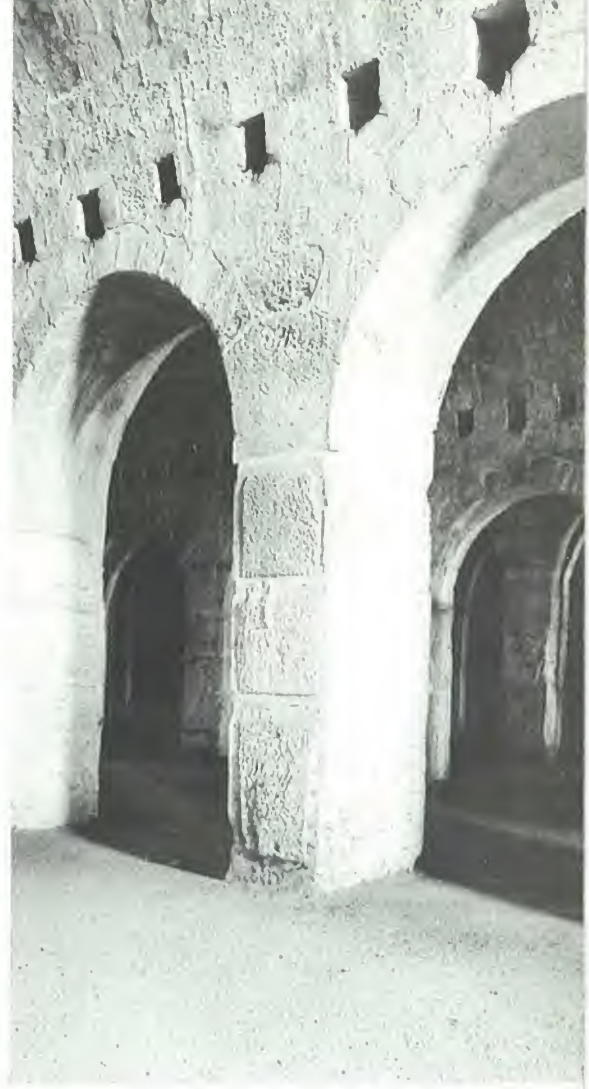




★ لوحة  
تصور حصار الرومان  
لمدينة القدس ★



★ الحلفاء في القدس . في الوسط الجنرال اللنبي ، وعلى يمينه الكولونيل بيبان قائد الفرقة الفرنسية في فلسطين وسورية وعلى يساره ضابط إيطالي كبير ، ثم جورج بيكو سفير فرنسا ، ويقوم الجنرال جراتيل ياشا حداد بالترجمة وفي مقدمة الصورة وجهاء القدس ★



★ منظر من داخل المسجد الأقصى ★

في حين سمحت السلام العديدة الأخرى لأنواع الجنود الفرنجة باقتحام السور من كل أطرافه . وعندما لم يعد بمقدور المدافعين الاستمرار في القتال ، فلجأوا للمسجد الأقصى واضطروا للاستسلام بعد معركة ضارية ، في ١٥/٧/١٠٩٩ م ، في الساعة الثالثة بعد الظهر ، وفي نفس الوقت كان تانكرد يحتل قبة الصخرة ، حيث وجد الأهالي المدنيين ملجئاً إليها . ويذكر مؤرخو الفرنجة أن تانكرد وضعهم تحت حماية رايته ، التي نصبها فوق القبة ، ولكن أفواج الفرنجة قامت ليلاً بذبح كل الأسرى من مدنيين وعسكريين ، وتعتبر هذه من أكبر المذابح في التاريخ ، إذ قدر مجموع من قتل في حرم المسجد الأقصى سبعين ألفاً ، مثلما أحرقوا معبد اليهود بمن فيه منهم ، وتوجوا غودفروا ملكاً على مملكة القدس الممتدة من بيروت حتى العقبة ، حيث أوجدوا أسطولاً بالبحر الأحمر ، وكانت تجبى الأتاوات من القوافل الذاهبة إلى الحجاز .

وأصبحت القدس عاصمة مملكة صليبية لمدة ثمان وثمانين سنة ، إلى أن دقت ساعة الخلاص في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وكان صلاح الدين من المخلصين للإسلام ، إذ استطاع بعد القضاء على خلافة الفاطميين المتهالكة ، وإعادة الخطبة لبني العباس أن يكرس كل جهوده للكفاح ضد الفرنجة . وعاشت القدس ملحمتها الرائعة على

الفاطميين . ولما ثار أهلها على نائبهم القائد أقسز بن أوحد الخوارزمي ، وقتل أهلها حتى الذين احتموا بالمسجد الأقصى ، وفي ١٠٧٧ م ، آلت إلى الأرمن التركمان . وفي ١٠٩٨ م ، استردها الفاطميون بقيادة الأفضل ، بعد أن حاصرها وانزعها من حاكمها الكمانبي . ولكن هذا لم يدم طويلاً إذ استولى عليها الصليبيون بعد عام واحد .

### القدس .. والصليبيون

في تاريخ ١٠٩٩/٦/٧ م ، ظهرت جحافل الفرنجة فجأة أمام أسوار القدس ، وكان عدد المدافعين عنها ٤٠,٠٠٠ رجل ، ونشبت معارك رهيبية بالسلاح الأبيض ، وكان على رأس المهاجمين غودفروا دوبويون ، أمير اللورين والسكونت روبرت أمير نورمانديا ، وروبرت أمير الفلاندر ، وتانكرد أمير طولوز والسكونت سنان جيل ، (صنجيل) وغيرهم كثير . وفي سبيل احتلال المدينة صنع الفرنجة سلاماً هائلة وأبراجاً خشبية متحركة استطاعوا بواسطتها الاشراف على الأسوار . وكانت أولى هجماتهم عقيمة ، لأن الحامية الفاطمية كانت تستعمل النار الإغريقية بشكل كثيف أحرقت سلامهم وأبراجهم ، وعندها لجأ القائد غودفروا إلى تغطية برجه بجلود حيوانات مسلوخة حديثاً لوقاية الأعمدة الخشبية من الحريق . فاستطاع أن يمد جسراً على السور واقتحمه مع أخيه ،





★ القدس من الجو ★



★ رسم لمدينة القدس قبل ثلاثمائة عام تقريباً ★



★ رسم من القرن الخامس عشر يمثل حصار القدس على أيدي الصليبيين ★



★ باب دمشق ، أحد أبواب المدينة السبعة ★

نور الدين بصنعه في حلب .  
وأضاف صلاح الدين وأسرته الأيوبية العديد من الأبنية في القدس ،  
هذا عدا ترميم الأبواب والصور والأدراج الحجرية وشيد في المدينة الخانات  
الصلاحية ، ومدارس ومساجد وبرك مياه .

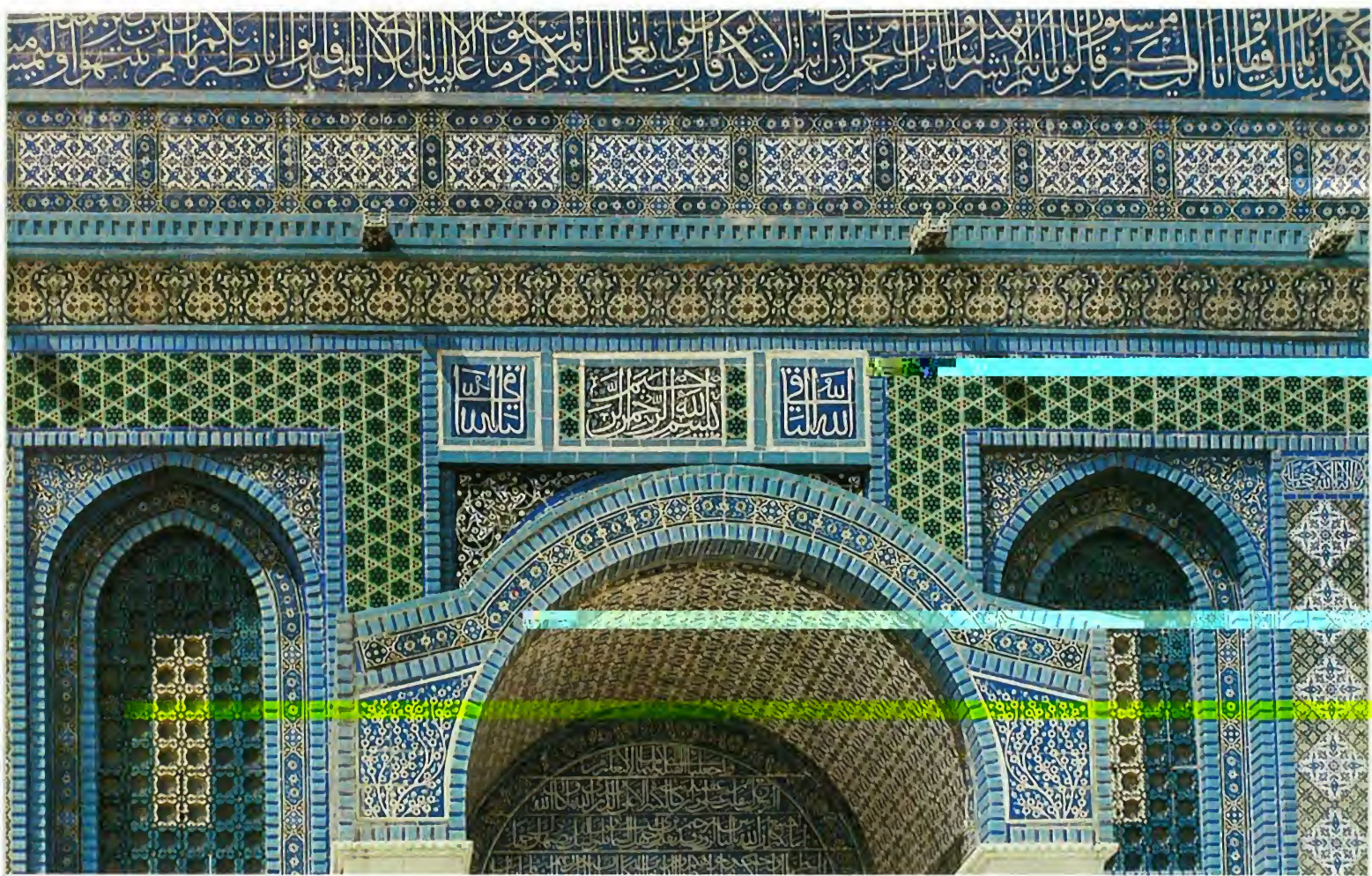
ولكن عقد الصليبيون في عام ١٢٢٨ م ، هدنة مع الملك الكامل مدتها ١٠ سنوات  
وخمسة أشهر وأربعون يوماً ، سمحت للإمبراطور فريديريك باسترداد القدس من  
المسلمين ، على أن يظل المسجد وقبة الصخرة بأيديهم وعلى ألا يحصنوا  
المدينة ، وفي عام ١٢٣٩ م ، هاجمها الناصر داوود واستردها بعد حصار دام مدة  
ثلاثة أسابيع ، واستغل الفرنجة خلافاً وقع بين أهل مصر والشام فاحتلوا القدس ،  
واستنجد أهل مصر بالخوارزمية الأتراك ، فاحتلوها وقتلوا من الفرنجة أكثر من ثلاثين ألفاً ،  
وحاول لويس التاسع احتلال القدس ولكن دون طائل .

وآلت القدس سنة ١٢٥٠ م ، للهالك فأكثروا فيها المدارس ،  
والرباطات ، مثل دار الحديث على طريق باب السلسلة ، والمدرسة  
الأباصيرية ورباط قلاوون والمسجد القلندري والكبكية ورباط الكرد  
والمدرسة الداوودية والوجيهية والموصلية والأرغونية الخ .

أثر استردادها على أيدي الجيوش الإسلامية عام ١١٨٩ م ، وأحب صلاح الدين تجنب  
المدينة المقدسة ويلات الحصار ، ولكن الفرنجة رفضوا التسليم فأمر صلاح الدين بالهجوم  
المدموم باثني عشر متجنحاً . ففتحت ثغرة في السور ، وعندها قبل الفرنجة بالتفاوض  
وراحوا يدفعون جزية خفيفة فردية ، وكان عدد المدافعين عن القدس (٦٠) ألف  
مقاتل ، وكان يوم الفتح هو ٢٧ رجب ، أي ليلة ذكرى المعراج ، من عام ٥٨٣ هـ ،  
(١١٨٧/١٠/٢ م) .

ويعترف كل المؤرخين اللاتين بما لاقاه الأسرى الفرنجة من نبل صلاح  
الدين الأيوبي وشهامته ، فما إن دخل جنوده المدينة ، حتى جعل السطرق  
الرئيسية بأيدي رجاله التقاة لحماية النصارى من أية معاملة قاسية ، فحرر  
الفقراء والعاجزين عن دفع الفدية وترك الأديرة والكنائس النصرانية  
سليمة . وعندما طلب منه أحد رجال الهاشية تدمير كنيسة القيامة قال :  
لنحذو حذو أوائل الفاتحين المسلمين الذين احترموا الكنائس . وقد اقتدى  
١٠٠٠٠ أسير ، من جيبه الخاص ، واقتدى أخوه ٧٠٠٠ شخص ، وأخذ أمناؤه عشرة  
دنائير عن كل رجل و ٥ دنائير عن كل امرأة ودنائراً واحداً عن كل طفل ، ثم قصد  
مسجدي الصخرة والأقصى وأزال ما بهما من آثار صليبية ، ونقل للأقصى المنبر الذي أمر





★ زخارف توضح جمال الفن الإسلامي ★

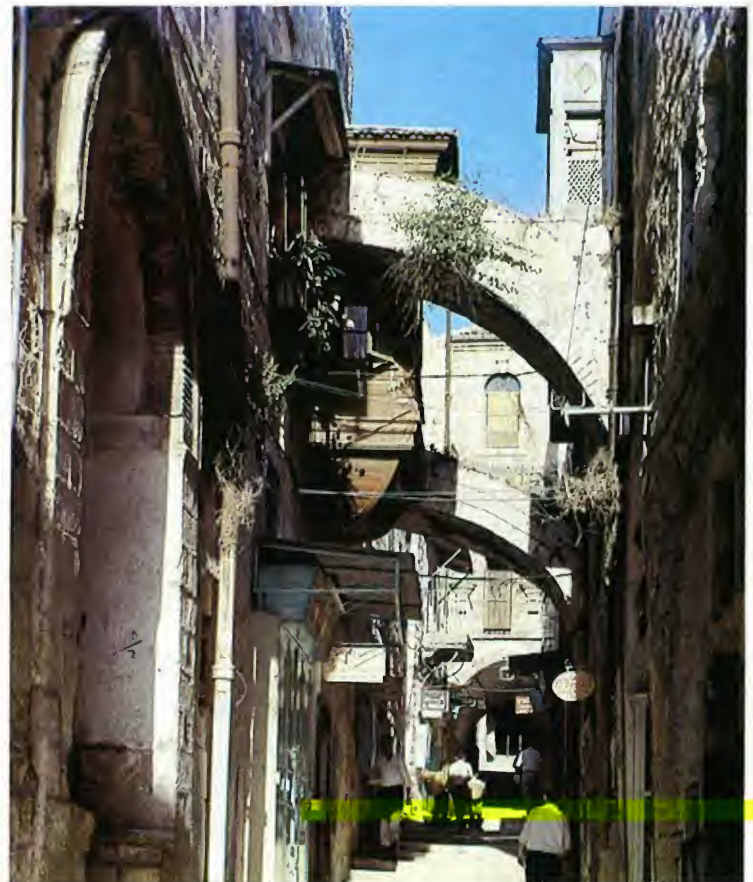
★ المدينة القديمة ★

### القدس في العهد المماليكي (١٥١٧ - ١٩١٧ م)

بعد معركة مرج دابق، زار السلطان سليم مدينة القدس ونالت منه ومن خلفائه السلاطين كل رعاية. أما ابنه سليمان القانوني، فقد جدد بناء السور وزوده بأبواب عالية. وزين السلاطين من بعده الحرم الشريف بقساطل جديدة للمياه وآبار وأبنية صغيرة على شكل قباب، ومحاريب، مثل محراب محمد بك سنة ١٥٣٨ م، ومحراب علي باشا سنة ١٦٣٧ م، وفتحوا أبواباً جديدة في سور الحرم، وتابعوا أعمال إصلاح أعمدة القناطر ومنبر الساحة ومنبر برهان الدين.

هذا كما كانت قبة الصخرة موضع عنايتهم والبهيم ينسب تجديد الزجاج الملون في ٣٦ نافذة في أول مئذنة تحت القبة، كما جعلوا بداخلها نماذج هندسية تشبه الزهور. ولا سيما كسوة البناء بالقيشاني البديع سنة ١٥٥٠ م، وهناك كتابات تشهد على أعمال إصلاح في المسجد الأقصى تعود لعامي ١٨١٧ و١٨١٨ م.

وبنى سليمان الأول في المدينة جامعاً سنة ١٥٢٤ م، وزوده بعدة موارد للماء، مثلما رسم القلعة سنة ١٥٣١ م، وأحسن وصف للقدس في العهد الثاني، نجده عند أوليا جلبي، الذي زارها سنة ١٦٧٠ م، فامتدح خبزها وثمارها وخضارها، ويبدو أنها كانت تشتهر يومئذ بمسكها وبعطرها وبباخرها النحاسية، وكان فيها ٢٠٤٥ دكاناً، و٦٠ محلات كبيرة، ومعتب وأسواق، و٤٣٠٠٠ كرم، وقدر عدد المناظر في هذه الكروم زهاء ١٥٠٠ منظر. وكان يسكن القدس ٤٦٠٠٠ نسمة، أكثرها عرب مسلمون وكان فيها كنيسة للأرمن، و٣ كنائس للروم وكنيسة لليهود، و٢٤٠ محراباً للصلاة، و٧ دور للحديث و١٠ دور لتعليم القرآن الكريم وتخفيفه، و٤٠ مدرسة للبنين و٦ حمامات و١٨ سبيلاً للماء، وتكايا لسبعين طريقة منها







★ عفرد داخل قبة الصخرة ★

### القدس .. والألمانيون

بعد أربعة قرون من حكم الخلافة العثمانية الإسلامية، احتل الإنجليز مدينة القدس، بقيادة الجنرال اللنبي، الذي كان تحت امرته مائة ألف مقاتل، وذلك بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩١٧م، ولكن قبل شهر ونيف من ذلك كان اللور روتشيلد ينتزع من بلفور وزير الخارجية البريطانية وعده المشؤوم : «سرني جداً أن أبلغكم، بالنيابة عن حكومة جلالتهم التي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته : «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤق بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى» .

وفي نفس اليوم الذي دخل فيه اللنبي مع مفارز فرنسية وإيطالية من القسطنطينية المحتلة به دعيت الشخصيات المسؤولة في القدس بموجب بطاقات خاصة، وهم رؤساء الطوائف والمجلس البلدي والوجهاء والأعيان وكبار الموظفين وعملي القرى، للاجتماع في الساحة الواقعة بين القلعة والفشلة قرب باب الخليل بالقدس لاستقبال الجنرال والسلام عليه والاستماع إلى خطاب يلقيه من فوق منصة أقيمت له أمام مدخل القلعة الرئيسي. فلما وصل موكب الجنرال إلى الساحة انطلقت الأصفار بصفيق كان له هدر عميق، وترجل اللنبي ورهطه عن خيولهم، وصافح مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني وطاركة النصارى وحاخام اليهود. وبعد أن لوح بيده إلى جهود المجتمعين صعد إلى المنصة وأخذ يلقي خطابه، وكان الجنرال جبرائيل باشا حداد يترجمه إلى اللغة العربية. وبعد أن أخذ المستمعون يصفقون له بعد كل فقرة، توقفوا فجأة

### الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية .

وقد تخللت فترة الحكم العثماني، الممتدة على أربعة قرون كاملة عشرة أعوام، حكم فيها إبراهيم باشا المصري، أي بين ١٨٣١ - ١٨٤١م، وكانت فترة ثورات عليه بسبب نظام التجنيد الإجباري. وفي عهده أنشئ طاحون الهواء، وهو أول طاحون يطحن فيه المقدسيون لمجهم (١٨٣٩م)، وبنيت الزاوية الإبراهيمية إلى الشمال من ضريح النبي داود على جبل صهيون. وقد رفض إبراهيم عرض مونتيفيوري اليهودي الانكليزي في ١٨٣٦م، الذي حاول عبثاً استئجار أرض مساحتها ٥٠ فدانا ٢٠٠ قرية من قرى فلسطين لمدة ٥٠ عاماً.

وبعد عودة العثمانيين للقدس استأنفوا اهتمامهم بها فأنفق السلطان محمود الثاني ٢٠٠٠٠ ليرة تركية، سنة ١٨٦٠م، على عمارة الحرم القدسي. وفي عهد السلطان عبد الحميد صدر قانون عام ١٨٨٢م، الذي يحرم هجرة اليهود وشراء الأراضي في فلسطين، ولا سوا القدس، ولكن سمح لهم بزيارة لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وفي عام ١٨٩٢م، ربطت القدس ببيافا بخط حديدي ضيق وأنشئت المدرسة الرشيدية، تجاه السور عند باب الساهرة عام ١٩٠٦م، وزار القدس في عهده إمبراطور ألمانيا غليوم سنة ١٨٩٨م، ففتحوا له ثغرة في السور بجانب باب الخليل واستفحل التنافس بين الدول الأوروبية بالقدس، ففتحت فيها قنصليات أجنبية عديدة.

واشتهرت القدس في العهد التركي بالزيت الجيد وصناعة العلب الخشبية والأدوات المدرسية والمصنوعات اليدوية من خشب الزيتون ومن الصدف ومن الشموع، وكان يصدر منها القمح إلى انكلترا وبعض البلدان الأوروبية، وكذلك السمسم والصابون وزيت الزيتون، وكانت تستورد بضائعها عن طريق مرسيليا وتريستا كالمنسوجات الصوفية والحريرية والزجاج والخشب والأثاث المنزلي.



وجرت معركة القدس في سنة ١٩٤٨ م ، التي انتهت بانتزاع القسم الأعظم من المدينة وبقاء المدينة العربية ، أي الواقعة ضمن السور مع بعض الأحياء الشمالية والجنوبية بيد العرب ومنطقة محرمة في الشمال الشرقي بإشراف الأمم المتحدة . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م ، احتل اليهود القدس الشرقية برمتها .

### سكان القدس

عندما تم فتح القدس على يد صلاح الدين سنة ١١٨٧ م ، لم يكن فيها من السكان سوى ٤٤٠٠٠ نسمة ، ويقول السائح اليهودي بتاحيا ، الذي زار القدس عام ١٢٠٠ م ، إنه لم يكن فيها يهودي واحد ، كما لم يجد السائح اليهودي موسى بن نجمان جيروندى بعد قرن كامل ، أي في ١٣٠٠ م ، سوى عائلتين يهوديتين لا غير .

وفي زمن السلطان محمد الرابع (١٦٧٠ م) ، كان عدد سكانها ٤٦٠٠٠ نسمة ، منهم ١٥٠ يهودياً فقط .

### أبنية القدس

تتألف القدس من قسمين هما : القدس القديمة ، التي يحيط بها السور الكبير القديم ، وهي التي تضم كل المقدسات ، الصخرة المشرفة ، والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، وتتصف بطراز عمراى شرقي كالشوارع الضيقة والمتعرجة والمسقوفة أحياناً ، أو التي تحتازها القناطر ، وفيها أسواق التجارة التقليدية والحرف الصغيرة ، وكانت مقسمة إلى أحياء حسب الطوائف الدينية أو القومية كالحي الأرمني والحي اليهودي .

أما القدس الجديدة ، فهي الواقعة خارج السور وتتميز بالعمارة الحديثة والأحياء الجديدة والشوارع المشجرة . وهي التي احتلتها أيدي اليهود في حرب عام ١٩٤٨ م . هذا وتحفل القدس القديمة بأبنية عديدة تتمتع بالتقديس لدى أبناء الديانات الثلاث ، ولها وضع لا مثيل له بين سائر المدن المقدسة في العالم . ففيها الحرم الشريف الذي يقوم فوق جبل موريا .

وفيه جمع داوود مواد بناء الهيكل الذي أقامه سليمان الحكيم ، وفيه ظهر السيد المسيح وقام بنشر تعاليمه ، وفيه قبة الصخرة المباركة .

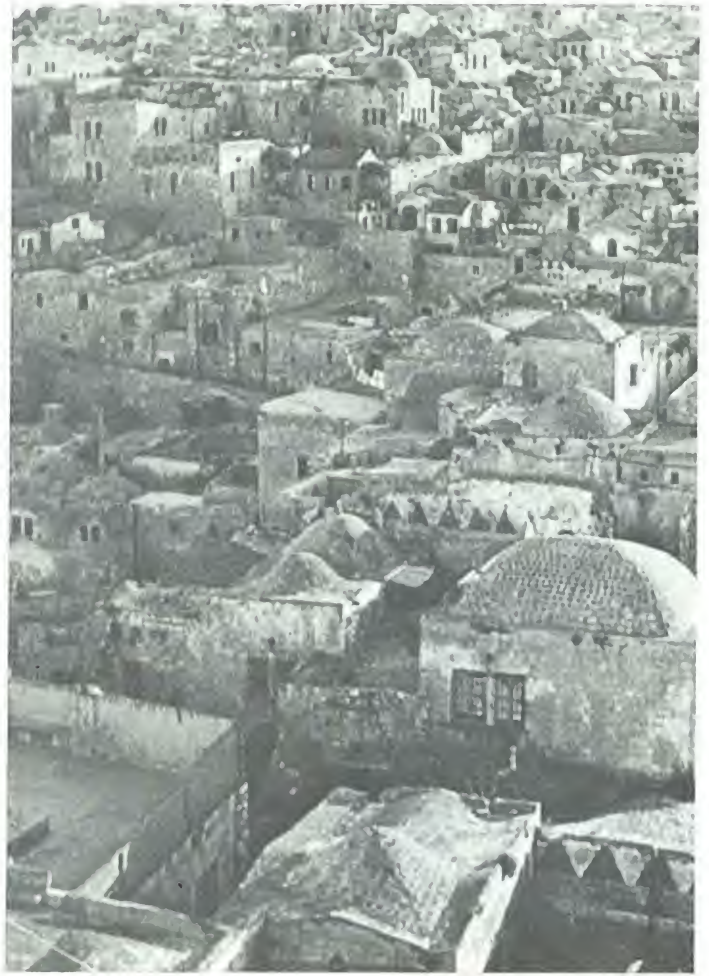
أما مسجد الصخرة ، فقد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، وبني للمسجد قبة جميلة ، أفرغت فيها روائع الجمال والهندسة والذوق العربي الإسلامي ، ممزوجة بشيء من الأنماط الفارسية والبيزنطية . ويعتبر المسجد من أجمل الآثار التي بقيت عبر التاريخ ، ويقع المسجد وسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحرم ، ويبلغ ارتفاع قبة ثلاثين متراً ، وهي أبرز ملامح مدينة القدس ، وتتألف من طابقين : العلوي مكسو بصفائح الرصاص واستبدل بعد ضربه بقتال اليهود عام ١٩٤٨ م ، بصفائح من الألمنيوم المذهب . والبناء مئمن الشكل طول كل ضلع ٢٠ متراً وارتفاعه ١٠ أمتار ، والقسم السفلي مصفح برقاق الرخام الأبيض الجميل ، وفوقه ترابيع بلاط القيشاني الأزرق . وكتبت عليه سورة يس بالأبيض ، وقد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني . وفي هذه الواجهات الثماني عدة نوافذ فيها الزجاج الملون . وتحت الصخرة تقع «مغارة الأنبياء» التي ينزل إليها بإحدى عشرة درجة ، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ومجموع نوافذه ٥٦ نافذة ويحوي ١٦ عموداً مختلفة الألوان .

ووصف قبة الصخرة العالم الأثري فان برشم بقوله : «لعل روعتها وجمالها يعودان لما في تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق ... حقاً إنها مفخرة العمارة الإسلامية» ، وقال عنها غوستاف لوبون : «إنه أعظم بناء يستوقف النظر ، إن جماله وروعته لا يصل إليه خيال الإنسان» .

وقد شرع ببناء المسجد الأقصى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولكن البناء لم يتم إلا في أيام ابنه الخليفة الوليد ، وكانت أبوابه أيام الأمويين مكسية بصفائح الذهب والفضة . ويبلغ طول المسجد ٨٠ م ، وعرضه ٥٥ م ، وهو قائم على ٢٣ عموداً من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة ، وللمسجد أحد عشر باباً ، سبعة منها إلى الشمال .

وكان في المسجد الأقصى منبر فخم صنع في حلب . وقد أمر صلاح الدين بنقله من حلب على إثر استعادة القدس .

وقد أحرق المنبر وجزء هام من المسجد الأقصى ، في صيف عام ١٩٦٩ م ، (شهر



★ منظر عام للقدس القديمة ★

عن التصفيق ولما أنهى خطابه ساد هرج ومرج ، وانسحب مفتي القدس غاضباً دون أن يصافح الجنرال وتبعه الكثير من الحضور عندما نفوه بقوله : «الآن انتهت الحروب الصليبية» ، والذي رد عليه الشاعر شوقي بقصيدة يقول فيها :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية

ليس الصليب حديداً كان بل خشباً

وتلفظ الجنرال غورو الفرنسي بعد ثلاثة أعوام ، بنفس القول تقريباً عند وقوفه عند قبر صلاح الدين الأيوبي ، وضربه الضريح بالسيف «أنا من أحفاد غودفروا دو بويون ، فأين أحفادك يا صلاح الدين؟» .

وكانت فترة الانتداب البريطاني التي استمرت ثلاثين عاماً ، أي حتى ١٩٤٧ م ، عبارة عن فترة اضطرابات ابتدأت بالأحكام العرفية التي فرضها للنبي ، ومن ثم بتعيين أول مندوب سام على فلسطين هو هربرت صموئيل الصهيوني الإنكليزي ، الذي صرح بالعبارة التالية أمعناً في هانة العرب فقال : «أخطأ من قال إن العرب هم أبناء الصحراء ، إنهم أبأؤها» ، أي يزعم حسب قوله أن العرب هم الذين يخلفوا الصحاري وراءهم حينما حلوا .

وفي ١٩١٩/٢/١٢ م ، حدثت صدامات بين العرب واليهود في يافا وسقط العديد من القتلى وتلتها اعتداءات على المقدسات الإسلامية في القدس ، وبلغت الحوادث أوجها في اضراب عام ١٩٣٦ م ، الذي استمر ١٦٧ يوماً ، وبلغت ضحاياه ١٩٣ شهيداً من العرب عدا الجرحى . واستفحلت عملية انتزاع الأراضي الزراعية من أصحابها العرب . وتعاقبت اللجان للثور على حل مزعوم للمشكلة الفلسطينية وكلها كانت بلا نتائج ملموسة ، إنما كان يقصد بها التثبيغ والتحذير إلى أن بلغت الأمور ذروتها بقرار التقسيم بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ م ، ومن ثم اعلان دولة اسرائيل واعتراف روسيا وأميركا بها





★ القدس عام ١٩٤٨ م ★

خلق كثير من الأكابر والأعيان والشهداء والصالحين والتابعين . ويروى أن فيها قبور ٧٠٠٠٠ شهيد ، استشهدوا في الحروب الصليبية ، بينهم طائفة من العلماء والقادة والصالحين الذين استشهدوا بداخل الحرم الشريف ، ومنذ حرب ١٩٤٨ م ، وضع اليهود نصب أعينهم طمس معالمها فشقوا في وسطها قنوات للمجاري ، وفتحوا فيها الشوارع وأخرجوا عظام من فيها ، وداسوها تحت الأقدام وسحقها عجلات سياراتهم .

● قبر ازدمير : وهو ضريح الأمير صلاح الدين محمد أزددمير السلحدار أخو الناصر وأخو المقر الأشرف السيفي المتوفي سنة ٦٩٧ هـ .

● مقبرة باب الرحمة : خلف السور الشرقي وفيها أضرحة جماعة من الصحابة الذين سكنوا القدس وقضوا فيها ، منهم شداد بن أوس الصحابي وعالم القدس ، وقبر عبادة بن الصامت الأنصاري ، أول قاض مسلم في القدس ، أما ضريح عكاشة الصحابي ، ففي الغرب من القدس ، وكان عرضة لأول هجوم إسرائيلي في حرب جدار البراق سنة ١٩٢٧ م ، فهدموه بالمعاول ومزقوا سائرته وأتلفوا مصاحفه الأثرية .

### تهويد القدس

لقد بدأت عملية تهويد القدس من اليوم الذي أصبح فيه عدد سكانها اليهود يفوق عدد المسلمين والنصارى مجتمعين . وبعد حرب عام ١٩٤٨ م ، استطاع اليهود تهجير كل العرب من شطرها الغربي ، وفي السابع من حزيران ١٩٦٧ م ، احتلت المدينة العربية وتعرض سكانها للقتل والاعتقال والتدمير والنهب ، مما أدى إلى نزوح ٥٠٠٠ شخص ، من المدينة معظمهم من اللاجئين سابقاً .

وفي نفس اليوم وصل حاخام القوات المسلحة شلومو غورين إلى حائط المبكى .

آب) بتدبير يهودي ، حيث اتهم بالجريمة الشنعاء شخص استرالي ، وزاد الفعلة ذناء نباطو الاطفاء الاسرائيلية في انفاذ المسجد من النيران .

وللحرم الشريف الذي يضم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى عدة أبواب هي : باب الأسباط ، أو باب الملك الظاهر بيبرس ، وباب حطة ، وباب العم ، من الشمال الذي سمي باب فيصل عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين لأول مرة سنة ١٩٣٣ م ، وباب التوبة من الشرق ، والباب المفرد والباب المثنى والباب المثلث من الجنوب ، ومن الغرب باب المغاربة وباب السلسلة وباب القسطنطين وباب الحديد وباب الناصر وباب السراي وباب الغوانيمة ، وبعض هذه الأبواب هي أبواب المدينة القديمة ذاتها .

وفي القدس حائط البراق وهو الجدار الذي وصل إليه الخليفة عمر بن الخطاب عند فتحه القدس سنة ٦٣٦ م ، وفي هذا الجدار كان النبي ﷺ قد ربط براقه عندما عرج إلى السماء . وهو جدار معبد الشمس الذي بناه الإمبراطور هادريان بعد أن ذك أبنية الهيكل اليهودي الذي اجتهت من أساساته . ومع الزمن سمح لليهود بالاقتراب من القدس للزيارة وليس للسكن . أما التسامح الإسلامي ، فقد أجاز لمن أراد منهم بالإقامة فيها ولم يحاول المسلمون منع اليهود من البكاء خارج سور هادريان ، وكانوا إذا سئلوا أجابوا إنهم يتوبون إلى الله ويطلبون منه الغفران ، وكان طول حائط المبكى نحو ٣٠ م . وبعد الانتداب البريطاني أخذ اليهود يجلبون المقاعد والحصر والمصاييح والستائر إلى الساحة الواقعة أمام حائط المبكى ، وأخيراً ادعوا ملكية هذا الوقف الإسلامي ، وعمل المسلمون على منعهم ونشبت معارك شديدة بين الطرفين سنة ١٩٢٧ م ، وامتدت الاشتباكات حتى سنة ١٩٢٩ م ، وكان أول ما فعله اليهود عند دخولهم القدس سنة ١٩٦٧ م ، أن هدموا حي المغاربة بالجرافات وهدموا الكثير من المباني التابعة للوقف الإسلامي بغية توسيع حائط المبكى من ٣٠ إلى ١٠٠ م .

### أبواب القدس

ولمدينة القدس القديمة سبعة أبواب ، هي باب المغاربة من الجنوب ، وقد أنشأه السلطان سلجان في محرم ٩٤٧ هـ ، وباب النبي داود الذي يفتح نحو الجنوب وارتفاعه ١٢ ذراعاً ، وتقع القلعة إلى شماله . ويقع باب الخليل من الغرب وارتفاعه عشرة أذرع ، وله باب حديدي ذو مصراعين ، وهو من بناء السلطان سلجان القانوني ، وهناك باب العمود أو باب النصر ، ويقع من الشمال وإلى الشرق منه باب الساهرة ، وفي الجنوب باب الأسباط أو باب الملك الظاهر ، وباب السلسلة . . وهي أهم الأبواب التي يدخل منها الناس إلى الحرم .

وتقع القلعة بين باب الخليل وباب النبي داود ، ويعود أساسها إلى أبنية قديمة من الحجارة الضخمة ، وفيها دور كانت مخصصة لسكن الدزداد (الحاكم) ، والكبخيا (نائبه) والإمام الواعظ والمؤذن ، ويعود بناؤها للملك الأيوبي عيسى بن الملك العادل سنة ٦١٠ هـ ، أو ١٢١٣ م .

وأهم الأبنية المقدسة عند النصارى كنيسة القيامة ، التي تمثل ترف البناء مثلاً بتيجان الذهب وفي الجواهر الكريمة الثمينة ، فكل ما في الكنيسة بلغ حد الروعة الفنية والترف المادي ، وفي غرفة كبيرة قام قبر ارتفع عن الأرض أكثر من متر . ويقول الدليل إن عيسى دفن فيه بعد أن صلبه اليهود ، ثم قام وصعد إلى السماء . وفي الفقرة الأخيرة تنفق الروايات الإسلامية والمسيحية أي في قضية الصعود وتختلفان في أن المسلمين يقدرون عند قوله تعالى : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ ، وفي أرجاء الكنيسة يوجد عدد من الصور الفنية وتماثيل للمسيح والعذراء وغيرهما ، وهناك تمثال للمسيح صنع من الزمرد والياقوت . وعلى صورة أخرى مطعمة بالجواهر ، يصعب وصفها للسيدة مريم العذراء . وسدنة هذه الكنيسة وحلة مفاتيحها ينتمون إلى أسرة نسيبية الصحابية الجليلة بنت كعب ، وهم مسلمون يتوارثون هذا المنصب منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ، بعد اختلاف الطوائف المسيحية على إدارة كنيسة القيامة .

ومن الأماكن المقصودة بالقدس :

● مقبرة ماملا وقد كتب عنها عبد الغني النابلسي في رحلته إذ يقول : « وفيها



وفي صباح ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩ م، أحرق المسجد الأقصى، وقد اشتعلت النار في الجناح الشرقي من المسجد الأقصى، وشب حريق آخر في المنبر الأثري الذي لا مثيل له. وقد احترق معظم السجاد وتلكات عملية الاطفاء، كما احترق معظم الخشب المنقوش الثمين في السقف وأدى الحريق إلى انصهار الرصاص الذي يغطي القبة، ولم ينقذ باقي ما في المسجد من الدمار غير سكان القدس الذين أقاموا من أنفسهم جداراً بشرياً في محاولة لحصر النار وعاونتهم اطفائية الخليل ورام الله.

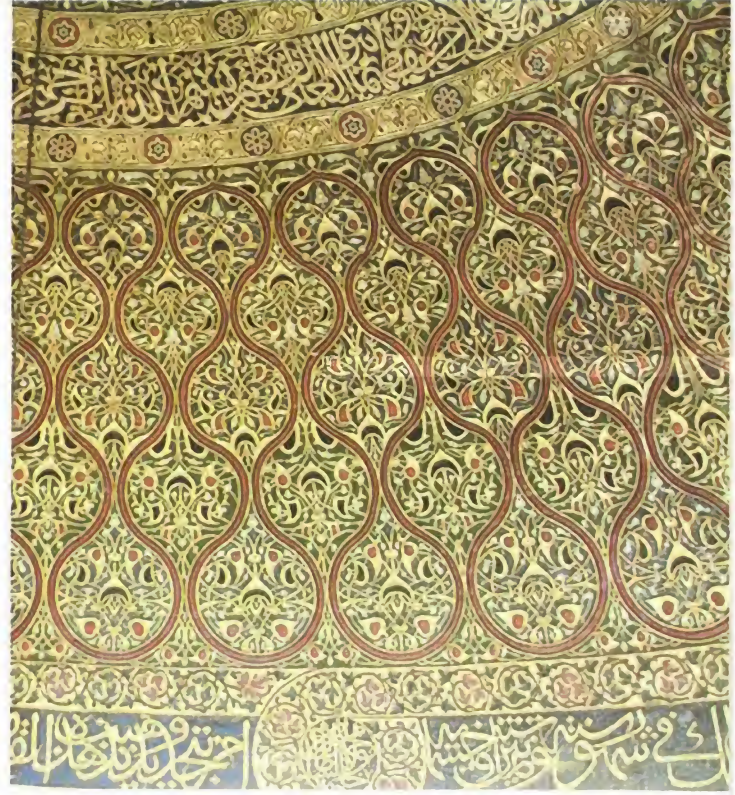
وفي نهاية شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م، أصدر الكنيسة قانوناً بتوحيد القدس تحت السيادة الإسرائيلية، وفي نفس الوقت جرى توسيع حدود مدينة القدس بدرجة مفردة فوصلت لجوار بيت لحم جنوباً وضمّت إليها مطار قلنديا بالقرب من رام الله شمالاً. وفي ٤ تموز (يوليو) من نفس العام اتخذت الأمم المتحدة قراراً بغالبية ٩٩ صوتاً ضد صوت واحد باعتبار الضم غير قانوني، وفي نهاية العام نفسه قُفِّدَ ٤٠٠٠٠ عرب من أهالي القدس منازلهم ولا سيما في حي المغاربة بجوار جدار البراق والذي أزيل تماماً مع ما فيه من أوقاف إسلامية.

وفي شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ م، صادرت السلطات الاسرائيلية ٨٠٠ فدان من الأراضي في الجزء العربي، وأعلنت عن خطط لبناء مساكن عند منحدرات جبل سكوبس المطلة على القدس القديمة. ثم استمكنت ٧٠٠ دونم، في ضواحي القدس قرب ضاحية البريد، مثلما استمكنت مستشفى القدس الجديد ضمن هذه الأراضي، وجعلت منه مقراً عاماً لدائرة الشرطة.

أما الأراضي المصادرة في جبل الزيتون فقد ألحقت بالجامعة العبرية، وأطلق عليها اسم (محوشت)، وبشارت السلطات اليهودية فعلاً ببناء مساكن لسبعمئة طالب. ولتحقيق هذا الهدف تبرع ثري يهودي يدعى مكس، بمبلغ مليون دولار لإنشاء مختبر لكلية العلوم فيها. ولما رفض المسؤولون عن القضاء الشرعي والأوقاف الإسلامية في القدس الانضمام لوزارة الأديان اليهودية، امتنعت السلطة عن تنفيذ قرارات المحاكم الشرعية في القدس ورفضت الاعتراف بعقد الزواج التي يصدرها قاضي القدس، أو مندوب عنه وطردت الشيخ عبد الحميد السائح، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية من القدس إلى عمان. وامتدت يد التويد للتعليم فاستلمت السلطة جميع المدارس الأميرية، أي الرسمية، وجعلت قسم التعليم في البلدية، يشرف على إدارة هذه المدارس وتعيين معلمين ومعلمات لها دون النظر لكفاءة الموظفين. وانتسب عدد كبير من الطلاب للمدارس الأهلية والأجنبية. وصادرت الحكومة مدرسة الأقصى للبنات في حي المغاربة والمدرسة المولوية، وأوقفت بناء المعهد الكويتي العربي في أبو ديس بالقدس بحجة أن أرض المعهد أو قسم منها يملكها أشخاص يهود. وألغت دائرة معارف بلدية القدس تدريس المنهاج الأردني والكتب المطبوعة بالعربية، ووزعت على الطلاب والطالبات الكتب المقررة لأبناء العرب في القطاع الاسرائيلي، وفرضت تعلم اللغة العبرية على الطلاب والمدرسين والموظفين.

وفي ١٩٧٠/٨/٣ م، أصدرت اسرائيل أمراً باستملاك ١١٦٨٠ دونماً، من الأراضي العربية الواقعة في شمالي وجنوبي القدس وحول أسوارها وأنشأت ٣٠٠٠ وحدة سكنية في شرقي القدس، وقد فرغت بنهاية عام ١٩٧٠ م، من بناء ٦٩٨ وحدة سكنية أخرى، في ضاحية (رامات أشكول) الواقعة بين حي الشيخ جراح وشعفاط في شمالي القدس. كما بنت ١٥٠٠ وحدة سكنية أخرى على جبل سكوبس (المشارف)، و ١٢ عمارة متعددة الطوابق في كرم لوز شمال شرقي القدس، وبعبارة أخرى كان اليهود في سباق مع الزمن كي يضموا العالم كله أمام الأمر الواقع.

هذه هي مدينة القدس العربية النشأة، الإسلامية التاريخ، ومهما طال ظلام الاحتلال الاسرائيلي الغاشم لها، فإن فجرأ عربياً إسلامياً سوف يشرق عليها، ليعيد إليها أهلها الشرعيون، وتعود كما شاء لها أن تكون مدينة السلام، والظلم لا يدوم مهما كانت قوته، وجبروته، وعنجهيته.



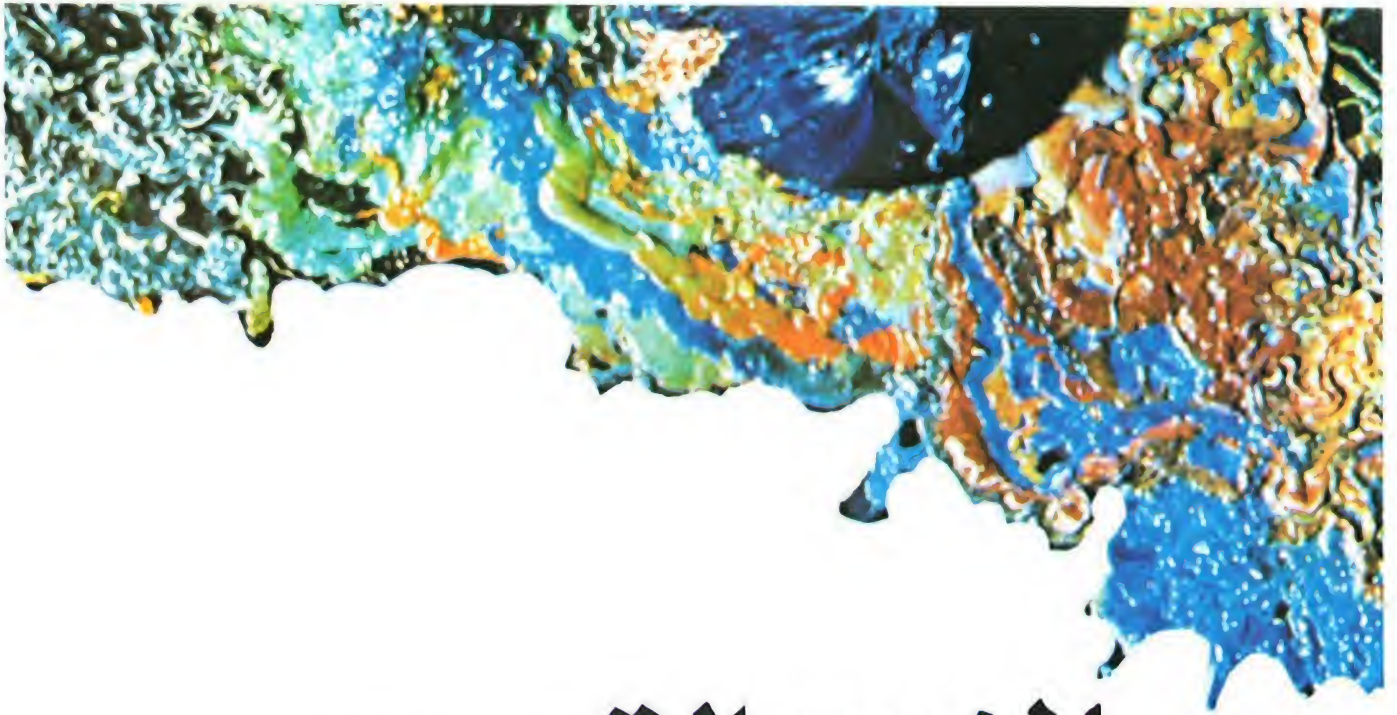
★ نفوش من داخل القبة ★



★ سقف القبة ★

وبعد أن نفخ بالبوق وجه رسالة إلى القوات المسلحة قال فيها : «أخاطبكم من حائط المبكى آخر أثر لميكلنا. هذا هو اليوم الذي طالما تقنا إليه. دعونا نفرح ونبهج». وفي مطلع آب (أغسطس) من تلك السنة وجه دعوة للمتعبين من اليهود، لكي يحضروا إلى مدينة القدس لإقامة الصلاة في صحن الحرم الشريف. وفي ١٩٦٨/١٠/٦ م، ذكرت جريدة هآرتس اليهودية أن فريقاً مكوناً من ١٦ جندياً غالبيتهم من رجال الماخامية الاسرائيلية العسكرية وعلى رأسهم ضابط هو مدير مكتب الماخام شلومو غورين أقاموا الصلوات في يوم الغفران على جبل البيت (ساحة الحرم)، وقالوا إنها أول صلاة منذ ٢٠٠٠ سنة.





# المنهج التجريبي ماضيهِ.. وحاضره

بقلم: د. أحمد سعيدان

ومن جرائه يحلو لبعض الباحثين أن يصفوا المنجزات العلمية  
الاغريقية بالمعجزات .

ولكن الدليل الذي التزم به الفكر الإغريقي كان هو الدليل  
الاستنتاجي المحض مجرداً عن الدليل العملي التجريبي . والدليل  
الاستنتاجي قد يكفي ويغني في العلوم النظرية ، كالرياضيات  
والمنطق ، ولكن لا يكفي في العلوم التجريبية كالفيزياء  
والطب . فهنا لا بد من الاعتماد على دليل تجريبي تستشعره الحواس من  
سمع وبصر وذوق وشم ولمس .

ولقد رفض الفكر الإغريقي الدليل التجريبي في حقول العلم بدعوى  
أن الحواس قد تخدع ، ولقد تمادى الفكر الإغريقي في رفضه لكل منهج  
عملي ، حتى أن العمليات الحسابية كان يعدها ألعاب أطفال ، فهو يعنى  
بنظرية الأعداد ولا يعنيه كيف تجري على هذه الأعداد عمليات الجمع  
والطرح والضرب والقسمة والتجذير . وانتقل رفض المنهج التجريبي إلى  
الحضارات التي تلت الحضارة الإغريقية . ولقد كرسه رجال الكنيسة  
لأنهم وجدوا به حماية للعقيدة ، لأن في العقيدة معجزات لا تؤيدها  
التجربة ولا يقوم على صحتها دليل ، وتناقلت الأجيال الأوروبية هذا  
الرفض للدليل التجريبي جيلاً بعد جيل بعد جيل ، حتى صار رفضهم  
له ضرباً من ضروب العبادة .

في سجل التاريخ كلمات كان لها يوم قيلت دوي كبير  
عقبه انعطاف في مجرى التاريخ حاد . ومن هذه الكلمات ما  
هو مشهور مأثور ، ومنها ما لا يعرفه إلا أوساط محدودة لقلّة  
ما سلط عليه من أضواء . ومن هذا النوع الأخير كلمة  
لأفلاطون بدأ فيها المنهج العلمي إذ قال : « ما يقوم عليه  
دليل أقبله في حضيرة العلم وما لا يقوم عليه دليل أبعد  
عنها » .

كان العلم من قبل ذلك حشداً من حقائق وأباطيل ، قناعات يتناقلها  
الناس وبها يعملون ، إما لأنها كانت تعطي في حياتهم اليومية المحدودة  
نتائج مقبولة ، أو لأن ثقة من الثقات قالها فلم يعد من العرف التنكر لها  
مهما غايرتها التجربة وخالفها الواقع . فجاءت كلمة أفلاطون كغريال  
يغريل هذه القناعات فما قام دليل قبل ، وما لم يقم عليه دليل رفض .  
ومن لم يأخذ نسبة أفلاطون أو لم يصل خبرها إليه ظل العلم عنده  
حشداً من قناعات ، ومن هؤلاء الهنود . أما الاغريق ومن سار على  
نهجهم فقد أخذوا بها والتزموا بالبحث عن الدليل . لقد كان طلب  
الدليل هو الميزة التي ميزت الفكر الاغريقي عن غيره ،  
وبسببه أئنت العلوم في العصر الاغريقي وتقدم الفكر ،





★ فرانيس بيكون ..  
كان  
بحسب  
أن  
حقائق  
الكون  
محدودة ★



★ الغزالي ..  
الاسباب  
لا تنفع  
لرفع السبب ،  
ولكنها  
تنفع  
مع  
رفعها ★

## المسلمون .. بين الاستنتاج والتجريب

أما في العالم الإسلامي فقد قبل الدليلان الاستنتاجي والتجريبي ولم يقد تناقض بين العلم والدين . أما الدليل الاستنتاجي فقد وجدوه في الفكر الإغريقي ، فأعجبوا به وتقبلوه ، ومن أجله فضلوا العلم الإغريقي على العلم الهندي الذي كان ما يزال تلقينياً ، لا يعنى بدليل ، وأما الدليل التجريبي فقد اهتموا إليه المفكرون المسلمون بفطرتهم ، فتقبلوه في غير العلوم المنطقية الإغريقية الأصل ، تقبلاً تلقائياً عفواً ، فإن عمدوا إلى تبرير اختلاف المنهج قالوا : تلك تعاليم رياضية أداتها الدليل الاستنتاجي ، وهذه حقائق اعتبارية حسية أداتها الدليل الاستقرائي التجريبي ، وإن تخدع التجربة في حال فهي لا تخدع في كل حال ، وفوق كل ذي علم علم عليم .

لم يجهلوا أن الحواس قد تخدع ، ولكنهم وجدوا في خداع الحواس دعوة ، لا إلى الرفض ، بل إلى مزيد من التجربة والاعتبار ، بغية الحصول على مزيد من اليقين .

وثمة أمر على أعظم جانب من الأهمية جعل الفكر الإسلامي يرحب بالدليل التجريبي مغايراً للفكر الإغريقي والكنيسة الكاثوليكية : ذلك أن الدين الإسلامي ، عدا أنه لم يتطلب إيماناً بمعجزات لا يؤيدها الواقع ، تطلب أن يستند الإيمان بالله على النظر والاعتبار ، وأن يتمتع بمزيد من النظر والاعتبار . إن الدليل على وجود الله في الإسلام دليل تأملي اعتباري يدعو المرء إلى أن يصيخ السمع وينعم النظر في الكون والأشياء وفي نفسه ، ليستدل على وجود الله من دقة الأثر وعلى قدرة الله من بديع خلقه وعظم نعمائه . فلا عجب أن قام في ديار الإسلام من اعتبروا متابعة البحث العلمي عبادة وفريضة ، في وقت كانت فيه الكنيسة تعتبر من يتابع البحث العلمي كمن يبيع نفسه للشيطان . ولا عجب أن بنى الفكر الإسلامي وأقام من العلوم على ما يرى العاقل ويسمع بقدر ما بنى الفكر الإغريقي وأقام على ما يستنتج العقل ويستخلص . بالدليل المنطقي الاستنتاجي مضى الفكر الإسلامي يطور العلوم

الرياضية والدليل الاستقرائي التجريبي مضى يبنى العلوم العملية فتم له ركنان أساسيان يتساندان ولا يتعارضان ، فما يستنتجه يبحث له عن سند تجريبي ، وما تهدي إليه التجربة يبحث له عن تفسير منطقي .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي عاش روجر بيكون ، رائد المنهج التجريبي في أوروبا . لم يتعلم روجر بيكون في مدارس عربية ، ولكنه تعلم في أكسفورد ، واتصل بجامعة فرنسا وإيطاليا ، فكانت هذه الجامعات كلها حديثة العهد ، بنيت على غرار الجامعات الإسلامية . كانت لغتها اللاتينية ، لكن مناهجها ومراجعها كانت كلها عربية الأصل إسلامية الطابع تتردد فيها أصدااء فلسفات الكندي والفارابي وابن رشد .

فإن لم يتعلم روجر بيكون على العرب مباشرة فهو قد نهل ما شاء له الله أن ينهل من الفكر العربي الإسلامي منقولاً إلى اللاتينية . ولقد اتصل بالمجتمعات الإسلامية وعرف طرائق حياتها ومنهج تفكيرها ولغتها ، ومن هذا الذي تعلمه وعرفه خرج بقناعة جعلها رسالته في الحياة ، هي التبشير بالمنهج التجريبي سبيلاً للتقدم ، تماماً كما نبشّر اليوم في الشرق ، بالمنهج العلمي الغربي سبيلاً للغلبة في صراع البقاء .

## المناهج العلمية في أوروبا

ولم يكن الطريق في أوروبا ممهداً أمام المنهج التجريبي ولا أمام المنهج الاستنتاجي ، فقد كانت هنالك المدرسية ترفض كل ما عارض أحكامها مهما سندوه من أدلة منطقية أو تجريبية ولذا دخل المنهج العلمي في أوروبا معركة طويلة مريعة هي معركة الإصلاح الديني وهي معركة الصراع بين العلم والدين . وانجذبت هذه المعركة عن أشياء كثيرة منها توطيد المنهج العلمي بركنيه الاستنتاجي والتجريبي . وكان من أهم بواكيره اختراع المايكروسكوب الذي فتح العيون على عوالم الأحياء



الدقيقة فبدأ بذلك المعهد الحديث في علوم الأحياء والصيدلة والطب .

وبعد مضي ثلاثة قرون على دعوة روجر بيكون جاء فرنسيس بيكون ليجعل من المنهج التجريبي فلسفة يدخل على منها حلبة الفلاسفة الخالدين .

ولكن ما أبعد الفرق بين المنهج التجريبي كما تصوره فرنسيس بيكون ، وبين ما نعرفه اليوم ! كان فرنسيس بيكون يحسب أن حقائق الكون محدودة ، ما علينا إلا أن نحري بعض ماثات من التجارب فينجلي كل شيء ، ولا يبقى بعد ذلك زيادة لمستزيد . وقد حسب أن ما تفضي إليه التجارب هو حقائق مطلقة يمضي تفسيرها كأنما هو حتمية تربط الأسباب بالمسببات وفق نظام يطرد أطراد قواعد اللغة القياسية . لقد كان نيوتن أعمق فهماً لحقائق العلم عندما تخيل نفسه كشخص يقف على شاطئ البحر ينقب في ما يطرحه الموج من محار ، فإن هو لقي بين الفينة والفينة درة فلا مكنونات البحر تنقص ، ولا غياهب الجهل تنزاح .

ونحن اليوم في عصر تفجر المعرفة التكنولوجية ، طورنا منهج التجربة حتى غدا نظاماً يمارسه العشرات والمئات والآلاف بروح الفريق ، وطورنا ثماره ونتاجه حتى فجرنا الذرة وسخرنا الإلكترون وجبنا الفضاء ، وقهرنا أمراضاً كثيرة ، وابتكرنا من وسائل المواصلات والاتصال والإعلام ما كان حتى قبل سنوات من قبيل الاغراق في الخيال . ثم إن لتقنيتنا في كل يوم فتوحات جديدة حتى ليعجز المرء عن اللحاق بالتطورات التقنية وبرصد ما يجد وما يستجد ، فما رأينا في المعارف العلمية التي حسبها فرنسيس بيكون حقائق محدودة مطلقة حتمية تربط أسبابها بمسبباتها برباط وثيق ؟

لقد عرفنا بعد قرون من البحث العلمي على المنهجين الاستنتاجي والتجريبي أن لا حتمية في العلم ولا حقائق مطلقة فيه ، وإنما هي تصوراتنا تتغير بتغير مداركنا واهتماماتنا ، ومن ثم فن طبيعتها أن تبقى قاصرة لأننا بشر . مثلنا كمثّل أطفال صغار تحيط بهم باحة رحيبة تعج بالكنوز ولكنهم لا يدركون من هذه الكنوز إلا ما تشد إليه أبصارهم وهذا الذي تتركز أنظارهم عليه إنما يفقهون من كنهه على قدر مداركهم . أو نحن كهباءات منشورة في غابة ترى الواحدة منها ما يقع عليها أو تقع عليه . حتى العلوم الرياضية الاستنتاجية ليست حقائق مطلقة وإنما هي نتائج تنتج من مسلمات معينة ، فإذا تغيرت المسلمات تغيرت النتائج ، فلا صواب مطلقاً ، ولا خطأ مطلقاً ، وإنما الصواب ما وافق المسلمات والخطأ ما عارضها .

فلا حتمية في العلم . وليس فيه من سببية ، فالأسباب لا تصنعها المسببات ، ولكنها ، على مدى ما نرى وما نعرف ، متزامنان ، يقعان معاً . إنها كما وصفها الامام الغزالي بقوله : « إن الأسباب لا تقع لوقوع المسببات ، ولكنها تقع مع وقوعها » .

أي إن بينهما بلغة الرياضيات اقتراناً كأي اقتران يربط بين متغيرين . لقد أدرك الغزالي رحمه الله بثاقب بصيرته ما جهد العلماء طويلاً حتى

توصلوا إليه .

فالكون كما يعرفه الإنسان هو مجموعة تصورات وأوهامه وخيالاته ، يبنها على أرضية من نقاط ضعفه وقوته ومن طبيعة خلقه وكيانه ، وحقائق الكون هي أشبه بتلك النماذج التي تصنع للآلة أو المبنى ، فتمودج السيارة فيه ما في السيارة وفيه ما ليس فيها ، وفي السيارة ما في التمودج وفيه ما ليس فيه ، وقل مثل ذلك في التمودج الذي تصنعه للبيت أو المعمل . وما جهد الإنسان ودأبه وما منهجه العلمي بركنيه الاستنتاجي والتجريبي إلا لتقريب النماذج من الأصل . أما الأصل فالله وحده الذي يعلم ، سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العلم الحكيم .

### جهود العالم

ومن أجل أن يقترب التمودج من الأصل يجري العالم التجارب مرة بعد مرة بعد مرة ويتفنن في تنويعها وتقليبها على شتى الوجوه فحيث أثبتت التجارب أن التمودج بحاجة إلى تعديل جهد الإنسان في تعديله حتى يتسق التمودج والتجربة ويتفقا . والتعديل يفضي إلى نظرية جديدة والنظرية تستدعي تجربة جديدة ، وهكذا دواليك . والنتيجة ثراء العلم الإنساني بتكاثف الدليلين التجريبي والاستنتاجي .

ومن عجيب المفارقات أن الدليل التجريبي الذي استبسلت الكنيسة في محاربته خوفاً على العقيدة لم يحمل معول الهدم إلا لما ثبت بالدليل بطلانه ، ذلك أنه لا يقول ما قال أفلاطون : ما لا يقوم عليه دليل أرفضه ، ولكنه يقول : ما لا أستطيع أن أثبت اليوم أو أنقضه قد أثبتته أو أنقضه في غد عندما تتحسن وسائلنا وتتسع مداركي .

ومن سمات المنهج التجريبي الحديث أنه إحصائي : يرى أن من حقائق الكون ما تؤيده كل تجاربنا الحاضرة ، ومنها ما يؤيده بعض التجارب في حالات تكثر أو حالات تقل حتى تندر .

وفي مطلع هذا القرن ، عندما شرع المنهج التجريبي يتخذ طابعه الإحصائي هذا ، استنكر ذلك الفلاسفة الاستنتاجيون ، فقال شيخهم برتراند رسل متهاكماً : مثل أولئك الاحصائيين كمثّل شخص يسأل مجموعة من الأطفال أن يحسبوا حاصل ضرب ٧ في ٨ . فإذا هو تلقى اجاباتهم حسب متوسطها واعتبره هو الجواب المقبول . ولا يخفى ما في هذا القول من سخرية ، فالطريق الإحصائي لا يكون إلا حيث ينعدم اليقين فيلجأ الدارس إلى تقدير مرحلي يرى به أنه أقرب إلى الصواب منه إلى الخطأ ، وفوق كل ذي علم عليم .





# الغرس حول..



بمناسبة

عام  
الطفل

فوصل إلى المطلوب وأرضى الجميع ، وأبعد النزاع والشقاق ، ولما اكتمل عقله واستعد لما أَرَادَهُ اللهُ له ، أنزل عليه الوحي ، أمر بتبليغ الرسالة . وهكذا ينتهي دور اكتمال شخصيته فيتفرغ لتربية أمته .

وقد بذل في ذلك دمه وجهده فصبر وثابر وسلك كل الطرق حتى استطاع أن يبلغ رسالته ولقد كان للشباب دور فعال في هذه الرسالة في تحملها وفي تبليغها ، وفي تنفيذ تعليمات رسول الله . . فعاش معه عدد من الشباب أسوه وأزروه فرضي عنهم ورياهم وأرشدهم وقوم شخصيتهم حتى غدوا أئمة المسلمين ، وأبطال الجهاد ، وقادة اللاحقين .

وسأستعرض عدداً من الشباب من هذا الجانب الذي برزت فيه تربية رسول الله لهم .

كان رسول الله ﷺ على جلالته قدره وانشغاله بإبلاغ الدعوة يلاطف الصغار ويمازحهم ويهيبهم من حنانه الشيء الكثير . ويبدو ذلك في (الحسن والحسين) ابني فاطمة بنت رسول الله ، زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان رسول الله ﷺ يحملها ويقبلها ، ويدخل السرور على قلبها .

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قبل رسول الله الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » ، وكثيراً ما كان يشب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيرفعهما وينزلهما حتى يجلسا على الأرض ثم يجلسهما في حجره » . وكان يشجعهما ويدعوهما للعب والسرور فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان قاعداً ، فطلع الحسن والحسين فاعتزكا فقال رسول الله - وعلي جالس - وبها حسين خذ حسناً ، فقلت : تؤلب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله ، فقال رسول الله هذا جبريل قائم وهو يقول وبها حسن خذ حسناً . وكان ﷺ يفرج بين رجله حتى يمر الحسن أو الحسين من بينهما وهو قائم يصلي ، ويحمل أمامه إذا قام ويضعها إذا جلس ، في صلاة النفل .

أجمع الفلاسفة والنقاد والباحثون أن رسول الله ﷺ كان أكمل الناس خلقاً وخلقا ، وأنه كان في شبابه مثال الاستقامة والرزانة ، يحسن القول ، ويحيد التصرف في غير ما كبر أو فخر ، أو عنجهية . وكان في حداثة سنه فتى يقصر عن ادراكه كل الناس لكنه قدوة يحتذى ويسلك نهجه .

وهذه تربية ربانية خص بها الله عبده ورسوله سيدنا محمداً ﷺ ليؤهله لقيادة الأمة ، وهداية البشرية .

وكلكم يعلم الدور الذي مر به رسول الله ﷺ في رضاعته وحضانه وكفالته ، وما إن بلغ الثانية عشرة من عمره حتى دخل دور الجد وخاض غمار الحياة فشارك في حرب ضروس تشيب الوليد هي حرب (الفجار) شهدا مع أعوامه وشاهد فيها الكر والفر ، والنزال والقتال ، وكان يجمع السهام ، ويعين المصاب ، ويساعد أهله وقومه .

فصلب بذلك عوده وقويت نفسه واشتد جسمه واستعد لتحمل مسؤوليات الحياة ، ثم بعد الحرب حضر السلم فشهد (حلف الفضول) الذي انتهى بتحالف هاشم وزهرة وتيم على دفع الظلم وأخذ الحق من الظالم ، وألا يتركوا عند أحد مظلمة لأحد إلا أخذوها ، وهو الذي يقول فيه : (لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار - عبد الله بن جدعان - ما أحب أن لي به حر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت ..) .

وبعد ذلك شارك في البيع والشراء ، والتعامل مع الناس ، حتى حاز لقب (الأمين) ثم سافر وتفكر في الأرض ومن فيها ورأى طباع الناس وحياتهم وبلادهم .

وشهر ﷺ بعقله وأمانته وأحبه الناس جميعاً حتى كانت له المازلة العظيمة باحتكام القرشيين والقبائل المتنازعة على الحجر الأسود إلى مكانه . . وحينما جعلوا الأمر إليه تصرف بأناة ورجاحة عقل وإدراك تام فبسط رداء ووضع الحجر وسطه وطلب إلى كل قبيلة أن تأخذ بطرف الرداء ورفعوه جميعاً ثم تناوله بيده ووضع مكانه .



# المرآة الكدولة

بقلم : عبد العزيز المسند

بعد أن هزم المشركون في غزوة بدر الفاصلة أعدوا عدتهم وجاؤا بقضهم وقضيضهم لينتقموا من رسول الله وصحابته وليقضوا على هذا الاشعاع الذي بدأ يهددهم في عقر دارهم .. كانوا يريدون إخماد هذه الجذوة حتى لا تقوم للإسلام قائمة .

وعندما بلغ رسول الله ﷺ الخبر تجهز سريعاً وكان المكان قريباً من المدينة ، في ذلك الوقت كان المحارب الواحد يساوي مئات عند رسول الله . وبينما هو يتفقد جيشه ويستعد للمسير إذا هو بصبيين يعرضان نفسيهما على رسول الله ويطلبان إجازتهما للانضمام إلى المجاهدين ، فينظر إليهما ، ويرى أنهما صغيران لم يبلغا الخامسة عشرة من عمرهما ، فيردهما ، ولكنها قد صمما على المضي في الجهاد .. فيبذلان كل محاولة للوصول إلى هدفهما .

ويكلم أحد الصحابة رسول الله في أحدهما ويخبره بأنه يجيد الرماية فيقبله فيبكي الآخر ويطلب البكاء حتى يبلغ الرسول ذلك فيجيزه ، قال <sup>(١)</sup> ابن هشام : ( وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الغزاري ورافع ابن خريج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما فقبل يا رسول الله إن رافعاً رام فأجازه فلما أجاز رافعاً قبل يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه ) .

وهذه تربية النبوة على الجهاد والكفاح وتحمل المشاق ، لم يكتف رسول الله بكلام من بلغه بأن سمرة يصرع رافعاً بل طلب منها أن يتصارعا حتى صرع سمرة أخاه وأثبت للرسول وللحاضرين كفاءته ، وأنه أهل لخوض حرب قارضة ، تطير لها القلوب ، وترتعد من هولها الفرائص .

وهكذا أراد رسول الله أن يعلم أمته بأن القول لا يكفي بل لا بد من العمل ، وأن العمل هو السبيل إلى الجهاد والنصر .

وخاض الصبيان الحرب ، ووقفوا مع الشجعان الأشاوس جنباً إلى جنب ، وانتهت الحرب بالنصر للمسلمين وهما سليان ، لم يصبها أذى ، بل أوتيا مناعة واستعداد لخوض معارك جديدة .

إننا بحاجة إلى شباب مثل هذين الشابين وإلى شباب يتسابقون إلى المعالي ، ويتنافسون لادراك النصر وانتزاعه من بين فكي الأسد ، ويومها نستطيع أن نقف في المقدمة وأن نتولى قيادة العالم .

هذه معاملة رسول الهدى لأولاده ، وليست قاصرة عليهم بل لكل الصغار الذين يراهم فهذا أسامة بن زيد مولى رسول الله يعيش في بيت رسول الله ويعامله معاملة كريمة كلها لطف وحنان ، فقد روت عائشة قالت : ( عثر أسامة بعثة الباب فشج في وجهه فقال رسول الله : أميطي عنه الأذى فقد رته فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهه .

وكان ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ويقول من سبق إلي فله كذا فيستبقون على ظهره وصدره فيلزمهم ويقبلهم .

هذه تربيته ﷺ للصغار ، تشجيع وترويح ، وتعويد على الأعمال الطيبة التي تنفعهم في حياتهم ، وحب وحنان يقبل به عن قلوبهم أدران الشر ويكسبها الطهر والصلاح والبرقة والمودة . وفاطمة بنت رسول الله ﷺ يربها رسول الله على العبادة والعمل ، والاعتماد على نفسها .

فيقول : يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً ، نعم .. لا يغني عنها شيئاً ولا بد أن تعبد الله وتطيعه وتقوم بالتكاليف الشرعية حتى يقبلها الله وحده .. ولن يغني عنها كونها بنت رسول الله .

ويقول مرة وقد تشفع أحد الصحابة بحمد من حدود الله .. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، فاطمة الزهراء بنت رسول الله وحبيبتها مثل أي فتاة من بنات المسلمين لها حقوق وعليها واجبات فلو أخلت بشيء منها لأقيم عليها الحد ولم يمنع من تنفيذه كونها بنت رسول الله ، نعم الناس سواء في الحقوق والواجبات ، قريبهم وبعيدهم أسودهم وأبيضهم .. إنها شريعة العالم كله .. فلا بد أن تكون عادلة .

وفي إحدى زيارات رسول الله لبيت ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب ، تشكو إلى والدها أعمال البيت وكثرتها عليها تريد أن تعرض بطلب خادمة تساعد فيرشدها هي الأمة إلى تسيبحات واستغفارات تساعد على أعمالها وهي خير لها من خادمة .

لم يكن رسول الله يعجز عن تأمين خادمة لابنته ، لكنه أراد أن يعلمها هي ، وأن يضع درساً لأمته بالاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس ، وبالعمل والجد .. والتغلب على الكسل والعجز .



ولكنه بات يفكر في هذا الدين الجديد . فلما طلع الصبح بادر إلى النبي فأسلم .

انغرس في هذه البذرة الأولى في قلبه واستمر يرتوي من معين النبوة ، يختلط ذلك بدمه ولحمه ويشب عليه عظمه وقلبه .

ورسول الله يدرك بثاقب نظره تفتح قلب هذا الشاب واستعداده لتحمل هذا الأمر العظيم وتنزل على رسول الله آية ﴿ وانذر عشيرتک الأقربين ﴾<sup>(١)</sup> فيجمع بني عبد المطلب في دار والد علي ويبلغ عددهم خمسة وأربعين رجلاً . فلما اكتمل عقدهم قال رسول الله ( يا بني عبد المطلب إن الله قد بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ! فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرنني على القيام به ؟ فسكت القوم . . وقام علي فقال له النبي اجلس !

ثم أعاد النبي ﷺ قوله ثانياً فسكت القوم . وقام علي فقال : أنا فقال له : اجلس . ثم أعاد النبي ﷺ قوله ثالثاً . فسكت القوم وقام علي فقال أنا يا رسول الله !

فقال له النبي ﷺ اجلس فأنت أخي ! وانتهى الاجتماع ولم يعلن تأييد محمد بما جاء به أحد منهم سوى هذا الشاب القوي الشكيمة الذي لم يخش في الحق لومة لائم . ولم يدار فيما يعتقد .

علي أحب الرسول من كل قلبه جمع بينها الإيمان . . وتعلق بنبي الله لسبب المعاملة الكريمة التي يلقاها منه ، وسبب الوحي الإلهي الذي يصل إلى القلوب فيهبها ويخرجها من الظلمات إلى النور . . إن علياً يفدي رسول الله بنفسه وبأهله وبكل الدنيا . وحانت ساعة الفداء .

تأمرت قريش على رسول الله ليقتلوه وليخلصوا مما جاء به بعد أن خابت كل الوسائل المادية والحسية في صرفه عن هذا الدين الجديد . . وأعدوا العدة لاغتياله في فراشه . واجتمع نفر من قبائل مختلفة من قريش ليضيق دمه فيهم وحاصروا البيت ، وبلغ السيل الزبى واشتد الأمر وقربت الساعة الحاسمة فإما انتشار هذا الدين وإما القضاء عليه في مهده . . وابتغى رسول الله إلى علي ويعرض عليه الأمر فيسارع علي إلى فداء رسول الله بنفسه . . ويتفقا على أن ينام علي فراش رسول الله حتى يظن المتآمرون أن رسول الله ما زال في فراشه . . وينام علي ويخرج رسول الله من بينهم وهم لا يعلمون .

ويأتي الصباح ويقتحم الجهلة البيت وينزعون الغطاء فيجدون علياً . . ويرتدون خائبين خاسئين . . ويدركون فشل مؤامرتهم وذهاب تعبهم وتخطيطهم سدى .

إيه يا علي أنت من شاب مؤمن قوي الإيمان ثابت الشخصية إن هذا موقفاً ترتعد له الفرائص وتطير من هوله أفئدة العقلاء .

هل نمت يا علي ! وأنت تصور كيف سقتل ويفتك بك كيف استطاع جسمك أن يثبت على الأرض وأنت تضعه على أرض المذبحة ؟

وفي غزوة أحد اشتد الأمر على المسلمين ، فسلك رسول الله ﷺ طرقاً لدفع المسلمين إلى القتال والمقاومة ومن ذلك أنه رفع سيفه وقال : ( من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ ) فقام رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة (سمال بن خرشة) أخو بني ساعدة فقال : وما حق يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني . قال : أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يحنال عند الحرب ، وكان إذا أعم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبخر بين الصفين ويتقدم إلى صف العدو فلما قرب منهم أخذ ينشد :

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

الا أقوم الدهر في الكيول<sup>(٢)</sup>

أضرب بسيف الله والرسول

وهجم على الأعداء كالأسد الكاسر وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وقا تل وجالد حتى انحني السيف بيده .

وبعد كل هذا هل تدرون نهايته ؟ نعم لقد خرج من كل هجماته سالماً ، وانتهت الحرب ونجما هو وحضر فتوحاً إسلامية كثيرة .

هكذا يكون الرجال ، إن العزم والاقدام يهبان الحياة ، وإن الخوف والخور يجران إلى الهاوية والموت الذي يقتنص الأبطال في المعارك يحمده أنفاس المتقربين على وسائل التحرير ، وفرش الديباج ، ولأن يموت المرء مسلماً عزيزاً ، خير من أن يموت ذليلاً خائفاً قد فقد كل معاني الرجولة ، ويذكرنا هذا كلمة خالد بن الوليد المشهورة عندما حضرته الوفاة : (لقد شهدت مائة وقعة وما في بدني موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة وما أنذا أموت كما تموت العنز فلا نامت أعين الجبناء) .

إننا حيناً فقدنا أمثال هؤلاء الشباب ، وصل المسلمون إلى الحال التي لا يحسدون عليها .

أبو طالب عم النبي ﷺ كان له ولد كثير وكان يعولهم بالانفاق عليهم إلى أن اشتدت السنون ، وضاق به الأمر وثقل العيال عليه فأحس بذلك أقاربه وأبناء عمه ، فأقبلوا يخفون عنه ، ويأخذون من أولاده . . وكان علي بن أبي طالب من نصيب رسول الله ﷺ . فضمه إليه وكان غلاماً صغيراً . . عاش في كنف رسول الله ، يراه كل ساعة والنظر إلى أعماله ويسمع ما يقول . وكان الذكاء والقطنة قد طبع علي عليها منذ صغره فدخل مرة على رسول الله ومعه زوجة خديجة فوجدتهما يعملان شيئاً لم يتعود أن يراه . . فدهش وقال : يا محمد ما هذا . . وكانا يصليان . . فقال رسول الله هذا دين الله الذي بعث به رسله وإني أدعوك إلى الإيمان بالله وأن تكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث والذي . فخشي النبي أن ينتشر الخبر وأن يؤثر الناس على علي وكره أن يظهر أمره في ذلك الوقت . فقال لعلي : إن لم تسلم فإكم . . فكتم



نعم إنه الإيمان الذي يهيم على كل شيء.. وإنه الشباب مع الإيمان حيث يجعله في كمال قوته وتقام حسنة.

ويقرب علي من رسول الله فيزوجه ابنته فاطمة فتكتمل كل وشائج القرابة له.. ويكون بيته بيتاً لرسول الله وأولاده أولاد رسول الله.

كل هذه الأحداث عجمت عود علي وقوته، وشدت ساعده فاستعد للجهاد. فلقد أعطاه رسول الله ﷺ الراية في (بدر) وعمره إحدى وعشرون سنة.. وفي غزوة (أحد)، حينما اختل تنظيم المسلمين وأرجف الشيطان في صفوفهم وعاد بعضهم إلى المدينة.. ثبت علي وأخذ يبحث عن رسول الله في القتلى وفي صفوف الجيش فلم يجده. فقال: والله ما كان رسول الله ليفر وما أراه في القتلى. ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرغ نبيه. وما بقي خير من أن أقاتل حتى أقتل ثم كسر جفن سيفه. وحمل على القوم فانفرجوا له فإذا بالنبي ﷺ بينهم.. فوقف بجانبه يدافع عنه حتى أنجاه الله.

ولقد أصابت علياً في ذلك اليوم ست عشرة ضربة كل واحدة تطرحه أرضاً فيقوم ويحمل على المشركين ولا يبالي بما فيه من الضربات.

وفي غزوة الأحزاب خرج (عمرو بن ود) الفارس المعروف من صف المشركين ونادى في المسلمين من يبارز؟ فلم يجبه أحد. فقام علي وقال: أنا يا نبي الله. فقال له النبي اجلس إنه (عمرو بن ود).

فنادى عمرو الثانية وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جئتكم التي تزعمون أن من قتل منكم يدخلها؟ فلم يجبه أحد، وقام علي فقال: أنا له يا رسول الله.

فقال له النبي ﷺ اجلس إنه عمرو بن ود. فنادى عمرو الثالثة. فلم يجبه أحد فقام علي فقال: أنا له يا رسول الله فقال رسول الله إنه عمرو بن ود. فقال علي: وإن كان عمراً! فأذن النبي ﷺ لعلي في مبارزته. فلما رآه عمرو قال له من أنت؟ قال: علي. فقال عمرو: ابن أبي طالب! قال: نعم، فقال عمرو: غيرك يا ابن أخي من أعياكم من هو أشد منك وأني أكره أن أريق دمك. فقال علي: وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك. فلما سمع عمرو هذا منه غضب. وكان ركباً على فرسه وعلي واقف على قدميه فقال له علي: كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي.. فاقتحم عمرو عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأق إلى علي فاستقبله بدوقته فضربه عمرو فيها ففقدها. وأثبت فيها السيف وأصاب رأس علي فشجه، فضربه علي على حبل عاتقه فسقط قتيلاً.. فكبر المسلمون فرحاً بقتله، ورجع علي إلى النبي ﷺ وهو متهلل فقال له: كيف وجدت نفسك معه؟ فقال: وجدته لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدردت عليهم.

هذا علي المسلم المخلص لرسول الله يبلغ مبلغ الأبطال ويبزهم على حداثة سنه. ولا شك أن ذلك من آثار تربية النبوة التي غذته بالإيمان واليقين.

وهو بعد فاضل مطيع لله يحبه الله ورسوله.

في غزوة خيبر يطول الحصار، ويشد العدد على المسلمين فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدورون ليلتهم كلهم يرجو أن يعطاها. فلما أصبحوا

غدوا على رسول الله ﷺ فقال أين علي؟ فقيل هو يشتكي عينيه. فأرسلوا له فدعاه وتفل في عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية وقال: انفذ علي رسلك حتى يفتح الله على يدك.

وهذه منقبة لم تكن لسوى علي رضي الله عنه.

ويستمر علي في التقدم وفي بلوغ الشاؤ الأعلى حتى يوليه رسول الله القضاء. فعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلت يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء. فقال: إن الله يهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. فقال لما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد هذا.

وبعد: فهذا وكثير غيره رب رسول الله علياً حتى بلغ الدرجة التي يحسده عليها كل شخص. وحتى صار الخليفة الرابع لرسول الله ﷺ. هكذا كانت التربية، تشجيع وترغيب وزرع للثقة بالنفس وتمكين للإيمان وتعويد على الكر والفر، وترشيح للزعامة والرئاسة.

من أولئك الشباب الذين حظوا بتربية النبوة صحب رسول الله في شبابه، فارتوى من معين النبوة، وعلمه رسول الله الحكمة والعلم حتى بلغ الذروة في ذلك.

وقد بدأه باللطف واللين والترغيب. فأساه وقربه إلى نفسه حتى اختلط حب رسول الله بقلبه ودمه ومن المعاملة النبيلة التي كان يعامل بها رسول الله الشباب ما نقله معاذ، قال: (أخذ رسول الله ﷺ يوماً بيدي ثم قال: يا معاذ والله إنني أحبك، فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك فقال: (أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

بهذه الكلمات اللطيفة والمقدمة البارة استطاع رسول الله أن يفتح قلب معاذ، وأن يجعله يتقبل ما سيعلمه إياه.. فأين هذا من معلمي وقتنا اليوم ترى هل يعون مثل هذا الأسلوب التربوي الذي يوصل المعلومات برغبة وحب، وتسلم، وتطبيق فعلي لا ينتهي بمجرد نهاية الدرس أو أداء الامتحان.. إننا بحاجة إلى مثل هذه الطرق التربوية التي تبني العقول، وتكون الرجال.. ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

ويستمر رسول الله ﷺ في تربيته المثلى لمعاذ فيبأسطه ويناقشه، دخل عليه معاذ مرة فقال: (كيف أصبحت يا معاذ، قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى، قال: إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، وما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأنني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها، معها نبيها، وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأنني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة قال: عرفت فالزم).

ويكثر شغف معاذ بالعلم، وانتهاز الفرص للاستفادة من رسول الله.. فيقول عن نفسه: تصدित لرسول الله ﷺ وهو يطوف، فقلت يا رسول الله.. أرنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس



شرار العلماء في الناس .

ويبلغ معاذ في العلم مبلغاً يؤهله لتولي القضاء والفصل في الأمور ، فیرشحه رسول الله ﷺ لذلك وعمره عشرون عاماً فيحضره رسول الله ﷺ ويخبره بما عزم عليه من أنه سيعينه قاضياً لليمن ويقول له : ( بم تقضي إن عرض لك قضاء ، قال معاذ : قلت أقضي بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ، قلت : أقضي بما قضى به رسول الله ، قال : فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله ، قال : قلت اجتهد رأيي ولا آلو ، قال : فضرب صدري وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ) .

ثم كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن كتاباً بشأن معاذ .. وقال فيه : ( إني قد بعثت عليكم من خير أهلي في علمهم ودينهم ) لقد أوجد في نفس معاذ الثقة ودفعه وشجعه ليعمل فكره ورأيه ويحكم عقله ، وبيت في الأمور .. ونعمت التربية والتوجيه .

استعد معاذ للسفر وتجهز وجاء إلى رسول الله ﷺ ليلتمس منه النصيحة الأخيرة التي تساعد في مهمته الكبيرة ، فقام إليه رسول الله ، وأمره أن يبقى راكباً ، فسار راكباً ورسول الله ﷺ يمشي إلى جانبه يوصيه فقال : يا معاذ (أوصيك وصية الأخ الشقيق أوصيك بتقوى الله ، وعد المريض ، واسرع في حوائج الأراميل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين واتصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم) .

تواضع من رسول الله ﷺ يمشي ومعاذ راكب والناس ينظرون إليه يريد بذلك أن يعلم الناس حسن الخلق وسياسة الحاكم ، وتشجيع الوالي وإشعاره بقيمة نفسه ، ثم هو بعد يوصيه وصية تنفعه في عمله فهي دستور واضح لمعاملة الناس وإنصافهم وتفقد شؤونهم . وهذا الشاب القاضي بلغ من علمه أن قال فيه رسول الله ( أعلم امتي بالحلل والحرام معاذ .. ) وتوفي رسول الله ﷺ واستمر معاذ يفيد من علمه الذي علمه رسول الله ، وحينما خرج إلى الشام قال عمر : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفهم به . ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يجلسه حاجة الناس إليه فأبى علي وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أجلسه .. فقلت : والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته . وخطب عمر بالجابية فقال : من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل .

وعن أبي مسلم الخولاني قال دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا لا يتكلم ، فإذا امتري القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت لجلس لي .. من هذا ؟ قال معاذ بن جبل ، فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى ترققوا . هكذا أثرت التربية النبوية ، وأبنت على حداثة الغرس ، وآتت ثمرها إيماناً وعلماً وخلقاً وقضاء وقيادة .

أسامة بن زيد مولى لرسول الله ﷺ وكان أبوه كذلك عاشا في بيت رسول الله وفي خدمته ، فربوا في بيت النبوة يسمعون الوحي ويعون إيضاح رسول الله ﷺ له ولم يمنعهما كونهما من الموالى من بلوغ المنزل السامية التي يحسدها عليها غيرها .

أدرك رسول الله ﷺ استعداد أسامة للقيادة فأراد أن يجربه ويعطيه الفرصة .. فعن الحضرمي قال : بلغني أن رسول الله ﷺ بعث أسامة بن زيد على جيش وكان ذلك من أول ما جرب أسامة في قتال وعمره نحو من ثماني عشرة سنة ، فلقى فقاتل فذكر منه بأس قال أسامة فأتيت النبي ﷺ وقد أتاه البشير بالفتح فإذا هو متهلل وجهه فادناي منه ثم قال : حدثني فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلاً وأهويت إليه بالرمح فقال الرجل ( لا إله إلا الله ) فطعنته فقتلته .

فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا إله إلا الله فلم يزل يردداه علي حتى وددت اني انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام من جديد فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله بعد ما سمعت من رسول الله .

في هذه المواجهة تلاحظون لونين من ضروب التربية . فقد لأن له رسول الله ورغبة حتى أدناه وسر لقربه واستمع لحديثه بشغف وشوق .

ثم بسرعة تغير الوجه المبسم المتهلل إلى تمجيم ، وإصرار لأن ذلك الشاب قد أخطأ .. وعمل عملاً لا يجوز في مبداء الإسلام فنحن أمة ندعو إلى قول ( لا إله إلا الله والعمل بها ) .. فإذا آمن الناس من ذلك دعوانهم وقاتلتهم وإذا قالوها عن صدق وإيمان صاروا إخواننا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وهكذا تربية رسول الله ﷺ لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ، وقسوة وقت القسوة .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس أحياناً على من يرحم

وأما منزلة أسامة لدى رسول الله ﷺ فلأنها قريبة وذات قدر ومكانة .. فعن عائشة رضي الله عنها أن قرشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجترأ عليه إلا أسامة بن زيد حيث رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة لم تشفع في حد من حدود الله ، ثم قام النبي ﷺ فخطب فقال : إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإني لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وهذه تربية قاسية لأسامة فقد ظن بطبيعة البشرية أن قربه من قبل رسول الله ﷺ سيمكنه من التشفع لهذه المرأة . ولكن رسول الله لا تأخذه في الحق لومة لائم حتى لو كان على أحب الناس إليه وأقربهم منه ابنته فاطمة .

ولكن هذه القسوة والإرشاد اللذين يعامل بهما رسول الله ﷺ أسامة لم ينزعاً الثقة عنه بل هو تربية وتعويد على الحق .. فقد بقيت هذه الثقة حتى بعد وفاته ﷺ حيث عقد له لواء لغزو الروم .. وخرج أسامة بجيشه خارج المدينة وبقي للتجهيز والاستعداد وتلاحق بقية الجند .. وفي هذه الأثناء بلغهم نعي رسول الله ﷺ فبقي إلى أن بويع خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر .. فكلم في بعث أسامة .. وفيه شيوخ الصحابة سناً وعلماً ، وحنكة وقيادة .. فقال : والله لا أحل لواء عقده رسول الله .. وسير أسامة وفي الجيش صناديد الصحابة يطعمون هذا الشاب ويأتمرون بأمره ويجلسونه .. وسار الجيش وانتصر وعاد للمدينة . ويؤكد أن رسول الله ﷺ يعرف استعداد أسامة وصلاحيته للقيادة . ولعل رسول الله ﷺ قصد من ذلك تعليم أمته السمع والطاعة لولاة أمورهم وعدم مخالفتهم ولو كان في المرؤسين من هم خير منهم وأكثر علماً ومعرفة ..





له : ( إنك شاب عاقل لا نهيك ) . وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب .

بهذه التربية النبوية بلغ زيد ما بلغ ولا غرو في ذلك فإن ذلك المجتمع كان كما ترون ، تسابق إلى الفضل ، وحرص على العلم في تعاون واحترام متبادل ، وعرفان بالجميل ولنا فيهم القدوة والسير على طريقتهن حتى يكون مجتمعنا مثالياً .

أيها الشباب إن هؤلاء الشباب ، آمنوا عن صدق واقناع فأخلصوا لعقيدتهم ، وتحملوا في سبيلها كل أذى وعنت . فقد هجروا أهلهم وأولادهم ، ومزاج صباهم ، والمواضع التي درجوا عليها وألفوا تراها . تحملوا الجوع ، والضنك ، والحصار ، حتى باتوا يأكلون ورق الشجر . ويوسع أي واحد منهم أن يسير بضع خطوات ليتمتع بالأكل اللذيذ ، والشراب البارد ، والراحة الهادئة . ولكن آثروا البقاء مع محمد . . وضحوا بكل غال ونفيس في سبيل عقيدتهم وصبروا ولم يتحول أحد منهم عن هذا الدين الذي جاء به محمد رغم التعذيب والتنكيل . إلى أن أذن الله لهم بالخروج فخرجوا إلى بلاد غير بلادهم وأناس لم يألفوا طباعهم ولا أشكالهم ، ولا يعرفون لغتهم فعاشوا معهم . . ويقوا بعبيدين عن أهلهم وبلادهم يلتذون لهذا التعب ، ويتقربون إلى الله بما يلاقون من جهد وعناء . ولما أذن الله لنبيه أن يترك مهبط الوحي إلى مكان مهاجرة . . ليخرج هذا الدين عن الحدود الضيقة تنفس المسلمون الصعداء . وأخذوا يتفقهون في دينهم ويدعون له في كل مكان . يجاهدون ، ويقاتلون إن لزم القتال ، ويسافرون ويركبون البحر ويتسلقون الجوازح حتى انتشر الإسلام ولم يبق داخل حدود معينة بل صار دين البشرية كلها وكل ذلك بفضل الله وإرادته ثم بجهد وتصميم رسول الله وأولئك نفر معه من أصحابه ومع ذلك فقد كانوا في غاية من الأدب والاحترام لرسول الله ، وفي قة العاملة الحسنة لبعضهم حتى بنوا مجتمعاً مثالياً يؤثر فيه الرجل أخاه المسلم على نفسه

حتى ولو كان الوالي مولى وكان الرعية سادة . . وكلما كان التعليم عملاً كان أوقع وأكثر ثباتاً .

زيد بن ثابت الانصاري بدت عليه علامات الذكاء والنبوغ منذ حداثة سنه . . وقد كان من حسن حظه أن صحب ( مصعب بن عمير ) الذي بعثه رسول الله ﷺ قبيل الهجرة ليعلم أهل المدينة القرآن ، وأصول الدين . وكان زيد من بينهم وعمره ست سنين واكتشف مصعب ذكاء في هذا الغلام وقوة حافظه .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان زيد من أول من عرفهم رسول الله من شباب أهل المدينة فقد روي عنه أنه قال : ( أتى بي إلى النبي ﷺ عند مقدمه المدينة فقبل له : هذا فتى من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فلاني ما آمنهم على كتابي ، ففعلت لما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم . وإذا كتبوا إليه قرأت له . . ) .

اكتشف رسول الله ﷺ بفكره النير استعداد زيد للحفظ والإدراك فوكل إليه هذه المهمة الصعبة ، التي يحتاجها رسول الله ويكتفي بها شر أعدائه وكانت فرصة نادرة لزيد إذ مكنته من القرب من رسول الله فكان دائماً عنده يكتب له بالعبرانية ، وباللغة العربية .

ويتأدب منه بما يسمع ويرى حتى بلغ النهاية في العلم والفقه ، وخاصة في الفرائض والحساب حتى قال عنه رسول الله ﷺ ( أفرضكم زيد ) . وكان من كتاب الوحي ، ومن المفتين ، وكان يعظمه الصحابة فقد حدث أن زيداً ذهب ليركب فقام ابن عباس وأمسك بالركاب فقال له : تنح يا ابن عم رسول الله فقال له : لا . هكذا نفعل بالعلماء والكبار .

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه عهد إليه بجمع القرآن وقال



ويقدمه على أهله وأولاده . . ويعرض عليه أن ينزل له عن نصف ماله وأحد زوجاته ويصف الله عز وجل هذه المعاني السكرية بقوله : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾<sup>(١)</sup> .

ويصف حياتهم الإجتماعية بقوله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيأهمهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرأ عظيماً ﴾<sup>(٢)</sup> .

واليوم . . إن شبابنا والله الحمد ، لا ينقصهم الفهم ، ولا ينقصهم الذكاء ، ولا الاستعداد للتحصيل والادراك . . فكل الوسائل مبدولة وميسرة ، ولا عذر لأحد في العمل والاجتهاد وإدراك المطلوب بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه توافر في هذا الزمن من وسائل العلم والاطلاع ما لم يكن ممكناً قبل . فالمكتبات ملأت الدنيا ، ووسائل الإعلام موجودة ، والمدارس والمعاهد والجامعات في تناول كل فرد .

إذن ما الذي ينقص شبابنا . إن الذي ينقصهم هو الثقة ! الثقة بأنفسهم أولاً وأنهم رجال مثل أولئك الرجال .

وثانيا الثقة في مبدئهم وأمتهم . . عند ذلك يستطيعون أن يعيدوا عصر أولئك الشباب . وإن من أعجب الأمور أن يكون لدى الإنسان كنزاً لا يدركه هو ، ولا يعرف قيمته . إن لدى شبابنا هذا الدين القيم الذي يبحث عنه العالم أجمع . إن قادة العلم اليوم ومفكرهم قد اقتنعوا بأن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد هو المنقذ الوحيد لهم من هذه المبادئ الهدامة والمدنية الزائفة والحيرة المتأصلة فلقد قال (برناردشو) الفيلسوف الإنكليزي : (إن العالم بحاجة إلى رجل مثل محمد يحل مشاكله وهو يحتمي فنجناً من القهوة . نعم إن محمداً جاء هادياً للبشرية ومنقذاً لها من ورطتها ومنادياً إلى الحق ومخرجها من الظلمات إلى النور) .

وقال (بورت سمث) : إنه سيأتي اليوم الذي يعترف فيه كبار القوم وزعماء النصرانية العتيقة بأن محمداً نبي هذا البشر وأن ما جاء به حق .

هؤلاء هم زعماء العالم من غير المسلمين وفلاسفته يثبتون بأن السدين الإسلامي هو أملهم الوحيد ولا غرو في ذلك فالدين الإسلامي هو الذي نزل من رب البشر الذي يعلم طباع البشر ونوازعهم وأهواءهم ورغباتهم ويعلم الزمن وما يلد من جديد . إنه مبدأ ثابت لا يتغير ولا يهتز ولا تؤثر على نظامه العوامل ولا الرغبات ولا القوات ولا كثرة الأنصار ، فهو صالح لكل البشرية يضمن المصالح ويرضي جميع الطبقات ويشبع كل الرغبات .

إذن فشبابنا مدعوون لنشر الدين الإسلامي وإبلاغه للعالم كل بحسبه وعلى قدر طاقته بالطريقة التي يفهمها العالم ، وسوف يتقبله العالم بإيمان واقتناع . . وهذه مهمة تتحملها عقول الشباب وأجسامهم وليس لهم من عذر . . ما دام معهم الدواء والعالم كله يطلب العلاج ونحن على ثقة تامة بأن شبابنا سيحملون الرسالة ويؤدون الأمانة وما ذلك على الله بعزيز .

\* (محاضرات القيمة في المركز الصيفي للشباب) في الطائفت عام ١٣٨٩ هـ

#### المراجع

- ١ - كتاب الله .
- ٢ - سنة رسول الله .
- ٣ - ابن كثير .
- ٤ - ابن هشام .
- ٥ - القاموس المحيط .
- ٦ - محاضرات في الدين والتاريخ الاجتماعي - عبد الغني الدقر .
- ٧ - شباب قريش في بدء الإسلام - عبد المتعال الصعدي .

#### الهوامش

- ١ - سيرة ابن هشام ص ١٠ ج ٣ .
- ٢ - الكيول : مؤخرة الصف .
- ٣ - ٢١٤ سورة الشعراء .
- ٤ - ٨ ، ٩ ، ١٠ سورة الحشر .
- ٥ - ٢٩ سورة الفتح .





# اللغة

## عند

### علماء العرب

### الأقدمين

★ يقول اللغوي الانجليزي روبنز Robins في كتابه A Short history of Linguistics «تاريخ قصير لعلم اللغة» من أفلاطون إلى شوتسكي Chonsky ، إنه من المعقول أن يبدأ هذا الكتاب من الزمان الذي أسهم فيه الإغريق في علم اللغة .

وفعلا لقد ظهرت أول دراسات في اللغة وخصوصاً في علمي الأصوات والنحو ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، بأعمال من عاشوا قبل سقراط Socrate ، ثم مع سقراط وأرسطو وأفلاطون .

ومن العجيب أن نلاحظ أن الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يستعملون النظام الفينيقي في كتاب لغتهم ، وذلك أنهم كانوا يكتبون الحروف فقط ، وكان على القارئ أن يضيف الحركات ليفهم معنى النص . وهذا مثل العربية تماماً . وفيما بعد صار الإغريق يكتبون الحركات أيضاً بادئين بالحركة المناسبة لصوت «a» الذي استعاروه من الأبجدية العبرية .

وفي القرن السادس بعد الميلاد عندما أغلق الإمبراطور جستينان Justinien ، الأكاديمية الأثينية استقبل الإمبراطور كسرى أنو شروان الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا قد كفوا عن

العمل ★

# وعلماء الغرب

## المعاصرين

بقام المستشرق: د. أوديت بيتي



أن الله هدانا بالكفاية .

وللسيوطي نحو ٥٠٠ مصنف ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة في جميع علوم زمانه ، بل في التفسير الدر المنثور في التفسير المأثور ( في ستة أجزاء ) ، وكتاب في أنساب العرب وتاريخ الخلفاء .. وكتب عديدة في الحديث ، وفي طبقات المفسرين - والحفاظ واللغويين والنحاة ومؤلفات في النحو واللغة منها « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » الذي سأحدث عنه الآن .

**ولقد اخترت أن أحلل هذا الكتاب ، لأنه يجمع عدداً لا يحصى من منتخبات استخرجها مؤلفنا من تقدموه في لغة العرب ونحوها وتاريخها .**

نجد في المزهر نصوصاً طويلة أو قصيرة جمعها السيوطي حول المجادلات عن المسائل في اللغة التي ناقشها العلماء خلال العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية .

ومنهج السيوطي يقوم على تقديم آراء اللغويين وأهل الأصول والنحويين المختلفة ، وقليلاً ما يختم عرض المسألة بسط رأيه فيها قائلاً وقلت .. كذا وكذا .. وهكذا يظهر المزهر كمجموعة من النصوص انتخبها مؤلفنا من كتب العلماء المتقدمين ، وذلك نوع معروف من مصنفات العصور التي أطلق عليها **عصور الاخطاط** .

غير أن ما يفرق « المزهر » من المجموعات العديدة الأخرى هو أن السيوطي لم يعتمد على ذاكرته ليقدّم كل ما كتب حول موضوع ما ، بل انتخب أمثله وسطها بشكل يوضح مسألة ذات أهمية عظيمة في المجال الذي يبحث فيه ولعل من الأفضل أن نستمع إليه حيناً يفسر غرضه .

يقول السيوطي في مقدمة المزهر عن علم اللغة : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترت تنويحه وتبويه ، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك .. غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق مسلكه قبلي طارق » .

هذا في رأينا صحيح ويمكننا أن نضيف عليه أنه قد سلك طريقاً لم يسلك فيه أحد حي بعده ، إذ إن السيوطي يمثل كما يقال الإشعاع الأخير للعصور الذهبية ، وكان من نتيجة ذلك أن صار العلماء بعد خمسة قرون ، لا يفهمونه ولا يبلغون مقاصده ، بل لقد وجهوا إليه نقداً لا مبرر له .

إذاً لقينا نظرة على فهرس كتاب « المزهر » ، نجد أن هناك خمسين نوعاً قد جمعهم المؤلف حول ثمانية مواضيع كلها راجعة إلى اللغة .

فالموضوع الأول راجع إلى اللغة من حيث الاسناد ، والثاني من حيث الألفاظ ، والثالث من حيث المعنى ، وفي الموضوع الرابع يعرض فيه السيوطي لطائف اللغة وملحها ، والموضوع الخامس في حفظ اللغة وضبط مفاريدها ، والموضوع السادس في رجال اللغة ورواتها ، والموضوع السابع في الشعراء .

وفي الموضوع الأخير يعرفنا السيوطي على أغلاط العرب ، ثم يختم المؤلف كتابه بذكر ملح ومقطعات من كلام فصحاء العرب ونسائهم

وبدأت الثقافة اليونانية تؤثر على الثقافة العربية وخاصة بترجمة المؤلفات اليونانية إلى اللغة السريانية ثم ، إلى العربية . في ميدان علوم اللغة ترجم يوسف الاحوازي قبل وفاته ، أي قبل ٥٨٠ ميلادية ، الكتاب المسمى Techné للعالم اليوناني Dionysios Thrax .

**وهناك تراجم أخرى عديدة تبرهن على أن العرب تعرفوا على أفكار اليونانيين وعلى فلسفتهم ومناهج تفكيرهم .**

لا شك في ذلك الآن ، غير أن هنالك خلافاً في القدر الذي أخذه لغويو العرب ونحاتهم عن تقديمهم من علماء .. ففياً يخص ميدان علوم اللغة ، فإننا نؤيد ونوافق من يقول إن العرب تأثروا في مواضيع جزئية ، أما فيما يتعلق بالنظام الكلي ، فقد فكر العرب بعقليتهم العربية الإسلامية واعتمدوا على أصول لغتهم ليصفوها وليحللوا تراكيبيها واعتمدوا على عقيدتهم الإسلامية وليفسروا تطورها ، وذلك إلى حد ما يمكننا من القول بأن علوم اللغة والنحو كانت من بين العلوم الإسلامية الأقل تأثراً من غيرها بالعوامل الخارجية . إنني لا أريد أن أبين ما الذي ورثته العلوم اللغوية العربية من غيرها ، ولكنني سأحاول أولاً ، أن أوضح المواضيع التي بحث فيها العلماء العرب ، وهي المواضيع نفسها التي صار يهتم بها لغويو القرن العشرين من الغرب وأريد ثانياً ، أن أبين أن الأجوبة التي أتى بها العرب تشبه ما يبتكر اليوم من جديد في نفس الميدان .

واخترت لهذا التوضيح عمل عالم عربي شهير في القرن الخامس عشر الميلادي ، هو **عبد الرحمن السيوطي** . يقول الزركلي في قاموسه المسمى « الأعلام » ، في تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين : « إن جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، قد ولد في القاهرة سنة ٨٤٩هـ ، وكان من عائلة فارسية الأصل ، وقيل إنه لقب بالسيوطي ، لأن أباه كان قاضي مدينة أسبوط بمصر » . ويضيف الزركلي قائلاً : « إن السيوطي كان إماماً ومجتهداً وحافظاً ومؤرخاً وأديباً » .

ويقول السيوطي عن نفسه في كتابه « حسن المخاضرة في أخبار مصر والقاهرة » : « إن الله كان قد مكنه على معرفة جيدة في سبعة علوم .. التفسير والحديث والفقه والنحو والفصاحة والبلاغة » ، ويضيف قائلاً : « إنه أحسن أيضاً في أصول الفقه والمجادلة وعلم الاشتقاق والانشاء وفن الكتابة وعلم الفرائض والقراءات والطب » .

وأما الشاعر شمس الدين القاذري معاصر السيوطي ، الذي توفي سنة ٩٠٤هـ ، فقد نظم قصيدة ، حيث يفخر بالسيوطي ذلك الإمام العلامة ، الزاهد المجتهد إلى آخره .. وفعلًا لقد درس السيوطي أكثر العلوم التي كانت قد ازدهرت خلال العصور الذهبية للحضارة الإسلامية .

ولقد نال منذ صباه الباكر ، إجازة تدريس اللغة العربية في أوائل سنة ٨٦٠هـ ، من الشيخ شهاب الدين الشرمشاجي .. ثم رحل في طلب العلم إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ، حتى إفريقيا .

ولما بلغ الأربعين من عمره اعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه في روضة المقياس على النيل ، منزوياً عن أصحابه جميعاً وألف أكثر كتبه - ويقال إن الأغنياء والأمراء ، كانوا يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها . ويروي أن السلطان الجوري ، بعث إليه ذات يوم عبداً وألف دينار فقبل مؤلفنا العبد ليحرره ، وقال لرسول السلطان لا تأت إلينا أبداً بهدية إذ



وصغارهم وأمانهم .

وقد يجوز لنا أن نعتبر هذا المصنف ، دائرة معارف في مجال اللغة بسبب تعدد المواضيع التي اهتم المؤلف بها والدقة والجرالة اللتين نظم بهما كل باب .

وفي المجلد الثاني مثلاً ، يذكر السيوطي أبنية الأفعال ، أي ما جاء على وزن فُعَالَة وفُعُلِّي وفاعول وفاعول وفعلول وآخر . ثم يذكر الألفاظ التي جاءت على أبنية عديدة ومعان مختلفة ، ومنها الألفاظ التي تقال مثلاً للمجهول ، فيقول ابن السكيت في كتابه « المثني » يقال للرجل الذي لا يعرف هي بَنُ بَيَّ . . . هَيَّأُ بَنُ بَيَّان وهلمعة بن قلمعة .

ويقال للرجل الذي لا يدري من أين هو : طَائِرُ بن طامر . انتهى كلام ابن السكيت .

وفي الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي يقول السيوطي : « مثل هذا أن يقال ما بالدار كتيغ ولا بها عريب ولا نافخ نار ، وما بها وابر وما بها شفر » . هذه الأمثلة شهادة على سعة المجال الذي اهتم به مؤلفنا ودقة بحثه والفوائد العديدة المختلفة ، التي يمكن أن يستفيد منها القارئ والباحث في مثل هذا النوع من المصنفات ، منها ما يرجع إلى أبنية الكلم وتراكيب الجمل ، ومنها أيضاً ما يرجع إلى معرفة نظم العرب الأقدمين وثقافتهم اللتين يمكننا أن نستخلصهما من خلال كلامهم . ولنا أن نستنتج من هذا المثال الذي استشهدت به فيما يقال للمجهول ، مقدار أهمية النسب عند العرب الأوائل وقوة النظام العائلي والقبائلي داخل النظم الأخرى .

ولكن رغم أنني على ثقة من أنه لا بد لقارئ « المزهرة » من أن يجني فوائد عديدة من مؤلف السيوطي هذا ، فإنني قد وجدت ضالتي في النوع الأول من هذا الكتاب ، وأريد الآن أن أقدم ثمرة بحثي .

لقد سمى السيوطي النوع الأول من المزهرة : « في معرفة الصحيح ويقال له الثابت المحفوظ » . أي وفق الطريقة التي عمل بها علماء الحديث النبوي . ويقدم السيوطي في هذا النوع ست عشرة مسألة حول اللغة ، يمكننا أن نلخصها على النحو التالي :

- المسألة الأولى ، في حد اللغة وتصريفها .
- المسألة الثانية ، في بيان واضع اللغة وهل هي توقيف ووحى أو اصطلاح وتواطؤ .
- المسألة الثالثة ، في بيان الحكمة الداعية إلى وضع اللغة .
- المسألة الرابعة ، في حد الوضع وشروطه .
- وفي المسألة الخامسة ، يناقش السيوطي السؤال التالي : هل وضع الواضع المفردات والمركبات الاسنادية أو المفردات خاصة دون المركبات الاسنادية ؟
- المسألة السادسة ، في اللفظ والمعنى والمدلول .
- المسألة السابعة ، في هل الغرض من الوضع إفادة المعاني المفردة أو إفادة المركبات .

- وفي المسألة الثامنة ، يوضح الفرق بين مركبات اللغة والتراكيب .
- المسألة التاسعة ، يتحدث عن الكلي والمشخص .
- المسألة العاشرة ، هل هنالك مناسبة بين اللفظ ومدلوله ؟
- الحادية عشرة ، هل توضع اللغة كلها في وقت واحد ؟
- الثانية عشرة ، الطريق إلى معرفة اللغة .

● الثالثة عشرة ، هل تثبت اللغة بالقياس ؟

● الرابعة عشرة ، في سعة اللغة وهل يجوز أن يحاط بها ؟

● الخامسة عشرة ، في عدة أبنية الكلام .

● السادسة عشرة ، في أول من صنف في جمع اللغة ، أي خليل بن

أحمد وكتابه المسمى « بالعين » .

ويمكننا أن نجتمع تلك المسائل الستة عشرة بثلاثة مواضيع تتبع مسألة حد اللغة التي يأخذها السيوطي كمقدمة لتلك الموضوعات الثلاثة ، فيرجع الموضوع الأول إلى أصل اللغة ، والموضوع الثاني ، إلى نظام اللغة ، ويرجع الثالث إلى سعة اللغة وأول من صنف في جمعها .

ففيما اتخذه كمقدمة لتلك الموضوعات الثلاثة ، وهو حد اللغة وتصريفها يعتمد السيوطي على كتاب الخصائص لابن جني الذي قال : « اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضه » .

وإذا ما قارنا هذا الحد بما قاله أول عالم غربي مشهور في علم اللغة في القرن العشرين ، وهو ف . دوسوسور ، فإننا سنعجب من تشابه هذين التعريفين أو الحدين إذ أن دوسوسور في كتابه المشهور المسمى بـ Cours de linguistique générale دروس في علم اللغة العام يقول :

une langue est un système de signes distincts correspondant à des idées distinctes .



أي « اللغة نظام من السمات المعينة تناسب معان معينة » ، وسنجد بعد تحليلنا للموضوع الثاني ، الذي أشرت إليه أن وصف السيوطي لما يسميه بـ « الوضع » قريب جداً مما يسميه دوسوسور ، ومن جاء بعده من علماء اللغة بنظام le système .

وأما فيما يتعلق بتصريف كلمة لغة ، فكان من الطبيعي أن يرجع السيوطي هذا التصريف إلى أصل عربي لا إلى أصل إغريقي ، كما فعل بعض اللغويين



الذين اشتقوا كلمة لغة من الكلمة الإغريقية Logos ، التي تعبر عن معان مختلفة منها اللغة .

أما السيوطي فيرجع إلى ابن جني الذي قال عن اللغة :  
« وأما تعريفها فهي فُعلة من لَغَوْتُ أي تكلمت وأصلها لَغَوُ ككرة وقُلة وثبة كلها لاماتها واوات .

وكذلك اللغو قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا ﴾ ، أي بالباطل .

وفي الحديث من قال في الجمعة صه ، فقد لغا أي تكلم « انتهى كلام ابن جني .

ومهما يكن من أمر تعريف لغة للبحث الآن ، عما قيل في أصل اللغة ونظامها فهذين الموضوعين اعتبرهما ذوي أهمية كبيرة لمن يهم بعلم اللغة عند العرب .

في الموضوع الأول ، يبحث السيوطي عن أصل اللغة : هل هي توقيف من عند الله تعالى ، ووحى ، أم هي اصطلاح وتواطؤ؟ وفي هذه المسألة يعرض السيوطي وجهين ينهج في كل واحد منهما المنهج نفسه . فهو يأتي بحجج من يقولون في التوقيف ، ثم يأتي بحجج المعارضين قائلاً : قيل هذا وهذا .. الخ ، ثم يأتي بالرد على المعارضين لوجه التوقيف . ثم بعد أن ينتهي من هذا الوجه يفعل مثل ما فعل فيما يخص الاصطلاح ويأتي أخيراً بنصوص تفصل في الأمر .

وينطلق في محاججته اعتماداً على النصوص وخاصة على ثلاثة آيات قرآنية .

- بالأولى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .
- والثانية : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا ﴾ .
- والثالثة : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الْأَلْسِنَةِ وَالْوَأَنِّ ﴾ .

ثم يتبع السيوطي تلك الآيات بحجة عقلية فيقول :  
« لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام ويلزم ، أما الدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال ، فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف » .

وكما قلنا سابقاً يجادل مؤلفنا تلك الحجج آتياً بالاعتراضات والرد عليها .  
زاد أن تجادل في وجه التوقيف ، يتجه إلى وجه الاصطلاح وإلى ابن جني الذي يقول في الخصائص : « كأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه وقالوا « إنسان » ، فأبى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق ، وإذا أرادوا سمع عينه ، أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يدٌ ، عينٌ ، رأسٌ ، قدمٌ ، أو نحو ذلك . ففني سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا » .

ولاستدعي انتباهكم إلى ما يتضمن هذا الوصف من تشابه بما هو الأمر في الطرق الصوتية البصرية التي نستعملها الآن في تعليم اللغات الأجنبية والتي تنطبق تماماً على ما قاله السيوطي في نفس الميدان في القرن السادس عشر .  
وفيما يتعلق بأصل اللغة بعدما يقدم السيوطي آراء العلماء من أهل السُّنة ، ومن علماء الكلام والمحققين ، يؤكد لنا أنه من الفاسلئين إن اللغة توقيف ويضيف أن كلاً من الوجهين جائز ، إذ إن هذا النوع من السؤال لا يستدرك

بالعقل ولا دليل له في السمع ، وذلك لا يعني أن اللغة جاءت جملة واحدة ، إذ إنه كما قال أحمد بن فارس في فقه اللغة : « ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف ، إنما جاءت جملة واحدة في زمان واحد وليس الأمر كذلك ، بل وقف الله ( عز وجل ) آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم من عرب الأنبياء ( صلوات الله عليهم ) ، نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ ، فأتاه الله تعالى ، من ذلك ما لم يؤته أحدٌ قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة » .

أما فيما يخص الوضع فنبدأ بالعلاقات بين الألفاظ والمعاني : ويذكر السيوطي إن كان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك لأن الكلمات متناهية إذ أن مواردها ومصادرها متناهية فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة .

فالوضع الذي نراه في مجال الأسماء يفصل بين الألفاظ المتناهية والمعاني اللامتناهية بفضل الاشتراك ، نجده أيضاً في إطار أوسع إذ إن في ميدان الكلام الذي أفادته الأخبار نجد الوضع يبين الكلام المفيد وشروطه الثلاثة . الأول ، ألا يبتدأ الكلام بما يخالفه . والثاني ، ألا يختم بما يخالفه . والثالث ، أن يكون الكلام صادراً عن قصد .

وأخيراً نجد أيضاً ، الوضع في ميدان المركبات إذ إن السيوطي يفصل بين كلمة مركبات وتركيب .

فالوضع الذي يصفه السيوطي بدقة والذي يخص بالعلاقات التي تولد الأسماء ثم الكلام ، وأخيراً تركيب المركبات هذا الوضع أنشأ شيئاً فشيئاً علماً له نظام خاص وقواعد خاصة علماً تحولت فيه الأبنية إلى ألفاظ ، والمعاني إلى مدلولات ، حيث الكلمات هي سمات الماهية الخارجية .

وهذا العلم ليس إلا علم اللغة الذي سيخترعه من جديد علماء اللغة في بداية القرن العشرين في الغرب ، ولا يناقض الاعتقاد ، بأن اللغة توقيف ووحى ، أما نظام اللغة أي وضعها الذي حلله السيوطي فيذكرنا بالدراسات العديدة التي ازدهرت في أوائل قرننا .

وما يستدعي العجب هو ذلك الضوء الذي يسلمه السيوطي على إسناد التراكيب اللغوية والنسب بين المفردات في الجمل ونعلم أن هذين الموضوعين اللذين يمثلان العلاقات بين الأشياء ، هما اللذان يسيطران على الفكر المعاصر في جميع الميادين ودليل هذا أن أكبر باحث في دراسة نظام الدماغ وهو Pierre L'hérumite ، يقول : إن دماغنا وقت ولادتنا يتضمن عدداً قليلاً جداً من العلاقات العصبية أو ما يسميها les connectios, L'hérumite ، التي يمكن للعالم أن يراها ، إذ أنها ليست صورية بل مادية ، ويضيف أنه بازدياد هذه العلاقات ينمو الطفل الصغير بشكل تصل الملايين من العلاقات الجديدة يومياً إذا وجد الطفل بيئة مشوقة تسهل نشأة العلاقات في دماغه .

فإذا أردنا أن نجد أجوبة للتساؤلات العديدة التي يوجهها إلينا علمنا الحائر ، فعلينا أن نعود إلى الأقدمين ، هذا ما فعلته ، أنسا بالرجوع إلى السيوطي وعلماء العرب الأوائل ، ووجدت في المزهر نفس التساؤلات التي يطرحها علينا عصرنا هذا وبعض الجواب عليها ، إذ أننا ولحسن الحظ ، نجد على مر العصور وفي كل بقاع العالم ، ثوابت تربط كل التحولات بعضها ببعض .



## قصيدة و قصيدة

# وامق غير ماثقت

فرغ العذري رأسه ، عمرة عيناه مغضباً ، وهو يقول :  
إن كثيراً رجل مائق وأنا رجل وامق .  
فعاد التميمي يعظه ويقول له :  
قد جاء عن نبينا ﷺ ، أنه قال :  
من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي !  
فأنشأ العذري يقول :

ألا ما للمليحة لم تعدني  
أجل بالمليحة أم صدود  
مرضت فعادني أهلي جميعاً  
فألك لا ترني فيمن يعود  
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً  
وفقد الإلف يا أملي شديد  
وما استبطأت غيرك فاعلميه  
وحولي من ذوي رحمي عديد  
ولو كنت المريض لكنت أسمى  
إليك وما يهدني الوعيد

قال الراوي : إنه شهق شهقة وخفت فأت !  
(ذم الهوى ص ٥٠٤ - ٥٠٥) .

ويذكر السراج : أن الصيحة وقعت في الحي ، فخرجت جارية  
كأنها فلقة قر ، تخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه وقبلته ،  
وقالت قصيدة منها :

فأما إذ حلت ببطن أرض  
وقصر الناس كلهم اللحوذ  
فلا بقيت لي الدنيا فواقاً<sup>(١)</sup>  
ولا لهم ولا أثري عديد

ثم شهقت وماتت !

ويقال : إن أبا الجارية دفنها في قبر واحد وقال :  
والله لئن كنت لم أجمع بينكما حيين ، لأجمعن بينكما ميتين !  
(مصارع العشاق ١/١١١) .

هوامش

فواقاً : ما بين الحليتين من الوقت .



خرج تميمي في طلب ضالة له في أرض بني عذرة ، فأوى إلى بيت  
معتزل في كسره شاب مغمي عليه ، وعجوز كانت فجراً باسمها عليها بقية من  
جمال . وكان هذا الفتى كلف بينت عمه منذ الصغر ، فلما كبرت حجبت عنه  
وتزوجها غيره .

فنحل جسمه وأصفر لونه وذهل عقله !  
وأخيراً أغمي عليه .

فصار التميمي - بناء على رغبة العجوز - يعظه ويقوي معنويته ، فما ترك  
موعظة من قرآن أو سنة أو أثر إلا وعظه بها .  
ثم صار يعظه بالشعر فقال له :

إنهن الغواني صاحبات يوسف الناقضات العهد وقد قال فيهن  
كثير عزة :

هل وصل عزة إلا وصل غانية  
في وصل غانية من وصلها خلف



# المرابطون..

لم يكن الناس إذاك يأبهون بهذه القلة قليلة من المرابطين وما كان التاريخ ليصغي إلى هذه الكلمات القليلة الصارمة لولا أنه رأى هذه الطليعة قد استطاعت أن تكون دولة عظمى تضم تحت لوائها المغرب والأندلس وجزءاً كبيراً من إفريقيا الغربية ، وهكذا شهد هذا الجناح الإسلامي لأول مرة منذ الفتح وحدة حقيقية . وقد مهد يوسف بن تاشفين لهذه الوحدة بأعمال حربية جلية كان أهمها القضاء على البرغواطيين واستئصال شأفتهم وهم نحلة باطنية خطيرة ذات أصول يهودية وتكوين مريب !! ومن أهم إنجازات يوسف في ميدان الجهاد إنقاذه الأندلس من الانهيار والسقوط في أيدي النصارى الذين كانوا يسارعون في ابتلاع حصونها وقلاعها ومدنها وقراها مما كان ينذر بنهاية المسلمين بالأندلس في الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف منهمكين في الصراع الداخلي والحروب الاستنزافية القائمة بينهم ، ولكل بلاط بطانة السوء تزين للأمير سوء عمله وتشيد بمخازيه وتشجعه على المضي في الطريق الانتحاري التدميري وتتآمر مع العدو على تأريث العداوة بين الأشقاء واستعداد بعضهم على بعض ، وما كانت النذر لتنتفع هؤلاء على كثرتها وتتابعها إذ لا تكاد تمر فترة أو لحظة دون أن تفجع الأندلس بأساة صغيرة أو كبيرة والقوم في لهو وعبث وغفلة وغرور وصمم حتى حلت بهم الغافرة ونزلت بهم أفطع كارثة وذلك بسقوط أعظم قاعدة إسلامية وهي مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ ، وسقوطها أصبحت الأندلس مع ضعف المقاومة وتحاذل الرؤساء واختلال أمور المسلمين واختلافهم على أمرائهم الذين لم يكونوا يحسون بالأخطار الحقيقية إلا بعد فوات الأوان . لكن الله قبض للأندلس دولة المرابطين التي سارعت إلى استجابة نداء الأندلسيين واستصراخهم فكان الانتصار المرابطي الساحق على النصارى في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ ، وعاد يوسف وجيشه إلى المغرب تاركاً بالأندلس قوة تعزز الجيوش الأندلسية التي لم تكن تأمن غدر النصارى وهجومهم ، غير أن حكام الأندلس نسوا أمهم القريب وتعاموا عن واقعهم المائل فعادوا إلى ما كانوا فيه من

تكاد تكون الدولة المرابطية فريدة في تاريخ الإسلام ببلاد العرب ، فقد نشأت نشأة إسلامية صريحة وواضحة وانطلقت في مفهوم الجهاد والرباط وظلت كذلك إلى أن أجهز عليها «الموحدون» .

وهي من ثمرات تجارب الفطرة المغربية مع مدرسة العالم أبي عمران الفاسي ، اضطلع بقيامها طالب من نوابغ تلاميذ المدرسة العمرانية وخريج رباطاتها ، انتدبه أستاذه وجاج لهذا العمل لما لمسه فيه من حماس وإخلاص وتقوى وصبر وبعد نظر ، فاستجاب لأمر أستاذه في طاعة غلصة وتحمل أعباء الدعوة الإسلامية بالصحراء المغربية وإفريقيا الغربية التي كانت غارقة في الجاهلية والجهل والوثنية والدين المشوه ، فكان عبد الله بن ياسين الطالب المسلم الملتزم أول من أسس دولة عظمى موحدة على أساس من صفاء العقيدة وبساطة الدين والإلتزام بالجهاد ، فكان لهذه الدولة أعظم الآثار في المسيرة الإسلامية المتصاعدة في هذا الجانب من العالم الإسلامي .

وكان هذا القائد ذا ميزات قيادة فذة وعندما اطمان إلى تكوين قيادة متشبثة بالإسلام ومتصورة لمهامها ومستعدة لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية قال لإخوانه الذين سماهم بالمرابطين - لأنهم كانوا في رباط منقطع يترئون على الكتاب والسنة - قال لهم : « يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتحملوا في سبيل الله حق جهاده » . فقالوا : « أيها الشيخ : مرنا بما شئت تجلنا سامعين مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا » . فقال لهم : « أخرجوا على بركة الله وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته ، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » .





# دولة الباطونيات

بقلم: د. عبدالسلام الهراس

علي الصدي وأبي بكر بن العربي والقاضي عياض وأمثالهم من القمم ،  
وأن يكون فيها ابن طفيل وابن زهر وابن باجه .  
وفي هذا العصر شهد الغرب الإسلامي دولة تحترم العلماء وتكرم الإنسان وترفع  
عن إيذاء الخصوم حتى ولو كانوا من الأعداء . لذلك استحقوا من المؤرخين والشعراء  
كل ثناء يقول أبو الحسن ابن الجدي مادحاً يوسف بن تاشفين ورواصفاً أحوال  
الطوائف :

في كل يوم غريب فيه معتبر  
نلقاه أو يتلقانا به خبر  
أرى الملوك أصابتهم بأندلس  
دوائر السوء لا تبق ولا تذر  
قد كنت أنظرها والشمس طالعة  
لو صح للقوم في أمثالها النظر  
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدر  
هوى بالنجم خسفاً وما شعروا  
وكيف يشعر من في كفه قدح  
يحدو به ملهياه الناي والوتر  
صحت مسامعه في غير نغمته  
بما تمر به الآيات والصور  
تلقاه كالفحل معبوداً بمجلسه  
له خوار ولكن حشوه خور  
من حوله كل مفتر وما علموا  
أن الذي زخرفت دنياهم غرر

اللهو والعبث والتطاحن الداخلي والعسف والخياف حتى ضاق الناس ذرعاً بهم  
فاضطرو العلماء لمواجهتهم بما يجب فأفتوا بوجوب خلعهم وإنهاء حكمهم وإسناد الأمر  
إلى يوسف بن تاشفين ، فقام المرابطون بتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة ،  
وساسوا الناس بالعدل وامتشقوا دولتهم الحسام ، ورابط كبار قوادهم في الثغور  
الصعبة واستشهد معظمهم وهم يدافعون عن الإسلام والمسلمين ، ورغم اتساع  
إمارة المرابطين وعظمة دولتهم وتنوع أراضيها وتعدد شعوبها فإنهم لم يشعروا بغرور أو  
زهو ، لذلك لم نر أحداً منهم يدعي الخلافة ، بل جروا على لقب «أمير  
المسلمين» الذي تلقب به يوسف بن تاشفين معترفين بالخلافة العباسية وإمارة  
المؤمنين لمعاصريهم منها رغم ضعفهم وهزال خلافتهم .

وفي أيام المرابطين شهد المغرب العربي والأندلس نهضة علمية  
وثقافية كبرى ؛ ففي ظل هذه الدولة ظهرت المؤلفات الأدبية التي خلدت  
آداب الأندلس كالذخيرة لابن بسام وقلائد العيان للفتح بن خاقان والمسهب  
في غرائب المغرب للحجاري ، وهو أصل كتاب المغرب لابن سعيد ، وفي ظل  
هذه الدولة برز نجم شاعر الطبيعة الأكبر ابن خفاجة ، وازدهر فن التوشيح  
فظهر كبار الوشاحين ، كما ازدهر فن الزجل وظهر شاعره العظيم ابن قزمان ،  
وازدهر النثر الديواني والفني ودونت رسائل لكبار البلغاء كابن أبي الحصال .  
وهذا العصر كان عصر الدواوين الشعرية والتأليف الفقهية  
والحدیثية والنحوية واللغوية والطبية والكلامية والتاريخية  
والفلسفية ، وفي هذا العصر ازدهرت المدارس العلمية في كل من الأندلس  
والغرب العربي . ويكني أن يكون هذا العصر هو عصر الحفاظ الكبار من مثل أبي



فقل لمن نام أصبحت ، انتبه فلقد  
مضى بك الليل نجياً وانقضى السحر  
وانظر إلى الصبح سيقاً في يدي ملك  
في الله من جنده التأييد والظفر  
يرعى الرعايا بطرف ساهر يقظ  
كما رعاها بطرف ساهر عمر

وأخيراً يقول الملوك الطوائف :

أماكم قبل موت سؤء فعلكم  
وكيف بالذكر إن لم تحمي السبر

ويقول فيه أبو بكر بن سدار راثياً له :

في كل عام غزوة مبرورة  
تردي عديد الروم أو تغنيه  
تصل الجهاد إلى الجهاد موقفاً  
حكم القضاء بكل ما تقضيه  
منواضعاً لله تظهر دينه  
في كل ما تبديه أو تخفيه  
ولقد ملكت بمحكك الدنيا وكم  
ملك الملوك الأمر بالهوى

ويلخص خصائص المرابطين ومزاياهم علي بن أبي زرع في كتاب  
« الأنيس المطرب » في هذا النص الذي ينقله عن ابن جنون يقول فيه : « كانت  
لمتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ملكوا الأندلس من بلاد الفرنج  
إلى البحر الغربي في المحيط ومن مدينة بجاية من بلاد العدو إلى جبل الذهب من  
بلاد السودان لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج في  
بادية أو حاضرة وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر وكانت أيامهم أيام دعة  
ورفاية ، ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة  
أوسق بنصف مثقال والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال والقطن لا تباع ولا تشتري  
كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا  
تقسيت ولا وظيف من الوظائف الخزنية ( السلطانية ) حاشا الزكاة والعشر . وكثرت  
الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع  
ولا من يقرم عليهم وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم مهدي الموحدون في سنة  
٥١٥ هـ .

وقد أقاموا حكم الله وأسقطوا ما دون ذلك من الأحكام الجاهلية والقبلية وردوا  
أحكام البلاد إلى القضاء وكانوا يجوبون العلماء والفقهاء والصلحاء مما أثار غيظ  
الشعراء المرتزقة الذين تعودوا حياة البذخ والعطاء السفیه والليالي الماجنة أيام  
الطوائف .

لكن مع ذلك فهذه الدولة قد غمط حقها في التاريخ ؛ إذ حاول خصومها  
وأعداؤها تشويه سمعتها والنيل منها ، وفي طليعة هؤلاء الدولة الموحدية التي قامت  
على أساس المهدوية وما يرتبط بها من إمامة وعصمة وطقوس غريبة عن المغرب ثم  
أنصار ملوك الطوائف من الشعراء والكتاب الذين كانوا ينتفعون من حياة السقوط  
والفساد والتعفن التي كانت هذه الأنظمة غارقة فيها وأخيراً نجد الصليبية تشد  
على المرابطين وتحمل عليهم حملات مسعورة .

أما الموحدون فقد اتهموا المرابطين في عقيدتهم ورموهم بنقائص خطيرة جعلها  
مخلاق وباطل ووصفهم بالهجمة لكونهم لم يكونوا أشاعرة !!

وقد حاول الموحدون طمس معالم التاريخ المرابطي كما شجعوا على النيل منهم  
فنجد مثل ابن الأبار القضاعي الحافظ يروج تهمة التجسيم ويلمز المرابطين  
بمؤرثي الفتن ( الحلة السراء ١٩٥/٢ ) والعجيب أن رسالة الشقندي التي تعتبر  
« إنجيل » إدانة المرابطين وأقوى « صك » بانهاهم والسخرية بهم بالنسبة للمستشرقين  
من الذين ظلموا وأزواجهم وأشياهم قد اهتمت بها الدوائر الموحدية واحتفظت بها  
المصادر إلى اليوم في حين أقبرت رسالة ابن المعلم الطنجي التي ترد على رسالة  
الشقندي وتشيد بالمغرب ولعلها دافعت عن يوسف بن تاشفين وأعلت من شأن  
المرابطين .

أما الشعراء الأندلسيون الذين هجوا المرابطين أو عرضوا بهم كابن اللبانة  
واليكي والأبيض فإنهم كانوا مرتزقة مرفوضين من طرف دولة مجاهدة جادة لا  
تستخدم في إدارتها سوى الأكفاء علمياً وخلقاً ولم يكن من شيم المرابطين تشجيع  
الارتزاق والتلق والتلف وإن لم يقصروا في الأغداق على بعض الشعراء والأدباء  
والكتاب الجادين ، والحقيقة التي يتعاضى عنها الحاقدون على المرابطين هي أن الأدب  
الأندلسي ترك لنا إنتاجاً هاماً يصور لنا عظمة هذه الدولة ومكانتها الكبيرة في تاريخنا  
وإن كان قد أصاب معظم ذلك الإنتاج الضياع والاهمال في حين لا نعتز إلا على نزر  
يسير يظمن في المرابطين بطريقة تجعل القارئ يدرك الدوافع الحقيقية لهذا الطعن  
ويحكم على أصحابه بالتحيز والهوى .

وجد المستشرقون مثل دوزي ومن لف لفه فرصة ثمينة في هذا النزر اليسير من  
« الهجو » للمرابطين لإتخاذ قاعدة للهجوم على الدولة ووصفها بالبربرية والوحشية  
والغلظة ، وليس غريباً أن تتلاشى الموضوعية من « أدمنة » هؤلاء وتغيب عنهم  
الأمانة العلمية لحقد دفين وإعصار صليبي عنيف أتيا على كل تفكير علمي وأفسدا  
كل خلق أمين لدى هؤلاء فانطلقوا يقدمون للدارسين الذين يأتمون بهم ويثقون  
بأفكارهم صوراً مشوهة عن هذه الدولة العظيمة التي قدموها خلال آرائهم  
وشواهدهم المبثورة واستنتاجاتهم الفجة بأنها دولة الظلم والظلام قضت على الحضارة  
الأندلسية وقوضت متدبائنها الأدبية ومراكزها الثقافية ، وفي أيامهم كسفت شمس  
الشعر من الأندلس ولا سيما في أشبيلية وتهاوت كواكب الفن والأدب من سمائها  
فأصبحت لا تهطل إلا بأمواج من الظلام تملأ الساحات والمسارح ، وامتدت يد  
الفناء إلى هذه البلاد لتلفها في أكفان الصمت والسكون . . وهكذا لم تعد الأندلس  
حدائق غناء يغرد خلالها العنديل ولا أم الحسن من فوق أغصان أشجار اللوز  
والرمان وبين أشجار الحور والصفصاف على ضفاف الأودية الحاملة والمروج الزاهية  
والسواقي المتدفقة ؛ فقد أصبحت الدنيا ، دنيا الأندلس خالية إلا من الغريبان التي  
ملأت وحدها الحدائق الذابلة تتناجى فقط مع أصوات البرم والصدى . . آه على  
أزقة أشبيلية وقرطبة . . إنها تبكي بدموع الأسى لأنها لم تعد تشاهد سوى  
الصحراويين اللثمين يجوبونها بشياهم البدوية ونظراتهم الخفيفة . . إنهم الحلم المزعج  
الذي ينقل كابوسه صدر الأندلس ويحم على خيالاتها . . إلى غير ذلك مما سالت به  
أقلام بعض المستشرقين الذين هالم أن يروا الأندلس تنهض بعد عثار ، وتقوى بعد  
ضعف ، وتنجو من هلاك محقق . وقد صعب على هذه العقول أن تستسيغ الواقع  
المائل أمامها وأن تقبل وجود دولة قوية في الأندلس تقدر على إقامة كيائها والحيلولة  
دون سقوطها في أيدي النصارى . .

إن كتب بعض المستشرقين مشحونة بالطعن على المرابطين حتى  
أولئك المستشرقين الذين يتظاهرون بالموضوعية ويعرفون الحقيقة  
حق المعرفة لا سيما بعد أن اكتشفت وثائق ومخطوطات هامة في هذا  
المجال . وهم لا يعملون الوسائل لاختلاق أسباب لذلك الطعن ، قد يبدو بعضها  
وجبهاً في نظر القارئ الساذج أو الباحث الفر ، ومن هذه الأسباب :

١ - خلهم للمعتمد بن عباد وملوك الطوائف وضمهم الأندلس  
للمغرب .



٢ - احراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

٣ - تقديريهم للفقهاء ورجال القانون والتشريع والقضاء والدين .

٤ - إبعادهم لبعض الشعراء والكتّاب .

٥ - ضعف تذوقهم للأدب .

ولسنا في حاجة إلى بسط القول في تفنيد هذه الأسباب وبيان زيف معظمها وأن البعض الآخر كان من أسباب فخارهم كتوحيدهم بين المغرب والأندلس وتكوين دولة عظمى منها . أما خلعتهم للمعتمد فإنهم كانوا في غنى عن تحمل عبء مشاكل هذا القطر الذي لو كان قادراً على درء الأخطار النصرانية لآتم المرابطون رسالتهم العظمى في إفريقيا ولكن إلحاح علماء الأندلس وفتوهم بوجوب خلع ملوك الطوائف الذين لم يستفيدوا من انتصار المرابطين بالزلاقة بل عادوا إلى أسوأ مما كانوا فيه من الخلاف والشقاق واللهو والترف وعرضوا هذا القطر للضياع فكان المرابطون بين أمرين إما أن يتوجهوا بقواهم نحو الأندلس للدفاع عنها استجابة لما يفرضه الإسلام من النصرة والنجدة أو أن يتركوها طعمة سائغة للممالك النصرانية وذلك ما لا يحبون أن يتحملوا وزره ودولتهم قامت على الجهاد وهم أيضاً قادرون على الدفاع والحرب .



ثم إن المعتمد وغيره عوملوا معاملة لا تليق بالنسبة لما قاموا به من عصيان ومقاومة ، وأكثر من ذلك فإن بعض أولاد المعتمد وأنصاره كانوا يشيرون الفتن ويقومون ببعض التمردات . وقد عرف المرابطون بحسن المعاملة لخصومهم ، فقد قابلوا بعض الأدباء الساخطين بالإغضاء عنهم والعفو عن زلاتهم وتركهم أحراراً ينتقلون في البلاد طولا وعرضا مثل موقفهم من أبي مروان عبد الملك بن أبي الحصل الذي سلقهم بلسانه في رسالته الشهيرة مع أنه كان يعمل كاتباً معهم فلم يزدوا على أن عزلوه ، كما أن علي بن يوسف بن تاشفين عامل محمد بن تومرت معاملة حسنة وامتنع عن سجنه أو قتله حسب إشارة بعض وزرائه .

أما احراقهم لكتاب الغزالي فإن الأمر لا يبدو أن يكون تنفيذاً لحكم أصدره القضاء وفتوى أدلى بها الفقهاء بالأندلس والمشيخة التي أفتت بالاحراق وأصدرت الأمر به مشيخة هامة ذات وزن في ميدان الفقه والدين والجهاد ، ولا غللك نص وثيقة الفتوى أو الحكم حتى نتبين الأسباب أو المسوغات الشرعية التي جعلت هؤلاء العلماء يقدمون على هذا الأمر ؛ ومع ذلك فإنه قد يكون الدافع ما عرف عن الأندلسيين من معارضة التصوف والفلسفة خوفاً على المجتمع الأندلسي من أن يصاب بداء التفرق والطائفية والفرق والشيخ مثلما وقع في المشرق ، وكثيراً ما يُنعتبى الأندلسيون على المشاركة هذا التفرق وكثرة الشيعة والفرق والحرية الزائدة في المجتمع المشرقي الذي يبيح بروز هذه الطوائف حامدين الله على سلامة الأندلس من هذه الأمراض .

وقد يكون السبب أن في كتاب الأحياء أحاديث لا أصل لها وقد وصف الغزالي بضعف بضاعته في الحديث يقول عنه الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» : (١)

«... ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنة النبوية المعاصرة على العقل ،

وحجب إليه إيمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا ، وهؤلاء عضال وجرب مرد وسم قتال ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلف فالخذار الحذار من هذه الكتب... » .

وقال أبو بكر الطرشوشي : (٢)

«شحن أبو حامد الأحياء بالكذب على رسول الله ﷺ فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه... » .

وقد يضاف إلى ذلك حملته على الفقهاء ووصفهم بأنهم علماء الظاهر وفقهاء الدنيا وزينة الأرض والسلاطين مجرداً إياهم من معرفتهم بعلوم الآخرة .

ومهما يكن من شيء فإن احراق كتاب الإحياء ينبغي أن ينظر إليه في ظروفه المكانية والزمانية ثم إن احراق هذا الكتاب بأمر من علماء الأندلس وشيخ الجماعة ابن حمدين لا يعني أن الدولة كانت تحارب الفكر فقد كانت الأندلس تعج بالملونات وتزدهر بدراسة الفلسفة والعلوم كما ظهرت آثار ذلك أثناء الحكم المرابطي وإيام حكم الموحدون .

هذا وإن الأندلس عرفت باحراق كتب الفلسفة ومطاردة أصحابها كما وقع لابن مسرة وأتباعه ، وقد أحرق محمد بن أبي عامر كتب الفلسفة والحكمة التي كانت في خزانة الحكم بن عبيد الرحمن الناصر تقريباً للعلماء والعامة .

لا يعاب على المرابطين تنفيذهم أمراً صادراً عن هيئة علمية وقضائية عليا فليس من طبيعة هذه الدولة أن تمتنع عن التنفيذ وقد علمنا أنهم لم يكونوا يتدخلون في شؤون القضاء والحسبة إذ كانوا يلتزمون جانب الشريعة في هذا المجال إلى حد بعيد .

أما تقديريهم للفقهاء والعلماء فإن هذا من مفاخرهم واعتزازهم لأنها دولة إسلامية قامت على الجهاد فهي بحاجة إلى أمثال هؤلاء الرجال في مجال التشريع والفتوى والقانون والوعظ والإرشاد وتحريض الناس على القتال وحثهم على التمسك بالدين لمواجهة الأخطار وللمحافظة على وحدة المجتمع وتماسكه وقوته... وقد كان هؤلاء العلماء على رأس الأمة في ميدان الجهاد والتضحية وقد استشهد الكثير منهم .

ولا يعني هذا أنهم كانوا يبعدون عنهم الكتّاب والشعراء فقد سبق القول إنهم شجعوا على تأليف أهم الكتب الأدبية وتدوين الدواوين الشعرية حتى في ميدان الزجل والموشحات التي اعترف بها المرابطون وتبنوا شعراء هذين الفنين .

ويكنى أن يعترف خصم من خصوم المرابطين بفضلهم على الأدب ، فيقول عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب :

« ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعي أعيان الكتّاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك » .

والحقيقة أن الأندلس لم تشهد نهضة فكرية وعلمية شاملة مثلما شهدته في ظل المرابطين على قصر مدة حكمهم وكثرة حروبهم الخارجية والداخلية .

إن دولة المرابطين تعد من أعظم دول الإسلام خلال التاريخ بما أسدت من خدمات جلى في ميادين الفكر والفتوحات ونشر الإسلام في إفريقيا وإرساء قواعده في المغرب والدفاع عنه في الأندلس ، ولكنها دولة لم تحظ بعناية البحوث والمؤرخين المسلمين المعاصرين إلا ما كان من بعض الأبحاث اليسيرة والرسائل الجامعية القليلة امتاز بعضها بالجدية والعمق والاستقلال الفكري وسببق تاريخنا يشكو النقص والضياع إذا نحن لم نهض بأبحاث وأعمال عن هذه الدولة وأمثالها التي أدت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية العظيمة .

١ - سيرة الغزالي للأستاذ عبد الكريم العثمان ص : ٧ .

٢ - المرجع السابق وأنظر هناك أقوالاً أخرى في الموضوع .



# من أمثال العرب

(إِذَا خَبِثَ وَإِنَّمَا بَرَكْتَ)

الخبث : ضرب من العدو .. يضرب لمن يفرط مرة في الخير .. ومرة في الشر فيبلغ في الأمرين الغاية .

(أُخِيطُ مِنْ حَاطِبِ لَيْلٍ)

يضرب لمن يهرف بما لا يعرف .. لأن المحتطب ليلاً يجمع كل شيء مما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه .

(أَرِيهَا السُّهُى ، وَتَرِيْنِي الْقَمَرُ)

السُّهُى : نجم خفي ، وقرن في خفائه مع القمر في ظهوره .. أي أريها الخفي ، وتريني الواضح .. يضرب لمن يغالط في ما لا يخفى .

(الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ)

الرائد هو الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ لهم . فإن كذبهم أفسد أمرهم وأمر نفسه معهم .

(سَبَقَ سَيْلُهُ مَطَرَهُ)

يضرب لمن يسبق فعله تهديده .

(عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى)

السُّرَى : السير ليلاً .. يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة .. وأيضاً لما ينال بالمشقة ، ويوصل إليه بالتعب .

(كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ)

الحادو سؤق الإبل من ورائها ، والقود من قدامها .. يضرب لمن ينتفخ بما لا يملك ، أو لمن ينتحل ما لا يحسنه .

(أَخْبَرَنِي بِعُجْرِي وَبُجْرِي)

العُجْر : العروق المتعقدة ، والبُجْر : ما يكون من تلك العروق في البطن خاصة .. يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به .

(الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ)

أي ذو طرق .. وشجون جمع شجن : وهو الطريق في الوادي ، وقيل في أعلاه . أو جمع شجن : وهو الغصن الملتف المشتبك ، والشعبة من كل شيء . فالحديث ذو شجون .. أي ذو فتون متشعبة تأخذ منه في طرف فلا تلبث حتى تكون في آخر ، ويعرض لك منه ما لم تكن تقصده ، فهو كما تقول العامة : «الحديث يجر بعضه بعضاً» .

(تَحَكَّكَتِ الْعُقْرُبُ بِالْأَفْعَى)

يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه وأقدر .

(مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلَ ظَفْرِكَ)

أي لا يقضي حاجتك مثل نفسك .. يضرب في حث الإنسان على الثقة بنفسه أكثر من ثقته بغيره .



# من أمثال الشعوب

- لا نصير للكسل ولكن له أصدقاء .
- لا يوجد غني لا يطلب المزيد .
- «انتظر» أصعب كلمة تلقىها على جائع .

(ألمانيا)

- الله يهب الصحة والطبيب يجمع الرسوم لنفسه .
- ليس كل ما جاء على اللسان مصدره القلب .

(إيطاليا)

- القاتل والطبيب الجاهل يتساويان .
- إطراء الأب على ابنه إطراء لنفسه .
- ضاعف الجهد لتبلغ السعادة .
- كل همس في الأذن دائماً يسمع على البعد .

(الصين)

- كل الكلاب تنبح ولكن ليست كلها تعض .
- لو أعطيت الأحمق خنجرأ.. أصبحت قاتلاً .
- لا ترهق الحصان المطيع .
- لا تحكم على السيد ببناء الخدم عليه .

(روسيا)

- ما سهل الحصول عليه يسهل فقدانه .
- المهجوم خير وسيلة للدفاع .
- الماء الساكن دائماً أعمق .

(أمريكا)

- لكل قاعدة شواذ .
- غبي من جعل طبيبه الخاص وريثاً !
- نصف حياتنا يمضي قبل أن نعرف ما هي الحياة .
- دائماً يعد الناس أخطاء من سبقوهم .

(فرنسا)



- كل شيء يذهب إلى من لا يريده .
- من تبع رأيه عليه أن يتحمل العواقب .
- من يجيد الرقص ينتقل بين الحفلات .
- الأرض تخفي أخطاء الأطباء .
- من لا يشك إطلاقاً لا يعلم إطلاقاً .

(إسبانيا)



## اشترك في الندوة

- د. عبد الجليل عبد شلبي - مصر
- د. شكرية فيصل - سورية
- د. نعمان عبدالرازق السامرائي - العراق
- الشيخ الحبيب بن الخوجة - تونس
- د. محمد الحبيب الهيلة - تونس
- محمد ممد أمزيان - المغرب
- د. جميل سمير إبراهيم - العراق

# الجوانح

## ودورها في الحركة العلمية والفكرية

★ بمراجعة صفحات تاريخنا العربي والإسلامي ، نكتشف أبعاد مكانة رجال الفكر والأدب والعلم في المجتمع .. كما ندرك مدى الاحترام والتقدير اللذين كان يلقبونها على المستوى الرسمي ، ومستوى الأفراد .. ناهيك بالتكريم الذي كان يتجسد من خلال تعامل الخلفاء والقادة العرب والمسلمين لهؤلاء المفكرين ، واجزال العطاءات لهم محاولين توفير الحياة الكريمة لهم انطلاقاً من فهمهم للدور الكبير الذي كانوا يقومون به كمشاعل على الطريق ، يوجهون الرأي العام في حالي الحرب والسلام .. ناهيك بالحظوة الكبيرة التي كانت لهم في المجالس العامة والخاصة \*

لو عدنا إلى العصر الجاهلي الذي بعده المؤرخون فترة تخلف قياساً إلى الفترة التي عاشها العرب في العصر الإسلامي بما زخرت به من معطيات فكرية ، وعلمية سادت كل أرجاء الكرة الأرضية ، وقدمت للبشرية من العلوم والفنون والآداب ما غير وجه تاريخ الحياة ، مما لا زالت آثارها باقية إلى اليوم كأروع كنوز خلفها العقل البشري باعتراف الدارسين والمؤرخين الغربيين مستشرقين وغير مستشرقين .

لو عدنا إلى ذلك العصر السابق لمنجزات الحضارة الإسلامية العربية ، ونقصد به العصر الجاهلي لوجدنا أن الشعر كان أبرز نتاج الفكر العربي .. وكان بحق «ديوان العرب» . فكيف كان يعامل الشاعر بين قومه ؟

لقد كان مولد الشاعر في قومه حدثاً له آثاره البعيدة للدور الذي كان يقوم به ، فهو لسان القبيلة الذي يذود عن حياضها ، وكان لا يقل في تأثيره عن أي سلاح أثناء الحرب ، كما كان واجهة القبيلة المشرقة أيام السلم .. لهذا

ونحن هنا لسنا في مجال رصد تاريخ الفكر العربي والإسلامي ، من خلال التكريم والتشجيع والاحترام الذي يحاط به المفكرون ، ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى بعض مظاهر هذه الأمور في فترات مختلفة .

فلو عدنا إلى العصر الجاهلي ، وهو أشد عصور الأمة العربية تخلفاً ، حين كان العرب يعيشون داخل جزيرتهم بعيداً عن التأثير بمظاهر الحضارات التي سادت ثم بادت ، مثل حضارة اليونان ، والفراعنة ، وحضارة بلاد الرافدين ، بحكم موقعهم الجغرافي الذي كان يحصرهم في بقعة تفصلهم مياه البحار من ثلاث جهات : الشرق ، والغرب ، والجنوب ، وتكمل حلقة هذا الحصار الصحراء من الشمال ، هذا إذا استثنينا الحضارات الثلاث التي نشأت في اليمن (سبأ وحضارة حمير وعباسية) ، لأنها كانت حضارات مادية كالزراعة وبناء السدود ، والعمارة ، إذ لم يلق الفكر تلك المكانة التي كان يحظى بها في حضارة اليونان مثلاً .



يحتفل القوم به ، ويفسحون له صدور المجالس ، ويدعونه في المليات للصلح  
رغبة في السلام من ناحية ، ولإعلان الحرب من ناحية أخرى .

وكانت لهم نواديبهم الفكرية الشعرية والنقدية الممتلئة في أسواق عكاظ ،  
ومجنة ، وذو مجاز ، والمريد ، والرابية ، وغيرها .

وكانت القصيدة الرائعة تعلق على الكعبة مكانهم المقدس ، وتكتب بماء  
الذهب ، تنتقل أبياتها الركبان ، ويردها الرواة في المجالس ، وهي صورة من  
صور التشجيع والتكريم والتقدير للناغبين من شعرائهم فعرفت في تاريخ الأدب  
العربي بالمعلقات ، وكانت كل معلقة ملحمة تاريخ ، وسلوك ، وقواعد ،  
ومفاخرة .

وحين جاء الإسلام نحا بالشعر منحى إنسانياً ، ووجهه وجهة  
حضارية ، نقله من الإحساس الفردي إلى الحس الجماعي . وكما كان  
للشاعر في العصر الجاهلي دوره ، ومكانته ، فقد كان له في العصر الإسلامي  
دوره ، ومكانته الجديدين ، ولقب الشاعر حسان بن ثابت بشاعر الرسول ،  
كما أن الرسول الكريم ﷺ قال : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر  
لحكمة » ، وفي هذا القول تحديد لمهابة الشعر في هذا العصر ، ويروى أن  
الرسول الكريم ﷺ ، أهدى برده لكعب بن زهير بعد دخوله في الإسلام ،  
وانشاده قصيدته اللامية التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول مقيم إثرها لم يفد مكبول

وحين انتشر الإسلام ، وفتح بتعاليمه آفاق المشرق والمغرب ، واختلط  
العرب بغيرهم من شعوب الأرض عن دخلوا الإسلام ، وساد الأمن والرخاء  
والحرية والعدل ربوع هذه الأرض ، ظهرت معالم الحضارة الإسلامية العربية ،  
بمعطياتها في العلوم والفنون والآداب ، ولم يعد الشعر وحده فارس  
الميدان .. كما لم يعد التكريم والتشجيع محصورين بين الشعراء ، لقد امتد إلى  
غيرهم من العلماء والفلاسفة والأطباء . والبحث في مظاهر التكريم والتشجيع  
في تاريخ الحضارة الإسلامية طويل لا تحصره كلمة عابرة كهذه .

من هذه المنطلقات .. وبمناسبة إعلان أسماء الفائزين بجائزة  
الملك فيصل العالمية بمجملتها الكبير معنى ، وفكرة ، ومادة لأول  
مرة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي الحديث ، تناقش المجلة  
من خلال ندوتها لهذا الشهر ، قضية الجوائز ودورها في تحفيز  
العلماء والمفكرين ، ومن ثم في توجيه الفكر العالمي ، مع الإشارة لأشكال  
التشجيع للفكر والأدب ، التي شهدتها التاريخ العربي الإسلامي ، والجوائز  
المعروفة في العصر الحديث ، وأثر جائزة الملك فيصل العالمية في مواجهة تجاهل  
الجوائز العالمية الحالية للفكر العربي والإسلامي .

### أكبر جائزة علمية

●● ومن مصر يتحدث الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ،  
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، مركزاً على جوانب  
تاريخية في مجال التشجيع والتكريم للعلماء والأدباء ، ويعتبر أكبر  
جائزة علمية في التاريخ العربي والإسلامي منحت لأبي الفرج  
الأصبهاني على كتابه الأغاني ، ويسرد رأيه قائلاً :

« نستطيع أن نرجع بتاريخ الجوائز في الإسلام إلى عهد رسول الله ﷺ ،  
فهو على سبيل المثال أجاز كعب بن مالك ببرده ، وكان الخلفاء يميزون

الشعراء ، وكان بنو أمية يسخون في هذا العطاء من بيت المال ، ولم يشأ  
عمر بن عبد العزيز أن يفعل ذلك ولا أن يجيز على مدحه كما كان يفعل  
الآخرون ، وقد أدخل عليه من الشعراء جريراً فقط ، وقال له اتق الله ولا  
تقل إلا حقاً ، ثم أجازته من ماله الخاص ، وبعد هذا الخليفة عاد الأمر كما  
كان .

وفي العهد العباسي ، ظهر لون جديد من التشجيع والاجازة ، كان  
الخلفاء والأثرياء يعقدون المناظرات بين العلماء في مختلف الفروع ، ثم يميزون  
المتوقفين ، وكان العصر العباسي بدءاً من عهد الرشيد عصر المناظرات بين  
الأدباء والنحويين واللغويين والشعراء ، حتى أن المأمون ، كان يستدعي ذوي  
الاديان الأخرى لينظروا وينظروهم رجال الدين الإسلامي ، ولكنه حين تغلب  
المسلمون لم يجبر الآخرين على الدخول في الإسلام .

ومناظرة الكسائي وسيبويه بين يدي الرشيد معروفة مشهورة ، وكان  
المبرد مولعاً بمناظرة ثعلب ، وما اجتماعاً مرة في مكان إلا التف الناس حولهما  
وسألوهما ، حتى تنشب المناظرة بينهما ، أو بعبارة أخرى بين المذهب الكوفي  
والمذهب البصري ، وكان المبرد فصيح اللسان جيد العبارة ، ولم يكن  
ثعلب كفؤاً له في هذا الجانب فكان يروغ منه ، وكان صالح أبو عمرو  
الجرمي من المولعين بمناظرة رفاقه حتى سموه « النباح » ، وكان للنحويين  
مكان يجتمعون فيه للمناظرة واحتجاج كل فريق لمذهبه ، ولم تكن جوائزهم من  
الخلفاء فقط ، بل كانت من الوزراء والأثرياء محبي العلم أيأ كانوا .

ولعل أكبر جائزة علمية هي التي منحت لأبي الفرج الأصبهاني على  
كتابه الأغاني ، فقد أعطاه الخليفة الناصر اثني عشر ألفاً ، واعتذر له من  
قلة المال ، وكان من المهم لديه أن يظهر في الأندلس قبل ظهوره في  
المشرق .

وأشهر الجوائز المعروفة في العصر الحديث هي جائزة نوبل ، وتاريخها  
وقصصها معروفة .

وكل دولة الآن تحيز النابهين من أبنائها ، والمبرزين من علمائها .. أما  
جائزة الملك فيصل ، فهي جائزة سخية ، وسيكون لها ولا ريب أثر قوي  
في تنشيط الحركة العلمية ، ودفع الكثيرين إلى القراءة والبحث والتأليف ..  
وهذه الفكرة عمل جيد يكافئ ما يستحقه هذا الملك العظيم من تقدير وتخليد  
ذكرى .

### جائزة الملك فيصل حافز للإبداع

●● ويشير الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي ، الأستاذ  
في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية ، إلى افتقار الأمة العربية والإسلامية إلى الجوائز ،  
ويدعو أن تكون جائزة الملك فيصل وسيلة تصحيح وإبداع لا  
تكرار ، ويشرح رأيه قائلاً :

« من استعراض تاريخ امتنا ، نجد أن الحكام من خلفاء وأمرء كانوا  
يخلق تشجيع المفكرين والأدباء ، حتى نقل لنا أن جوائز سخية أعطيت  
لمفكرين لتأليفهم كتاباً أو كتباً ، فهذا الجاحظ ، صاحب العقل  
الموسوعي ، يضع كتاب الحيوان ويهديه للفتح بن خاقان ، فيقدم له ستة  
آلاف دينار ، ومثل ذلك في تاريخنا كثير وكثير جداً .



ودار الحكمة في بغداد ، كانت تسهم في هذا الميدان بنصيب وافر . . .  
أما ما هي الجوائز اليوم ، فلا نعرف لها ذكراً ، اللهم إلا ما يقدم من تعضيد  
وتشجيع على النشر ، ففي كل جامعة لجنة تقوم بتقديم مساعدة مادية لمن يتقدم  
بكتاب يريد نشره ، ومثل ذلك ما تقوم به بعض الدول من نشر التراث أو  
طرح موضوعات والطلب إلى المفكرين ليكتبوا فيها ، وهي تمنحهم بعض  
الجوائز في ذلك .

ومن المعلوم أن ثمة جوائز عالمية في الآداب والعلوم ، ولكن  
نصيب الفكر العربي والإسلامي منها التجاهل والاهمال ، ومن هنا  
تأتي جائزة الملك فيصل ، لتصحيح وضعاً غير سليم ، ولتذكر  
طائفة غمط حقها ، وأسدل ستار من تجاهل على مجهودها .

فجائزة الملك فيصل نأمل أن تكون وسيلة حفز وتشجيع لمفكرينا ، ووسيلة  
تصحيح لبحود ونكران متعمد .

والأمل أن تكون وسيلة تشجيع لمفكرينا كي يبدعوا ، لا وسيلة كسب كي  
يعيدوا ويكرروا ، فالملاحظ أن الجديد في أفكارنا ، وإلى حد في آدابنا ، قليل  
وإنما ما زلنا منذ زمن نعيش على تراثنا ، نطويه ونشره من غير جودة ولا  
إضافة .

#### جائزة الملك فيصل عودة إلى المنهج القويم

●● من تونس تحدث الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، المشرف  
على مركز الأبحاث الإسلامية التابع للكلية الزيتونية للشريعة  
وأصول الدين ، عن أبعاد النتائج الإيجابية لجائزة الملك فيصل  
العالمية ، بعد أن استعرض جانباً من صور التشجيع والتكريم في  
تاريخ العرب والمسلمين ، وبسط رأيه قائلاً :  
« إن الجوائز المالية والشرقية لتساهم في شحذ همم العلماء والباحثين ،  
وتعبئة جهودهم لمواجهة مصاعب العمل الفكري ، ومشاق البحث والإنتاج  
والاختراع التقني وغيره .

وقد كان المنهج الذي سلكه أصحاب السلطة بالمجتمعات الإسلامية القديمة  
في تشجيع الأدباء والمفكرين والعلماء على أحسن وجوه الدقة والاستقامة  
والنجاح ، ذلك أننا إذا تتبعنا تاريخ الحضارة العربية ألفينا حقيقة  
ثابتة وهي أن أكثر الآثار الفكرية الخالدة ، من تأليف وغيره ،  
إنما ولدت وظهرت للوجود في ظل أمير ذكي كريم ، أو وزير  
مثقف سخي . فلو درسنا تاريخ البلاطات ، في البلاد العربية  
والإسلامية ، وما قامت به من تشجيع للفكر والآداب ، لرأينا أن جل ما نعتز  
به من روائع الشعر والنثر ، وما يشرف حضارتنا من آراء فلسفية واكتشافات  
علمية من طبية وغيرها ، إنما نشأت في بيوت العلماء الذين انتسبوا إلى بعض  
البلاطات .

وقد آمن رجال السياسة في عامة البلاد الإسلامية - سابقاً - أن من أثنى  
ما يقع به التفاخر بينها جملة ما يؤويه كل بلاط من لغوي دقيق ، وفقه فطن ،  
ومفسر بارع ، ومحدث ضابط ، وشاعر فحل ، وكاتب متفنن وطبيب حكيم .  
وعلى هذا الأساس سعى كل بلاط إلى أن يجمع حوله باقة يانعة من  
خيرة رجال الفكر والآداب ، وكان السباق بين البلاطات نحو هذه  
الغاية أكيداً متواصلاً طيلة قرون الازدهار الحضاري .



★ د. هيلال سعيد ★



★ د. عبد الجليل عبد الله شلي ★

ولنتبين مدى صحة هذه القاعدة نتبع ترجمات أعلام الفكر والآداب في  
تاريخنا ، فنجد أن أكثرهم كانوا قد انتسبوا إلى أحد البلاطات أو تقيؤوا  
ظلال أكثر من واحد منها .

واليوم ونحن في عهد الانبعاث الحضاري والوعي الثقافي تأتي  
جائزة الملك فيصل العالمية ، لتلأ فراغاً في بلادنا العربية  
والإسلامية لتعود بنا إلى المنهج القويم الذي جربه أسلافنا  
الأولون وقطفت منه أمتنا أينع الثمار وأمتعتها .

وبصرف النظر عن القيمة العالية لهذه الجائزة فإن التفكير فيها والعمل على  
تنظيمها ، التنظيم الدقيق تأتي في هذا الوقت لتستجيب إلى ضرورة حضارية ،  
ولتقوم بتحفيز ثلاثة عناصر من احتياجات مجتمعتنا الحالي :

أ - الذين يقومون بالخدمات الجليلة للإسلام في حقوله المتنوعة من  
دعوة وإرشاد ودفاع وحماية .

ب - الذين يواجهون الهجمات الفكرية المساوئة للإسلام - من صليبية  
وغيرها - بما ينتجون من دراسات إسلامية قيمة ، وعلمية منهجية تركز في  
نفوس الشباب المسلم نصاعة الإسلام ، وصدق دعوته وتحجب عن التحديات  
اللاحادية ، ومغالطات المغرضين التي يكاد يشيع أمرها في الشرق والغرب .

ج - الذين يبذلون الجهد ويصرفون العناية إلى لغة القرآن الكريم ،  
فيمدون بالدراسات اللغوية العميقة ، والأبحاث الأدبية الثرية ، حتى نجد اللغة  
العربية من أعمامهم مدداً وتركيزاً وأنه ليملاً قلبي أمل في نجاعة هذا المنهج ،  
وسلامة هذه السبيل وإن غداً لناظره قريب .

#### جائزة الملك فيصل مشاعل على الطريق

●● ومن سورية يشترك في الندوة الدكتور شكري فيصل ،  
عضو مجمع دمشق ، مشيراً إلى أن جائزة الملك فيصل قيمتها في  
أنها تجاوزت المجال المحلي أو القطري إلى المجال العالمي ، وأنها  
ستكون مشاعل على طريق الحوافز والتقدم الفكري والعلمي ،  
ويطرح رأيه قائلاً :





★ الشيخ الحبيب بن الحوجة ★



★ د. محمد الحبيب الهبله ★



★ د. شكري فيصل ★

جائزة عالمية ، لأنها تعنى بشؤون الفكر في العالم الإسلامي وبقضايا الإسلام وبوسيلة التعبير عن هذه القضايا ، وذلك الفكر وهي تأتي اليوم لتحفز المواهب وتشجذ العزائم وتعين لا على إيجاد الأعمال القيمة ، ولكن على الابداع وتحقيق الأمثل والأكمل فيتنسج بذلك الإنتاج الذي تتوجه بالجدة والابتكار من جهة ، وإيجاد الطريق إلى المنهج الفكري الإسلامي المعاصر الذي تجدد به أمتنا ونستعيد به عزتنا ونحقق به منعتنا من جهة أخرى .

#### التشجيع العام .. والتكريم الخاص

● ويشير الأستاذ محمد حدو امزيان ، عميد كلية أصول الدين بمدينة تطوان ، في المملكة المغربية ، إلى أن التشجيع الذي كان يلقيه العلماء والأدباء لم يكن محصوراً في الخلفاء ، والحكام ، بل كان هناك عدد من الأثرياء الذين ساهموا في تشجيع الحركة العلمية والفكرية عموماً في فترات الازدهار وفترات التدهور فيقول :

« إن تاريخنا الحافل بالأعاجاد يحدثننا عن كثير من أشكال ، وأضراب مثلاً تشجيع الفكر والأدب في مختلف الأعصر الإسلامية ، وخاصة منها العصر العباسي الأول ، الذي لقب بحق « العصر الذهبي » ، حيث يحدثننا أن الخلفاء كانوا يغدقون الأموال والجوائز السخية على المفكرين والأدباء والشعراء وبالأخص المبدعين منهم .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومشهورة ومدونة في كتبنا المختصة بذلك ، ولم يكن هذا السخاء بالجوائز مقصوراً على الخلفاء فحسب ، بل إن كتب التاريخ الصحيح تذكر أن الأثرياء من الأمة الإسلامية ، كانوا يتنافسون في تقريب المفكرين والأدباء إليهم ، ويمنحونهم أسنى الجوائز تشجيعاً لهم على الإنتاج والإبداع ، وتقديراً لأعمالهم الجليلة ، مما أثرى الفكر العربي والأدب العربي ، وجعلهما في الذروة .

ونظرة فاحصة إلى ما خلفوه لنا وهو مدون بين أيدينا ، في المراجع والمصادر المختلفة الصحيحة تغنيا عن إقامة البرهان ، على أن ذلك لم يكن

« تسألوني عن أشكال التشجيع للفكر والأدب ، التي شهدتها التاريخ العربي والإسلامي .

إن أخبار هذا التشجيع كثيرة منذ دؤن التاريخ أو رُوي . ألم يكن تعليق المعلقات مثلاً على جدران الكعبة نوعاً من التشجيع ؟ ألم تكن أحكام المحكمين في سوق عكاظ ، نوعاً من التشجيع ؟ ألم يكن وفود الشعراء على الخلفاء والأمراء نوعاً من التكريم هم واجازتها !

ثم : ألم يشمل ذلك فروع المعرفة كلها في كل عصر ؟ إن المؤلفين المعروفين كانوا إذا أنجزوا كتاباً قدموه إلى خليفة أو وزير أو رجل ذي شأن ، فقد فعل ذلك الجاحظ ، وفعله الكثيرون غيره .

وكان هناك على مدى التاريخ ما يشبه هذه الجوائز ، ومن الواضح أن نذكر هنا ما فعله المأمون في مجالات المكافأة على الترجمة ، والمكافأة على التأليف ، أما جائزة الملك فيصل فإنني أرجو أن تكون من البدايات الطيبة لتشجيع الأعمال الأدبية والفكرية ، وقيمتها عندي : أنها تجاوزت المجال المحلي والقطري إلى المجال العالمي . إنها ستكون بمثابة مشاعل على طريق الخوافز والتقدم الفكري والعلمي ، وبخاصة عندما نتذكر أن الجوائز العالمية الأخرى تتجاهل كما تقولون الشعوب الإسلامية والعربية ، فإذا جاءت جائزة الملك فيصل تسد هذا الفراغ فعنى ذلك ، أن عمل المبدعين والعلماء سيجد مجالاً عريضاً للتشجيع والتكريم » .

#### الجائزة العالمية .. والجائزة الإقليمية

● ويبدلي الشيخ الحبيب بن الحوجة ، مفتي الديار التونسية برأيه فيقول :

« إن من يعود إلى كتب التاريخ والحضارة العربية الإسلامية ، يلمس في طياتها الشواهد والبراهين على الجوائز الكثيرة ، التي كانت تمتع بشكل هبات لرجال الفكر والعلم والأدب ، سواء بالبلاد الشرقية أو بالبلاد المغربية . والجوائز الموجودة اليوم في العالم العربي كثيرة ، يصدر بعضها عن الهيئات وبعضها عن الحكومات ، ولكنها تنسج غالباً بالإقليمية . وجائزة الملك فيصل هذه



من خلال الآراء المطروحة في هذه الندوة، والاستعراض السريع للكثير من صور ومظاهر تشجيع العرب والمسلمين للمفكرين، والأدباء، والعلماء، ندرك أن فكرة الجوائز ليست وليدة هذا العصر، وأن العرب المسلمين كانوا سابقين إلى هذا المظهر الحضاري في أشكال تفضل كثيراً أشكال الجوائز اليوم بعدة أمور :

١ - إن الجوائز التي تمنح للعلماء والأدباء والمفكرين اليوم تعد مظهراً سياسياً وإعلامياً للدول، في الوقت الذي كانت مظاهر التشجيع والتكريم في التاريخ الإسلامي والعربي، تهدف في الأصل إلى تكريم المبرزين من العلماء والمفكرين، والشعراء، وحفزهم على العطاء الفكري. وإذا كانت تأخذ شكل المباهاة والمفاخرة أحياناً، فرد ذلك إلى حسهم الحضاري، على أساس أن التكريم أو التشجيع لهؤلاء العباقرة هو في حد ذاته مظهر حضاري يعكس أبعاد مفهوم الحضارة لدى العرب والمسلمين .

٢ - إن الجوائز اليوم لا تمنح للمفكرين والعلماء والأدباء لجهودهم الكبيرة فحسب، بل تتدخل عوامل أخرى كثيرة في تحديد المستحق، ليس أدناها الولاء الأعمى للنظام القائم الذي يمتلك حق منح الجوائز .

٣ - إن الجوائز اليوم لا تعطى على أساس القيمة، أو الجدارة، ولكن تمنح لأهداف سياسية، واقتصادية، وشخصية أحياناً، وهذا ما يحدث بالنسبة لجائزة نوبل، والجوائز الإقليمية .

إلى جانب أسباب أخرى، لا تغيب عن ذهن المثقف التابع لحركة التاريخ القديم، والحديث .

وحين تبرز جائزة الملك فيصل العالمية، إلى الوجود إنما تخرج إلى الوجود في عصر الأمة العربية والإسلامية أحوج ما تكون إلى مثل هذه الجائزة، التي سوف يكون لها أثر بعيد في تنشيط الفكر العربي والإسلامي لمميزاتها الإنسانية، والفكرية .

فهي تتخطى الإقليمية إلى رحاب أرض الله الواسعة، انطلاقاً من تعاليم الدعوة الإسلامية التي جاءت للناس عامة .. ولهذا السبب فهي جديرة بأن تكون بحق جائزة عالمية .

وهي بأهدافها النبيلة تبتعد عن كل المؤثرات السياسية، والاقتصادية، وتقوم على تقدير القيمة والجدارة لعطاء المرشح لها دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى .

كما أنها تأتي متجاوزة الحدود الإقليمية، والعنصرية، والعرقية، التي تحكم الجوائز العالمية والإقليمية المعروفة .

إضافة إلى كل ذلك، أنها تعيد للإنسان العربي المسلم اعتباره، في مواجهة المجهود والنكران اللذين يحكان ما عداها من جوائز .

ولكي لا نستبق الأحداث، فإن المستقبل كفيلاً بتأكيد نبل أهدافها، وسلامة رؤيتها، ووضوح خطتها .. وليس لنا اليوم، ونحن نحفل بأول عام يبدأ فيه توزيع جوائزها، إلا أن ندعو للقائمين عليها من العرب والمسلمين الذين يمثلون مختلف البلدان بالتوفيق والسداد .. وما ذلك على الله بعزيز .

مقصوراً على فترات الازدهار السياسي، بل رأينا نفس الشيء، حتى عندما تقلص نفوذ الخلفاء، ووقع الانحطاط السياسي نتيجة عدة عوامل، كما وقع عندما انقسمت الدولة الإسلامية الكبرى إلى دويلات في الشرق والغرب والشيال وغيرها، حيث يحدنا التاريخ أيضاً وهو خير شاهد على ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في مختلف النواحي الإسلامية . ولكن أمراء هذه الدويلات كانوا ينجحون بنهج الخلفاء السابقين في اغداق الجوائز المالية على أصحاب الفكر المبدع، والأدب الرائع مما جعل هؤلاء المكرمين من الأدباء يتنافسون في إنتاجاتهم الفكرية والأدبية .

ولم ينجح ذلك الإنتاج إلا في العصور المتأخرة، التي هبط فيها الاستعمار على كثير من الشعوب العربية والإسلامية .

واليوم، والله الحمد، وبعد زحزحة الاستعمار عن صدورنا، وبداننا نرى الفكر والأدب العربي يتقدمان إلى الأمام، ويخطوان خطوات حثيثة، وبداننا نرى من ذوي الغيرة من أمرائنا تشجيعاً لهؤلاء، وذلك بالمنح المادية الكثيرة، والجوائز المالية التي يغدقونها على المبدعين من أبناء أمتنا .

وجاءت جائزة الملك فيصل طيب الله ثراه في هذه الفترة من تاريخنا لتتوج هذه التشجيعات كلها . وإني أسأل الله الكريم، أن يوفق العاملين المخلصين من ولاهم الله الأمر في هذه المملكة الشقيقة لخدمة الإسلام والعروة، إنه ولي التوفيق، ومجيب الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

### صور من تاريخ التكريم العربي الإسلامي

●● من العراق يشترك في الندوة الدكتور جميل سعيد إبراهيم، عضو المجمع العراقي، برأيه في اقتضاب، ركز فيه على بعض صور التشجيع والتكريم التي حفل بها التاريخ الإسلامي، قائلاً :

«عني العرب المسلمون بتشجيع الأدب والعلم، وكان لهم في سيرة الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه قدوة حميدة . وفي كتب التاريخ أنه طلب من بعض الأسرى في بدر أن يعلموا بعض فتيان المدينة، ويكون هذا أجراً أو فدية لاطلاق سراحهم، ومعروف عنه - صلوات الله عليه - أن كعب ابن زهير، الشاعر رغب نفسه عن الإسلام أول الأمر، ثم عاد تائباً إلى الرسول الكريم ﷺ، وأنشده قصيدته السامية المعروفة، فأنابته ﷺ ببرده، وشهرت قصيدة كعب بهذا، وسميت « البردة » .

وسار الخلفاء المسلمون على هدي الرسول الكريم ﷺ، في تشجيع العلم والعلماء .. ولا أراني بحاجة إلى الإفاضة في هذا، فالكثير الكثير من الكتب التي وصلتنا إنما ألفها أصحابها، وأهدوها لرئيس أو ذي مكانة في الدولة شجعهم وأعانهم على هذا .

وفي هذا العصر نرى المؤثرات العالمية - وهي غير قليلة - تتساقط من حول العرب، وعندنا أهم من علمائهم وأدبائهم خاصة، من هو جدير بها .

وجائزة الملك فيصل هذه، هي التي ستسد هذه الفجوة، وسيجد فيها العرب والمسلمون تعويضاً سخياً لهم عن الجوائز العالمية الأخرى، التي أبعدوا عنها وحرموها .



# من محاورات برتراند رسل

ترجمة: جلال العشري

المستقبل .. الدين .. الشير .. الشر .. الفراغ .. السعادة .. الصحة .. المادة ..  
العلاقات .. العمل .. الذكاء .. الفلسفة .. القلق .. الحسد .. الملل .. خداع  
الذات .. السجن .. القضية والعمر

(١) مستقبل الجنس البشري

● لقد غطينا يا لورد رسل العديد من مختلف الموضوعات في هذه الأحاديث ، فما قيمة هذه الأحاديث في رأيك بالنسبة لخاوف الجنس البشري وآماله ؟

●● إذن ، فهذا سؤال بالغ الصعوبة ، فانا أرى أن احتمالات المستقبل تدعو للتفاؤل أحياناً كما تدعو للتشاؤم أحياناً أخرى ، ولكننا إذا أردنا الدقة والتحديد ، ففي اعتقادي أن دواعي التشاؤم أكثر .

● إذن ، دعنا نبدأ بدواعي التشاؤم ، ما هي الآمال المعقودة على ذلك في رأيك ؟

●● دعنا نزعّم ، كما هو حاصل الآن ، أن الجنس البشري لن يزعج نفسه في حرب كبرى ، وفي اعتقادي أن الخطر الأكبر كما أراه هو النزعة العسكرية ، وربما كان في إمكان العالم تحت تأثير الاكتشافات العلمية ، وإمكانات التنظيم والإدارة ، أن يصبح منظماً تنظيماً كاملاً بما لا يدع مكاناً للهزل أو المزاح .

● وهل تعتقد أن النمط الإداري سيكون هو الغالب أو هو المثل الأعلى ؟

●● أعتقد أن ذلك ممكن ، فالنمط الإداري يحتوي في داخله على قدر ما من الكفاية العلمية ، ذلك لأن النمط الإداري الآن ، قادر على إنجاز أشياء لم يكن يقدر عليها من قبل على الإطلاق ، بعضها جيد ، ولكن أكثرها سيء .

● ما هي أنواع الأشياء التي يمكن أن تنجم عن النمط الإداري ، مما تعدّه سيئاً ؟

●● لا بأس ، يمكن للنمط الإداري في المقام الأول ، أن يبدأ من مدارس الأطفال ، وأن يمضي في مدارج التعليم ، فيكون له أقوى التأثير وأعظمه ، على آراء الناس وأفكارهم ، بحيث يصبح ما يفكر الإنسان فيه ، وما يحل به ، وما يخاف منه ، محدوداً بسلطات التعليم ، وعلى ذلك تغدو أشواق الإنسان وخوافه وفقاً لما يريده ذلك النمط

ماذا قال في وصيته الفكرية ؟

إذا بحثت شعوب الأرض جميعاً عن وطن واحد ، يضم جمعهم بلا تفرقة ، ويتسع لهم بلا حدود ، كان هذا الوطن هو « الحرية » .  
والفيلسوف الشهير برتراند رسل ، كان فيلسوفاً إنسانياً النزعة ، حر الفكر ، يفتح قلبه لامل الإنسان وحرية غير خوف ، ودون تردد ، فيحارب الحرب حتى ولو كان مسقط رأسه هو سوق تجارتها وموقد نيرانها .

وفي هذا الكتاب « برتراند رسل يحاور نفسه » يلتقي شيخ الفلاسفة المعاصرين مع مشكلات هذا العصر لقاء شجاعاً ومثيراً ، في وقت واحد ، فهو لا يضع الحلول لهذه المشكلات فقط ، ولكنه يتعنا بموار ذكي وحر وعميق ، يذكرنا بذلك النهج العتيق في التأليف الفلسفي ، نهج المحاورات كما في محاورات سقراط وأفلاطون .

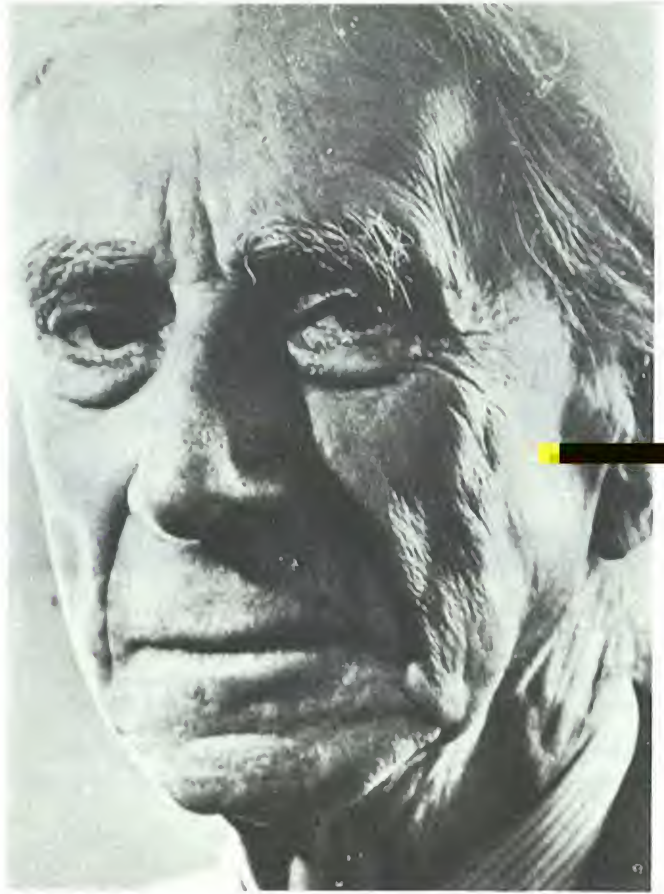
وهو من الكتب الشارحة التي تجمع آراءه في الحياة العامة ، كما أنه من الكتب الجامعة التي يستعرض فيها كل ما سبق أن ناقشه من مشكلات . والواقع أن هذا الكتاب يعتبر بحق « الوصية الفكرية » لشيخ الفلاسفة المعاصرين .

وهو يقع في ثلاثة عشر فصلاً تدور حول الفلسفة ، والدين ، والحرب ، والسلام ، والشيوعية ، والرأسمالية ، والأخلاق ، والسلطة ، والسعادة ، والوطنية وسريطانيا العظمى ودور الفرد ، والتعصب والتسامح ، والقبلية الهيدروجينية ، وأخيراً مستقبل الإنسانية .  
والكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة صيغت على هيئة « محاورات » ، وقد صورها التلفزيون البريطاني على مدى أربعة أيام ونصف في ربيع عام ١٩٥٩ م ، وذلك دون أي « سكريبت » جاهز ودون أي إعادة للتصوير ، وهو ما تمسك به برتراند رسل ، لأنه على حد تعبيره .. ليس ممثلاً !

ومكثدا سجل الفيلم التلفزيوني كلماته كما خرجت من فمه لأول مرة ، وكما سنجدها في هذه المحاورات ، التي أجراها ودوو وات من خلال خبرته الكبيرة في التعامل مع ال ب . ب . س ، كمعلق تلفزيوني ، فضلاً عن كونه أحد النواب في مجلس العموم البريطاني عن حزب العمال .

وعلى صفحات مجلة « الفيصل » نقدم الترجمة الدقيقة الكاملة لاثنتين مدمجتين من هذه المحاورات ، آمليين أن يتمتع بها القارئ .





★ برتراند رسل في أكتوبر / تشرين الأول ١٩٥٨ ★

الإداري، وسوف يكون من أهم مهام هذا التعليم، تدريب الفرد على التفكير الجيد في الحكومة، التي لا تكون حكيمة أو رشيدة على الدوام.

● ولكن، ألن يوجد باستمرار، ذلك الشخص القوي، المستقل الفكر، الذي على شاكلتك مثلاً، فيكون قادراً على الاستخفاف بذلك النمط من التعليم؟

● لا أظن ذلك، لا، بمعنى أن الناس الذين هم على شاكلتي، والذين يتمتعون إلى الغبط الذي أنتمي إليه، إنما شبوا في عالم من الطراز القديم، عالم أكثر اتساقاً وتوافقاً من العالم الذي أتوقعه في المستقبل. عالم كانت توجد فيه الكثير من الثغرات، والكثير من الاستثناءات، ولم يكن الناس جميعاً في ذلك العالم، يصبون في قالب محدد، كما يمكنني أن أراهم في عالم المستقبل.

#### عن الفن

● ما هو الرأي المحافظ، والزّي، والعادات، والفكر المحافظ، وما إلى ذلك بما تعتقد في وجوده؟

● حسناً.. نخذ الفن على سبيل المثال، قد لاحظت مرة في إثر مرة، أثناء أسفاري، وخاصة في أميركا، أنهم يعملون للفن قدراً كبيراً من الاحترام، كما أنهم يدفعون للفنانين الأوروبيين الممتازين، مبلغاً كبيراً من الدولارات، ولكنك في ذات الوقت، لا تكاد تجد طفلاً أميركياً يسمح له بممارسة تلك النزعة الفنية المنحرة، التي لا يد له منها، إذا ما فكر في أن يصبح فناناً، وعلى ذلك، فإن جميع الفنانين الذين يحظون بتقديرهم من الأوروبيين وليسوا من الأميركيين.

● هل تعتقد أن الفن يلاقي في روسيا ألواناً من المعاناة؟

● أوه، لا أكاد أدري، لأنني لم أزر روسيا، منذ عام ١٩٢٠م، وإن كنت أرجح ذلك بالضرورة، فعلى الرغم من ظهور رواية دكتور زيفاجو، إلا أنه فيما يبدو لي أن الأدب هناك يلقى الكثير من صنوف المعاناة، أعني أن الأدب السوفيتي في العهد القيصري، كان يتمتع بمكانة رفيعة، ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يصفه بذلك في الوقت الحالي.

● وماذا عن فن الباليه في روسيا؟

● الباليه هو كل ما تبقى من عهد القيصرية، لقد بدا لي فن الباليه عندما شاهدته في عام ١٩٢٠م، وكأنما يعطيني الانطباع بقطب الزهور ووضعها في آنية، لقد شعرت بمدى جماله ومدى رشاقته، ولكنه لم يصف على روعي أي شعور بالحيرية، وفي اعتقادي أنه الآن مجرد تحفة فنية في أحد المتاحف.

● هل تعتقد أن من شأن هذا كله، أن يؤدي إلى نوع من التحجر العام، الذي لا يسمح بظهور شيء جديد؟

● نعم، أعتقد أن ثمة خطراً كبيراً يمكن أن يحدث من جراء ذلك، كأن تصبح روسيا مجتمع بيزنطي، ساكن، بحيث يتشابه ذلك جيلاً وراء جيل، وفي النهاية يتقوّل الناس في قالب واحد، إلى الدرجة التي لا يستطيعون فيها تحمل هذا النظام فيرفضونه من جراء الملل.

● ربما كانت من أهم الصعوبات التي تواجه الإنسان، أنه لا يستطيع أن ينجز شيئاً من خلال اقتناعه بفكرة أنصاف الحلول، وربما بدأ بداية طيبة ولكنه سرعان ما يندفع إلى طرف النقيض، هل تعتقد أن الإنسان سوف يتعلم منطق الحلول الوسط؟

● حسناً، فالأمل محدود، في أنه سوف يتعلم ذلك بالضرورة، فني اعتقادي أن هذه مسألة ضرورية، جداً في الواقع، كما أعتقد أن ذلك ممكن الحدوث، فأننا لا نتمكن له بمثل هذه الكهانة المنشأمة، وآمل ألا تحدث له على الإطلاق.

#### الخير.. والشر

● هل يمكننا أن ننقل الآن إلى الأشياء الأكثر بهجة؟

● حسناً، إن أول ما نحتاج إليه من أشياء، هو التحقق من أن شرور العالم، بما في ذلك الشرور التي لم يسلم منها في الزمن السابق، يمكن أن تمحي في الوقت الحاضر، وما أدى إلى استمرار وجود هذه الشرور، إلا الآلام الدنيئة التي ظلت قابضة في أرواح الناس، تحول بينهم وبين إرادتهم الملونة في أن يخطوا خطوات إيجابية لاضفاء السعادة على غيرهم من البشر، في اعتقادي أن كل متاعب العالم الحديث، فضلاً عن قوة التكنولوجيا الحديثة، إنما تكن في علم النفس الفردي، أو بالأحرى في آلام الإنسان الفرد، وبها من آلام ضارة، فلو قدر للإنسان، ولو قدر له بصورة أقوى، أن يكون سعيداً في عالم متناكس ومتكامل، كان لزاماً عليه أن يعمل على اسعاد جيرانه من البشر، مهما كان يكن لهم من شعور بالكراهية، وفي تقديري أنه لو تحققت مثل هذه الأشياء، لعاش الإنسان في عالم أسعد بكثير من أي عالم قدر عليه أن يوجد من قبل.

● أي أنواع الشرور في اعتقادك، يمكن للإنسان أن يدمعها بعيداً عنه، لو قدر له أن يوجه عواطفه في الطريق الذي تقترحه على هذا الإنسان؟

● حسناً أولاً وقبل كل شيء.. الحرب، ويحي بعد ذلك الفقر، فني الأيام الغابرة لم يكن في الامكان نحاشي الفقر بسبب كثافة السكان، أما في الأيام الحاضرة، فالأمر على خلاف ذلك، فلو أن العالم أراد، لاستطاع أن يححو الفقر في زهاء أربعين عاماً، فالمرض على سبيل المثال، أمكن محاصرته بشكل كبير، ويمكن محاصرته أكثر وأكثر، أنه لا يوجد سبب كاف يجعل البشر عاجزين عن أن يستمتعوا بفترات من البهجة والمرح.

● حسناً، فنحن الآن، إنما نتكلم عن طريقة تحقيق الخير الواقعي، فيما أظن، فيما هي ألوان الخير الواقعي الأخرى، التي يمكن للإنسان أن يحققها في المستقبل؟

● في اعتقادي أن قدراً كبيراً من تحقيق الخير يتوقف على التعليم، فمن طريق التعليم يمكن التأكيد على أن الجنس البشري إنما هو أسرة واحدة ذات مصالح مشتركة، وعلى ذلك يصبح التعاون أكثر أهمية من التناصر، وحبية الإنسان جواره، لا مجرد واجب أخلاقي، ولكنه بالإضافة إلى ذلك السياسة الحكيمة من وجهة نظر سعادة الإنسان الخاصة.



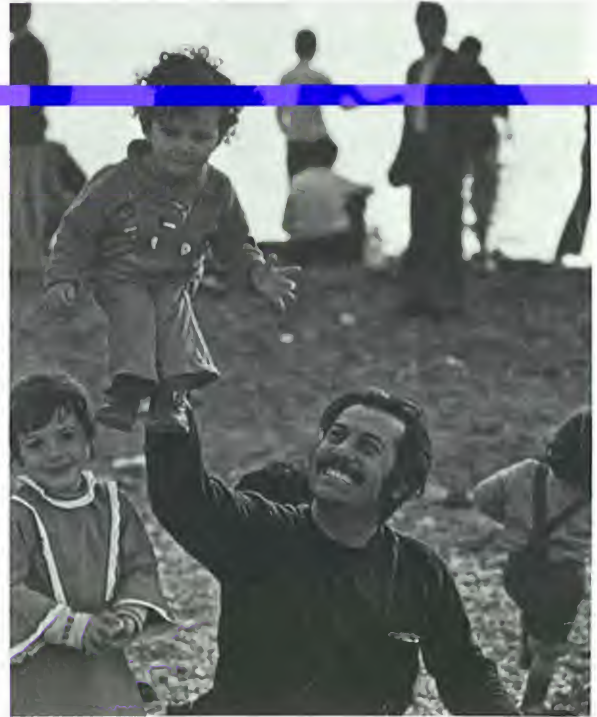
● ربما كان من أهم الفوائد التي يبدو أن العلم بصدد تحقيقها للجنس البشري . اختصاره نسبياً لساعات العمل ، بحيث تقتصر عدد ساعات العمل على عشر ساعات في الأسبوع فإذا سيفعل الانسان بكل هذا الوقت من الفراغ ؟

● حسناً ، وسوف يفعل الإنسان ، إذا ما تحققت صورة العالم الذي تخيله عندما يتناهي الشعور بالسعادة ، ما ينبغي على الإنسان أن يفعله ، أعني أن يفعل ما كان يفعله الإنسان المتحضر في الزمن الماضي ، خذ على سبيل المثال الإنسان الارستقراطي في القرن الثامن عشر ، الذي كان نموذجاً حقيقياً للإنسان المتحضر ، لقد كان يملك وقتاً كبيراً من الفراغ ، ولكنه كان يعرف تماماً ماذا يفعل بوقت فراغه ، حتى ان كثيراً منهم حقق أفضل الأشياء مما لا نكاد نجد له مثيلاً الآن ، فما أكثر الذين أتوا أفعالا عظيمة ، كتشجيع الفن ، وإقامة الحداثق الجميلة ، وتشبيد المنازل الباهرة ، إلى آخر هذه الأشياء التي تنال منا الإعجاب ، وإنني لأرى بعين خيالي ، عندما يتناهي الشعور بالبهجة ، عالماً ، يمكن أن تحقق فيه لكل إنسان مثل هذه الاستخدامات الجيدة لأوقات الفراغ ، ذلك لأن كل إنسان سوف يكون قد بلغ مستوى كافياً من الحضارة .

#### ● وماذا عن المغامرة في هذا المجال الجزئي المحدود ؟

● المغامرات ينبغي أن تكون منظمة من قبل السلطات ، بمعنى أن السلطات ينبغي عليها أن تمكن من المغامرة ، دونما اتفاق باعظ سواء في المال أو في الوقت ، وذلك لظهور أنواع حقيقية من المغامرين ، وإذا لزمه الأمر فلنكن مشروعات تنصف بالخطورة ، من النوع الذي يمنع صغار الشباب ، فالإنسان ينبغي أن يمكن من الذهاب إلى القطب ، وينبغي أن يمكن من تسلق الجبال الشاهقة ، وإذا ما تحققت رحلات الفضاء ، كان من الواجب على الإنسان أن يكون قادراً على الاشتراك في هذه الرحلات ، فالأشياء التي من هذا القبيل ، ينبغي أن تيسر سبلها أمام الإنسان ، وهذا من شأنه تغيير مجرى الاهتمامات ، التي تندفع في الوقت الحالي ، وبايقاع سريع نحو الحرب .

★ فترات السعادة ، مهمة في حياة البشر ، فهي شرط من الذكريات الحلوة عندما يتقدم بهم العمر ★



● ما هي الرسالة الأخيرة التي تود أن تبعث بها إلى الجنس البشري في مستقبله ؟  
●● أود أن أقول للجنس البشري إنك من خلال ما أوتيت من معرفة ، تملك من القدرات ما لم يكن لدى الإنسان من قبل ، وأنت قادر على توجيه هذه القدرات إما في طريق الخير أو في طريق الشر ، وسوف تستخدمها في سبيل الخير ، لو تحققت من أن الجنس البشري كله إنما هو أسرة واحدة ، ونحن أبناء هذه الأسرة في أيدينا أن نكون سعداء وفي أيدينا أيضاً وفي ذات الوقت أن نكون بؤساء . لقد انقضى الزمن الذي كانت فيه القلة السعيدة تستطيع أن تحيا على حساب بؤس الكثرة الكبيرة ، لقد انقضى فعلاً ذلك الزمن ، ولن يقبله البشر مرة أخرى ، فعلى الجنس البشري أن يعلم من خلال ما أوتي من معرفة ، أنه لن يعيش سعيداً ، ما لم يعيش جيرانه في سعادة ، وفي يقيني أن الناس لو عملوا على ترشيد تعليمهم وتوجيهه في طريق الحكمة ، لتفتحت أمامهم آفاق الطبيعة ، ولن يجدوا صعوبة في أن يمنحوا غيرهم السعادة ، كشرط أساسي لكي يعيشوا هم أنفسهم سعداء ، وطالما رأيت بعين خيالي ، عالماً من سعداء البشر ، يملؤهم النشاط ، ويكتنفهم الذكاء ، عالماً ليس فيه ظلم واحد ، ولا مكان فيه للظلم ، عالماً من بني البشر على وعي بأن مصالحهم المشتركة أرجح كفة من نزعات التنافس والتناحر التي من شأنها القضاء على الامكانيات العظيمة التي بوسع الذكاء البشري والخيال البشري أن يجعلها أمراً قابلاً للتحقيق ، إن مثل هذا العالم الذي أتحدث عنه يمكن أن يتحقق لو اختاره البشر ، وعملوا على تحقيقه ، ولو قدر لهذا العالم أن يوجد ، أو أن يكون في حيز الوجود ، فيا له من عالم مجيد إلى أقصى درجات الجيد ، ويا له من عالم عظيم إلى أقصى درجات العظمة ، ويا له من عالم سعيد إلى أقصى درجات السعادة ، ويا له من عالم مليء بالخيال ، مليء بمشاعر السعادة ، مليء بما لم يمتلئ به عالم آخر من قبل هذا العالم .

#### (٢) ما هي السعادة ؟

● أنت تبدو يا لورد رسل كما لو كنت إنساناً سعيداً للغاية ، هل أنت كذلك حقاً ؟

●● لا ، ليس كذلك على الإطلاق ، لقد مررت بفترات ذقت فيها طعم السعادة ، ومررت بفترات أخرى لم أذق فيها للسعادة طعماً ، وربما كان من حسن حظي ، أن فترات السعادة تبدو لي أكثر طولاً ، كلما تقدم بي العمر .

#### ● ماذا كانت أتعس فترات حياتك ؟

●● حسناً ، لقد كنت نعيساً ، للغاية في فترة مراهقتي ، في اعتقادي أن هذا هو شأن أكثر المراهقين ، لم يكن لدي أصدقاء ، بل لم يكن لدي من أستطيع أن أتحدث معه ، كنت أفكر ملياً ، في الانتحار طوال الوقت ، وكنت أكبح جماح نفسي بصعوبة حتى لا أقدم على هذا الفعل . وهو التفكير الذي لم يكن سليماً على الإطلاق ، أوه ، لقد خيل لي تماماً أنني لم أكن سعيداً ، أبداً ، ولكنه كان مجرد تخيل ، كما اكتشفت ذلك في أثناء حلمي ، لقد حلمت بأنني في غاية المرض ، وبأنني أعاني آلام الاحتضار ، وتصادف أن كان يقف إلى جوارتي البروفسور جويت مترجم أفلاطون ، وأحد المثقفين ممن كان صديقاً لأسرتي ، وكان صوت البروفسور جويت قصيراً وحاداً كالصرير ، فقلت له بصوت ملئنا وأنا في أضغاث أحلام : « لا بأس ، هناك على أية حال نوع من الراحة ، وعما قريب سأرتاح من كل هذا العناء » . لما كان منه إلا أن قال لي : « هل تقصد بذلك الحياة ، فأجبت قائلاً : « نعم ، ما أقصده هو الحياة » فرد على الفور « عندما تكبر في السن ، لن تنفوه بمثل هذا الكلام الفارغ » . فأفقت من حلمي ، ولم أعاد ترديد مثل هذا الهراء !

● ولكن ، طالما أنك شعرت بالسعادة ، هل جاءك هذا الشعور بناء على ترتيب أم كان بمحض المصادفة ؟

●● حسناً ، لم يتناهي هذا الشعور بناء على ترتيب ، إلا فيما يتعلق بعمل ، أما بقية حياتي ، فقد كانت متروكة للظروف والمصادفات ، ولكن الذي لا شك فيه ، أنه فيما يتعلق





★ برتراند رسل وسط تلاميذ مدرسة يكون هل الإنجليزية وإلى يساره ابنته كات رسل  
والثاني إلى يمينه ابنة هيون رسل ★

بالتعاسة ، وبعض أنواع المرض ، يستطيع الإنسان أن يتحملها ، أما بعضها الآخر ، فيصعب تحمله على الإطلاق .

● هل تعتقد أن الصحة تجعل الانسان سعيدا ، أم أن السعادة هي التي تجعله صحيحا ؟

●● حسناً ، في اعتقادي أن الصحة أساساً هي التي تجعل الإنسان يشعر بالسعادة ، ولكن العكس ليس صحيحاً ، فالإنسان السعيد يكون أقل تعرضاً للمرض من الإنسان غير السعيد .

● عندما يكون يومك سعيداً ، هل يكون ذلك في صباح اليوم الذي تمت فيه جيداً أكثر من صباح اليوم الذي لم تتم فيه نوماً جيداً ؟  
●● أوه ، بالطبع .

#### ب - الدخل المادي

● هل لنا الآن أن نتكلم عن المقوم الثاني من مقومات السعادة ، وهو الدخل المادي ؟ ما أهمية هذا الجانب ؟

●● حسناً ، فهذا يتوقف على المستوى المعيشي الذي اعتاد عليه الإنسان ، فإذا اعتاد الإنسان أن يعيش على الكفاف ، لم يكن في حاجة إلى دخل مادي كبير ، أما إذا اعتاد الإنسان أن يعيش حياة الرخاء ، فإنه يشعر بالتعاسة ما لم يكن دخله المادي كبيراً جداً ، وعلى ذلك ، فالمسألة في اعتقادي تتوقف على ما اعتاد عليه الإنسان .

● الا يمكن أن يدفعنا ذلك دفعا ، إلى نوع من السعي الحثيث وراء المال ؟

بعملي الذي كنت أنجزه كما ينبغي ، كانت سعادي وليدة ترتيب واع .  
● هل تعتقد أن ترك السعادة للظروف والمصادفات ، هو الشيء السليم ؟

●● أوه ، أعتقد أن المسألة تتوقف على الحظ بدرجة كبيرة ، وكذلك على الأسلوب الذي يسير به عملك ، لقد مرت بفترة اضطراب ذقت فيها مرارة التعاسة ، وكان ذلك في فترة لاحقة عن فترة المراهقة التي حدثت عنها ، عندما استغفرتني تماماً إحدى المشكلات التي كان لزاماً عليّ أن أجد لها حلاً قبل أن أمضي في عملي ، ولقد ظللت أصارع هذه المشكلة طوال عامين دون أن أحرز في حلها أي تقدم ، وكان ذلك مصدراً من مصادر تعاسي الشديدة .

#### مقومات الشعور بالسعادة

● ما هي في رأيك مقومات الشعور بالسعادة ؟  
●● حسناً ، مقومات السعادة في رأيي ، يمكن ارجاعها إلى أربعة مقومات هامة ، ربما كان أولها جيمعاً الصحة ، يليها بعد ذلك أن يكون الإنسان في مأمن من العوز ، ثالثها العلاقات الشخصية السعيدة ، أما رابع هذه المقومات فهو العمل الناجح .

#### أ - الصحة

● لا بأس ، ولكن ما الذي يمكن أن يقال عن الصحة ؟ ولماذا تولي الصحة كل هذه الأهمية ؟

●● واضح ، فإذا أصيب الإنسان ببعض أنواع المرض ، يكون من الصعوبة بمكان أن يشعر بالسعادة ، فبعض أنواع المرض ، تؤثر في العقل ، وتسبب للإنسان شعوراً





★ برتراند رسل في أكتوبر عام ١٩٥٨ ★

●● أوه ، ببساطة شديدة ، وهذا ما يحدث في أغلب الأحوال ، فكثيراً ما نجد أن أكثر الناس ثراء . هم من ينتابهم الفزع من أن يموتوا في بيوت فقيرة ، وهو ما يحدث في الأغلب .

● ولكن المال الوفير لا يؤدي بالضرورة إلى السعادة .

●● أوه ، لا ، لا بالطبع ، فالمال في اعتقادي يشكل الحد الأدنى من الاحتياج ، ولا ينبغي على الإنسان أن يفكر كثيراً في المال ، وإلا أصيب بالاضطراب .

#### ج - العلاقات الشخصية

● لقد وضعت العلاقات الشخصية في المرتبة الثالثة من القائمة ، هل كنت تقصد بذلك أنها الثالثة في ترتيب الأولوية ؟

●● أوه ، لا ، لا ، لأنني على قدر تجريبي ، أستطيع أن أقول أنها المطلب الأول ، أو بالأحرى ، هي المقوم الأول بعد مقوم الصحة .

● هل تشرح لنا قليلاً ، ما الذي تقصده ، بذلك ؟

●● أقصد علاقاتي الشخصية ؟

● نعم ؟

●● أوه ، لا بأس ، كنت أظن أن ما أقصده بالعلاقات الشخصية ، واضحاً كل الوضوح ، فانا أقصد بالعلاقات الشخصية الصداقة ، وأقصد بها الحب ، وأقصد بها علاقات الإنسان بأولاده ، فهذه كلها أنواع من العلاقات الشخصية الحميمة ، فإن لم يكن الإنسان سعيداً في مثل هذه العلاقات ، تصبح حياته بالغة الصعوبة .

#### د - العمل

● والآن ، العمل ، في أي مستوى من المستويات تضعه ، أعني أهمية العمل الناجح ؟

●● في مستوى عالٍ بالتأكيد بالنسبة لكل من هم على جانب من الحيوية والنشاط ، فالبعض أكثر كسلاً وهولاً ، ولا يعملون على العمل كثيراً ، أما من هم بكامل طاقتهم الحيوية ، فلا بد لهم من متنفس لتفريغ هذه الطاقة ، والعمل هو المتنفس الطبيعي ، وبالطبع لا يمكن للعمل أن يضني عليك السعادة ، ما لم يكن عملاً ناجحاً ، فإذا كان كذلك ، فلا شك أنه كفيل بأن يملأ عليك يومك وأن يضيف إليه السعادة .

● وهل يهم في ذلك نوع العمل ؟

●● لا ، لا أعتقد أن نوع العمل له أهمية في ذلك ، فيما عدا الأعمال غير المستقرة أو المحفوفة بالخطر ، أقصد لو أنني كنت مثلاً عضواً في مكتب سياسي ، فلا بد وأن يكون عملي مقلداً لبعض الشيء . ولكن .

● ربما أمد بعض الناس ممن يحبون هذا النوع من العمل ، ببعض الحوافز .

●● بالطبع ، لو أنك أحببت هذا النوع من العمل ، فالأمر بالنسبة لك يكون على ما يرام .

● ولكن ارتفاع مستوى العمل أو قلة مستواه ، هل يهم في ذلك ؟

●● لا ، بالطبع ، فهذا يتوقف على طبيعة الإنسان ، فبعض الناس لا يشعرون بالسعادة ما لم يرتبطوا بإنجازات ضخمة ، والبعض الآخر ، يمكنه أن يكتفي بالقليل من الإنجازات حتى يشعر بالسعادة الكاملة ، إنها مسألة طبع ومزاج على أن يكون عمل الإنسان على قدر ما تسمح به طاقته ، لأن ذلك يساعده على أن ينتج أعمالاً ناجحة .

● ما تقوله يبدو كما لو كان ينبسط الكسول على حظه من الكسل ، إذ ينبغي أن يكون راضياً بما قدر له من قدر ضئيل في العمل ؟

●● نعم ، ولكن لا ينبغي أن يكون سعيداً كل السعادة ، فهذا على الأقل ما أفدته من تجربتي في الحياة ، فالسعادة الناجمة عن إنجاز عمل ناجح نجاحاً حقيقياً ، نتيجة للجهد الشاق ، إنما هي أكبر بكثير ، ولا أظن أن الشخص الكسول قد ذاق طعماً لمثل هذه السعادة .

#### عن الذكاء

● ماذا يكون تصرفك ، لو قيل لك إنه يمكن أن يتحقق لك قدر أكبر من السرور ، لو أنك كنت أقل قدراً من الذكاء ؟

●● أوه ! لم أكن أقبل بذلك أبداً ، بل كنت في الواقع أفضل قليلاً من السرور ، في مقابل المزيد من الذكاء ، لا .. لا : . فانا أحب الذكاء .

#### الفلسفة

● هل تعتقد أن الفلسفة تضفي السعادة على الإنسان ؟

●● نعم إنها تضفي عليه السعادة ، لو كان من المهتمين بالفلسفة ، ولو كان ناجحاً فيها وليس العكس ، أعني لو كان متطعلاً عليها ، أعني لو كان بالنسبة لها مجرد عابر سبيل . فأي عمل يجيده الإنسان ، كفيل بأن يضفي عليه الشعور بالسعادة .

#### القلق

● ما هي العوامل التي تحول دون تحقيق السعادة ؟

●● نعم ، هناك عدد كبير من هذه العوامل ، بالإضافة إلى تقيض الأشياء التي تحدثنا فيها ، فمن الأشياء التي تحول دون تحقيق السعادة ، القلق ، وهو عامل من العوامل التي لها علاقتها بجيأتي ، فكلما تقلعت به العمر ، شعرت بمزيد من السعادة ، فأننا لم أصادف كثيراً من القلق ، وعلى ذلك عرفت كيف أتعامل معه بطريقة لا تخلو من الفائدة ، وذلك لأنني كنت أفكر فيه على النحو التالي : « والآن ، ما هو أسوأ الأشياء التي يمكن أن تقع لي ؟ .. » ثم أعاود التفكير : « لا بأس ، إنه في النهاية لن يكون بالغ السوء على امتداد مائة عام منذ الآن ، ومن الجائز ألا تكون له أهمية تذكر » .. والواقع أنك لو تركت نفسك تفكر على هذا النحو ، لن تعاني من القلق كثيراً ، فالقلق إنما ينجم عن عدم مواجهة الاحتمالات غير السارة .

● هل تقدر على قهر القلق عن طريق الإرادة ؟

●● ليس تماماً ، ليس كلية ، ولكن ذلك ممكن إلى درجة كبيرة .



## ● واين تضع الحسد؟

●● أوه، الحسد، نعم، يا له من مصدر مزعج من مصادر التعاسة، لعدد كبير من الناس، وأنا هنا أتذكر الرسام هايدون الذي لم يكن رساماً ممتازاً ولكنه كان يتمنى أن يكون كذلك، لقد دون يومياته، وفي إحدى هذه اليوميات سجل قوله: «لقد قضيت صباحاً بائساً، أقارن فيه نفسي بـرافائيل».

## ● هل لك أن تعطينا مزيداً من الشرح لهذا الكلام عن الحسد؟

●● إن الحسد معناه أن عدداً كبيراً من الناس، لديهم ما يفهمون لكي يصيروا سعداء، ولكنهم يقلقون أنفسهم لأن أناساً آخرين فيا يبدو، لديهم ما هو أكثر، فهم يظنون حسداً أن بعض الناس لديهم سيارة أفضل، أو حديقة أجمل، أو أن عملهم يمضي على ما يرام وهكذا... وهكذا إلى آخر هذه الأشياء، فبدلاً من أن يستمتعوا بما لديهم مما يمكن الاستمتاع به، يبدون هذه المتعة، بالتفكير فيما قد يكون لدى غيرهم على نحو أوفر، وهو ما لا ينبغي أن يحدث.

● ولكن، ألا يمكن للحسد أن يكون شيئاً نافعا، بمعنى أن واحداً من الناس إذا شعر بالحسد تجاه العمل الذي يقوم به شخص آخر، ظنا منه أن عمل غيره أفضل من عمله، ألا يكون هذا حافزاً له على تحييد عمله؟

●● نعم، يمكن أن يحدث هذا، ولكنه في ذات الوقت قد يكون حافزاً لاساءة العمل، وفوق هذا كله فهو يشكل محاولة للتدخل في عمل الغير، فتمت طريقتان للتفوق على الآخر، أولها أن يتفوق الإنسان على نفسه، والآخر أن يضع الغير وراء ظهره.

## ● والملل .. ما هو في اعتقادك مدى أهمية الملل؟

●● في اعتقادي أن الملل مسألة على جانب كبير من الأهمية، وأنه كذلك بالفعل، إن الملل مسألة غريزية في الإنسان، ذلك لأنني من خلال مراقبتي للفرقة في حديقة الحيوان، بدت في كيا لو كانت تشعر بالملل، وإن كنت لا أظن أن الحيوانات الأخرى تعاني مثل هذا الشعور، فهو علامة من علامات ارتفاع درجة الذكاء، ولكني أعتقد أن الملل ظاهرة لها أهميتها الكبرى، وتستطيع أن تلاحظ ذلك في سلوك الحمير، فعندما يتصلون لأول مرة بغيرهم من المتحضرين، تراههم يفكرون فوراً في الحمير، إنهم يحتاجون إليها، بأكثر من حاجتهم إلى حبات الخرز الزرقاء، التي تدرأ العين، وما حاجتهم إلى الخمر، إلا لأنها سرعان ما تنزل عنهم الملل.

● ولكن كيف يستطيع الإنسان أن يعتبر الملل، وبخاصة الفتيات ممن حصلن قدراً طيباً من التعليم؟ إنهن يتزوجن، ولا يجدن بعد ذلك ما يفعلن، سوى مراعاة شؤون البيت.

●● أجل، وبإله من نظام اجتماعي سيء، وفي اعتقادي أنك لا تستطيع أن تشبه دائماً بفعل فردي، ولكن المثال الذي ضربته الآن، على جانب كبير من الأهمية، إنه يدل على أننا لم نتوصل بعد إلى نظام اجتماعي أفضل، لأن كل إنسان ينبغي عليه أن يختبر مهارته، سواء أكان دكراً أم أنثى، والمرأة الحديثة التي بلغت درجة عالية من التعليم، لا تكاد تقدر على عمل شيء، بعد أن تتزوج، وهذا أثر من آثار النظام الاجتماعي.

● إلى أي مدى يستطيع الإنسان أن يكون سعيداً، إذا أدرك دوافعه الخاصة على انجاز الأعمال، حتى يستطيع بذلك أن يتحاشى خداع الذات؟

●● أوه، في اعتقادي أن ذلك يساعد على حد كبير، فكل إنسان يحمل في داخله

قدراً من الكراهية لأحد الأشخاص أو لمجموعة من الأشخاص، على اعتبار أن هذا الشخص أو هذه المجموعة لا تتصرف وفقاً للمثل الأعلى، وعلى الرغم من أن هذا الشعور بالكراهية، قد يكون نتيجة التأثير بانطباع ما، إلا أن الواقع قد يجيب هذا الانطباع، على أن الإنسان إذا استطاع أن يتحاشى خداع الذات، فلا شك أنه سيكون سعيداً.

● وهل تعتقد أن عدداً كبيراً من الناس، إنما يكونون تعساء نتيجة خداع الذات؟

●● أوه، نعم، أعتقد أن ذلك يحدث لعدد كبير من الناس.

● هل تعتقد أن الانسان في إمكانه أن يكون سعيداً في ظروف محنة، كان تكون السجن مثلاً، لقد مرت أنت نفسك بهذه التجربة.

●● أوه، بالطبع، لقد قضيت وقتاً طيباً في الحبس، غير أنني كنت في القسم الأول، حيث لم تصادفني المشاق العادية التي تواجه حياة السجن، لم تصادفني على الإطلاق، ولكن، من الطبيعي أن تكون حياة السجن شديدة الصعوبة بالنسبة للإنسان اعتاد على ممارسة العمل الذهني، ولكنها أيسر بكثير بالنسبة لمن اعتاد على ممارسة العمل البدني، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحرم طويلاً من ممارسة حياته العقلية.

● هل تعتقد أنه أيسر للإنسان أن يشعر بالسعادة حتى داخل السجن، لو كان ذلك في اعتقاده من أجل قضية عادلة، مما لو دخل السجن لأنه يستحقه مثلاً؟

●● أوه، بالتأكيد، لو أنهم حكوا عليّ بنفس العقوبة، لأنني سرقت بعض اللعاق، لكنني شعرت شعوراً كاملاً بالتعاسة، نعم.. نعم.. كان يتأبني ما استحقته من شعور بالخزي والعار، ولكني لما كنت قد دخلت السجن، لسبب آخر، فلم أشعر بهذا الشعور على الإطلاق.

## ● لأنها ببساطة كانت مسألة مبدأ؟

●● نعم.

● هل تعتقد أنه مما يساعد الناس على الشعور بالسعادة، أن تكون لهم في الحياة قضية يعيشون بها ولها؟

●● نعم، على شريطة أن يحققوا قدراً كبيراً أو شيئاً من النجاح، ففي اعتقادي أنه لو وجدت مثل هذه القضية ولم يحققوا فيها أي نجاح فلن يشعروا بالسعادة، ولكنهم إذا حققوا قسطاً من النجاح، من حين إلى حين، فإن ذلك من شأنه أن يساعد على بلوغ السعادة، وفي رأيي أنني ينبغي أن أنتقل من الموضوع إلى موضوع آخر، وهو موضوع له أهميته في بلوغ السعادة، وبخاصة كلما تقدم العمر بالإنسان، فكلما كانت اهتماماتك غير شخصية، ولها امتدادها إلى ما بعد حياتك الخاصة، كلما قل تفكيرك، فيما إذا كانت حياتك الخاصة تنتهي قبل أوانها بزمان طويل، وفي اعتقادي أن هذا عاملاً مهماً للغاية، من العوامل التي تساعد على تحقيق السعادة لمن تقلعت بهم العمر.

● وماذا تقول في الفكرة الشائعة لدى الناس، عن ضرورة حرصهم على أن يعيشوا حياة سعيدة، تمتد إلى أطول مدى؟

●● أوه، بالنسبة لكيف يعيش الإنسان أطول مدى، فهذه مسألة طبيعية وليست مسألة من المسائل التي ينبغي أن أعبر فيها عن رأيي، ولقد قرأت كثيراً من المصنفات الأدبية التي تدافع عن هذه الوجهة من وجهات النظر، لقد قالوا لي، لو أنني تناولت عقاقيرهم الطبية، لعاد شعر رأسي أسود، كما كان، ولست متأكداً من ضرورة أن أرحب بذلك، لأنني أجد أنه كلما زاد شعر رأسي بياضاً، كلما كان الناس أكثر استعداداً لتصديق ما أقول.





# وصف أفريقيا

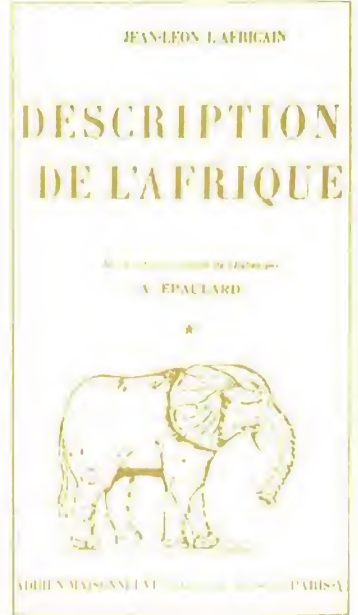
● "إن ما يتصف به مصنفه من مميزات أمر معروف للجميع ولن أتردد في تكرار ما قاله الباحث قبلي من أن كتابه كنز من الذهب.. ولولا وجوده بين يديك لخفيت على أشياء كثيرة.."

(المستشرق الملاحى هارماتس - القرن ١٧م)

●● "إن ما يورده ليون الإفريقي من تفاصيل في وصف المغرب، يتميز بالدقة الشديدة، بل وقد أثبتت الأبحاث الأخيرة صدق قوله حتى في تلك المواضيع التي أثار الشك فيما مضى"

(المستشرق الفرنسي ش. شيفر - القرن ١٩م)

## رحلة في



## كتاب

تأليف:

الحسن الوزان  
أو  
ليون الإفريقي

عرض وتقديم:

د. عبد الرحمن حميدة



★ جامع الفروين في مدينة فاس بالغرب.. كان جامعة تخرج منها عدد من العلماء والمفكرين والفلاسفة، ومنهم الوزان صاحب كتاب «وصف إفريقيا» ★



### نبذة عن حياة المؤلف

★ رأت عينا الحسن بن محمد الوزان الزيياتي ، لأول مرة في غرناطة ، آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس ، قبل خمسة قرون ونصف ، وعلى وجه التحديد سنة ٨٩٤ هـ ، أو ١٤٨٩ م ، أي قبيل سقوطها بيد الملكين الكاثوليكين ، فرديناند ملك أراغون ، وإيزابلا ملكة قشتالة .

ويستدل من لقب أسرته ، أن أحد أجداده شغل وظيفة في مصلحة الأوزان العامة ، أما الزيياتي فتدل على نسبه القبلي ، أي قبيلته الأصلية التي تحدر منها . ولم يمض على سقوط عاصمة بني الأحمر في يد الإسبان ، في شتاء عام ٨٩٧ هـ ، (كانون الثاني / يناير ١٤٩٢ م) ، أكثر من أعوام معدودات ، حتى اضطرت أسرته ، شأن الآلاف من الأسر المسلمة التي آثرت الاحتفاظ بعقيدتها ، إلى النزوح عن مواطنها لاجئة إلى أقطار المغرب العربي ، ولا سيما بعد ظهور محاكم التفتيش inquisition التي كان يشرف عليها الكاردينال خمينز وتشجيع من الملكة إيزابلا .

وهكذا استقر المقام بأسرته في فاس ، حيث شغلت بالطبع مكانة مرموقة . وقد آتم الولد الناشئ تحصيله حسب الأسلوب الذي ظل معهوداً حتى عهد قريب في مدارس فاس ، وفي جامعة القرويين الإسلامية ، ثم أصبح «طالباً» ، كما يرى الكثير منهم حالياً في المغرب . وقبل بلوغه الخامسة عشرة من عمره ، تمرس في فنون الكتابة الدواينية فتولى خطة العدالة لمدة عامين في ماستستان فاس ، بمرتب شهري مقداره ثلاثة دنائير .

وتجول وهو في سن مبكرة في أرجاء البلاد المغربية ، وكان فضوله العلمي يدفعه لاستنساخ كتابة شواهد أضرحة مشاهير الرجال ، وألف من ذلك مجموعة قدمها هدية لشقيق سلطان المغرب . وتعطينا هذه التفاصيل فكرة عن سويته الاجتماعية وعن عناصر مروحة ثقافته . أما أباه فقد كان موظفاً كبيراً حسباً تشير بعض الظواهر . ويسرد لنا أيضاً ، أنه قام برحلة وهو لا يزال شاباً إلى القسطنطينية ، التي أصبحت حاضرة الخلافة الإسلامية ، إلى أقطار المشرق العربي . وفي حوالي العام ١٥١١ م ، نجده بصحبة عمه ، وهو شاعر وخطيب مفوه ، في سفارة إلى تومبوكتو ، لمقابلة السلطان السوداني الكبير آسكيا محمد توريه .

وقد ثابر الحسن في تجواله في أنحاء المغرب لحساب سلطان فاس من بني وطاس ، وهم آخر فروع بني مرين ، وذلك قبل قيامه برحلة ثانية إلى بلاد السودان ، والتي يذكر فيها ، هذه المرة ، أنه انتقل فيها من تومبوكتو إلى مصر ، ماراً ببلاد الهوسه وملكة غاوغة ، في شرقي التشاد ، وكان عليه أن يعود إلى المغرب بجرأ .

وقد أمضى عامي ٩٢٢ و ٩٢٣ هـ ، في مملكة المغرب ، وكان يعمل حينذاك في خدمة السلطان وبعض قواده على المناطق ، وقد ساهم في أكثر من معركة ضد البرتغاليين ، في معية سلطان فاس . وما لا ريب فيه ، أنه قد عهد إليه بمهمات سياسية تارة ، واقتصادية تارة أخرى ، لأنه يبدو مطلعاً على بورصة الأسعار واختلافاتها بين بلد وآخر . وتزايدت هذه البعثات أهمية مع الزمن ، حتى لنجده وسيطاً في المفاوضات بين سلطان فاس محمد البرتغالي ، وبين سلطان مراكش الناصر بن يوسف الهنتاتي ، وأمير السوس وحاحه الشريف أحمد الأعرج ، مؤسس أسرة السعديين الذي يبدو أنه كان زميلاً له في الدراسة في بعض معاهد فاس .

وفي شهر آذار (مارس) من عام ١٥١٤ م ، (٩٢٢ هـ) ، كانت له مقابلة مع حاكم بادية آسفي ، عامل ملك البرتغال ، واسمه يحيى أوتعوفت ، وأظهر الحسن في العام التالي نشاطاً كبيراً ، وذلك بمناسبة حملة السلطان على مملكة دكالة . ومن المحتمل أن كفاءاته النادرة وثقافته وموهبته الشعرية ، كانت تحظى بتقدير كبير لدى السلطان المذكور ، فعهد إليه بمهمة في الشرق . وهرع الحسن مسرعاً إلى فاس في شهر آب (أغسطس) من عام ٩٢٣ هـ ، وليس من المؤكد يقيناً أنه كان مكلفاً بسفارة لدى السلطان العثماني سليم الأول في القسطنطينية ، كما تتصور بعض الروايات ، وذلك نظراً لقلة تجهيزاته نسبياً في هذه الرحلة ، كأنه يضطر مثلاً ، لشراء حبال الخيام بنفسه من سوق بسكرة في الجزائر . ويذكر لنا وجوده في مدينة رشيد ، في مصر ، في نفس الوقت الذي كان فيها السلطان سليم ، الذي انتزع من المماليك بلاد الشام ومصر ، ولكن الحسن لا يتكلم لنا شيئاً عن مقابلته إياه . ولكن مع هذا لم يكن الوزان موظفاً دبلوماسياً من الدرجة الثانية ، لأننا نراه ، في نفس الوقت ، يتوقف في نفس الرحلة في مدينة ديدو ، للتحادث مع حاكمها ، ويقصد بلاط سلطان تلمسان ، أبا عبد الله محمد ، ويحل في مدينة الجزائر ضيفاً على «وجيه» أندلسي الأصل ، اعتمده سكان الجزائر للتفاوض في أمر عقد هدنة مع الحكومة الإسبانية . ثم نراه يقصد بجاية لمقابلة أمير البحر عروج بربروس ، الشقيق الأكبر لقائد الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط ، خير الدين بربروس ، فاهر أمير البحر الإيطالي أندريا دوريا . ثم يستأنف الحسن رحلته قاصداً تونس ، مروراً بمدينة مسيلة الجزائرية . ويروي لنا ، أنه بلغ تونس مع جوادين فقط ، وعانى مشقة كبيرة في سبيل الحصول على علفها من الشعير . وعند وصوله تونس لم يجد سلطانها أو ربما لم يحظ بمقابلته لأنه لا يتكلم عنه بخير .

هذا ولا نعرف على الضبط المكان الذي أجر منه الحسن قاصداً القسطنطينية ، ولا عن تاريخ سفره ولا شيء مطلقاً عن إقامته في أقطار المشرق ، سوى أنه زار جزيرة العرب وبلاد الشام وفارس وأرمينيا ، وأنه كان في رشيد في شهر حزيران (يونيو) ٩٢٥ هـ ، (١٥١٧ م) ، وقد أدى فريضة الحج خلال إقامته في المشرق ، وعاد من مصر إلى المغرب بجرأ وتوقف في طرابلس سنة ١٥١٨ م ★





★ لوحة تصور رسالته الملك «أبو عبد الله الصغير» وهو يسلم مفتاح غرناطة للملك فرديناند والملكة إيزابيللا (1492) ★

### □ السقوط في الأسر

ولقد بوغت سفينته لدى توقفها في جزيرة جربة ، بالقراصنة الطليان ، من صقلية ، وعلى رأسهم بيترو بوفاديغليا ، الذين اقتادوه إلى روما بعد توقف قصير في نابولي ، وهكذا انتهت رحلاته في أرجاء العالم الإسلامي بصورة محزنة .

وفي حوال العام ١٩٢٠ م ، بلغ روما ، حيث قدمه القراصنة مع زرافة هدية إلى البابا ليون العاشر ، واسمه السابق جان دوميديسيس ، هذا بعد أن رأى فيه القراصنة صيداً ثميناً وشخصية كبيرة . وحظي بكرم الوفادة من لدن هذا البابا المعروف بمحايته للقنصون والآداب ، والذي عرف عنه اعتناقه لمذهب النزعة الإنسانية المستنيرة ، وإطلاعه على تفاصيل المسألة الشرقية ، حتى لقد حرص فرانسوا الأول ملك فرنسا ، عام ١٥١٥ م ، على القيام بحملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين ، الذين وحدوا العالم العربي والإسلامي للمرة الثانية ، بعد الحلفاء الراشدين والأمويين ، بحيث كان من غير المنتظر ألا يستقطب هذا الدبلوماسي والعالم الرحالة المغربي انتباه البابا ليون العاشر ، والذي يغلب على الظن ، أنه عثر بحوزته على مذكرات بالعربية عن رحلاته ، وربما كتاباً كاملاً هو النسخة العربية لوصف إفريقيا .

وقد ناشده البابا ، اعتناق النصرانية ، بعد إقامة إجبارية في قصر سالتانج في روما امتدت عاماً كاملاً ، واضطر الحسن للرضوخ ، وهو يكتم إيمانه ، وتم تنصيره على يد ثلاثة أساقفة . وأخيراً جرت مراسيم تعميده على يد البابا نفسه ، في كنيسة القديس بطرس في روما ، بتاريخ السادس من شهر كانون الثاني (يناير) ١٥٢٠ م ، (٨٩٢٨) ، وسمي جوهانيس

ليو دوميديسيس ، أما هو فقد اتخذ لنفسه اسم جان ليون غرناتينو ، وبالعربية يوحنا الأسد الغرناطي . وقد عرف فيما بعد تحت اسم جان ليون الإفريقي ، أو جان ليون الأيبيري ، نسبة إلى شبه جزيرة ايبيريا ، أي إسبانيا والبرتغال .

ولا تزال تفاصيل حياته في إيطاليا غير معروفة ، وهل عاش حياة عائلية بعد أن اعتقه البابا ورد إليه حريته ، وهل ترك ذرية من بعده ؟ وكل ما نعرفه أنه عمل في تدريس اللغة العربية في مدينة بولونيا الإيطالية ، وأنه كان يتردد على رجال الأدب الطليان ، وهكذا عاش حراً في سجنه .

### □ توافقه مع وضعه الجديد ونشاطه العلمي

لقد كان لإلمامه باللغة الإسبانية ، التي كانت بالنسبة له لغة قومية ثانية ، دور ساعده على التعرف على بيئته الجديدة التي فرضت عليه الاندثار أن يعيش فيها ، فأجاد الإيطالية واللاتينية ، بصورة مرضية ، ونجده في عام ٩٣٠ هـ ، يؤلف معجماً عربياً عربياً ، من أجل طبيب يهودي ، هو يعقوب بن سيمون ، ولا يزال غطوطاً بمكتبة الاسكوريال في مدريد . وفي العاشر من شهر آذار (مارس) ١٥٢٦ م ، فرغ من تأليف كتاب «وصف إفريقيا» الذي نحن بصدد الكلام عنه ، وبعد عام واحد صنف كتاباً جامعاً في سير ثلاثين من مشاهير العرب في الفلسفة والطب ، نشره هوتينغر سنة ١٦٦٤ م ، هذا كما ألف كتاباً في بلاغة اللغة العربية ، وآخر في النحو ، لفائدة تلاميذه الطليان ، أثناء تدريسه في مدينة بولونيا ،



مثلا عززت الأستاذة الإيطالية كودازي على رسالة له في القياس المسطح ، مما يشهد على اتساع ميدان معارفه ، الذي كان يشتمل على الطب واللغة والتاريخ والجغرافيا والشعر إلى جانب الفقه .

وإلى جانب هذا ، قام بجولة في معظم أرجاء إيطاليا ، لأنه لا يتردد في معرض كلامه عن بعض بلاد المغرب ، أن يذكر أوجه الشبه بينها وبين ميلاتها في إيطاليا ، لأنه صنف كتابه لقراءته الطالبان قبل كل شيء . والمرجح أنه زار عدة أقطار أوروبية ، لأنه يذكر لنا خطط مشروعه الذي يبدأ بكتاب يصف فيه أقطار أوروبا ، ثم يخصص كتاباً ثانياً لبلاد آسيا العربية وآسيا الصغرى ، ويختتمها بكتاب « الوصف » .

#### □ العودة إلى دار الإسلام

وقد استطاع الحسن في حوالي العام ٩٢٨هـ ، الإفلات بطريقة ما ، وقفل عائداً إلى القطر التونسي ، حيث طرح قناع المسيحية فوراً ، لاندأ إلى دينه القديم ، ويرى المستشرقون الطالبان أن الكرادلة من أصدقائه أرسلوا له وقدأ من طرفهم لاقناعه بالعودة إلى إيطاليا ، ولكن دونما طائل . وهنا نجعل تماماً سيرة بقية حياته ، وفيما إذا كان قد استأنف نشاطه العلمي الغزير ، كما فعل في ديار الغربة والأسر .

وقد توفي على ما يبدو في مدينة تونس ، في عهد آخر ملوك حفص ، في عام ١٥٥٢ م ، على الأرجح ، عن عمر يناهز الستين عاماً .

#### □ أهمية كتاب « وصف إفريقيا »

لم يكن الحسن الوزان ، الذي يظهر كتابه لأول مرة في اللغة العربية في عام ١٣٩٩هـ ، بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، في كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، أقول لم يكن شخصية غير مرموقة في الأوساط العلمية الأوروبية ، وذلك منذ أواسط القرن العاشر الهجري ( ١٦ م ) ، بقدر ما ظل مغموراً بصورة تكاد تكون كاملة في العالم العربي والإسلامي ، وذلك حتى أواخر القرن الفائت .

فقد نشر راموزيو ، كتاب « وصف إفريقيا » ، لأول مرة سنة ١٥٥٠ م ، ( ٩٥٧هـ ) ، في مدينة البندقية ، أي قبل ٤٤٢ عاماً هجرياً ، وبعد فترة لا تزيد عن ٢٤ عاماً ، من فراغ الحسن الوزان من تأليف كتابه باللغة الإيطالية ، وكان لا يزال حياً برزق في تونس وقتئذ ، وقد كان نشر الكتاب في جملة قصص رحلات جغرافية أخرى ، وأهداه لشخصية كبيرة في ميدان العلم والسياسة هو جيروم فراكاستوز .

ولكن النجاح الذي لاقاه هذا الكتاب في ذلك العصر ، جعل راموزيو ينشره أكثر من مرة ، وكانت آخر طبعة هي الرابعة ، في عام ١٥٨٨ م ، ( ٩٦٦هـ ) ، وفي سنة ١٥٥٥ م ، ظهرت الترجمة الفرنسية ، بمجهود تامبورال ، وبعد فترة وجيزة ، تمت ترجمته إلى اللاتينية ، بقلم جان فلوريان سنة ١٥٥٦ م ، في مدينة أنفريس البلجيكية . وفي عام ١٦٠٠ م ، ظهرت الترجمة الانكليزية ، على يد جون بوري ، وظهرت ترجمة هولندية له ، سنة ١٦٦٥ م ، وفي ١٨٠٥ م ، تمت ترجمته إلى الألمانية . وفي ١٨٩٦ م ، ظهرت طبعة إيطالية حديثة له ، وأعاد براون ، نشره بالانكليزية للمرة الثانية ، اعتماداً على طبعة بوري . وفي ١٨٩٦ - ١٨٩٨ م ، قام ش. شيفر ، بنشره للمرة الثانية بالفرنسية ، في باريس .

هذا وقد خصصت له الأستاذة كودازي ، من جامعة روما ، مقالة بمناسبة الموسوعة الإيطالية للعلوم والآداب والفنون ، الصادرة في روما سنة ١٩٣٣ م ، مجلد ٢ ، ص ٨٩٩ ، كما كان للمستشرق الإيطالي أدو ميالي ، الفضل في إبراز عروبة ( يوحنا الغرناطي ) وإسلامه ، في كتابه « العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي » . هذا وقد كرس له المستشرق الفرنسي ماسينيون ، دراسة مستفيضة ضمن بحثه عن تاريخ المغرب المعنون : « المملكة المغربية في أوائل سني القرن السادس عشر : لوحة جغرافية استناداً إلى ليون الإفريقي » ، وفي سنة ١٩٥٢ م ، ظهرت في مدريد الترجمة الإسبانية لكتاب « الوصف » ، وفي نفس الفترة كان المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي ، يفرده ببحثاً طريفاً في مؤلفه الضخم « الأدب الجغرافي عند العرب » .

وبعد نفاذ الطبعة الفرنسية التي نشرها شيفر ، قام الطبيب الفرنسي الجنرال إيبولار ، بتحقيق كتاب الحسن الوزان مع شروح ضافية وتحقيقات ميدانية نموذجية ، ولكن المنية عاجلته قبل أن ينجز مشروعه ، فاستأنف أصدقائه العلماء الثلاثة : مونو ، ولوت ، وموني ، عمله إلى أن تمكنوا من طباعته في حلة جديدة سنة ١٩٥٦ م ، في جزوين ، مع صور وخرائط عديدة ، وهذه النسخة هي التي اعتمدها في الترجمة إلى لغة الضاد .

أما أول إشارة للحسن الوزان في الأوساط العلمية العربية ، فقد كانت في عام ١٨٨٣ م ، وفي مجلة المقتطف المصرية ، في معرض خطبة القاها سليم ميخائيل شحادة الفيزيري ، في المجمع العلمي الشرقي ، كما خصص له الباحث المنربي محمد المهدي الحجوي ، مقالة بالفرنسية في مجلة هسبريس الباريسية ، مثلاً تعرض لذكره عيد العزيز بتعميد الله في كتابه « الطب والأطباء في المغرب » ، المطبوع سنة ١٩٦٠ م ، وقد خصصت له مجلة العربي الكويتية ، مقالين ، الأول سنة ١٩٦٢ م ، بقلم عبد الله محمد عنان ، والثانية بعد عشرة أعوام بقلم زكريا جمال قاسم من جامعة الإسكندرية .

وفي سنة ١٩٧٠ م ، أفرد له الأستاذ الدكتور مصطفى مسعد ، بحثاً يقع في خمس وعشرين صفحة ، نشره في مجلة جامعة القاهرة ، مثلاً خصص له المرحوم الدكتور شوكت الشطي ، الأستاذ السابق في كلية الطب بجامعة دمشق ، في عام ١٩٧٢ م ، بحثاً يحمل عنوان « نظرات إلى ثقافة العرب الطبية في الحضارة الأندلسية » ، وذلك بمناسبة مهرجان العلم السنوي في العاصمة السورية .

ولا يزال كتاب الوزان مرجعاً أساسياً بالنسبة لدراسة الجغرافيا التاريخية لأقطار إفريقيا البيضاء ، ونجد اسم ليون الإفريقي في أكثرية الكتب الأجنبية ، التي تتعرض للتطور التاريخي أو الجغرافي لهذه البلدان .

#### □ مضمون الكتاب

يقع كتاب الحسن « وصف إفريقيا » مع شروحه ، التي تكاد نزلت النصف تقريباً ، في خمسة وتسعين صفحة ، في النسخة الفرنسية ، وفي ستمئة وأربع وأربعين صفحة ، في النسخة العربية . وقد قسمه المؤلف إلى تسعة أقسام ، يتواءم توزيعها تماماً مع معطيات المدرسة الجغرافية الحديثة ، أو ما يسمى بالجغرافيا النطاقية ، والتي لم يأخذ بها الجغرافيون في الغرب ، إلا بعد منتصف القرن العشرين ، أي دراسة الأقاليم حسب خطوط العرض ، وهذا على خلاف أئباع مدرسة الجغرافيا العالمية ، الذين تشبثوا بمفهوم الجغرافيا الإقليمية .

#### □ القسم الأول

ويخصص القسم الأول ، من الكتاب ، لمقدمة عامة عن إفريقيا التي تضم ، عنده ، كل أقطار المغرب ، ابتداء من ساحل الظلمات ، أي المحيط الأطلسي حالياً ، غرباً ، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، حتى نهر النيل ، وجنوباً ، حسب خط عرض يمر في شمالي بلاد الحبشة والتشاد ، وعقبة النيجر ، حتى مصب نهر السنغال ، ثم يعتمد إلى تقسيم إفريقيا هذه ، إلى أربعة أقسام متميز هي : بلاد البربر ، وهي التي يطلق عليها حالياً ببلاد التل ، أو النطاق المحاذي للبحر الأبيض المتوسط ، وهو أشرف أجزاء بلاد المغرب ، أي أغناها بالموارد والثروات الزراعية ، وإلى الجنوب منها نطاق نوميديا ، أي الواحات التي يجرد فيها النخيل ، والواقعة إلى الجنوب من سلسلة جبال الأطلس الصحراوي مباشرة ، ثم صحراء ليبيا ، وهو الجزء الذي يضم أكثر من ثلثي رقعة إفريقيا المعروفة في عهد الوزان ، عند العرب ، أو الصحراء الكبرى حالياً ، وثاني بلاد السودان ، في أقصى الجنوب وهي التي تقسم بدورها إلى عدة ممالك متميزة .

ثم يتعرض للجغرافية إفريقيا على الصعيد البشري ، فينكلم عن مدلول كلمة البربر وأصل الأفارقة ، ويلتقي هنا في عدة نقاط مع ابن خلدون . ثم يتكلم عن العرب وبميز التبريرين ، أي الذين اندمجوا في الأفارقة فتنبروا تماماً ، ثم يتعرض لمناطق انتشار العرب ، من عدنانين وعلى رأسهم بنو هلال ، ومن يمنيين وفي طليعتهم الحاقيل . ويخصص قرابة عشرين صفحة ، للكلام عن أنماط حياة سكان إفريقيا البيضاء ، فيقول عن سكان الصحراء :

« فليس من عادتهم أكل الخبز أو أية وجبة مجهزة ، إذ يتغذون بحليب نوقهم ، ومن رسمهم أن يشربوا صحفة كبيرة من الحليب الحار بمجرد خروجه من الضرع . أما في المساء ، فيتألف عشائهم من لحم مقدد مغلي في الحليب مع السم . وعندما ينضج اللحم يتناول كل واحد نصيبه باليد . وبعد أن يأكل قطعه يشرب المرق مستخدماً يده كملعقة ، وبعد ذلك يرشف صحفة من الحليب وتنتهي الوجبة » .

ويصف الطوارق المثلثين ، فيقول : « فلي كل مرة يتناولون فيها لقمة يكشفون عن لهم ، ثم يسترونه في الحال . ويقدمون الزعم التالي لتبرير هذه العادة : كما أنه من المغيب بالنسبة للرجل ، أن يرى وهو يطرد غداً بعد هضمه ، كذلك من المغيب أن يرى وهو يُدخل الغداء إلى جوفه » .

ثم يتكلم عن نمط حياة العرب الإفريقيين : « وهم يحبون القريض ويرددون في عربتهم الدارجة أبياتاً أنيقة جداً ، على الرغم من أن لهجتهم قد حُرقت عن أصولها ، ويحترم الأمراء أي شاعر له بعض الشهرة ، ويمتحنونه جوائز جزيلة . ولست قادراً على التعبير عن النقاة والجمال





★ تعميد مسلمي غرنامة وإجبارهم على اعتناق النصرانية ، صورة من كاتدرائية غرنامة ★

واليكم نموذجاً عن أسلوبه في وصف بعض المدن الصغرى ، مثل تاكوليت :

« تقع تاكوليت على سفح جبل ، وتحوي قرابة ألف أسرة . وهي على مسافة ثمانية عشر ميلاً إلى الغرب من تدنست . يمر من جوارها نهر صغير ، تقع على ضفتيه بساتين ومزارع مليئة بالأشجار المثمرة . وفي المدينة بضعة آبار عذبة صافية المياه . ويوجد فيها جامع بديع جداً ، فضلاً عن أربعة ملاجئ للفقراء ، وواحد للزهاد . وأهل هذه البلدة أكثر ثراء من سكان تدنست ، لأن هذه المدينة تجاور ميناء يقع على المحيط يدعى آقوز » .

**ويصف نساء مدينة هادكيس في إقليم حاحه :**

« وترى بين هؤلاء السكان نساء غاية في الجلال ، بيضاوات ، متوسطات السن ، وهن كذلك مليحات لطيفات . ولكن الرجال عنيفون غيرون يقتلون كل من يقترب من نسايتهم » .

**ويتطرق لحالة الأمن المتدهورة في مدينة تفتسه :**

« وسكان هذه المدينة قتلة ، في حالة نزاع دائم مع جميع جيرانهم . وتقع أواضهم الزراعية وماشيتهم في الجبل ، وجميع الأحرار المحيطة بهذه المدينة مليئة بالخنائير البرية . ولا يوجد أي حصان في تفتسه . ولا يستطيع العرب - أي البدو - عبور المدينة ولا إقليمها بدون إذن خاص وورقة أمان » .

**ويتكلم لنا عن النقد المتداول في إحدى مدن السوس :**

« والنقد الوحيد المتعارف عليه هنا ، هو الذهب الصافي ، ولا يوجد في المنطقة سوى القليل من الفضة . والنسوة هن اللواتي يحملن هذا القليل من الفضة على شكل حلي ، وعوضاً عن الربيع يتداول الأهالي قطعاً من حديد وزن الواحدة حوالي أونصة » .

**ويعدثنا عن مراكش فيقول :**

« وتكثر في هذه المدينة الجوامع والمدارس ، والحمامات والفنادق حسب الطراز الشائع في إفريقيا . ومن هذه الجوامع ما بناه ملوك لمتونه ، ومنها ما شيده من جاءوا من بعدهم . وهم ملوك الموحديين . ويوجد بين هذه الجوامع جامع بديع جداً ، في قلب المدينة ، وهو الجامع الذي بناه علي بن يوسف ، أول ملك على مراكش ، ويسمى جامع علي بن يوسف ، ولكن ملوك الموحديين واسمه عبد المؤمن ، هدمه وأعاد بناءه ، لا شيء إلا مجرد تبديل الاسم السابق كي يضع اسمه مكانه ، وقد كان هذا جهداً ضائعاً ، لأن الناس ظلوا يسمونه باسمه القديم » .

### القسم الثالث

ويختص القسم الثالث ، بمملكة فاس ويكاد هذا القسم يؤلف ثلث الكتاب تقريباً ، ولا

مجلة الفيصل - ص ٨٧

الذين يسكنونها في أبيانهم ، وتكتسي نساء هؤلاء الأعراب كساء جيملاً للغاية ، حسب طراز البلاد » .

« ويضعن على وجوههن نقاباً ، هو عبارة عن قطعة قماش صغيرة مثقوبة تجاه العينين ، وعندما يظهر أمامهن رجل غريب لا يمت إلىهن بصلة قرابة ، فإنهن يسرعن في إخفاء وجوههن بهذا الحجاب ويصمتن ، ولكن يرفعن هذا الحجاب عندما يكن مع أزواجهن وأقاربهن » .

**ومن ثم يصف لنا طبيعة البلاد من الزاوية الجغرافية الطبيعية ومميزات الفصول ، وقصر أمد الحياة وطوله عند الأفارقة وأكثر الأمراض شيوعاً ، حيث نجد لديه نظرات صائبات تتم عن معرفته بالطب :** « وهناك القليل من الأشخاص الذين يشكون من النقرس ، بيد أنه يلاحظ وجوده لدى بعض الأمراء الصابئين به ، لأنهم ألفوا شرب الخمر وأكل الدجاج أو الوجبات اللذيذة » .

« ويلاحظ مرض القرع ، في كثير من الأحيان بين أطفال إفريقيا . ولكن هؤلاء لا يشفون منه مع تقدم سنهم . وتصاب الكثيرات من النسوة بهذا المرض ، وخاصة في بلاد البربر وبلاد السودان ، ويعتبر بعضهم هؤلاء المرضى كأن بهم مساً من الشيطان . وهذا من الحق » .

« ويتصف الناس الذين يسكنون الحيام ، أي العرب والسرعة ، بأنهم رجال كرماء ، مفعمون بالرحمة ، شجعان ، صبورون ، طيبو المعشر ، يؤلفون ، طيبو السيرة ، مطيعون ، متدينون ، وعيرون مع طبع مرح ، وسكان الجبال كرماء أيضاً ، شجعان ، طيبو الحديث ، شرفاء في حياتهم العامة » .

### القسم الثاني

أما القسم الثاني ، فهو عبارة عن دراسة إقليمية ، يتناول فيها المواقع في مملكة مراكش ، وبلاد السوس ، ومنطقة دكالة وهسكورة وتادلة ، وما في هذه المناطق من جبال متميزة وسكانها ونباتها ومزروعاتها التي تجود بها .

وبعداً بالتحدث عن غط حياة السكان ، ولباس الناس وعوائلهم : « ولا تعرف هذه البلاد أي نوع من أنواع التعليم ، فلا نكاد نجد إنساناً واحداً يعرف القراءة ، هذا عدا بعض رجال الشريعة ، الذين لا يعرفون أي نوع من أنواع المعرفة سواها ، وليس في البلاد أي طبيب من أي نوع كان ، ولا أي جراح ، ولا أي عطار . وتتألف كل العلاجات من الكي بالنار ، مثلما يصنع مع الحيوانات . وهناك بعض الحلاقين الذي لا يؤدون أية خدمة جراحية سوى ختان الأولاد » .



غرابية في ذلك ، فهذه المنطقة هي التي نشأ فيها الحسن الوزان ، ويعرف تفاصيلها بصورة تكاد تكون شاملة ، إذ قضى فيها شبابه وجاب أرجاءها متجولاً بجهات رسمية أو ربما للتجارة ، أو مجاهداً في جيش السلطان ضد البرتغاليين . وسرد لنا الوزان قصة بلدة أنفة ، وهي النواة الأولى لمدينة الدار البيضاء الحالية ، وذلك قبل أن يتعرض للتدمير فيقول :

« وكان سكان أنفة غاية في حسن الهندام ، بسبب علاقاتهم الوثيقة مع التجار البرتغاليين والانكليز . وكان بين ظهرانيهم رجال مثقفون جداً . ولكن كان هناك سببان أدبياً إلى تعاسة سكانها ومزارعهم : الأول ، هو أنهم أرادوا أن يعيشوا بحرية دون أن تكون لديهم الوسائل . والثاني ، هو أنهم جهزوا في مرساهم الصغير سفناً صغيرة ، قامت بإحداث تخريبات شديدة في شبه جزيرة قادس ، وعلى كل ساحل البرتغال . وكان من جراء ذلك أن أمر ملك البرتغال بنخراب أنفة » .

#### ثم يعطينا فكرة عن عوامل نشوء الرباط :

« وأراد الملك - أي المنصور - أن يتوطن في المدينة العديد من الصناع والمثقفين والتجار . وأعطى الملك أمراً بأن كل مواطن فيها يتال مكافأة ، علاوة على الربح المادي الذي تدره عليه مهنته . وقد أدى ذلك إلى اجتذاب أناس إلى هذه المدينة من كل الأصناف ومن كل المهن ، حتى لقد غدت الرباط ، خلال وقت قليل ، من أشرف المدن في كل إفريقيا وأغناها ، إذ كان لسكانها دخل مزدوج أولاً المكافأة المقررة ، وثانياً ربح التجارة مع العسكريين ومع رجال الحاشية الملكية . وكان المنصور يسكن هذه المدينة من بداية شهر نيسان (أبريل) إلى شهر أيلول (سبتمبر) » .

ويقدم الحسن لنا صورة رائعة عن التقلبات التي اعتورت مدينة (سلا) ، شقيقة الرباط وتوأمها ، والتي تنفصل عنها بواسطة نهر أبو الرقراق :

« ومع ذلك ، فإن لها ميناء جيداً كان يقصده تجار النصارى من مختلف الجنسيات ، من جنوبيين وبنادقة وانكليز وفلمنك ، لأنها كانت ميناء لكل مملكة فاس . ولكن تعرضت هذه المدينة لهجوم أسطول ملك قشتالة الذي استولى عليها في عام ٦٧٠ للهجرة . وهرب سكانها ، وأقام فيها النصارى ، ولكن لم يتح لهم ذلك لأكثر من عشرة أيام ، لأنهم تعرضوا فجأة لهجوم من يعقوب ، أول ملك من أسرة مرين ، ولم يكونوا متاهين لذلك ، إذ لم يكونوا يظنون أن الملك سيختل عن حملته على تلمسان ، التي كان يحوضها حينئذ . وهكذا تم استرداد المدينة وقتل كل النصارى الذين كانوا فيها ، ولجأ الباقى إلى السفن واهتزمو . وهكذا هو السبب الذي جعل الملك يعقوب وكل أفراد أسرته الذين حكموا من بعده يتمتعون بحبة أهالي هذه المناطق » .

وهكذا لا يغفل الناحية التاريخية أو الاجتماعية ، عندما يتعرض لدراسة أمة منطقة جغرافية معينة ، مما يشد القارئ لمطالعة هذا الكتاب الممتع المليء بالطرائف الجذابة .

والحسن الوزان بصفته أندلسي الأصل ، يفتح كل فرصة سانحة للتدليل على الدور الذي لعبه هؤلاء ، في نقل عوامل الرقي للبر الإفريقي ، وفي إعمار هذه البلاد بعد نزوحهم إليها ، فراراً بدينهم ، أو بعد تهجيرهم ، فيقول عند كلامه عن بلدة خيس متفاره :

« ومنذ أن قدم قسم من أهل غرناطة ، منتقلين إلى موريثانيا ، وأقام بعضهم في هذه المدينة ، أخذت المدينة تعمر بالسكان من جديد ، وتمت زراعة كثير من أشجار التوت الأبيض (للانفخ به في تربية دود القز) ، لأن الغرناطيين هم من كبار تجار الحرير ، كما زرعوا كذلك قصب السكر » .

ويسهب في كلامه عن فاس ، ويدلل على نظافة هذه المدينة والرقى العمراني فيها ، فيقول :

« وبعد دخول الماء إلى المدينة يتوزع بواسطة عديد من القنوات ، تسوق معظمه لبيوت سكان المدينة ، وإلى حاشية البلاط الملكي ، وكذلك إلى الأبنية الأخرى . ولكل جامع أو مسجد نصيبه من هذا الماء ، وكذلك الخال بالنسبة للفنادق والمستشفيات والمعاهد . ويوجد بجوار الجامع مراحيض عامة ، وهي أبنية مربعة الشكل تحوي على طرفها حجيرات ذات أبواب صغيرة ، ويوجد في كل مرحاض حوض ، ويخرج الماء من الجدار ويمر في مزاب من الرخام ، ولما كان تيار الماء على قدر لا بأس به من السرعة ، فإن هذا الماء ينظف المراحيض ويكسح فضلاتها وأوساخ المدينة ويغذ بها في النهر » .

#### ثم يصف لنا حمامات فاس :

« وفي فاس مائة حمام جيدة البناء ولا تفتقر للعناية . وبعضها صغير والآخر كبير . وجميعها نفس الطراز ، أي تتألف كل منها من ثلاث حجرات ، أو بالأحرى من ثلاث قاعات ، وتقع في خارج هذه الحجرات مقصورات صغيرة مرتفعة نوعاً ما ، يصعد إليها بمخمس أو بست درجات . وهنا يتخلع الناس ثيابهم ويتركونها فيها . وفي وسط هذه الحجرات ، وضعت صناديق فوق أحواض ، ولكنها كبيرة جداً ، وعندما يريد أحدهم أن يستحم في أحد هذه الحمامات ، فهو يدخل من أول باب ، ثم يلج في غرفة باردة ، حيث توجد بركة صغيرة لتلطيف حرارة الماء عندما يكون شديد السخونة . ومن هنا ينتقل عبر باب آخر إلى غرفة ثانية تكون أكثر سخونة بقليل . وحيث يقوم الخدم بغسل جسمه وتنظيفه ، ومن ثم يمتاز هذه الغرفة كي ينتقل إلى الثانية ، والتي تكون حارة

كثيراً ، وحيث يفرز المستحم العرق بعض الوقت » .

ويستمر في حديثه عن مدينة فاس ، فيصف جوانب الحياة الاجتماعية وما فيها من حسنات ومثالب ، إلى أن يصف سوق العطارين وباعة العقاقير والأدوية ، فيقول :

« ويقوم إلى جانب تلك القيصرية ، وإلى الشمال منها ، سوق العطارين ، ويشغل هؤلاء شارعاً ضيقاً ، حيث يوجد زهاء مئة وخمسين دكاناً ، ويتنقل هذا السوق من نهايته بيايين جميلين لا يقل جمالها عن مثانها . ويتكفل العطارون بنققات حراس مسلحين يتجولون ليلاً مع فوانيس وكلاب . وهنا يجري بيع منتجات العطار والطب . ولكن لا تستحضر هنا المواد الطبية من شراب أو مرهم أو لعوق ، وذلك لأن الأطباء يهتجون ذلك في بيوتهم ، ويرسلونها لدكاكينهم ، حيث يصرّفها مستخدموهم بناء على وصفة طبية ، وتتجاوز أكرثية دكاكين الأطباء هذه مع دكاكين العطارين » .

هذا ولا يغفل الحسن الوزان الحديث عن العادات المتبعة في حفلات الزواج والأعراس في فاس على الخصوص ، والتي لا تزال على حالها تقريباً ، كما نشرت مجلة « الفيلسوف » في العدد (١٧) :

« وحينما يذهب الرجل ليأتي بزوجته إلى منزله ، يقوم بادخالها أولاً ، في صندوق خشبي مشمن الأوجه ، ومغطى بجميل الألفنة من الحرير والبروكار . ويحمل الخمالون هذا الصندوق فوق رؤوسهم . ويتألف الموكب من أصدقاء والد الزوجة وأصدقاء الزوج ، ومن قارعي الطبول والمزمارين والنافخين بالنايات ، وحملة المشاعل العديدة . ويسير أصدقاء العريس في مقدمة الموكب حاملين مشاعلهم . أما أصدقاء والد الفتاة فيتبعون العروس » .

#### ويتكلم عن سقوط مدينة سبتة بيد البرتغاليين :

« وفي ٨١٨ هـ ، (١٤١٥ م) ، استولى عليها ملك البرتغال ، وهرب الذين كانوا فيها . ودخلها النصارى بدون عناء ، وظلوا فيها متوجسين خيفة مدة ثلاثة أسابيع ، إذ توقعوا قدوم ملك فاس لنجدتها ، ولكن أباه سعيد عثمان ، الذي كان وقتئذ ملكاً على فاس ، لم يكثر باستعدادها ، تخاذلاً منه ، حتى أنه كان في ولية لاهياً ، عندما نقل إليه النبأ ، فلم يقطع الاحتفال . وقد قضت مشيئة الله أن يقتل هذا الملك فيما بعد ، بصورة بالسة على يد أحد كتباة ، وهو أبو فارس عبيد العزيز الكناني ، الذي كان يثق به ثقة مطلقة ، وقتل مع سبعة من أبنائه ، لمواقفه المتخاذلة تلك ، وقد وقع هذا الحادث عام ٨٢٤ هـ ، (١٤٢١ م) » .

### القسم الرابع

ويخصص الوزان القسم الرابع ، من كتابه لمملكة تلمسان ، التي تضم الشطر الغربي من الجمهورية الجزائرية الحالية ، وهنا يشدد الكاتب وبلح على شدة النزاع بين الأعراب وسين السكان المستقرين ، واضطراب الأحوال وسرعة خراب المدن واستغلال الإسبان للوضع واحتلالهم بعض مدن الساحل ، مثل وهران ، واستنجاد بعض الملوك المسلمين بشارلكان إمبراطور النمسا وإسبانيا ، لدعم سلطانهم المتزعزعة ، فيقول عن مدينة تيجريت :

« وكل سكان تيجريت قريباً من الحافة ، ولديهم الكثير من الحقول المزروعة بالحبوب ، وينتجون كمية كبيرة من العسل . الواقع أنهم يعيشون في خوف مستمر من هجوم النصارى خلال الليل ، ولهذا يقيمون حراسة بقطعة في كل ليلة ، لأن فقرهم لا يسمح لهم بأن يدفعوا مرتبات العساكر » .

ويتألم الحسن كثيراً من حالة بعض المدن المهجورة بسبب الذعر والارهاب ، الذي كانت تقوم به القوات الإسبانية ، واعتداءاتها المتكررة على المنطقة :

« ولا تزال الزواجر التي تجاور مدينة حين تنجح حتى الوقت الحاضر كميات من القمح ، كالكروز والشمش والتفاح والكمثرى والدراق ، ومقادير لا تحصى من التين والزيتون ، ولكن ليس هناك من يجنيها في البساتين الواقعة على حافة النهر القريب من المدينة ، حيث قامت الطواحين ، وعندما مررت من هنالك تألمت من شدة التأثر ، بعد أن لاحظت الحالة البائسة ، التي انحدرت إليها المدينة » .

ويصف لنا عادات ومصالح البلاط الملكي لدى ملك تلمسان ، ووصف العارف المطلع ، وما يقوله في معرض ذلك :

« وهناك وظائف أقل أهمية كوظيفة رئيس الاسطبلات ، وقائد الخرس ، ورئيس التشريفات ، ولا يظهر لهذا الأخير عمل ، إلا في حالة استقبال الملك زواره ، ويخدم الملك في داخل القصر بعض الاماء والعديد من الحصان الذين تقتصر مهمتهم على حراسة الحرم » .

#### ثم يصور مجاهرة مأساة سقوط وهران ، بأيدي الإسبان دون عناء كبير :

« وبعد عدة أشهر جمع الملك أسطولا أكبر حجماً بالاستعانة ببعض المطارنة وسكاردينال إسبانيا - كسيمينس - فاحتل هذه المدينة في يوم واحد ، لأن السكان خرجوا بلا نظام كي يذهبوا لساحة المعركة ، تاركين المدينة خالية . وعرف الإسبان ذلك فأرسلوا قسماً من قواتهم إلى الجانب الآخر من وهران ، ولم يجدوا من خصومهم سوى النساء اللواتي صعدن على الأسوار .



فدخلوا المدينة بسهولة ، بينما كانت المعركة على أشدها في الخارج وخرجوا منها بغتة ليرموها بأنفسهم على ظهر عدوهم ، أي على أهل المدينة . وما إن أخذ المسلمون بالتفكير باتجاه المدينة ليطردوا من تسلل إليها من الإسبان ، حتى رأوا فوق أسوارها الرايات النصرانية ، وهي ترتفرف فوقها . وهكذا وقعوا محاصرين بين فرقتين من الإسبان ، فلم ينج منهم على قيد الحياة سوى القليل ، واحتل الإسبان وهران عام ٩١٥ هـ ، (١٥٠٩م) .

#### □ القسم الخامس

يختص القسم الخامس بمملكة بجاية وتونس ، وفي عصر الزوان ، كانت الهجمة البربرية الإسبانية على تغور الإسلام على أشدها ، ولا سيما في الشمال الإفريقي ، حيث كان التفكك السياسي ، وعدم الاستقرار من أبرز ملامح تلك الفترة . وفي نفس السوقت كان العثانيون ، الذين ورثوا الخلافة العباسية ، يندفعون نحو المغرب في محاولة يائسة لاستنقاذ تغوره من قبضة الأساطيل الأوروبية ، ومن جملة هذه التغور بجاية :

« وأهل بجاية رجال لطيفو المعشر مبالون إلى المرح وإلى الموسيقى والرقص ، ولا سيما الأمراء الذين لم يبقوا على محاربة مخلوق ، حتى لقد تجلّى خورهم ، عندما جاء الكونت بيار نافارو ، مع بضعة سفن من سفن النقل ، فقد لاذ عندئذ جميع السكان ، والملك على رأسهم ، بالفرار إلى الجبال ، حاملين معهم كل ما يملكون بدون أن يمتشقوا حساماً ، فاحتل الكونت بيار المدينة ونهبها ، ثم عمد فوراً لبناء قلعة قرب البحر ، في مكان يوجد فيه ساحل طيب ، هذا كما حصن قلعة قديمة ، كانت قريبة من البحر وبحوار دار الصناعة » .

« وبعد سنة أعوام أراد التركي بربروس أن ينتزع المدينة من أيدي النصارى ، فجاء ورباطط أمام المدينة مع ألف من الجنود الأتراك . وهاجم القلعة القديمة فاحتلها وحصنها ، وجاءت كل قبائل الجبال المجاورة لمساعدة بربروس ، فقوى عزمه على احتلال القلعة الأخرى المجاورة للشاطيء . ولكن عند أول هجوم سقط منه تركي من بين أكثرهم بسالة ، ومئة من أهل الجبال صرعى ، حتى أن القوات التركية عزمت عن استئناف المعركة ، واضطر بربروس للالتجاء إلى قصر جيغل ، كما سبق وقلنا آنفاً » .

#### □ ويقدم لنا لوحة بديعة عن مدينة تونس :

« ومدينة تونس جميلة جداً ، ودقيقة التنسيق ، فلكل جماعة مهنية موضعها الخاص بها . وفضلاً عن ذلك ، فهي مدينة مزدهرة يسكن متكافئين تكاتفاً كبيراً ، وغالبية سكان تونس من الحاكّة ، وتصنع فيها كمية كبيرة من الألبسة المثقنة كل الانقاف ، والتي تباع في كل إفريقيا . وهي مرفوعة السعر كثيراً ، لأنها ناعمة ومتينة . ويرجع السبب في ذلك إلى أن النساء يتقن مهنة الغزل كل الانقاف . وللقيام بذلك يجلسن فوق مقعد مرتفع نوعاً ما ، ويدعن مغزلهن يتدلى كثيراً ، فيقعدن مثلاً في نافذة ، ويتركن للغزل ينزل إلى صحن البيت ، أو ينزل من ثقب مفتوح في أرضية البيت بين طابق وآخر . ونظراً إلى ثقل المغزل يرم الحيط المشدود برماً قوياً بصورة جيدة ، وعلى نخاعة منتظمة » .

« وهناك سوق خاص في تونس يحوي عدداً كبيراً من تجار القماش . ويعتبر هؤلاء أكثر أهل المدينة ثراء . ويشغل تجار آخرون وصناع معهم هذا السوق ، كالعطارين وصناعة الأشرطة والتزيينات ، وصناعة العطور والحريز ، والخياطين والسراجين والفرائين وباعة الفاكهة ، والحلاقين ، وصناع الزلاية ، والقصابين الذين يذبحون في فصلي الربيع والصيف من الخراف أكثر من سائر الحيوانات الأخرى » .

#### □ القسم السادس

ويستأثر القسم السادس ، بالبحث عن نوميديا ، وهي منطقة نطاق الواحات الممتدة إلى الجنوب من سلسلة جبال الأطلس الصحراوية ، في بلاد المغرب العربي . وفي عصر الزوان دخلت إلى بلاد المغرب ، وبالتالي إلى نوميديا أسلحة حديثة نسبياً كراشقات السهام والطبنجات ، وما أدى استعمالها من احتراب ومعارك أهلية ، كما في منطقة وادي الدرة في جنوب المغرب :

« ويوجد بين سكان الدرة بضعة زعماء يشيكون بالأسلحة باستمرار ، ويستعين كل حزب منهم بالعرب المجاورين الذين يؤجرون على ذلك بسخاء بمعدل نصف دينار يومياً ، لكل خيصال يتطوع ليحارب على حسابه . ولكن يؤجر هؤلاء العرب يوماً فيوماً وعن بضعة أيام فقط ، استخدموا فيها سلاحهم ، وقد بدأ أهل هذه البلاد منذ وقت وجيز باستخدام راشقات السهام والطبنجات . ولم أر رماة أفضل من هؤلاء فهم يصيبون رأس الأبرة . وهكذا أخذوا يبيدون بعضهم البعض بهذه الراشقات » .

ويصف لنا بأسهاب مدينة سجللماسة ، قبل خرابها نهائياً بعد أن كانت مدينة كبيرة مزدهرة :

التي كانوا يمارسونها مع بلاد السودان . وكانت تحوي جوامع بية ، ومدارس مجهزة بالعديد من الموارد ، التي كان يأتي ماؤها من النهر . وكان هناك أنواع كبيرة تنتج هذا الماء من نهر الزيز . وتصب في قنوات تسوقه إلى المدينة . وكان هواؤها طيباً ، غير أن الشتاء كثير الرطوبة . وكان ذلك يسبب الكثير من مرض الزكام بين السكان . وكانوا يعانون في الصيف ، من أمراض العيون ، ولكن كانوا يشفون بسرعة » .

ونأخذ وصفه لواجهة أوجلة في ليبيا ، كنموذج عن كلامه عن السواحات المتناثرة في الصحراء الكبرى :

« أوجلة هي منطقة مسكونة من صحراء ليبيا ، على مسافة أربع مئة وخمسين ميلاً من النيل . وتظهر فيها ثلاثة قصور ، وبعض القرى الصغيرة المحاطة بمحاذق النخيل ، ولا يثبت فيها فتح ، والواقع أن العرب يجلبونه من مصر . وتقع أوجلة على الطريق الكبيرة بين موريتانيا ومصر عبر صحراء ليبيا » .

#### □ القسم السابع

ويختص مؤلفنا قسماً متميزاً هو القسم السابع ، لبلاد السودان الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى ، أي بظل وفقاً لأسلوبه في دراسة الجغرافيا على أساس نطاقي ، وهو في هذا المجال رائد في علم الجغرافيا ، كما كان ابن خلدون رائداً في علم الاجتماع . ويصف أوضاع سكان هذه البلاد وما هم عليه من أوضاع بدائية رآها بأم عينيه ، بعد تروده على هذه البلاد في مناسبتين :

« وهذه الأنظار ، جميعها ، مسكونة بأناس يعيشون كالبهايم بدون ملوك ، ولا أمراء ، وبدون جمهوريات ولا حكومات ولا تقاليد ، ولا يعرفون غير الطرق البدائية ليلدر الحب . ويكتسبون بجلود الأغنام . ففي النهار يرعون الماشية أو يعزقون الأرض ، وفي المساء يجتمعون ما بين عشرة إلى اثني عشر شخصاً . ويستريحون وينامون على جلود الغنم . ولا يشنون حرباً على إنسان ولا يضع واحد قنمه خارج موطنه . بعضهم يعبد الشمس ويسجدون لها بمجد أن يبروها تنبش من الأنف ، والآخرون مثل أهل ولاته يعبدون النار . وجماعة منهم نصارى على مذهب المصريين ( أي المذهب القبطي ) » .

ثم يختص بالحديث مملكة جنة الواقعة على نهر النيجر :

« ويكثر هنا الشعير والأرز والماشية والسمن والقطن بشكل مفرط . ويجني سكان البلاد أرباحاً طائلة من تجارة أقشة القطن ، التي يمارسونها مع تجار بلاد السيرير . ويبيع منهم هؤلاء بالمقايضة الكثير من الألبسة الأوروبية ، والنحاس والحارصين والأسلحة ، مثل الخناجر . والعملة التي يستعملها الزوج من ذهب غير مسكوك أي التبر . كما يستعملون قطعاً من الحديد لتسديد ثمن أشياء زهيدة القيمة كالحليب والخبز والعسل ، وتزن الواحدة من هذه القطع رطلاً ، ونصف رطل ، وربع رطل » .

ويلاحظ أن مستوى الحضارة في بلاد السودان يكون أرق بكثير في المناطق التي دخلها الإسلام من الشمال ، كما هو الحال في مملكة توميوكتو ، حيث يكون لدى ملكها بلاط متكامل وحركة أدبية وعلمية نامية :

« وهذا الملك هو العدو اللدود لليهود . فهو لا يرغب أن يسكن أحد منهم في المدينة . وإذا بلغه أن تاجرًا من بلاد البربر يتردد عليهم أو يتاجر معهم بصادق أرزاقه . ويوجد في توميوكتو العديد من القضاة والعلماء والأئمة . ولجميعهم مرتبات طيبة من الملك ، وهو يكرم الأدباء كثيراً . ويبيع هنا الكثير من الكتب المخطوطة ، التي تأتي من بلاد البربر ، ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع » .

« وتستخدم قطع الذهب الصافي عوضاً عن العملة المسكوكة ، في حين يستعمل الودع لشراء الأشياء البسيطة ، وهي قواقع مجلونة من بلاد فارس ، ويعادل الأونس الروماني من الذهب ستة من دنائيرهم » .

#### □ القسم الثامن

وفي دراسته لجغرافية مصر ، يختص لما القسم الثامن برمته ، ينحني منحى جغرافياً غربياً ، فهو يميل البقاع الواقعة إلى الشرق من ضفة النيل على اعتبار أنها ليست إفريقية ، ولكن لا يتقيد بهذه الحجة دائماً ويعطينا معلومات ضافية عن مشاهدته في مصر التي يبدو أن إقامته فيها كانت طويلة نسبياً إذ زارها أكثر من مرة .

ويعد أن يتكلم عن أصل المصريين وتاريخهم القديم ، يعطينا نبذة تحمل عنوان خصائص مناخ مصر وتقلباته :

« مؤذ جداً وحار للغاية . في هذه المنطقة لا يهطل المطر إلا فيما ندر . وتسبب



الأمطار عدة أمراض : فيصاب بعض الأشخاص بالحمى والزلات الصدرية ، في حين يصاب آخرون بتورم الحشيتين بصورة تثير العجب عند رؤيتها . ويعزو الأطباء ذلك إلى تناول الجبن المملح ، وإلى ما يأكلونه من لحم الجاموس .

« وتظهر البلاد ملتية صيفاً نظراً للحرارة المفرطة في هذا الفصل . ولهذا تبني في كل المدن مداخل عالية لها فتحة في أعلاها ، وأخرى في قاعدتها وتكون في حجرات البيت . ويدخل الريح من الأعلى ويخرج من الأسفل ، ويجلب شيئاً من البرودة ، ولولاه لتعذر التعيش نظراً لاستحالة تحمل السخونة . وأحياناً يداهم الطاعون ، الذي يقتل عدداً لا يحصى من الأشخاص ، وخاصة في القاهرة ، ويحدث أحياناً أن يموت اثنا عشر ألف شخص يومياً من الطاعون . أما مرض الأفرنجي ، فلا أظن أن هناك بلداً في العالم ، قد سبب فيه هذا المرض أضراراً قدر ما سببه في هذه البلاد . فترى في القاهرة الكثير من الناس الذين فقدوا بعض أعضائهم أو من الذين شوهمهم هذا المرض » .

ويعد ذلك يكتب عن بعض صفات الاسكندرية ومعالمها ، ولا سيما منارتها التي بناها الفيلسوف بطليموس لتأمين سلامة المدينة تجاه العدو الغازي من البحر :

« وقد وضع في ذروة هذا العمود امرأة كبيرة من الفولاذ ، حتى إن كل سفينة قد تمر من جانب هذه المرأة ، تشتعل حالا إذا كشفت المرأة ، ولكن هذه المرأة تلفت في العصر الذي وصل فيه المسلمون إلى إفريقيا ، وتقول الأسطورة إنها تحترق على يد يهودي فركها بالثوم .

« ولا زال يوجد في الاسكندرية ، بين سكانها القدماء ، الكثير من أولئك النصارى الذين يدعون اليعاقبة ، ولهم كنيسة خاصة بهم . وقد أعيد بناؤها عدة مرات ، ولا تزال قائمة في أيامنا ، وسبق أن دفن فيها جسد القديس مرقس ، الذي سرق غدرًا عام ٨٢٩م ، على أيدي تجار بنادقة ونقل إلى البندقية ، وكل أولئك اليعاقبة تجار وصناع ، ويدفعون جزية الملك القاهرة . ولا يجوز أن تغفل ذكر مكان في قلب المدينة في وسط الأطلال ، فيه بيت صغير منخفض ، كأنه نوع من مسجد ، يقع فيه ضريح مجبل جداً ومكرم عند المسلمين . حيث توفد الأنوار فيه ليلاً ونهاراً . ويقال إن هذا هو قبر الاسكندر الكبير » .

ولا يكتم الوزن إعجابه بالقاهرة ويسهب الحديث عنها ، حديث العارف بها ، المطلع على كل تفاصيل الحياة فيها :

« وقد قامت المدينة في سهل عند حضيض جبل المقطم . ويقع على مسافة ميلين من النيل . وهي محاطة بأسوار حصينة جميلة مع أبواب بدنية مصفحة بالحديد ، وأشهر هذه الأبواب ثلاثة : الأول ، يدعى باب النصر ، ويقع في الشرق ، باتجاه الصحراء التي يجتازها المسافر إلى البحر الأحمر ، ويدعى الثاني ، باب زويلة ، وهو الباب المؤدي إلى النيل ونحو المدينة القديمة ، والآخر يدعى باب الفتوح ، ويؤدي إلى بحيرة ، حيث كان يجتمع حجاج مكة المكرمة قبل سفرهم في قافلة ، وحيث الأراضي المزروعة .

« وهذه المدينة مجهزة بما يلزم من الصناعات الباعة الذين يقيمون على الخصوص في شارع يذهب من باب النصر ، حتى باب زويلة . وهنا يقيم أكبر جزء من نبلاء القاهرة . ويوجد في هذا الشارع بضعة مدارس مذهبة بأبعادها ، وبجمال بناؤها ورونتها ، كما توجد فيها عدة جوامع فسيحة وجميلة جداً ، منها جامع الحاكم ، وهو ثالث خليفة من المذهب الشيعي الإسماعيلي أو مذهب الفاطميين الذين حكموا في القاهرة » .

ويقدم لنا صورة عن وسائل المواصلات في مدينة القاهرة والباعة المتجولين :

« وإليك بعض التفاصيل عن الحمير التي تركها النساء والرجال . ففي القاهرة توجد جماعة من الناس تعيش من مهنة تأجير الحمير . ولديهم من أجل ذلك حيوانات كثيرة مدرية ، لها مظهر الرهاوين وتكون مزودة ببرادع جميلة . ويؤجرونها مع أحد غلمانهم كسائق ومع السراكين . وفي القاهرة عدد كبير جداً من الأشخاص الذي لا يمشون ربع ميل على أقدامهم . وفي هذه المدينة كما في كثير من المدن الأخرى عدد لا يحصى من الذين يتجولون طيلة النهار ، وهم يبيعون أشياء غنلفة ، كالفواكه والجبن واللحم النيس والمشي ، والسلع الأخرى من هذا الصنف ، وسرود كذلك عدد كبير من الرجال الذين يحملون على الجمال كميات من القرب المليئة بالماء ، لأن المدينة تقع ، كما قلت ، على مسافة ميلين من النيل . ويجعل رجال آخرون قرأ معلقة برقابهم ، وهذه القرية مزخرفة بتزيينات ، وفتحتها مجهزة بأنوية من النحاس الأصفر ، ويحملون بيدهم طاسة رشيقة منقوشة بصورة فنية ويسيرون منادين على مائهم . ويدفع الزبون نصف فلس من عملتهم الحلية » .

أما المعويات التي كانت تطبق في عصر الوزن في مصر ففيها العجب العجيب ، لما فيها من شدة ، وهو يصفها بقوله :

« والمعويات المفروضة على المفسدين في مصر قاسية ومؤلمة ، ولا سيما التي تصدر عن محكمة الملك . فالذي يسرق يشنق . والذي يرتكب جريمة قتل غدرًا يتعرض للعقاب التالي : « يحسك به أحد أعوان الجلال من قدميه ، ويحسك الآخر برأسه ، ويحسك منفذ الأعدام ، المسلح بسيف ، بيديه ، ويقطع الجسم إلى قسمين . ويوضع القسم العلوي فوق كومة من الكلس الحي » .

وقد يعيش مدة عشرين دقيقة مستمراً في كلامه . وهو شيء رهيب عند النظر وعند السماع . أما القتلة والمتمردون فتسلخ جلودهم وهم أحياء ، ثم يحشى جسداهم بالنخالة ويغاط ، بحيث يكون له مظهر رجل عادي ، ويوضع على هذا الشكل فوق جبل ويطاف به في كل المدينة مع المنادة على الجرم الذي اقترفه هذا المذنب » .

وفي حديث مفصل عن نشوء المهاليك وتوصلهم لحكم مصر وما جاورها ، ودور صلاح الدين الأيوبي في تنشئة هذه الطبقة العسكرية يقول :

« ولهذا السبب أخذ يشترى الرقيق الشراكسة ، الذين كان من عادة ملك أرمينيا القبض عليهم وإرسالهم للبيع في القاهرة . ولما صلاح الدين إلى إخراجهم من الديانة النصرانية ، وإلى تعليمهم مهنة استعمال السلاح واللغة التركية . وزادت أهمية وعدد هؤلاء الرقيق ، حتى لقد ظهر فيهم جنود جديون وضباط ذوو خبرة وموظفون ممتازون لكل المملكة ، وبعد وفاة صلاح الدين ، ظلت الدولة بيد أسرته خلال مدة مئة وخمسين عاماً ، وحافظ خلفاؤه من بعده على عادة شراء الرقيق » .

« وعلى إثر سقوط أسرة صلاح الدين ، اختار هؤلاء العبيد أميراً عليهم وسلطاناً مملوكاً عالي الهمة اسمه بيبرس ، وابتداء من تلك الفترة ظلت هذه الطريقة هي الدارجة ، حتى أن السلطان كان لا يستطيع بلوغ تلك المرتبة ما لم يكن مملوكاً ، وكان في البداية نصرانياً ، ثم اعتنق الإسلام . وما لم تنسح له معرفة اللغة الشركسية واللغة التركية . وقد أرسل بضعة سلاطين إبنائهم إلى قفقاسيا ، حيث أمضوا طفولتهم كي يتعلموا هناك اللغة التركية ، ولكي ينشأوا على العادات الحشنة ، ليصبحوا مؤهلين كسلاطين فيما بعد » .

## □ القسم التاسع والأخير

ويختتم مؤلفنا كتابه بقسم تاسع ، يعالج فيه أهم أنهار إفريقيا الشمالية العربية ، وأكثر النباتات والحيوانات جدارة بالذكر ، ممتدناً من الغرب نحو الشرق ، ويتحدث عن نهر أبو الرقراق الذي يفصل بين الرباط عاصمة المملكة المغربية وبين سلا ، شقيقة الرباط التوام ، والواقعة على ضفة النهر اليمنى ، فيقول :

« يتولد هذا النهر من أحد جبال تنفرع عن جبال الأطلسي ، ويمر عبر أودية وغابات عديدة ، ثم يبرز من بين التلال في سهل يمر منه إلى المحيط . وهنا تقع مدينتان ، سلا والرباط ، وتقعان عند بداية مملكة فاس . وليس لهماين المدينتين من ميناء ، سوى مصب النهر الذي يكون مدخله عسيراً على السفن . ويجب أن تكون السفينة بقيادة ربان عنك ، وإلا فلنأمنح على الرمل . ولو لم يكن مدخل النهر عسيراً لما بقيت المدينتان حرتين : إذ لكان الدفاع عنها مستحيلاً ضد أسطول صغير لأي ملك نصراني » .

ويبين الوزن بين الأرانب البرية والأهلية وأوجه الشبه فيما بينها ، فيقول :

« توجد الأرانب الوحشية بكية كبيرة في جبال غهارة وفي موريتانيا وتصاد هناك . ويقول بعض الجغرافيين إن هذه الحيوانات لم تكن فيما مضى من الزمن وحشية ، ولكن بعد أن اجتاحت القوط والرومان ممالك إفريقيا ، ظل العديد من القرى والمدن والقصور مهجوراً . وهكذا أصبحت الأرانب التي كانت فيها متوحشة ولجأت إلى الغابات . ولا يمكن التثبت من صحة ذلك أو من خطئه . ولكن يمكن تصديقه ، لأن لحم هذه الأرانب الوحشية له نفس لون ونفس مذاق لحم الأرانب الأهلية » .

ويتحدث الوزن عن بعض النباتات مع دقة في الملاحظة ، ومعلومات الطبية تظهر في كل مناسبة :

« يمكن القول إن الطرفاس هو ، على الأرجح ، نوع من درن أكثر منه ثمراً ، وهو يشبه الكأه ، ولكنه أكبر حجماً وله قشرة بيضاء ، وينشأ في الرمل في الأمكنة الحارة ، ويمكن التعرف على وجوده ، لأن الأرض التي ينبت فيها تحوي حديدات متشققة نوعاً ما . وبعض ثمار الطرفاس كبيرة كالجوزة ، وبعضها الآخر كالبرنقالات . وتعتبر ثمرة مرطبة في نظر الأطباء الذين يسمونها الكأه . وتنبت بكية كبيرة في صحراء نوميديا . ويأكلها العرب بشهية ، كما لو كانت من السكر ، والحقيقة أنها آكلة شبيهة جداً عندما تكون مشوية على الجمر ، ومقشرة ثم مطبوخة في مرق دسم . ويأكلها العرب مسلوقة في الماء أو في الحليب . وتوجد أيضاً بكثرة في رمل ضواحي مدينة سلا » .

ويختتم الحسن الوزن كتابه بالفقرة التالية :

« ذاك ما رأيته أنا ، حنا ليون ، من حسن وجدير بالذكر في كل إفريقيا ، التي جنبها من طرف لآخر ، وقد سجلت بعناية يوماً فيوماً ، كل الأشياء التي بدت في جذيرة بالذكر ، ثم الوضع الذي رأيته عليه . أما التي لم أرها بنفسي فقد استقيت معلومات موثوقة وكاملة عنها من أشخاص جديرين بالثقة . ومن ثم رتب هذه المذكرات قدر استطاعتي . وقد عملت منها أخيراً مادة مصنف ، عندما كنت في رومية ، في العام ١٥٢٦ من الميلاد . في ١٠ مارس ( آذار ) .

وهنا ينتهي كتاب ، حنا ليون ، المولد في غرناطة والنشأ في بلاد البربر » .



# عن كتب التراث



## البيان والتبيين

بقلم: د. كامل السوافيري

١ - مقدمة

ما أصعب الكتابة عن الجاحظ ، وما أشقها على الباحث المنصف إذ يحار عن أي نواحيه يكتب ، وأي جانب من جوانب نبوغه يختار ، ذلك أن الجاحظ كان عبقرية فذا تعددت جوانب عبقريته وكان نابغة من نواحي عصره تنوع نبوغه في شتى المجالات . كان نابغة في العلوم ، نابغة في الأدب والتاريخ ، نابغة في الرواية والشعر ، اجتمعت له ثقافات متعددة فكان موسوعة من الموسوعات ، أو دائرة معارف في عصره .

وكان علماً من أعلام الأدب الشوامخ في تاريخ أدبنا العربي ، وإماماً من أئمة البيان ، وأستاذاً من أساتذة النقد والبلاغة الذين تتلمذ له آلاف الدارسين .

وكان من أعظم الكتاب الذين لمعوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وصاحب أسلوب معين اختطه لنفسه ، وعرف به ، ومبتكر طريقة في الكتابة نسبت إليه .

ألف في اللغة والأدب والتاريخ ، وصنف في الأخلاق والسياسة والاجتماع ، وكتب في الحيوان والنبات ، ورد على اليهود والنصارى والشعوبية ، حتى لقد أربت مصنفاته ورسائله على المائتين في مختلف العلوم والآداب والفنون .

وفي غضون الفترة التي عاشها الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥هـ) كان العراق مقر الخلافة العباسية يمرر بالثقافات المختلفة ، والدراسات المتعددة ، فهناك أولا الثقافة الإسلامية العربية وهي النبع الثر ، وتجاوزها ثانيا

الثقافة الفارسية التي أخذها العرب عن الفرس ، وتجاوزها ثالثا الثقافة اليونانية التي ترجمت عنها كتب الفلسفة والمنطق .

ومن العجيب أن يجذب الجاحظ هذه الثقافات المختلفة ، ويمزجها ، ويخلط بين عناصرها في عمق وفهم ، وأن تكون مؤلفاته وكتبه عصارة تلك الثقافات المتعددة بعد مزجها وهضمها ، وإضفاء الطريقة الجاحظية عليها ، وتقديمها للقراء في شراب سائغ عذب المذاق .

### ٢ - حياة الجاحظ

ولد الجاحظ في البصرة حوالي عام ١٥٠هـ وهي يومئذ مهد العلم ، وعش الأدب ، ومنتدى الثقافة ، فأكب على الدرس ، وجد في التحصيل في حدائنه على الرغم مما كان يكابد من ضروب البؤس واللوان الفقر إذ كانت أمه تعوله بعد فقد أبيه ، وتضييق بما يحضره لها في المنزل كل يوم من كراريس ، ولما بلغ بها الضيق أشده جاءته يوماً بطبق عليه كراريس - وكان يظن أن به طعاماً - فقال : ما هذا ، قالت : هذا الذي تجيء به ، فخرج مغموماً ، وجلس في المسجد وفيه مويس بن عمران جالس معه ، فلما رآه مغموماً - قال : ما شأنك ؟ فحدثه الحديث ، فأدخله المنزل ، وقرب إليه الطعام ، وأعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق ، واشترى الدقيق وغيره وحمله الخمالون إلى داره ، فأنكرت الأم ذلك وقالت : من أين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قدمتها إلي في الطبق . وأخذ يتلقى ثقافته على جهاذة اللغة والرواية في عصره الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأضرابها ، واغرم بالمطالعة اغراماً شديداً فلم يقع في يده كتاب إلا استوفى قراءته ، ولما كانت حوانيت الوراقين في البصرة زاخرة بشتى الرسائل والمدونات في العلوم المختلفة ، كان يكتري حوانيتهم ، ويعتكف فيها للدرس والمطالعة . ولعل غرام الجاحظ بالكتاب ، وحبه الشديد للقراءة هو الذي دفعه إلى أن يتحدث عن فضل الكتاب في أكثر من موضع ، وينوه بقيمته في أكثر من كتاب من كتبه . . وما قاله عن الكتاب :

«وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من العزم ، ومن كد الطلب ، والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتل بنوم ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذي إذا افتقرت إليه لم يخفرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة» .

وقد عاش الجاحظ في البصرة أكثر سنوات حياته ، ولكنه كان ينتجع بغداد في عهود بعض خلفاء بني العباس المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . وقد امتد به العمر فعاش زهاء قرن من الزمان صارح فيه البؤس ، وتجرع غصص الحاجة ، وعرف الناس وطباعهم وأخلاقهم ، وتذوق طعم الراحة بعد العناء والثراء بعد الفاقة ، وحقق لنفسه من المجد الأدبي ، والذكر الذائع ما أراد ، وما كانت تصبر إليه نفسه منذ حدائنه . وفي أواخر حياته أصيب بالفالج ووافته منيته حوالي سنة ٢٥٥هـ ، وله أكثر من مائتي كتاب .

○ ○ ○



ويعد الجاحظ إمام الطبقة الثانية في الكتابة في عصره بعد ابن المقفع ، وطريقته تنوع العبارة ، وتقطع الجملة إلى فقرات كثيرة مرسلة أو مقفاة ، والاطناب في الألفاظ والجمال ، والاستطراد ، ومزج الجد باهزل لدفع سامة القارئ ، وتحليل المعنى واستقصائه ، وكثرة الجمل الاعتراضية بالدعاء .

### ٣ - كتاب البيان والتبيين

ألف الجاحظ كتابه المعروف «البيان والتبيين» في أواخر حياته ، وهو كتاب في الأدب ، ويتكون من ثلاثة أجزاء ، ابتدأ الأول منها بالاستعاذة من العي والحصر ، وساق الأشعار الواردة في ذمها ، وانتقل إلى فصاحة اللسان ، وفضيلة البيان وعظم النعمة بالإيضاح ، والقدرة على التفاهم . وعاب التشديق والتفكير ، وانتقل إلى عيوب اللسان كاللثغة ، والفاغاة ، والتمتمة ، فإلى الكلام في الأسنان ، وتناول بعد ذلك تنافر الكلمات والحروف ، وعقد باباً للبيان تحدث فيه عن حكم المعاني والألفاظ ، وأنواع الدلالات ، وساق طرفاً من أقوال البلغاء ، في العقل والبيان ، وتحدث بعد ذلك عن البلاغة عند الفرس ، واليونان ، والروم ، والهند ، وعقد باباً ثانياً في ذكر أناس من البلغاء والخطباء عد منهم إياس ابن معاوية ، وعبد الله بن شبرمة ، وعمر بن هبيرة الفزاري ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وعقد بعد ذلك باباً ثالثاً في ذكر اللسان بداهة بقوله :

« لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه فإن هم تكلم به له أو عليه » .

وعقد بعد ذلك باباً رابعاً في الصمت ، وخامساً في حسن البيان ، وفي تخليص الحق من الباطل ، وسادساً جعل عنوانه «من الشعر» وساق طائفة مما قال الأقدمون في الخطب واللسن والامتداح به . واختتم الجزء الأول بباب عن الكهان والحكام والخطباء ، وباب في ذكر النساك والزهاد من أهل البيان ، وأورد طائفة من الأشعار الجيدة ، والأسجاع الحسنة لرهط من البلغاء ننقل منها النصين الآتيين :

١ - « قال الوصافي : دخل الهيثم بن الأسود العريان - وكان شاعراً خطيباً - على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجهدك ؟ قال : أجدني قد أبيض مني ما كتب أحب أن يسود ، وأسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد ، ثم أنشد يقول :

اسمع أنبئك بآيات الكبر نوم العشاء ، وسعال بالسحر

وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعام إذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميج النظر وحذراً أزداده إلى حذر»

٢ - « ومن الأسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته : «أما كان بطني لك وعاء ؟ أما كان حجري لك فناء ؟ أما كان ثديي لك

سقاء ؟ فقال ابنها : أصبحت خطيبة رضي الله عنك ؛ لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته » .

وهكذا ينتهي الجزء الأول . ويتبعه بالجزء الثاني الذي يستهله بهذه الكلمات «أردنا - أبقاك الله - أن نبتدىء صدر هذا الجزء بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب ، ولكننا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجملة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذا الأنام ، والنجوم التي لا يضل معها الساري والمنار الذي يرجع إليه الباغي » .

وأخذ أبو عثمان الجاحظ يسترسل وهو يختار طائفة من الأحاديث النبوية ، والخطب الجيدة المشهورة ، والوصايا والحكم ، وعقد بعد ذلك باباً للحن وثانياً في لحن نفر من البلغاء ، وثالثاً في العسي ، وأورد نواذر لبعض الأعراب ، وأنهى بذلك الجزء الثاني من الكتاب . ثم ابتدأ الجزء الثالث بكتاب عن العصا في الرد على الشعوبية أيضاً ، وتناول الحديث عن عصا موسى وسليمان عليها السلام ، وعاد الحديث عن النساك ، فذكر منهم نساك البصرة وزهادها ، ونساك الكوفة وزهادها ، وساق طائفة من الأشعار في الزهد ، وختم هذا الجزء بفصل تحت عنوان «كلام في مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام» ، وبذلك أنهى الجزء الثالث من كتابه البيان والتبيين . ولعل خير شاهد على امتزاج ثقافة الجاحظ العربية بالثقافتين الفارسية واليونانية ما أوردته في الجزء الأول عن البلاغة عند الفرس واليونان والروم والهند حيث يقول :

« قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة .

وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة » .

وكثيراً ما استشهد الجاحظ بأقوال صاحب المنطق ويقصد به الفيلسوف اليوناني أرسطو ، ولا نريد أن نناقش ما إذا كان الجاحظ قد قرأ ترجمة كتاب الخطابة لأرسطو أو لم يقرأها . لأن ذلك ليس هدفاً من أهدافنا في هذه الكلمة .

### ٤ - صور من بيان الجاحظ

١ - جاء في الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين تحت عنوان باب «البيان ما نصه» :

« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته . ثم اعلم - حفظك الله - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية ، وممتدة



إلى غير نهاية ، وأحسن الكلام ما كان قليلا يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهر في لفظه ، وكان الله عز وجل قد لبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليفاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة .

٢ - « وقال الخليل : تكثر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال الفضيل : نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها لآخيه . وكان يقال : اجعل ما في الكتب رأس مالك ، وما في قلبك للنفقة . وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما سمع . ويحفظ أحسن ما كتب » .

وقال أعرابي : حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك ، أي صحتك . وقال عمرو بن عبد العزيز : ما قرن شيء بشيء أفضل من علم إلى حلم ومن عفو إلى مقدرة .

٣ - « وضرب الحجاج بن يوسف الثقفي أعناق أسرى ، فلما قدموا إليه رجلاً ليضرب عنقه قال : « والله لئن كنا أساناً في الذنب لما أحسنت في العفو . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا ، وأمسك عن القتل » .

٤ - « قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما تستبقوا من الدنيا تحذوه في الآخرة ، وقال رجل للحسن : إني أكره الموت قال : ذلك لأنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به . وقال عامر بن الظرب العدواني : الرأي نائم والهو يظفان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأي » .

لقد مزج الجاحظ العلم بالأدب ، ولم يقتصر على ذكر البراهين النظرية ، بل استعان بالتاريخ والشعر ، وبما يعرف من أحداث ، وما مر به من تجارب ، ومزج ما تعلم بما قرأ وما سمع وبما شاهد وما جرب ، كما مزج الشعر الجاهلي بالشعر الإسلامي ، وعلم أرسطو بطب جالينوس ، وكما مزج أي القرآن الكريم بأحاديث الرسول ﷺ وبرأي الطبيعيين والدهريين .

يقول الأستاذ أحمد أمين في الصفحة الثانية والتسعين بعد المائة الثالثة في الجزء الأول من كتابه « ضحى الإسلام » :

« والحق أن الجاحظ مسؤول عن الفوضى التي تسود كتب الأدب العربي فقد جرت على منواله ، وحذت حذوه ، فالمرء تلميذه تأثر به في تأليفه ، والكتب التي ألفت بعد ذلك كعيون الأخبار والعقد الفريد فيها شيء من روح الجاحظ وإن دخلها شيء من الترتيب والتبويب . ذلك أنا نرى أن الكتب التي ألفت في العصر العباسي الأول كانت أساس التأليف ، وهي التي جددت نوع القالب الذي يصب فيه العلم فكتب سيبويه في النحو حدد الطريقة التي يتبعها النحاة في التأليف ، وكل ما عملوا بعده أن أوضحوا أو بسطوا أو اختصروا .

ولما كان كتاب البيان والتبيين أول كتاب ألف في الأدب على هذا النحو كان أثره في الأدب كآثر هؤلاء الذين ذكرنا في علومهم وكان الجاحظ مسؤولاً عما فيها ، ولستنا نريد أن نحمل الجاحظ كل مسؤولية في هذا فقد تكون طبيعة الأدب نفسها داعية إلى ذلك » .

وقد تسم الجاحظ بكتابه البيان ذروة الشهرة فطار ذكره في الآفاق ، وسمى إليه العلماء والأدباء ، ووفدت على داره الوفود من كل صوب تتلقى عنه ، وتقبس من علمه وأدبه ، وتوات عليه دعوات الخلفاء والوزراء والحكام ليجلس إليهم ، وينثر فيهم علمه وأدبه .

ونوه بالجاحظ وأدبه وكتابه البيان أعلام الفكر وأقطاب الأدب في عصره ، والعصور التي تلت اعترافاً بقيمة الكتاب ، وإجلالاً لثقافة مؤلفه ، وتنويراً بنبوغه وعبقريته ، يقول المسعودي في تاريخه « مروج الذهب » : « كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارئ ، وسأمة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة » .

وقال ابن العميد : « ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أشخاص : أما الفقه فعلى أبي حنيفة ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن فعلى الجاحظ » .

وقال أيضاً : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً ، والأدب ثانياً » . وقال الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » : « فآثر البصريون الكوفيين بأربعة كتب : البيان والحيوان للجاحظ ، والكتاب لسيبويه والعين للخليل » .

« وقيل لأبي العينا : ليت شعري أي شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري وأي شيء كان الجاحظ لا يحسن »

« وقال ابن خلدون : وسمنا من شيوخنا في مجالس التعلم أن أصول هذا الفن - يعني الأدب - وأركانه أربعة : هي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها ، وفروع منها » . « وروي عن ثابت بن قرة أنه قال : ما أحسد هذه الأمة إلا على ثلاثة : عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وأبي الحسن البصري في تقواه وزهده وورعه وعلمه ، وأبي عثمان الجاحظ في فصاحته . وبعد فزجو أن نكون قد سلطنا جانباً من الضوء على حياة العبقري النابغة عمرو بن بحر أبي عثمان الجاحظ ، وعلى كتابه الدائع البيان والتبيين الذي يعد كنزاً ثميناً من تراثنا الفكري .

وعلى الرغم من أن الجاحظ قد رحل عن دنيانا سنة ٢٥٥ هـ ، ومضى على رحيله ما يزيد على ألف عام فإنه لا يزال حياً بأدبه وفكره ، وسيظل أدبه وفكره - مثلاً في كتابه البيان وفي كتبه الأخرى - حياً على مر الاحقاب يجد فيه الباحثون والدارسون ما يثقف العقل ، ويهذب النفس ، ويجلو صدأ الفكر .







# كيف أنشأكم يا أبي؟

شعر الأمير عبد الله الفيصل

هذه القصيدة النازفة بجراح المأساة أو الفاجعة الكبرى التي داهمت الأمة العربية والاسلامية باستشهاد الملك المسلم ورائد التضامن الاسلامي فيصل بن عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته .



ومع أن الشاعر الأمير عبد الله الفيصل هو أكبر أنجال الشهيد إلا أن شعور الحزن والمرارة والألم الذي يسكن جو القصيدة كان شعور كل عربي ومسلم ، بل شعور كل إنسان واكب حياة الفيصل من خلال معرفته الشخصية .. أو قراءته عن أعماله الانسانية الكبيرة . فالجرح ليس جرح أبناء الفيصل وحدهم بل كان جرح الأمة العربية والاسلامية والبشرية ، لأنها بغياب الفيصل لم تفقده كملك لدولة لها وزنها الدولي ، وإنما فقدته قة .. وريادة .. وعملا من أجل الخير والسلام في وقت العالم أحوج ما يكون إليه زعيما حكيما ، وسياسيا واضح المبادئ يتطلع إلى سعادة البشرية وسلامها تطلعه إلى سعادة أمته الاسلامية والعربية . ورغم أن القصيدة كان قد نشرها الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بعد مرور عام على وفاة والده الشهيد ، إلا أنها تمتد داخل أي زمان ومكان شهدا معالم الفيصل .. وآثاره التي لا تمحى .. وحين نعيد نشرها اليوم بمناسبة مرور أربعة أعوام على استشهاد الفيصل ، إنما نستذكر قولة الأمير الشاعر بعد مرور فترة زمنية على وفاة والده : « إن كل مأساة تقع كبيرة ثم تصغر مع الزمن إلا أن مأساتي في فقد أبي فإنها تكبر بمرور الأيام ، ويتسع الجرح مع السنين العابرة » .. رحم الله الفيصل .





## كيف انشاك يا ابي؟



أَيُّ ذِكْرِي تَعُودُ لِي بَعْدَ عَامٍ  
 لَمْ تَزَلْ فِيهِ نَازِفَاتٍ جِرَاحِي  
 أَيُّ شَهْرٍ، رَيْعُ عُمْرِي وَلَّى  
 فِيهِ، وَأَزْتَاخٌ فِي ضُلُوعِي التِّيَاحِي  
 أَيُّ خَطْبٍ مُرَوِّعٍ كُنْتُ أَخْشَاهُ  
 فَأَبْلَى عَزْمِي وَقَلَّ سِلَاحِي  
 أَيُّ يُتَمُّ أَدَلُّ كِبَرٍ أُنِي  
 وَأَرَانِي دَجَنَ الْمَسَا فِي صَبَاحِي  
 أَيُّ يَوْمٍ وَدَّعْتُ فِيهِ حَبِيبِي  
 ثُمَّ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي لِلنُّوَاحِ  
 إِنَّهُ يَوْمٌ مِيتِي قَبْلَ مَوْتِي  
 وَاخْتِلَاجَ الضِّيَاءِ فِي مِصْبَاحِي  
 إِنَّهُ يَوْمٌ مَنْ تَمَيَّتُ لَوْ ظَلَّ  
 قَرِيباً مِنْ هَيْئَمَاتِ صُدَاحِي  
 إِنَّهُ يَوْمٌ «فَيْصَلُ» خَرَّ فِيهِ الطُّوْ  
 دُ اللَّهُ سَاجِداً، غَيْرَ صَاحِي  
 يَوْمٌ مَنْ كَانَ لِلْوُجُودِ وَجُوداً  
 عَامِراً بِالتَّقَى وَكُلَّ الصَّلَاحِ



لَيْتَنِي كُنْتُ فِدْيَةً لِلَّذِي مَا  
تَ، فَمَاتَ مِنْ بَعْدِهِ أَفْرَاحِي



« فَيَصْلِي » يَا مُهْنِدًا مَا أَحَبَّ الْغَمَّ  
— دَ يَوْمًا، وَلَا آزَتْوَى مِنْ طِمَاحِ  
يَا حُسَامًا فِي قَبْضَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَا  
نَ، سَلَّتْ شَبَاهُ أَعْظَمُ رَاحِ  
رَاحُ « عَبْدُ الْعَزِيزِ » مَلْحَمَةِ الْعِزِّ،  
وَأَسْطُورَةَ الْعُلَى وَالْكَفَاحِ  
كَيْفَ أَرْثِيكَ يَا أَبِي بِالقَوَافِي  
وَقَوَافِي قَاصِرَاتِ الْجَنَاحِ  
كَيْفَ أَبْكِيكَ وَالْخُلُودُ آتَقَى فِي—  
كَ شَهِيدًا مُجَسِّمًا لِلْفَلَاحِ  
كَيْفَ تَعْلُو ابْتِسَامَةُ الصَّفْوِ ثَغْرِي  
كَيْفَ تَحْلُو الْحَيَاءُ لِلْمَلَنَاحِ  
كَيْفَ لَا أَحْسَبُ الْوُجُودَ جَحِيمًا  
يَحْتَوِينِي فِي جَيْتِي وَرَوَاحِي  
كَيْفَ أَقْوَى عَلَى اخْتِبَاسِ دُمُوعِي  
وَأَنَا لَا أَخَافُ فِيكَ اللَّاحِي؟  
كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا أَبِي.. كَيْفَ يَمْحُو  
مِنْ خَيَالِي، خَيْالَكَ الْحُلُوفَ مَا حِي؟

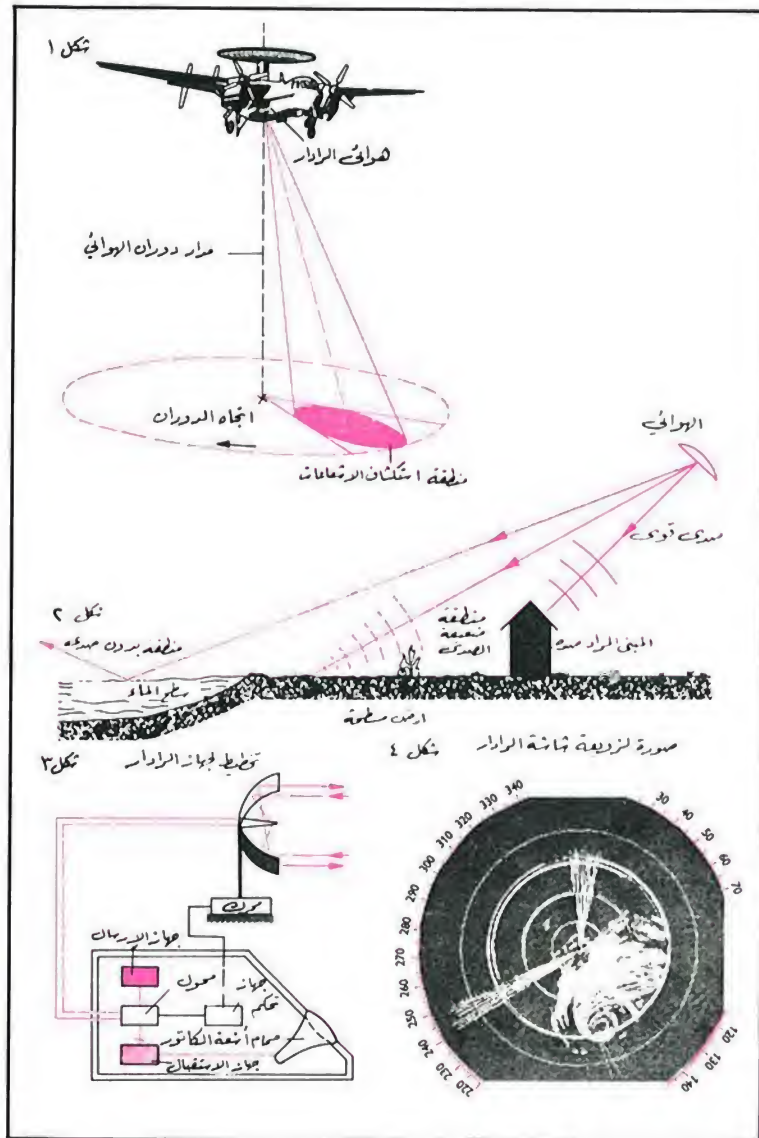


.. لَيْسَ لِي، وَالذُّهُولُ أَمْسَى نَدِيمِي  
وَالْأَسَى، رَغَمَ وَأَدِهِ، فَضَّاحِي  
غَيْرُ رَبِّي.. أَرْجُوهُ مَدِّي بِالصَّبْرِ...  
وَلَقِيَاكَ فِي الْجِنَانِ الْفَسَاحِ





# الرادار



تشتق تسمية «رادار» من مجموعة الحروف الأولى لاصطلاح «الارسال والاستقبال بالموجات الاذاعية» . وهي الطريقة التي يتم بها مسح المساحات المحيطة بواسطة موجات إذاعية عالية التذبذب يتم ارسالها من جهاز استقبال عالي الكفاءة لتنعكس على الأجسام التي تصادفها تلك الموجات . أما جهاز الاستقبال فيقوم بالتقاط الاشعاعات المنعكسة التي تعبر قوتها واتجاهها عن كافة المعلومات المطلوب معرفتها عن تلك الأجسام من حيث حجمها وبعدها وطولها . الخ . وعلى سبيل المثال . . لو أراد المراقب بإحدى الطائرات القيام بمسح بقعة الأرض التي يحلق فوقها (شكل رقم ١) فإنه يوجه أشعة الرادار الدوار من الطائرة إلى أسفل . عندئذ تغطي الأشعة مساحة دائرية حول الجسم المراد رصده ، وعلى أساس الاشعاعات المنعكسة وكثافتها (كما في حالة الأجسام الموجودة على سطح الأرض في مثالنا هذا) تختلف الموجات وتبين (شكل رقم ٢) .

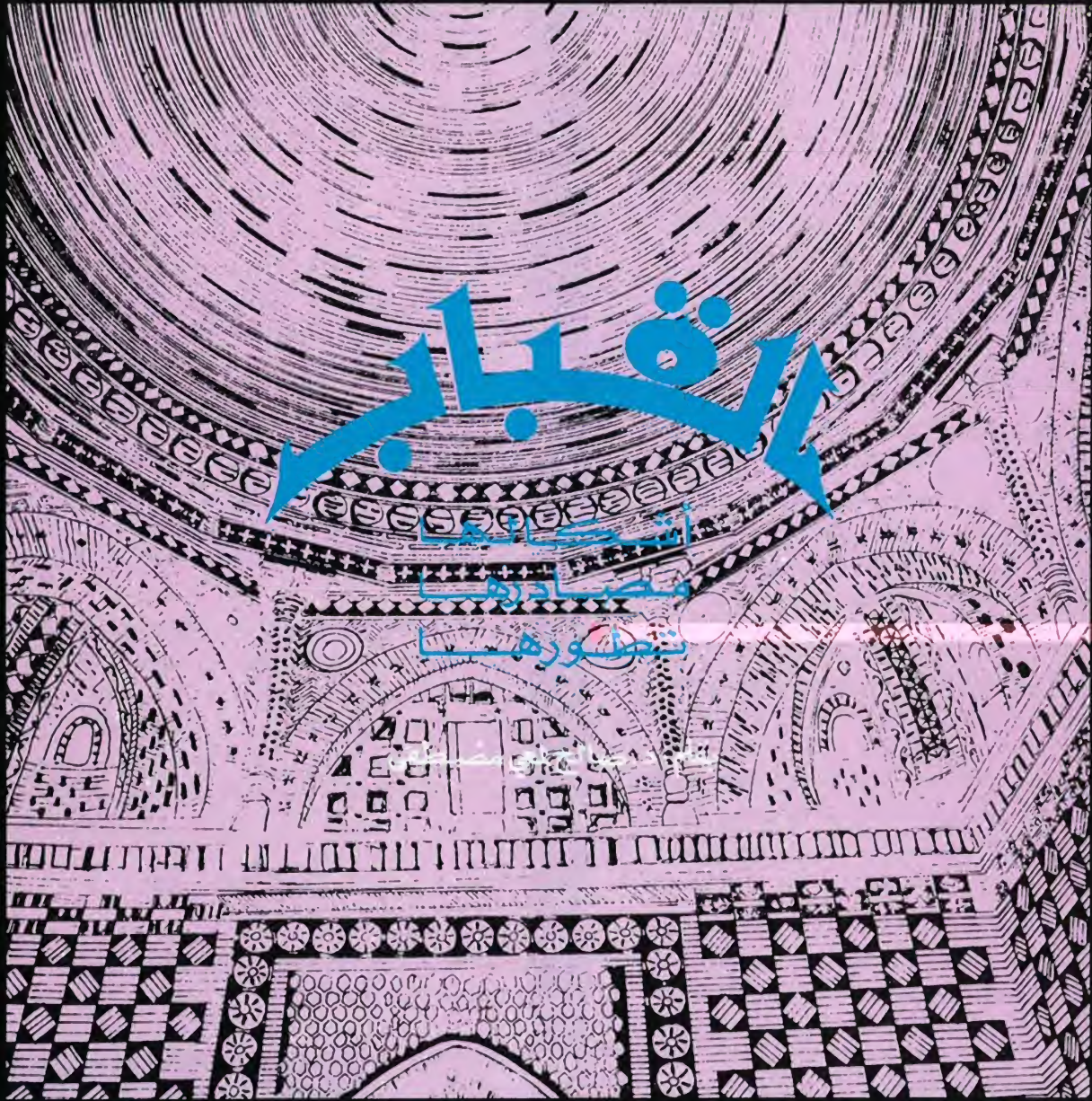
لذلك يتأثر ارسال واستقبال الموجات عالية الكفاءة في جهاز الرادار (شكل رقم ٣) . أما موجات الرادار في جهاز الارسال فتتولد من خلال أنابيب إذاعية ذات تصميم خاص . كذلك يعمل هوائي جهاز الاستقبال كأي هوائي في أي جهاز للاستقبال . ثم يقوم جهاز الاستقبال بالتقاط الاشعاعات التي تستعمل تيارات كهربية لارسال اشعاعات الكترونية في صمام أشعة الكاثود .

هذه الاشعاعات تظهر على شاشة مضيئة تدور بنفس سرعة دوران اهوائي ، وهنا يلتقط جهاز الاستقبال «الصدى» ووظيفته تقوية تدفق الإلكترونات في الصمام فتظهر على هيئة بقعة ضوئية تظهر على الشاشة واضحة حتى يتم التقاط أصداء جديدة مع الدورة التالية للهوائي . وهذه الطريقة تكون البقع الضوئية صورة للمنطقة (أو الفضاء) المراد مسحها ، والتي تغطيها اشعاعات الرادار .

هذا . . ويعتمد وضوح عرض الاشارات (أو صدى الرادار) في الشاشة التي بضئوها صمام أشعة الكاثود . . على القوة الانعكاسية للجسم مع أخذ الموجات الإذاعية عالية الكفاءة ، التي يشها الرادار في الاعتبار ، وهذا بدوره يفسر سبب اختلاف صورة الرادار عن الصورة البصرية . رغم أن لكليهما نفس الخصائص .

هذا . . ومعظم أجهزة الرادار تستخدم مكبرات رادار . . وسبب هذه التسمية أن جهاز الارسال يبعث دفعات (أو شحنات) قصيرة من الطاقة تفصلها عن بعضها البعض فترات طويلة نسبيا ، يكون جهاز الاستقبال خلالها نشيطا . . وحينما ينقضي الوقت اللازم للسحاح باستقبال الأصداء من الأجسام المعينة والتي تكون متناهية البعد ، يكون جهاز الارسال قد بعث دفعة قصيرة أخرى ، ومن ثم تتكرر الدورة . . وهكذا .





#### اشكال القباب

تسمى القباب تبعاً لمظهرها الخارجي : فتوجد قباب بشكل نصف كرة ، أو كجزء من كرة مديبة ، أو مخروطية ، أو بصلية ، أو مضلعة (متعددة الأضلاع) ، ولا يوجد ما يطلق عليه البعض بالقبة المثلثونية ، وقد يكون للقبة طمبور ( Drum ) تنظم به النوافذ ، كما يعلو القبة في بعض الأحيان فانوس (Lantern) لوحة ( ١ ) .



## طرق إنشاء القباب

تقام القباب إما على مساقط دائرية أو مربعة (لوحة ١) ، وفي حالة المسقط المربع يلزم تحويله إلى دائرة إقامة مثلثات كروية في الأركان (Pendentives) ، أو تعمل حنيات في الأركان في منطقة الانتقال (Squinches, Trompe) ، وقد تقام القباب على مساقط مستطيلة وبذلك يكون مظهرها الخارجي يضاوي الشكل (قباب خاتقاء فرج بن برتوق بالايوانات ٨٠١ - ٨١٣ هـ / ١٣٩٩ - ١٤١١ م) ، وفي العمارة الإسلامية شاع استعمال المقرنصات في الأركان في منطقة الانتقال لتحويل المربع إلى دائرة .

وقد عملت القباب من الطوب والحجارة والخشب ، كذلك عملت بالخرسانة في العصر الروماني ، أما في العصر الحالي فلها تعمل في الإنشاءات الحديثة من الخرسانة المسلحة .

والمباني التي استعملت في تغطيتها أشكال القباب ( قبة غير حقيقية من الناحية الإنشائية ) ، فقد رصت صفوف الحجارة أفقياً فتبرز هذه الصفوف مع الارتفاع بحيث تعطي في النهاية شكل القبة .

أما القباب الحقيقية فيم بناؤها بتنظيم من الطوب أو الحجارة المنحوتة ، بحيث تتجه لحاماتها نحو مركز القبة ( Massive Dome ) ، كما هو الحال في بناء العقود ، وفي بعض الأمثلة تعمل أعصاب يملأ الفراغ بينها بصفوف من الطوب أو الحجارة ( Ripped Dome ) ، كذلك وجدت قباب تعمل من قشرتين بحيث يكون الشكل الخارجي مختلفاً عن الشكل الداخلي (لوحة ١) ، كذلك وضعت في بعض القباب الحجرية سلاسل من الحديد أو قطع من الخشب لمقاومة الدفع الخارجي للقبة .

## تشكيل الأسطح الداخلية والخارجية

وقد شكلت الأسطح الخارجية في القباب بالعمارة الأوروبية باظهار عناصر الإنشاء (Ripps) وتغطية المسطحات بينها بالزخارف ، أما السطح الداخلي فقد قسم إلى مربعات (Coffers) في بعض الأمثلة ، وغطيت هذه المربعات بالزخارف أو الرسومات وفي بعض الأحيان وخاصة في عصر النهضة ، فقد غطيت المسطحات الداخلية بلسوحات ملونة من الفريسك .

أما في العمارة الإسلامية فقد شكلت الأسطح الخارجية في أغلب الأحيان بفصوص دائرية يفصل بينها مثلثات وخاصة في القباب المبنية من الطوب ، أما القباب الحجرية فقد تم تشكيل سطحها الخارجي بتغطيته بزخارف هندسية أو نباتية أو الاثنين معاً ، كما غطيت القباب في بعض البلاد الإسلامية (إيران على سبيل المثال) ببلاطات مزججة ملونة (بورسلان ، قيشاني) ، كذلك زين السطح الخارجي في منطقة الطمبور بآيات قرآنية ونصوص تاريخية . أما السطح الداخلي فقد غطي بالجص ، وعملت عليه زخارف ملونة نباتية وهندسية وكتابات قرآنية ونصوص تاريخية .

## عصور ما قبل الاسلام

في أول الأمر قام الانسان ببناء مسكنه مقلداً في ذلك الطيور والحيوانات ، فعمل حفرة في الأرض بشكل دائري أو شبه دائري دعمت جوانبها بالأحجار وثبت عليها خيمة أو شكلاً مخروطياً من فروع الأشجار ، تعمل عليه تغطية بالقش والطين أو بالجلود (لوحة ٢) .

وقد وجدت تلك الحفر المدعمة بالحجارة في مدينة (Ahrensberg) بالقرب من هامبورج بألمانيا من العصر الجديلي في ترجع إلى الألف الثانية عشرة قبل الميلاد<sup>(١)</sup> ، كذلك وجدت تلك المساكن في منطقة (Gagarino) بالاتحاد السوفياتي<sup>(٢)</sup> ، كما عرفت المساكن بشكل حفرة أو كهوف شبه دائرية في العصر الحجري بمصر بمنطقة الفيوم<sup>(٣)</sup> .

وفي منطقة بلاد ما بين النهرين تعددت أشكال المساكن : فيوجد مسكن دائري أو شبه دائري ، بالإضافة إلى مساكن تجمع بين المسقط المستطيل والدائري ، فقد وجدت تلك المساكن في منطقة حسونة بالقرب من الموصل وفي تبة كورا (Tepe-Gaura) وترجع هذه المباني إلى الألف الرابعة قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> .

وفي قبرص بالقرب من (Khirokitia) وجدت آثار مساكن عديدة لها سقف بشكل قبة من الألف الرابعة قبل الميلاد<sup>(٥)</sup> ، كذلك وجدت مساكن مشابهة باليونان بمدينة (Orchomenus) من الألف الثانية قبل الميلاد<sup>(٦)</sup> .

إلا أن هذا لم يمنع وجود مساكن ذات مسقط مستطيل قبل ذلك بكثير ، فقد وجدت مساكن ذات مسقط مستطيل من قبل ذلك بكثير ، فقد وجدت مساكن مسقط مستطيل بالقرب من مدينة جرش بالأردن ترجع إلى الألف السادسة قبل الميلاد<sup>(٧)</sup> .

أما العمارة المصرية القديمة فتجد بها أمثلة متعددة لمداخن من عصر المملكة الوسطى بنيت سقفوها بأشكال قباب دائرية ، كذلك يوجد مثال واحد من الأسرة الرابعة بمقبرة سنبت (Sneb) ،<sup>(٨)</sup> كذلك عملت صوامع الغلال داخل المساكن الكبيرة من الطين بشكل مخروط (Conical groin bins) (لوحة ٥) .

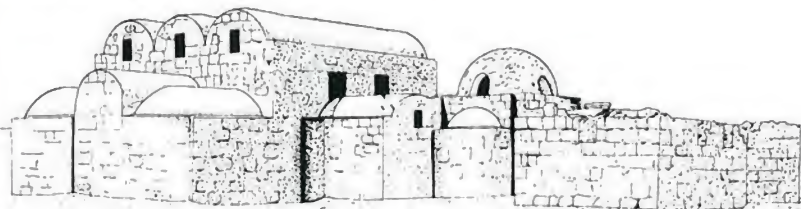
وقد تركت لنا عمارة بلاد ما بين النهرين بعض الأمثلة على استعمال أشكال القباب سواء في المباني الدينية أو المدنية : فمن العصر البابلي نجد شكل قبة على هيئة جزء من دائرة أعلى المدخل الرئيسي لمبجورات أورنا مو بمدينة أور (Ur) ، والتي ترجع إلى عام ٢١٢ قبل الميلاد (شكل ٤) ، وبذلك تم تأكيد وضع المدخل باستعمال طريقة إنشائية تختلف باقي الإنشاء المستعمل في المبناء ، بالإضافة إلى هذا فقد أعطينا اللوحة المحفوظة بالمتحف البريطاني والتي وجدت بمدينة كوينججق (Kouyunjik) فكرة عن استعمال القباب البيضاء في المباني السكنية بمدينة نينوى (Nineve) في عام ١١٠٠ قبل الميلاد<sup>(٩)</sup> .

وفي العصر الساساني وجدت قباب حقيقية في القصور بمدينة فيروز آباد من القرن الثالث الميلادي وفي سرفستان من القرن الرابع الميلادي ، ويتم تحويل المسقط المربع إلى دائرة بواسطة حنيات في الأركان العلوية (Squinches, Trompe) .

وفي العمارة الإغريقية واليونانية ، فقد استعملت أشكال القباب في مباني المدافن ذات المسقط الدائري ، ونجد أمثلة على ذلك في قبر اتريروس من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، والقبر المعروف باسم قبر الأسد في (Cnidos) ، ويرجع إلى حوالي عام ٣٥٠ قبل الميلاد (لوحة ٥) .

أما العمارة الرومانية فقد استعملت فيها القباب الخرسانية على مساقط دائرية في كل من المعابد والمدافن والمباني المدنية ، ونرى أمثلة لها في معبد (Vesta) بتييفولي من عام ٨٠ قبل الميلاد (لوحة ٥) ، ومعبد فينوس بيبليك من عام ٢٧٣ م ، (لوحة ٥) ، ويوجد مثال رائع للقبة في معبد البانثيون بروما (١٢٠ - ١٢٤ م) .

## لوحة - قصير عمره - الاردن





(لوحة ٤) ، كذلك نجد مثالا للقبة في المدافن الدائرية مثل مدفن (Diocletian) في Spalato (حوالي عام ٣٠٠ م) ، وفي الحمام كراكلا بروما (٢١١ - ٢١٧ م) ، وكذلك في المباني السكنية مثل (Nero Domus Aurea) (٥٤ - ٦٨ م) ، وفيلا ادرينا (بعد عام ١٢٥ م) .

ونجد القباب الحجرية المحمولة على مثلثات كروية بالمنطقة العربية قبل الإسلام ، وعلى سبيل المثال في قصر النوايس بالقرب من عمان<sup>(١٠)</sup> ، (أوائل القرن الثالث الميلادي) ، وعلى قبر بالقرب من سباستيه<sup>(١١)</sup> (عام ١٩٣ - ٢١١ م) ، وفي حمام بالقرب من البتراء<sup>(١٢)</sup> ، يرجع إلى هذه الحقبة الزمنية .

وقد استمر استعمال القباب بأشكال متعددة في العمارة البيزنطية على مساقط دائرية أو مربعة مع استعمال المثلثات الكروية في الأركان ، كذلك وجدت القباب بعد ذلك في العصور المعمارية اللاحقة للعصر البيزنطي في العمارة الأوروبية وخاصة في عصر النهضة والباروك ، ثم بعد ذلك في عمارة القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي .

### القباب في العمارة الإسلامية

أما في العمارة الإسلامية : فقد مرت فترة حتى ظهرت القبة في المنشآت الإسلامية المدنية والدينية على السواء . وهنا أحب أن أوضح أنه لا يوجد في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف ما يوجب عدم بناء القباب ، ويرجع عدم استعمال القباب على الأرجح إلى عدم معرفة العرب بالجزيرة العربية لطريقة الإنشاء بالطوب أو الحجر ، غير أن الشكل كان معروفاً لهم لوجوده في البلاد المحيطة بهم . لهذا نجد هذه القباب في العمارة الإسلامية إلى ما بعد الفتح الإسلامي للبلاد المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، والاحتكاك بالحضارات في بلاد ما بين النهرين وبالعمارة المسيحية الشرقية والعمارة القبطية في مصر ، وأن ما أورده بعض الكتاب عن القباب عند العرب قبل الإسلام ما هو إلا

في أول الفتح الإسلامي استعملت الأسقف المستوية الخشبية والطين والطوب باللين وفروع أشجار النخيل كمناصر إنشائية ، نرى ذلك في مسجد البصرة (١٤٠/٢٣٥ م) ، مسجد الكوفة (١٧/٦٣٨ م) ، مسجد عمرو ببصر (٢١/٢٤١ م) ، كذلك لم تستعمل العقود في أول الأمر وهو إنشاء قريب من إنشاء القباب .

وكذلك عند إعادة بناء بعض المساجد لم تستعمل القباب ، وعلى سبيل المثال في إعادة بناء مسجد البصرة (٤٥/٦٦٥ م) ، وفي إعادة بناء مسجد الكوفة (٥١/٦٧٠ م) ، وإن كان قد استعمل في إعادة البناء الحجارة والطوب .

وعلى هذا فإن أول قبة في الإسلام هي التي أقيمت في العصر الأموي والمعروفة باسم قبة الصخرة (٧٢/٦٩١ م) ، (لوحة ٨ و ٩) ، ومن المعروف أن هذه القبة كانت متأثرة عند إنشائها بقبة كنيسة القبر المقدس (Holy Sepulchre) (٣٣٥ م) ، والتي كانت بالتالي متأثرة بمدفن (Santa Constanza) ، بروما (٣٣٠ م) ، وقد عالج العالم الأثري المعروف كريزويل هذا الموضوع بعناية ، موضحاً كافة التأثيرات المعمارية والإنشائية والزخرفية من العمارة البيزنطية على عمارة قبة الصخرة<sup>(١٣)</sup> .

كما وجد مثال سابق على ذلك القبة الخشبية في معبد (Marneion) بغزة بفلسطين من القرن الثاني الميلادي<sup>(١٤)</sup> ، وقد بنى هذا لاله السمك (Marnas) ، ثم وجدت بعد ذلك قبة خشبية في كنيسة القديس سمعان بالقرب من حلب (حوالي عام ٥٠٠ م)<sup>(١٤)</sup> .

بعد ذلك وجدت القباب في المساجد أمام المحراب ، فنراها في الجزء الأوسط من الرواق العرضي أمام المحراب بالجامع الأموي (٩٧/٧٠٥ م) ، وفي المسجد الأقصى بعد إعادة بنائه في عهد الخليفة المهدي (١٦٣/٧٨٠ م) ، (لوحة ٨) ، وفي المسجد الكبير بسوسة بتونس (٢٣٦/٨٥٠ م) ، والمسجد الكبير بالقيروان (٢٤٨/٨٦٢ م) ، والمسجد الكبير بتونس (٢٤٩/٨٦٤ م) ، (لوحة ١٣) ، وفي مسجد قرطبة (٣٦٤/٩٦٥ م) .

ويرجع أن وجود القبة أعلى الفراغ أمام المحراب هو نوع من التأكيد المعماري على مكان المحراب ، وذلك بتغطية هذا المكان بسقف يتألف بقية



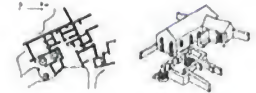
لوحة ١ - القباب على مساقط دائرية ومربعة



لوحة ٢ - مساكن تبة جور - العراق



لوحة ٢ - مساكن في اربيجية - العراق



لوحة ٢ - مساكن تل حسونه - العراق

سقف المسجد ، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا المكان كان مخصصاً للخليفة في ذلك الوقت ، ويحاط بالمقصورة - عملت أول مقصورة بعد الاعتداء على الخليفة الأموي معاوية - علماً بأن أقدم مقصورة كمثال موجود بجامع القيروان وترجع إلى القرن الحادي عشر<sup>(١٥)</sup> .

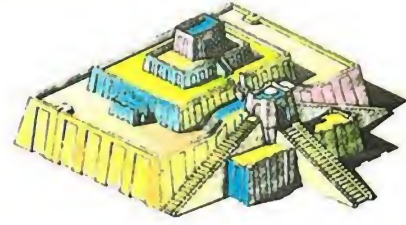
وانتقلت القباب أمام المحراب في العمارة الإسلامية الفاطمية بمصر عن طريق شمال إفريقيا ، فنراها بجامع الأزهر (٣٥٩/٣٦١ هـ / ٧٩٠/٧٩٢ م) ، وجامع الحاكم (٣٨٠ - ٤٠٣/٤٠٣ هـ - ١٠١٣ م) (لوحة ١٧) . هذا بالإضافة لوجود قباب صغيرة في أركان هذه المساجد إلا أن القبة أمام المحراب امتازت بكبر حجمها ، وتشكيل سطحها ارجي بطريقة تختلف عن القباب الأخرى الموجودة في الأركان ، كذلك وجدت القبة في بعض المساجد المملوكية بمصر ، علماً بأن القبة أمام المحراب بجامع ابن طولون (٢٦٣ - ٢٦٥/٨٧٦ - ٨٧٨ م) ، ترجع إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي .

والقباب الخشبية وجدت أيضاً في مصر . فنجدها في قبة الامام الشافعي (٦٠٨/١٢١١ م) ، علماً بأن القبة الحالية هي من القرن الخامس عشر ، وقبة جامع الظاهر بيبرس البندقداري (٦٦٥ - ٦٦٧/١٢٦٦ - ١٢٦٩ م) ، وقبة المدفن بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين (٦٩٥ - ٧٠٣/١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) ، والقبة التي تغطي الفراغ أمام محراب مسجد الناصر محمد بن قلاوون



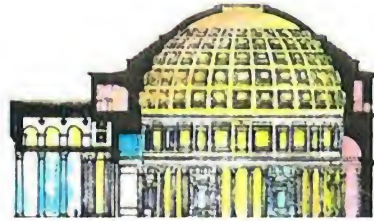


لوحة ٥ - معبد فينوس - بعلبك - قطاع

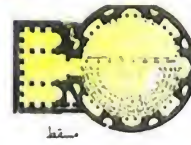


شكل عام

لوحة ٤ - زيجورات اورناتو



قطاع



مستط

لوحة ٤ - مبنى البانثيون - روما

٨٧٩/١٤٧٤م)، وفي بنجاري في مدرسة عبد الله خان (٩٩٧ - ٩٩٩/١٥٨٨ - ١٥٩٠م). وطارق صرافان (القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي)، وكذلك في تركيا يميني توكياي سراي (١٠٤٨ - ١٠٤٩/١٦٣٨ - ١٦٣٩م). وجامع يشيل (Ycil) بمدينة ازنك (٧٨٠ - ٧٩٤/١٣٧٨ - ١٣٩٢م).

ووجدت قباب مفرغة في بعض المباني الإسلامية. فنراها في جامع قرطبة في القبة المحمولة على الأعصاب أعلى الفراغ على يمين المحراب (٣٥٠ - ٣٥٧/٩٦١ - ٩٦٨م)، وفي الجامع الكبير بتملسمان أمام المحراب (١١٣٦/١٥٣٠م). وكذلك وجدت تلك القباب في مصر في العصر الفاطمي. فنرى أقدم مثال لها أعلى مثذنة بلال بالقرب من أسوان (القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي)، بعد ذلك نراها في قبة مقلد الناصري يقوص (١١٧٢/١٥٦٨م)، ومدفن صفي الدين جوهر المالكي الناصري (١٣١٥/١٧١٤م)، وقاعة محب الدين (١٣٥٠/١٧٥١م)، ومدفن جمال الدين (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، ومدفن عميد الرؤوف المناوي (توفي ١٠٣١/١٦٢٧م)، وكذلك بسراي المسافرين - خانة (١١٩٣/١٧٧٩م).

وقد وجدت القباب المفرغة (فتحات في القبة نفسها) قبل ذلك بكثير في العمارة الرومانية فنجدها في السريح الأول من القرن الأول الميلادي في المبنى المعروف باسم Mercur Temple في Bajae.

أما القبة فوق المدفن فقد ظهرت بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة، ويرجع ذلك لتعارضه مع العديد من الأحاديث النبوية الشريفة.

فقد جاء عن جابر - رضي الله عنه - قال: «نهي رسول الله ﷺ أن يخصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه». (رواه مسلم)، ويعتقد أن بناء الأضرحة على القبور يذكر بالمباني التي كانت مخصصة لعبادة الأوثان في العصر الجاهلي وخوفاً من أن تصبح هذه الأماكن مزاراً ويعظم أصحابها، لذلك ابتعد المسلمون أول الأمر عن بناء الأضرحة فوق القبور.

وأقدم المدافن الإسلامية ذات القباب التي لا زالت قائمة حتى الآن، (١٧) هو مدفن الخليفة المنتصر المتوفى عام ٢٤٥/٨٦٢م، والمقام على قبره في سر من رأى

بالقلعة (٧٣٥/١٣٣٥م)، والقبة الأصلية بمسجد المرداني (٧٤٠/١٣٤٠م)، والقبة الأصلية فوق المدفن بمدرسة السلطان حسن (٧٥٧ - ٧٦٤/١٣٥٦ - ١٣٦٢م)، والقبة الأصلية فوق المدفن بمدرسة السلطان برقوق (٧٨٦ - ٧٨٨/١٣٨٤ - ١٣٨٦م)، والقبة أمام المحراب بمسجد زين الدين يحيى ببولاق (٨٥٢ - ٨٥٣/١٤٤٨ - ١٤٤٩م)، والقبة بمسجده، بالحليانية (٨٥٦/١٤٥٢م)، وكذلك القبة بمخاضه شيخون (٧٥٦/١٣٥٥م)، إلا أنها ترجع لعام (١٠٩٥/١٦٨٤م).

ويوجد القليل من المساجد بمصر استعملت القباب في تغطية أروقتها أو إيواناتها، وعلى سبيل المثال جامع الأقر من العصر الفاطمي (١١٢٥/١٥١٩م)، وخانقاه فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨١٣/١٣٩٩ - ١٤١١م)، ومسجد قانيبائي الرماح (٩١١/١٥٠٦م)، من العصر المملوكي الجركسي.

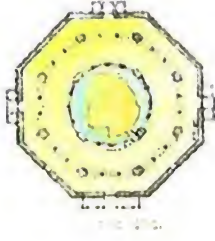
وقد شاع استعمال القباب البصلية الشكل في العمارة الإسلامية في إيران وسمرقند والهند (لوحة ٢٣)، كذلك نرى القباب كعنصر أساسي في التسقيف بجميع المباني الدينية بشكل خاص في العصر العثماني سواء كان ذلك في تركيا أم البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني، ويرجع ذلك لتأثر مباني ذلك العصر بالعمارة البيزنطية (لوحة ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢).

كذلك وجدت القبة في القصور الأموية والعراقية. فقد كانت بدار الإمارة الملحق بمسجد الواسط بالعراق قبة خضراء (٨٨ - ٩١/٧٠٧ - ٧٠٩م). ونجد القبة في قصر عمرة (٩٤ - ٩٧/٧١٢ - ٧١٥م)، وخربة المفجر (١٢٦ - ١٢٧/٧٤٣ - ٧٤٤م)، وقصر المشتى (حوالي ١٣٢/٧٥٠م)، وقصر أخضر (١٥٧ - ١٥٨/٧٧٤ - ٧٧٥م).

وفي مصر وجدت القبة في أبواب القاهرة الفاطمية، فنراها في باب الفتوح وباب النصر (٤٨٠/١٠٨٧م)، وباب زويلة (٤٨٥/١٠٩٢م)، وفي برج الظفر من العصر الأيوبي (٥٦٦ - ٥٧٢/١١٧١ - ١١٧٦م)، وفي مدخل قصر منجك السلطان من العصر المملوكي البحري (٧٤٧ - ٧٤٨/١٣٤٦ - ١٣٤٧م).

كذلك توجد قباب يحملوها فانوس. فنراها في مصر في قبة عبد الله المنوفي (حوالي





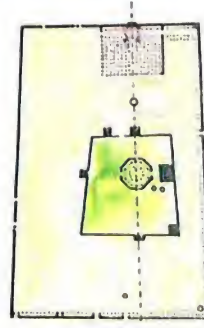
المسقط

لوحة ٩ - قبة الصخرة



قطاع

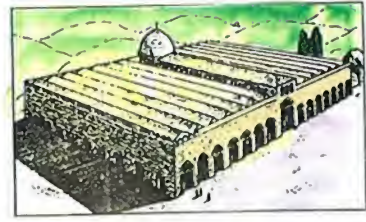
لوحة ٩ - قبة الصخرة



لوحة ٨ - الحرم الشريف



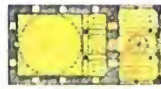
لوحة ٨ - قبة الصخرة



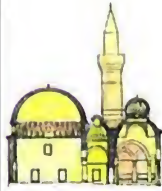
لوحة ٨ - المسجد الأقصى - القدس



لوحة ١٩ - جامع أحمد الأول - استانبول

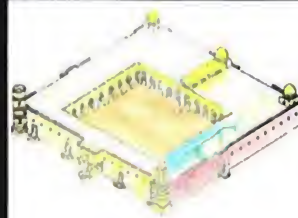


مسقط

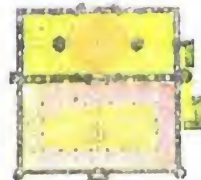


قطاع

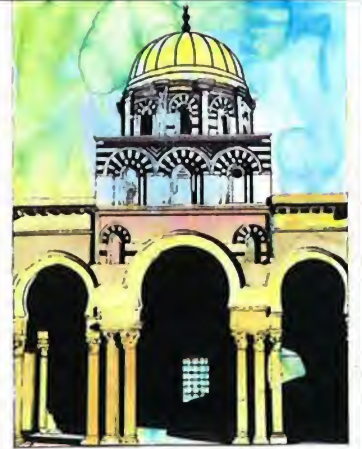
لوحة ١٨ - جامع يشيل - ازنك



لوحة ١٧ - جامع الحاكم - القاهرة



لوحة ١٧ - جامع أنثرفيل - ادنه



لوحة ١٣ - المسجد الكبير - تونس



لوحة ٢٠ - جامع سنان باشا - القاهرة

(سامراء)، والمعروف باسم القبة الصليبية، ويغطي الفراغ الأوسط منه قبة ذات قطاع مدبب، وقد أقامت لها أمه الرومية الأصل (١٧). وفي مدينة بخارى نجد المثال الثاني وهو مدفن إسماعيل السمانيد (٣٠٣هـ/٩١٧م)، الذي أقيم بشكل حجرة مربعة مغطاة بقبة، وهو يشابه من ناحية الشكل العام معابد النار عند الساسانيين (١٨). ولعل ارتباط القبة بالشكل الساساني (١٩) (Celestial Globe) يكون الجواب عن التساؤل في تغطية المدافن بالقباب، وخاصة عندما نعلم أن القبة تمثل السماء لدى المسيحيين وخاصة في القرن الرابع الميلادي في سوريا وفلسطين (٢٠)، وبذلك يمكن فهم السبب في عمل قبة على قبر الخليفة العباسي المنتصر من قبل والدته الرومية الأصل. وقد استمر إنشاء القبة فوق القبور بعد ذلك في أماكن وسنوات متباعدة في العارة الإسلامية، ويغلب على الظن أن تصور السماء بالقبة تدعمه بعض التفسيرات الخاصة بآيات من الذكر الحكيم حيث إن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة هو القبة : ١ - سورة ١٣ (الرعد) آية ٢ : ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم



استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تفلحون ﴿١﴾ .

٢ - سورة ٣١ (لقمان) آية ١٠ : ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألق في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ .

أما الهلال (٢١) الذي يوضع أعلى القباب أو المآذن بحيث يكون موازيا لاتجاه القبلة ، فقد ظهر لأول مرة مع نجمة خماسية على وجه وظهر العملة العربية الساسانية ، كما وجد على عملات ، يرجع أن تكون قد سكت للخليفة الأموي عبد الملك في دمشق (عام ٨٧٥/٦٩٥ م) ، كذلك وجد الهلال على عملات أموية أخرى وعملات عباسية . وقد يرجع ذلك لمحاولة تقليد العملات التي سكت في عهد خسرو الثاني ويزدجرد الثالث وحورمزد الرابع والتي كان يعمل الهلال بها كعنصر زخرفي على المحيط الخارجي ، وكذلك وجد الهلال يحيط برأس الحكام على العملات مثل العملات لاتبك الموصل وسنجار ، ووجد الهلال ضمن عناصر الرنك الموجود على العملة في عصر السلطان برقوق (٧٨٤ - ٨٠١/١٣٨٢ - ١٣٩٩ م) ، والسلطان فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨١٥/١٣٩٩ - ١٤١٢ م) ، في مصر .

كذلك استعمل الهلال بأحد عناصر تزئين الخيول الملكية - في الأصل عادة ساسانية - ويعتبر أقدم الأمثلة المعروفة ذلك الذي وجد بالقاهرة يحمل اسم الخليفة الفاطمي الظاهر لأعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧/١٠٢١ - ١٠٣٦ م) ، وقد استمر استعمال الهلال لنفس الغرض في العصر السلجوقي والعصر العثماني .

وقد استعمل الهلال كعنصر زخرفي في تزئين الأواني الفخارية الفاطمية ، وقد وجدت أمثلة متعددة في الفسطاط ترجع إلى القرن الخامس والسادس الهجري (الحادي والثاني عشر الميلادي) ، واستعمل الهلال كعنصر زخرفي في تجليد الكتب ، كذلك رسم الهلال على أطراف السجاجيد السلجوقية بقونيا ، كما وجد على بعض الخانات بالأناضول ، ووجد الهلال على الأواني الفضية المكفنة بالنحاس ، والأواني البرونزية والتي ترجع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي .

ويرجع وجود الهلال مع نجمة سباعية على حائط كنيسة القديسة صوفيا في تريزوند والمقامة في عصر الإمبراطور مانيول الأول (١٢٣٨ - ١٢٦٦ م) ، إلى التأثيرات السلجوقية القوية الموجودة على الحوائط الخارجية لهذا المبنى ، وقد أفاد أحد الكتاب الصينيين (Chauju-Kua) بأن المظلة التي كانت تحمل فوق الخليفة العباسي بالعراق كان يتوجها هلال .

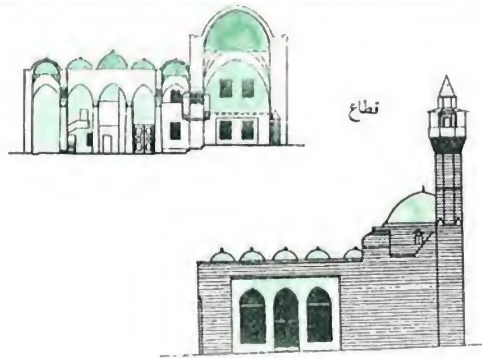
كما أفاد بعض الكتاب بأنه عند تحويل كاتدرائية آتي بأرمينيا إلى ، وضع هلال من الفضة بدلا من الصليب أعلى القبة (القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ، وطبقاً لما أورده المؤرخون فقد وضع هلال أعلى قبة الإمام الشافعي بمصر (٨٠٨/١٢١١ م) (٢٢) . كما أن أقدم مئذنة قائمة في مصر بالجامع الطولوني يوجد أعلاها هلال (٢٦٣ - ٢٦٥/٨٧٦ - ٨٧٩ م) ، إلا أنه من الصعب التثبت من تاريخه حيث إن المئذنة أجريت بها إصلاحات وإضافات في نهاية القرن الثالث عشر .

وأرجح أن استعمال الهلال في العمارة الإسلامية يرجع إلى :

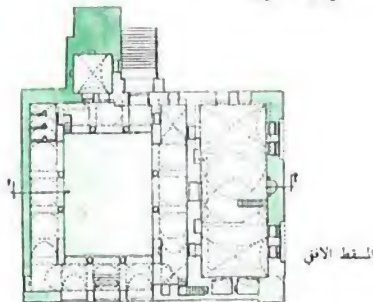
١ - التوقيت الإسلامي على الأشهر القمرية .  
٢ - إن الهلال عندما يظهر في أول الشهر العربي ينير الأرض مبدداً الظلام الذي سادها عندما كان القمر في المحاق . وقد يكون استعمال الهلال تعبيراً عن ظهور الاسلام الذي بدد ظلمات الجاهلية وحطم الشرك بالله . علماً بأنه توجد العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تشبه الإيمان والهداية بالنور ، والشرك والكفر والإلحاد بالظلام .

سورة ١٤ (إبراهيم) آية ١ : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .  
٣ - أن وجود الهلال في مبنى ذي أهمية إسلامية عظيمة مثل قبة الصخرة يجعله يصبح ضمن المفهوم العام للإسلام .

وإنني آمل بهذا البحث الموجز أن أكون قد وفقت في إعطاء دراسة موجزة عن القباب بشكل عام ، والقباب الإسلامية بشكل خاص .. والله الموفق .



الواجهة الغربية



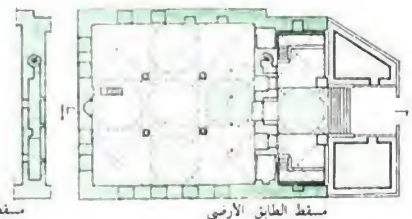
لوحة ٢٢ - جامع الأمير منظر - بيروت (لمعي)



الواجهة الشرقية



الواجهة الشمالية



مسقط الطابق الأول

مسقط الطابق الأرضي

لوحة ٢١ - جامع الأمير منصور عساف - بيروت (لمعي)





لوحة ٢٣ - شاهي زنده - سمرقند

#### المصادر العربية

- ١ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جزءان ( القاهرة ١٩٤٦ م ) .
- ٢ - صالح لمي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر ( منشورات جامعة بيروت العربية - ١٩٧٥ م ) .
- ٣ - صالح لمي مصطفى : أخطاء طه الولي في القباب ، مقال بمجلة النصار اللبنانية ( بيروت ١٩٧٥/٦/١٤ م ) .
- ٤ - صالح لمي مصطفى : مساجد بيروت ( بيروت ، تحت الطبع ١٩٧٨ م ) .
- ٥ - عادل نجم حيو : التربة في العمارة الأيوبية في سورية ، سوبر ، مجلة مديرية الآثار العامة ، وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ج ١ ، وج ٢ ، المجلد الثلاثون ( بغداد ١٩٧٤ م ) .

#### المصادر الأجنبية

- 1- Brown, P: Indian Architecture. Islamic Period (Bombay 1968) 15.
- 2- Creswell, K.A.C.: EMA; Early Muslim Architecture. A Pelican Book (Great Britain 1958).
- 3- ———: MAE I; Muslim Architecture of Egypt I (Oxford 1952).
- 4- El2: Encyclopaedia of Islam (Leiden 1960 ff).
- 5- Fletcher, B.: A History of Architecture (London 1961) 17.
- 6- Giedion: S: The Eternal Present II. The Beginning of Architecture (London 1964).
- 7- ———: Architektur und das Phänomen des Wandels (Tübingen 1969).
- 8- Goodwin, G: A History of Ottoman Architecture (London 1971).
- 9- Hill & Grabar: Islamic Architecture and its Decoration (London 1964).
- 10- Hoag, J.: Architektur des Westlichen Islams (Ravensburg 1965).
- 11- Jairazbhoy, R.A.: An Outline of Islamic Architecture (Bombay 1972).
- 12- Master pieces of Architecture in Central Asia (Moscow 1971).
- 13- Müller, W. & Vogel, G: dtv. Atlas zur Baukunst I (München 1974).
- 14- Pevsner, N.: Europäische Architektur (München 1967) 2
- 15- Pevsner, Fleming, Honour: Lexikon der Weltarchitektur.

#### الهوامش

- ١ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 178.
- ٢ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 178.
- ٣ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 182.
- ٤ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 187; MÜLLER & VOGEL: (München 1974) 85.
- ٥ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 182.
- ٦ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 183- 184.
- ٧ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 183.
- ٨ - GIEDION, S: The Eternal Present II (London 1964) 514.
- ٩ - FLETCHER, B.: A History of Architecture (London 1961) 17, Fig 728.
- ١٠ - SMITH, E.B.: The Dome (princeton 1950) 58, Fig 78; Creswell: MAE I (Oxford 1952) 109- 210.
- ١١ - صالح لمي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥ م) ١٠١.
- ١٢ - صالح لمي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥ م) ١٠١.
- ١٣ - CRESWELL, K.A.C.: EMA (Great Britain 1958) 15, 17 ff.
- ١٤ - CRESWELL, K.A.C.: EMA (Great Britain 1958) 37.
- ١٥ - صالح لمي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥ م) ١٢٣ - ١٢٤.
- ١٦ - GIEDION, S.: Architektur und das Phänomen des Wandels (Tübingen 1969) 100, Fig. 104.
- ١٧ - أفاد الدكتور عادل حيو بناء على ما رواه المؤرخون أنه بالقرب من عانة على نهر الفرات يوجد قبر لم الفضل (مرسعة هارون الرشيد)، وقد أقيم على القبر في عهد الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م)، قبة، وتعرف بقبة البرمكية، وقد شاهد موسى بن هارون هذه القبة، وتوجد بقايا قبة في ذلك الموقع إلا أنه لم تجر أية دراسات للتأكد من هذه الروايات، كذلك أفاد بعض المؤرخين بأن الرشيد أمر بإقامة قبة على قبر علي بن أبي طالب، وأن الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٧ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)، أمر بإقامة قبة على قبر الرشيد (عادل حيو : التربة في العمارة الأيوبية)، إلا إن أنباء تلك القباب المذكورة ما زال يتقصها البحث والفحص والتدقيق للتأكد من صحة ما جاء بصددنا.
- ١٨ - HILL & GRABAR: Islamic Architecture (London 1964) 49, 77, 85, Fig 1, 2.
- ١٩ - GIEDION, S.: Architektur und das Phänomen des Wandels (Tübingen 1969) 87.
- ٢٠ - SMITH, E: The Dome (Princeton 1950) 8.
- ٢١ - El2: Encyclopaedia of Islam III (Leiden 1960 ff) 381- 385.
- ٢٢ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، الجزء الأول ( القاهرة ١٩٤٦ م ) ١١٢.





لقاء  
مع:

حمد الجاسر



# الحقيقة التاريخية

# وأدب الرحلات

حمد الجاسر، واحد ليس من أعلام  
الفكر السعودي فحسب بل من أعلام  
الوطن العربي.. يعمل في صمت دؤوب..  
وتواضع جم.. وزهد في كل مظاهر الحياة الدنيا.. عكف طوال  
حياته على البحث والتحقيق.. والتنقيب، دافعه حبه للعلم..  
والحقيقة التاريخية. أصدر صحيفة «اليمامة» التي مازالت تصدر إلى اليوم كمجلة  
أسبوعية من خلال مؤسسة اليمامة الصحفية.. كما أنشأ أول مطابع في مدينة الرياض  
ومن معطفه تخرج جيل من الأدباء والصحفيين من الجنسين.. كما ساهم في حقول التدريس.  
وهو اليوم رغم كبر سنه مازال في إهابه نشاط الشباب المنتج وطموحه.. فإلى جانب أنه رئيس تحرير مجلته  
«العرب» التي تعنى بتاريخ العرب وجغرافيتهم وآدابهم، وما يتحمله من معاناة وتعب لاستمرارها رغم كل  
الصعاب المادية بعد أن انتقل من بيروت إثر ما حدث بها، ويعد أن احترق قسم كبير  
من مكتبته الكبيرة وخطوطاته القيمة، رغم كل ذلك مازال صلباً يبتسم للحياة  
والأحياء، كأن شيئاً لم يحدث له.. ينتقل في مناطق المملكة باحثاً، وعحققاً  
لاتمام مشروعه الكبير «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية». وإذا ما  
عرفنا أن الشيخ حمد الجاسر من مواليد عام ١٩١٢ م بقرية «البرود» في  
المملكة العربية السعودية.. فإن هذا يعني أن عمره اليوم يقارب (٧٠ عاماً)..  
ولكم أن تصوروا إنساناً في هذا السن ينتقل في الصحارى متعرضاً لكل  
تقلبات الطقس، ومتاعب السفر، ووعثاء الطريق.. لا شك  
أنه نموذج رائع للصلاة، والطموح، والعشق الكبير  
للحقيقة العلمية.. والبحث التاريخي.. فأين  
شباب اليوم من هذه النماذج الكريمة؟

المملكة في حياضة إلى التفت  
مجموع علمي  
اللغة العربية، لغة حيّة  
مسيرة للعصر.. واقفة بأغراضه

● علينا أن نتبع الطرق المثلى لتحقيق التراث.





يعنى المجمع بالدراسات اللغوية فقد كان في أول أمره يترجم الكلمات التي يكثر استعمالها في الدواوين الرسمية حينما كانت الدولة التركية في ذلك العهد قريبة العهد في ولاية الشام . فكانت الدواوين تستعمل كلمات تركية ولا تعرف مقابلها من الكلمات العربية ، وكان المجمع يضع لها بيانات وافية عما يجب أن يستبدل بها من الكلمات العربية الفصيحة وكان ذلك من أهداف ذلك المجمع ، فهو على هذا النحو يخدم التراث العربي بصفة خاصة ما يتعلق منه ببلاد الشام ويعنى بمساعدة الدواوين الحكومية على تعريب الكلمات التركية أو الفرنسية أو غيرها لتحل محلها كلمات عربية ويجمع التراث المتفرق من المخطوطات في دار الكتب الظاهرية . ومع ذلك ينشئ مجلة تدعى «مجلة المجمع العلمي العربي» صدر منها ما يقرب من خمسين مجلداً تحتوي آراء ومقالات وافية في التاريخ والأدب وفي المباحث اللغوية وغيرها .

هذا المجمع استمر على عمله ونشر عشرات المخطوطات منذ تأسيسه وبعد ما حدث الاتفاق أو ما يسمونه الوحدة بين مصر والشام رأى أولو الأمر أن يوجد صلة بين الجمعين مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي بدمشق فغيروا اسم هذا الأخير وأسموه بمجمع اللغة العربية بدمشق وقرروا أن يعقد المجمع سنة في القاهرة وسنة في الشام إلا أن انفصال الاتفاق بين القطرين لم يوصل إلى تحقيق تلك الغاية . . . وبقي اسم المجمع على حاله التي غير إليها وهو مجمع اللغة العربية ، وإذا استمرت مباحث مجلة المجمع وإذا ذهبت لمقر المجمع لأدركت أن المجمع يقوم بأعمال واسعة ويبدل جهوداً كبيرة في نواح متعددة ولا يقتصر على اللغة العربية وحدها . . . هذا من ناحية مجمع دمشق .

وقد قام على غراره المجمع العلمي العراقي من حيث جمع التراث ونشره وجمع المؤلفات المتعلقة بالقطر العراقي أو ما ألفه العراقيون والاسهام في نشر المؤلفات والمخطوطات العربية القديمة في أي قطر كان واستمر على هذا النوال .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فهمته تنحصر في جانب واحد فقط وهو السعي لتكون اللغة العربية لغة حياة مسيرة للعصر وافية بالأغراض المطلوبة منها في كل زمان ومكان فهو منحصر في الناحية اللغوية ، ومع ذلك يقوم بنشر كثير من الكتب ولكن أكثرها إن لم يكن كلها منحصرة في معاجم اللغة العربية وقد ينشر أشياء كثيرة لا تبعد عن هذا المجال .

### التنقيب عن الآثار

●● في المملكة كثير من المناطق التي تزخر بالآثار مثل منطقة المدينة المنورة والوسطى والجنوبية

أصدر حتى الآن أكثر من عشرين مؤلفاً مطبوعاً تحقيقاً وتأليفاً . . وهو إلى جانب ذلك عضو في المجمع العربية ، وله صداقات عديدة مع عدد من المؤرخين . . والباحثين عرباً ومستشرقين . . وحين كان في بيروت كان يمثل المرجع الهام للباحثين في تاريخ الجزيرة العربية طلاباً وأساتذة جامعات .

هذه المقدمة تؤكد أن في كثير من بلدان العالم العربي علماء وباحثين ومفكرين أجلاء يعملون في خدمة الثقافة العربية والاسلامية بلا ضجيج ، ولا دعاية ، في الوقت الذي يعيش الاعلام العربي بكل وسائله في حالة غياب عن أعمالهم ، مركزاً على عدد معين يحظون بالأضواء دون غيرهم الذين قد يفوقونهم علماً وعملاً .

ينبغي  
أن تنشأ  
صحافة  
متخصصة  
وأن يكون  
للمرأة  
نصيب  
من هذه  
الصحافة

هذا اللقاء الذي تجرته مجلة «الفصل» مع الشيخ حمد الجاسر لا يعكس علمه ، وثقافته المتميزة بالشمول ، ولكنه يثير قضايا تطرح نفسها على الساحة الفكرية ، كما يثير قضايا تشغل تفكير الجاسر ، وتحظى بعنايته واهتمامه في الوقت الحاضر .

●● كانت بداية حوارنا مع الشيخ حمد الجاسر جانباً من الجوانب التي تستأثر باهتمامه . . سألناه عن تصوره لفكرة إنشاء مجمع علمي في المملكة العربية السعودية ، ومدى إمكانية تحقيق هذه الفكرة ؟

● هناك دعوة سابقة قبل سنوات إلى إنشاء مجمع لغوي وكنت ممن أبدى رأياً يعارض تلك الدعوة ، ذلك أن اللغويين في بلادنا لم يبلغوا بعد درجة من الكثرة والتعمق بحيث يمكننا من إنشاء هذا المجمع ، ولكنني دعوت إلى إنشاء مجمع علمي على غرار المجمع العلمي العربي بدمشق . هنا ملاحظة يجب تداركها إذ إن الكثيرين يخلطون بين المجمع العلمي العربي وبين مجمع اللغة العربية .

في البلاد العربية الأخرى . . توجد الآن ثلاث مجامع علمية أقدمها المجمع العلمي بدمشق والذي أنشئ منذ ٥٠ عاماً وهذا المجمع أنشئ أول ما أنشئ لا لخدمة اللغة العربية فحسب بل لخدمة التراث العربي في الشام ، وغني أول ما غني بمجمع المخطوطات كلها من المساجد والأربطة والمدارس وجعل لها مكاناً خاصاً هو دار الكتب الظاهرية ، وكان مما غني به ذلك المجمع أيضاً جمع المؤلفات التي ألفها علماء الشام في الأدب أو التاريخ أو أي فرع من فروع العلم ونشر ما هو جدير بالنشر منها ومع ذلك أيضاً



وغيرها .. ولادارة الآثار جهود  
طيبة ، وفي نفس الوقت وعلى  
المستوى الفردي يوجد في المدينة  
عالم اسمه الشيخ إبراهيم العياش ..  
ما رأيكم في موضوع التنقيب عن  
الآثار ، وأبحاث الشيخ العياش؟

● الشيخ إبراهيم العياش صديقي وأعرفه معرفة جيدة واجتمعت به  
مراراً وكنت كلما ذهبت إلى المدينة حرصت على زيارته ، إلا أنه بلغ الآن  
مرحلة من العمر لا تتيح له أن يأتي بجهد كبير ، واعتقد أنه ألف كتاباً وأن  
ذلك الكتاب طبع قبل سنوات عن تاريخ المدينة وآثارها ، ومن حسن  
الحظ أن آثار المدينة في قرب عهدها هي آثار مدونة ومسجلة ، ومن حسن  
الحظ أيضاً أن تاريخ المدينة مسجل منذ أقدم عصوره إلى عصرنا الحاضر ولم  
نجد فترة لم تسجل فيها تاريخها وآثارها .

وأخر من ألف في آثار المدينة أخونا عبد القدوس الأنصاري وكتابه  
كتاب جيد وقائم على دراسة جيدة ... فتاريخ المدينة متكامل في حلقاته ،  
ولكن هناك التاريخ القديم الذي قبل العصر الإسلامي ... وهناك جهتان في  
بلادنا تعنيان بالبحث والتنقيب عنه وهما دائرة الآثار في وزارة المعارف  
ودائرة الآثار في كلية الآداب بجامعة الرياض ، وهاتان الجهتان جمعتا  
قديراً طيباً من الآثار المكتوبة من الأحجار وغيرها ... غير أن ما جمع ما زال  
في دور التنسيق والترتيب ويحتاج إلى دراسة ، وأن هذه الدراسة كما تدركون لا  
يستطيع أن يقوم بها إلا المختصون الذين درسوا دراسة علمية وليس كل من  
استطاع أن يقرأ كتابة على حجر أن يحدد هذا الحجر وتاريخه وأثره من الناحية  
التاريخية ، بل لا بد أن يكون هناك دراسات أعمق من هذا ... هذا من  
الناحية الأثرية . ومن غريب المصادفات أنه منذ يومين اثنين وصلت إلي مجلة  
تصدرها الخطوط السعودية بعنوان ( أهلاً وسهلاً ) وهذه المجلة لا أدري  
لماذا أرسلت لي ... ولكنني رأيت فيها مقالا باسمي منقولاً من أحد الكتب  
وهذا ليس المهم ، المهم أنني رأيت فيها مقالا بعنوان مدائن صالح ، هذا  
المقال كتبه سيدة انجليزية وهو مصاغ باللغة الانجليزية ، وطلبت من يترجم لي  
هذا المقال فوجدت الكاتبة تتحدث عن الحجر وتطلق عليها اسم مدائن  
صالح ، استغربت هذا ورجعت إلى كتاب كانت قد أصدرته مديرية الآثار  
بالمعارف وكنت قد طالعتة وكتبت عليه ملاحظات ، وعلمت بعد ذلك بأن  
المسؤولين أخذوا بهذه الملاحظات ولكنني لم أدرك ولم أنتبه إلى أنهم أطلقوا على  
الحجر مدائن صالح .. استغربت هذا وذهبت إلى إدارة الآثار وقلت أريد أن  
أعرف من أول من أطلق على الحجر اسم مدائن صالح ؟ ..

ما هو وجه الاستغراب في هذا؟ هو أن مدائن صالح الواردة  
في كتب الرحلات تقع غرب « العلا » بما يقارب الخمسين كيلومتراً - بينما

الحجر يقع شرق العلا بما يقرب ٣٥ كيلومتراً . والحجر هو الاسم  
الحقيقي الذي ورد في القرآن الكريم وهو الاسم المعروف .  
أما مدائن صالح فقد أصبحت الآن غير معروفة وأصبحوا يطلقون على  
آثارها اسم « الماييات » وهي كلمة يطلقها كثير من أهل الشمال على بعض  
المواقع ، ولا أريد أن أعلم لماذا يطلق عليها ذلك ، ولكن الذي لفت نظري  
أن دائرة الآثار وهذه الكاتبة وصديقاً حميماً لي ألف كتاباً أطلقوا عليها اسم  
مدائن صالح ، وقد أهدى لي صديقي هذا نسخة من كتابه ، لكنني لم أدرك  
هذا الخطأ ... فدائن صالح هي مدينة كانت تدعى قديماً في عهد  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفي عهد صدر الاسلام مدينة  
تدعى « الرحبة » ثم بعد ذلك أصبحت تعرف باسم مدينة صالح .  
وصالح هذا رجل عباسي مسلم ثم أصبحوا يعبرون عنها مدائن صالح ،  
ودرس هذه بعد الثلاثمائة ، لأن الرحالة الذين وصفوا طريق الحج يقولون  
إن فيها قبوراً كتبت على نصابها تاريخ الموق حول الثلاثمائة من الهجرة ، فمعنى  
هذا أنها كانت معروفة ومسكونة وباقية إلى بعد القرن الثالث الهجري .  
هذه ملاحظة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الناحية الأثرية في بلادنا







للأمة العربية ، كل الأمة العربية الإسلامية ، وتراثنا إذا لم نخرجه إخراجاً صحيحاً محققاً تحقيقاً تاماً كأنما أخرجنا شيئاً مشوهاً وشوهنا هذا التراث ، ويعتبر هذا جريمة .. مع الأسف أن كثيراً من المعنيين بتحقيق التراث أصبحوا الآن بدرجة من الضعف لا يستطيعون مواصلة عملهم وظهر أناس آخرون لا يفهمون شيئاً في أعمال التحقيق ...

في كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي والذي ضرب لك مثلاً به يقول الذهبي : «وفي هذه السنة انتشر النفاق» ، ثم يسرد أسماء المنافقين ويمر بالمحققين اسم لم يعرفوا قراءته فيقولون لم نستطع قراءة هذا الاسم وقد وضعنا مكانه فلان وهو ممن شهد بدرأ مع الرسول عليه الصلاة والسلام وقال الرسول في أهل بدر : ما علمت أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ... وهؤلاء المحققين يضعون واحداً من أهل بدر مع هؤلاء المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم إنهم في الدرك الأسفل من النار فهذا مثال ...

ومثال آخر يورده الذهبي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يقول لما كنا في بدر رأيت غباراً منتشراً كثيراً - فإذا هو جبريل ومعه الملائكة - المحققون يقولون رأيت غباراً كثيراً فإذا فيه جبريل ووضعوا بين قوسين عبارة (فيه) ليستقيم الكلام وهكذا . هذا مثال لأعمق مركز وهذا شيء نأسف له .

وحبذا لو أن وزارة المعارف أو وزارة التعليم العالي في بلادنا أنشأت مركزاً للتحقيق يعني أو يوجه عدداً من الدارسين ممن يهتمون بهذا الجانب إلى الطرق المثلى لتحقيق التراث ، وقد علمت بأن هناك في الجامعات ، بكل جامعة ، قسم لتحقيق التراث ، وأن هذا القسم يستعين ببعض ممن سبق لهم أن عانوا هذا العمل ، وهذا شيء حسن ولكنني أحب أن يكون هذا العمل محصوراً في جهة واحدة ، أي تكون الهيمنة والإشراف عليه هيمنة وإشرافاً تامين لا أن يكون موزعاً بين الجامعات .

### الأدب النسائي .. والنوادي الأدبية

● هل تتابع الآن شيئاً من الكتابات النسائية وخاصة لبعض تلميذاتك .. وما هو رأيكم في النوادي الأدبية في المملكة ؟

● في الواقع أن حالي ونظري لا يمكنني من أن أقرأ كل شيء ، ولكن أرى أنه يقل أن توجد صحيفة لا يوجد فيها صفحة خاصة للمرأة وكنت قد تحدثت في الإذاعة منذ شهر وطلبت بأن توجد صحافة متخصصة وأن يكون للمرأة نصيب من هذه الصحافة ، لكنني لم أر لما قلت

يجب أن يهتم بها اهتماماً زائداً ، وأن الجهتين الموجودتين الآن في بلادنا والسابق الإشارة إليهما مع ما يقوم به من جهد كبير ومع ما يجمع من الآثار النافعة والمفيدة والقيمة إلا أنها لا تزال في حاجة إلى تنسيق وترتيب ، كما أن هناك كثيراً من الأماكن لا تزال في حاجة إلى تنقيب وبحث ، وعندنا في المملكة مدن قديمة جداً قبل العهد النبوي ولكننا لا نعرف شيئاً عن تاريخها ... عندنا كثير من المدن حتى تعليل أسمائها لم نستطع تعليله أو فهمه ، وهذه بحاجة لأن تدرس وأن ينقب في آثارها .

### ● معجم البلاد الخربية السعودية سيسد نقصاً واضحاً في المكتبة العربية

● إذا نظرنا إلى عمليات تحقيق المخطوطات نلاحظ أن هناك باحثاً من مصر يحقق كتاباً معيناً لطريقته الخاصة في الوقت الذي يقوم آخر من العراق بتحقيق نفس الكتاب على طريقته الخاصة أيضاً . ما رأيكم في هذا الموضوع وهل ترون ضرورة إيجاد نوع من التنسيق لتوفير الجهد من ناحية ، وتوفير الحق الكفؤ .

● نشرت في مجلة «العرب» في جزء جماد الأولى والأخرة ١٣٩٨ هـ ، مقالا بعنوان «تاريخ الإسلام وموقف مركز تحقيق التراث منه» . تاريخ الإسلام أعني به كتاباً للذهبي المؤرخ ، وكتاباً هذا يعتبر من أوفى المراجع في تاريخ الإسلام ، هذا الكتاب تصدى لطبعه ناشر فرد هو السيد حسام الدين المقدسي ونشر منه خمسة أجزاء ، ولكنه فاتة عندما نشر الجزء الأول أن هناك نسخة أوفى مما نشر تحتوي على مغازي الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه ليست في النسخة التي أطلع عليها ، والفرد كما هو معروف إمكانياته محدودة ... وقد قامت جهة أخرى هي ما يدعى بمركز إحياء التراث في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، قامت هذه الجهة بنشر الكتاب وتولى تحقيقه عالم جليل انتقل إلى رحمة الله وساعده عدد من الفتية والفتيات في تحقيق الكتاب والذي صدر في طبعة أنيقة ، ولكنني للأسف الشديد عندما رأيته قلت لو أن لي من الأمر شيئاً لأمرت بإعدام هذا الكتاب .. الذين تولوا تحقيقه دارسون في مركز معد لدراسة التحقيق ، ولكن الدراسة وحدها لا توجد لنا إنساناً يفهم ما درس فهماً دقيقاً ، ولو فهم لا يستطيع أن يطبق القواعد التطبيق الصحيح .

الذين تولوا التحقيق يجهلون قراءة المخطوطات فإذا لم يحسنوا قراءة الكلمة حرفوها ووضعوا مكانها كلمة أخرى ، وليتهم يقفون عند هذا الحد بل إنهم يضعون أشياء زائدة في النص ويقولون إن هذا الكلام غير مستقيم فزدنا كذا وكذا . فانا كتبت في هذا المقال وقلت إن هذا التراث ليس ملك لقطر من الأقطار بل هو ملك





المملكة وقراها وآثارها، ومناهل البادية فيها.. وقد شرعت في تأليف كتاب اسمه **معجم البلاد العربية السعودية**، وكنت قد عرضت الفكرة على بعض الإخوان ليساعدوني، وفعلاً تقدم بعضهم ووعد بالمساعدة، وتمكنت الآن من أن أنجز بعضه. وقد اتفقت مع بعض الإخوان على أن أقوم بالكتابة عن جميع المدن والقرى والمناهل الواقعة في شمالي المملكة من القصيم شمالاً إلى الأردن وسورية والعراق إلى نهاية الحدود أي إمارة حائل والجوف وعرعر وتبوك والقريات. وعملت معجماً شاملاً لكل ما في هذه المنطقة من قرى ومدن وأمكنة أثرية وفعلاً طبع الكتاب وأصدرته واتفقت مع إخوان آخرين، هناك الشيخ محمد العبودي وضع كتاباً عن القصيم والشيخ عبد الله بن خميس وضع كتاباً عن مسمى البهامة أو إمارة الرياض في الوقت الحالي، وهناك ابن جنيد وضع كتاباً عن عالية نجد وهناك الدكتور عبد الله الوهيبي وضع كتاباً عن شمال الحجاز ولكن لا أعرف إن كان قد انتهى منه أم لا.

وأنا الآن بصدد استكمال حلقات هذا المعجم والانهاء من التأليف عن جميع مدن المملكة في مختلف أقطارها. ويقول الدكتور الوهيبي في تأليف القسم المتعلق بشمال الحجاز إن هناك إخواناً سيقومون باستكمال التأليف عن الجهات الأخرى، وبعد أن يم التأليف ستدمج كل المؤلفات في كتاب واحد مرتب على الحروف وينسب لكل مؤلف المادة التي كتبها، وقد قمت أيضاً بوضع مقدمة لهذا المعجم أو خلاصة لهذا المعجم تحتوي على جميع أسماء المدن والقرى وأشهر مناهل البادية تضم ما يقرب من ١٤ ألف اسم وتقع هذه المقدمة في جزئين وقد تم طبعها.

وقد شرعت الآن في تأليف القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية وأكملت التأليف ولم يبق إلا أن أזור بعض الجهات لكي أضيف ما أشاهده إلى ما كتبت وأعلم. هذا من حيث الكتابة عن المدن والقرى في هذا المعجم المبسط ولا يقتصر على ذكر الأماكن المعروفة بل يتعرض لتحديد الأماكن الأثرية والقديمة الموجودة في التاريخ فيحاول تحديدها ما أمكن ووجد إلى ذلك سبيلاً، وكما تعرفون بلادنا فيها أمكنة شرفت بغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام، وأمكنة أخرى حصلت فيها حوادث تاريخية فهذه يجب أن نعرفها حتى يكون لدينا فكرة واضحة عنها، كما أننا عندما نقرأ أدبنا العربي القديم ينبغي لنا إذا أردنا أن نفهمه فهماً شاملاً أن نعرف البيئة التي نشأ فيها وأن نعرف المواضيع الواردة في تلك الأشعار وهذا لا يتم إلا إذا وجدت بين أيدينا معاجم توضح لنا بالتحديد الواضح تلك الأماكن.. هذا من ناحية المعجم الجغرافي وهو ليس جهدي وحدي بل هناك أخوة ساعدوني فيه ومنهم من أكمل عمله.

صدي، وكنت قد دعوت أيضاً لإنشاء رابطة للأدباء، وسمو رئيس رعاية الشباب له أفضال على الأدباء بإنشاء النوادي، ولكن هذه النوادي لم تعد تمثل أدباً واقعياً وهي تحترق أشياء لها عشرات السنين وتنشر على أساس أنها جديدة، هذه ناحية.. وناحية أخرى أنك لا تجد بين ناد وآخر صلة.. الأمر الثالث أن كل إنسان عين في ذلك الوقت بقي كما هو ولم يتغير ولم يتحرك.. فأننا جذبت إنشاء رابطة للأدباء يكون من بعض أعمالها الإشراف على كل النوادي، ومن أعمالها أيضاً أن تشرف على المطبوعات بالنوادي وعلى اختيار الأعضاء وانتخاب الرؤساء، وأن تمثل أدباء المملكة عندما يكون هناك مجال للتمثيل.

وقد حضرت مؤتمرات للأدباء وكنت أمثل أدباء بلادنا فيها، وهما مؤتمر الأدباء العرب العاشر في الجزائر والمؤتمر الحادي عشر في طرابلس بليبيا، ورأيت كل الأدباء الذين يحضرون ينتمون إلى رابطات أدبية ورأيت أن انتمائهم إلى هذه الرابطة يجعل لهم قيمة ومكانة بخلاف الأديب الذي يذهب لكي يمثل أدباء بلاده وهم لا يعرفون عنه شيئاً ولم يختاروه.. فوجود الرابطة يوفر على الجهات المسؤولة العليا التي لها من أعمالها العظيمة ولها من اشغالها ما يشغلها عن هذه المسائل - فأننا اعتقد - مادامت الدولة الكريمة أولت الرياضيين من الترتيب والتنظيم والإشراف على شؤونهم الشيء الكثير، فالأدباء جديرون بمثل هذا أيضاً.. وينبغي أن يكون للأدباء رابطة تمثلهم وينتخب من بينهم مجلس ورئيس، وتكون هذه الرابطة مرتبطة برعاية الشباب وتعينها في الإشراف في نفس الوقت على سير العمل بالنوادي الأدبية.

## الرحلات.. والمدن

● عبر مسيرتكم الطويلة في المدن والقرى ألم يعلق بذهنكم شيء ما وأنتم تزورون قرية أو مدينة؟؟

● عندما أنجى إلى مدينة ما قبل أن أصلها يكون فكري مركزاً في ناحية خاصة، فأننا مثلاً زرت مدينة لندن مراراً ولكن عندما أصل ساعة ما أصل أتوجه إلى المتحف البريطاني والمكتبة الملحقة به والتي تحوي كثيراً من الكتب العربية، فأننا عندما أصل أي مدينة يكون فكري متجهاً نحو مكتبتي العامة قبل كل شيء. لذلك نجد فكري يتمركز في المكتبة ولا ينصرف لشيء آخر وإن كنت أشاهد كما يشاهد الآخرون مباحج المدينة ومنشآتها في أوقات الفراغ.

● ما هي المدينة السعودية التي تحاول أن تضع عنها كتاباً وعن تاريخها ودورها؟

● كل بلدة وكل مدينة. فأننا حالياً، كما تعرف، أضع معجماً لكل مدن



# سلاح المدرعات



بالجيش العربي السعودي

يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر

فاذا كنت من:

- ١- حملة الشهادة الخامسة ابتدائي تدرس ١٢ اسبوعاً وتتخرج برتبة جندي أول براتب إجمالي قدره ٢٤٣٠ ريالاً.
- ٢- حملة الشهادة السادسة ابتدائي تدرس ١٢ اسبوعاً وتتخرج برتبة عريف براتب إجمالي قدره ٢٩٣٠ ريالاً.
- ٣- حملة الكفاءة المتوسطة تتخرج برتبة وكيل رقيب براتب إجمالي قدره ٣٤٨٠ ريالاً.
- وحملة الشهادة الابتدائية تتخرج برتبة عريف براتب إجمالي قدره ٣٠٥٠ ريالاً.
- ومدة الدراسة ٢٠ اسبوعاً.



بالإضافة الى المميزات  
الأخرى أثناء الدراسة  
وهي :-

- ١- مرتب ٦٠٠ ريال لمن يحمل أقل من الابتدائية.
- ٢- مرتب ٦٧٥ ريال لمن يحمل الابتدائية أو ما يعادلها.
- ٣- مرتب ٧٥٠ ريال لمن يحمل المتوسطة أو ما يعادلها.
- ٤- تأمين الاعاشة.
- ٥- تأمين العلاج له ولعائلته الذين يعولهم شرعاً داخل المملكة . كما يعالج الطالب خارجها على نفقة الحكومة اذا تغذر علاجهم في المملكة .
- ٦- يمنح الطالب اجازة سنوية وذلك حسب برنامج المرفق التعليمي التابع له الطالب .
- ٧- يتم اركاب الطالب عند منحه الاجازة السنوية وفي الاعياد الرسمية وذلك من مقر دراسته الى أقرب مكان تصله الطائرة بالنسبة لبلدته ويكون ذلك على طائرات القوات الجوية أو تؤمن له تذكرة اركاب.
- ٨- بعد التخرج والعيين يمنح راتب شهريين بدل تعيين وسوف يعمل على المهنة التي تناسب كفاءته .

فبادر بمراجعة قيادة المنطقة التي تسكن فيها ... أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى





# الفيصل والتنمية الاجتماعية

بقلم : حسن محمد حسن

★ سوف يعكف المؤرخون والباحثون لدراسة شخصية «الفيصل» ومرحلته الخصبة بالمنجزات الكبيرة داخل بلاده ، وتأثيره العميق في حياة البلدان العربية والاسلامية ، والسياسة الدولية ، دراسة تتناسب والدور التاريخي الذي كانت تمثله شخصيته .. لقد كان رحمه الله كما وصفه أحد الزعماء العرب «حكمة التاريخ» .

ونحن الذين أسعدنا الفيصل لتكون على مقربة منه بحكم علاقتنا بشؤون التنمية في المملكة العربية السعودية علينا واجب قومي ، ومسؤولية إنسانية نحو التاريخ في التعريف بالجوانب التي قد لا تتاح لكل فرد التعرف عليها .

كان فيصل بن عبد العزيز رجل تاريخ من طراز لا يتكرر .. وهب حكمته ، ونفسه لدينه ووطنه ، وأمتة العربية والاسلامية .

كان قليل الكلام ، كثير الأعمال ، ومن طباعه وخصاله أنه لا يحب أن يتحدث عن المشاريع والأعمال التي يسهر على تنفيذها لتحقيق الرخاء والأمن لبلاده ، والسلام للعالم والإنسانية .

من هذه المنطلقات النبيلة كان حرصه شديداً على لقاء خبراء الأمم المتحدة عقب تفقددهم لمشروعات التنمية التي تنفذها المملكة بالتعاون مع الأمم المتحدة .. ووكالاتها المتخصصة رغم مشاغله الكثيرة والكبيرة ، والمسؤوليات الجسيمة التي ينهض بها ضارباً أروع الأمثلة في التضحية والعمل الدؤوب المتواصل ★

● الجنسية : أميركية .

● العمر : خمسون عاماً .

● الوظيفة : مساعدة السكرتير العام

للشؤون الاجتماعية في مقر الأمم المتحدة بنيويورك ، والمسؤولة عن المشروعات الميدانية في كل بلاد العالم بالتعاون مع الأمم المتحدة .

شغلت مناصب رئيسية في الحكومة الأميركية ، في ديوان الموظفين إلى أن وصلت إلى منصب رئيسة الخدمة المدنية في الولايات المتحدة الأميركية .

وحين قدمت هذه المعلومات كنت أعرف أن الفيصل يحرص على معرفة شخصيات وتجارب الذين يرغبون في مقابلته قبل بداية اجتماعاته بهم لتحديد طبيعة النقاش .

وكانت المس جوليا هندرسون هذه رئيسة الدائرة الاجتماعية لمشروعات التنمية والخدمات الاجتماعية التي تنفذها الأمم المتحدة في بلدان العالم بما فيها

وكان يسعد كثيراً بأن يكون على علم بسير مشروعات التنمية ، والعقبات التي تعترض طريق تنفيذها ، لأنه كان مصراً بصدق وإخلاص على بناء بلاده اقتصادياً ، واجتماعياً بناء يتلاءم والقيم النبيلة ، والحاصل الكريمة التي يحرص على الإبقاء عليها لأنها ثروة الإنسان الحقيقية .. فالعمران المادي في مواجهة الدمار الروحي والأخلاقي هو عمران مؤقت لا يدوم .. وكان يرى أنه لا بد من تحقيق المعادلة الصعبة في الحفاظ على البناء الروحي والأخلاقي مع صناعة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية .. وقد استطاع بحكمته أن يقيم الدولة الحديثة على الأسس والقيم التي تدعو إليها شريعتنا السمحة .

وفي هذا المقال نورد واحداً من الحوارات التي كانت تدار في مجلس الفيصل عند لقائه بخبير متدب من الأمم المتحدة .

حين قابلت جلالتة سلمته مذكرة تتضمن البيانات الرئيسية التالية :

● الزائرة : المس جوليا هندرسون .



## المملكة العربية السعودية .

بعد أن قرأ الفصيل تلك المعلومات بهدوء وإمعان قال :  
« التنمية الاجتماعية ؟ » هذا موضوع هام وحساس .. لقد كثرت الحديث هذه الأيام عن التنمية .. لكن الآراء لم تتفق .  
التنمية بناء للإنسان وتقدمه .. ونمو للوطن .. وبناء للأمة في ظل هذه الظروف المتغيرة المضطربة .  
والإنسان هو غاية التنمية ووسيلتها . ومنه تتكون الأسرة والجماعة والأمة .. فصلاح الجماعة من صلاح الفرد ..  
وأمن الفرد وعزته وقوته وراثته هي غايتنا ، لأنها عزة المجتمع وقوة الدولة وكرامة الأمة .

الوسيلة لهذه الأهداف تبدأ بالتوعية ليعرف الفرد قيمته وليقوم بواجبه نحو نفسه وأسرته وبلده ودينه . وهذه مهمة شاقة وطويلة يجب أن تقوم بها جميع الأطراف ( الأسرة والمدرسة والدولة ) .

لماذا هذا الاندفاع نحو الماديات والحضارة الغربية المستوردة . هل نحن بلا حضارة وبلا تاريخ وبلا تراث ؟

البلاد العربية شتات ، والأمة الإسلامية لا تعرف قوتها ولا تحس بوجودها . وهذا هو الضياع .

نحن نواجه حرباً مستمرة مستمرة لآبادة الأخلاق والدين والثقافة الإسلامية .

وهذا الصراع المرير أعمانا عن النظر إلى الغد لنبنى مستقبلاً زاهراً ، نحن نعيش اليوم في حاضر مملوء بالشك والخوف والتردد .

هل التقدم والحضارة هما التقليد الأعمى للحياة الأوروبية التي تعاني منها بلدان أوروبا وأمريكا ومن يقلدها ؟

لكي نفهم السلوك الحضاري الصحيح علينا بالدين والعلم والأخلاق حتى نأخذ الصالح ونقاوم الانحراف وأمراض الحضارة .  
مشاكل التخلف التقليدية هي الفقر والجهل والمرض .  
ولكن أخطر الأمراض الاجتماعية أن يفقد المرء ذاته وإنسانيته وهذه أشد فتكاً من التفرقة العنصرية وفوارق الجنس واللون وهي نتيجة لضعف الشعور الديني والقيم الروحية .

إن الدين أعظم وأسمى شيء في الحياة ، بدونها لا معنى للحياة ، لأن الإنسان يصبح حيواناً شرساً . والدين هو العقيدة والسلوك .

نحن نود أن نضع كل جهدنا ليحس المواطن بالانتماء للوطنية الصادقة ، ونجنبه المزالق الحضارية والضياع . ونحن نعيش اليوم في مفترق الطرق . هذا منعطف تاريخي خطير ويجب أن نقف لنفكر ونجمع الشمل ونرسم الخطة كاملة شاملة بعد دراسة وتحليل لنصل إلى الأسلوب الحاسم المناسب ، والأهداف واضحة ونحن نعرف ما نريد . نريد التقدم والرخاء والأمن والأمان .

ونعرف مسؤولياتنا الدينية والوطنية .. ونعي حقوقنا وواجباتنا نحو وطننا وأمتنا .

إن الصراع بين المذاهب والنظريات قديماً وحديثاً قد أوجد القلق والاضطراب والتفكك .

نحن نتمسك بالجوهر ، بالدين القيم والأهداف السامية . ولذلك لن نضل أبداً » .

ثم نظر مرة أخرى إلى المذكرة وقال مرحباً بالخبراء الدوليين .

وجاءت المس جوليا هندرسون .. كان الزمان شهر مارس ( آذار ) عام ١٩٦٣ م ، قامت بزيارة معالي الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل وزير العمل والشؤون الاجتماعية ( سفير المملكة حالياً في مصر ) ، كما زارت كبار المسؤولين في الوزارة وتفقدت مركز الدرعية للتنمية والخدمات الاجتماعية ، ودور الحضارة والرعاية ومعهد النور والمعوقين في الرياض . وعقدت الاجتماعات مع المشرفين الاجتماعيين والإداريين في هذه المراكز ومع خبراء الأمم المتحدة العاملين في حقول التنمية .

المعروف أن الفصيل يحرص على دقة المواعيد . وفي الميعاد المحدد تماماً دخلنا مكتب رئيس الوزراء ، فقام الفصيل مرحباً ، وجلسنا لحظة في صمت وقور .

نظرت المس هندرسون بعين فاحصة إلى المكتب والأثاث فهو مكتب عادي بلا ترف أو أبهة .. مكتب عادي عليه ملفات رتب بنظام دقيق للصادر والوارد .

● بدأ الفصيل حديثه قائلاً :

● « عسى أن الرحلة كانت مريحة .. إننا سعداء بهذه الزيارة وقد جاءت في وقتها »

★ أجابت المس هندرسون بالشكر على ما لقيته من حفاوة منذ وصولها للمملكة كما أبدت إعجابها بالنظام الدقيق الذي مكنتها من زيارات ميدانية للمشروعات المفيدة التي تقوم بتنفيذها حكومة المملكة بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة وكالاتها المتخصصة وإنما لاحظت أن المملكة جادة في القيام بدورها كاملاً وتولي اهتماماً كبيراً بهذه المشروعات .

● رد الفصيل بقوله : « هذا واجبنا والحمد لله الذي وفقنا .. لأن روح المشاركة الفعالة أساس لنجاح المشروعات ونود أن نعرف كذلك المعوقات التي تعترض التنفيذ المطلوب » .

★ أجابت المس هندرسون : إن الحكومة السعودية مشكورة لقيامها بكل واجباتها في مواعيدها المقررة وهي لا ترضى ولا تتأخر بالإمكانات المادية المطلوبة ولكن المشكلة هي إيجاد الكوادر الفنية والإدارية المناسبة التي تقع عليها إدارة المشروعات بعد رحيل الخبراء . وهذه مشكلة عامة في كل البلاد النامية ولا يمكن حلها بين عشية وضحاها ، ولكن يجب القيام برسم خطة للتدريب لمواجهة الموقف .

● قال الفصيل : « نحن ندرك أبعاد هذه المشكلة تماماً ونسعى لحلها على مراحل من جهود شاملة لتدريب القوى العاملة التي نحتاج إليها في المستقبل ، ولكن التعليم والتدريب يحتاجان إلى وقت وجهد . وعلينا أن نهتم بالمستوى والجودة والنوع والكفاءة اهتماماً بالأعداد اللازمة . وقد عممنا مراحل التعليم والتدريب في جميع أنحاء المملكة لإعطاء فرص عادلة لكل المواطنين ليشتركوا في تقدم بلادهم وتحقيق ما نصبو إليه من رخاء وازدهار شاملين .

وأود أن أقول وأكرر القول إن المواطن

العربي يتجاوب بذكاء واجتهاد ويقبل على

التعليم والتدريب بحماس واهتمام . وليس صحيحاً

أنه كسول بطبعه ولا يحب العمل البدني .

فالعامل السعودي والمزارع السعودي والمواطن السعودي

عموماً حريص على الفهم والتدريب لاكتساب الخبرة



والعرفة ليصل لأرقى المستويات وهو ذكي بفطرته .  
والعمل جزء لا يتجزأ من ديننا الحنيف وكل آية  
في القرآن الكريم جاءت بالايمان ، تبعتها العمل  
الصالح والحض على العمل . ولقد كرم الله بني  
آدم بالعمل واعمار الأرض ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا  
من رزقه ﴾ ، ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون ﴾ .

ومن واجبات الدولة أن تهيبء المناخ الصالح  
لنمو العمل واتساعه وسلامته لتقوية الاقتصاد  
الوطني .

ولتحقيق ذلك يجب أن نكون أمناء مع أنفسنا ، نفهم أسس المشكلة  
ونفهم الحلول المفيدة الجذرية لا أنصاف الحلول التي تترك المشكلة من غير  
حسم .

★ المس هندرسون : لا شك أن المملكة جادة في العمل ومخطوطة  
بالقيادة الرشيدة والقائد الحكيم الذي أمن لها الاستقرار والرخاء . فالمملكة  
تميش في سلام عظيم بينا معظم بلاد العالم تشقى بالاضطرابات والبلبله  
والفوران الاجتماعي والأزمات الاقتصادية والصراع والقلق في جميع الميادين ،  
والمشاكل السياسية تحتاج العالم وتفقد الثقة وتولد الخوف والصراع والمطامع .  
كل هذا جعل التعاون الدولي المثمر شاقاً وصعباً وتحمل حملات التحرر من  
الجوع والخوف والحرب إلى جهود متتارة فأصبح السلام والرخاء أملاً بعيد  
المثال .

ولكن بالرغم من كل ذلك يجب أن لا نتوقف ولا نياس .

#### ● الفصيل :

« في هذه الأوقات تتضاعف مسؤولياتكم الدولية وتصير جهود الأمم  
المتحدة ضرورة ملحة وواجب دولي كبير . ولكن كل هذه المظاهر  
أعراض لمرض المدنية الحديثة التي بنت مجدها على الماديات  
وأهملت القيم الروحية والأخلاقية . والنتيجة الحتمية لذلك ما ذكرت  
من طمع وأنانية وقلق وما يجره ذلك من صراع وحروب تجر الويل على الأفراد  
والدول والشعوب » .

#### ★ هندرسون :

نعم ، نعم .. هذا هو القول الحق ، لست زعماء العالم يسمعون  
ويتفهمون معاني هذه العبارات ومدلولها ، فلو عرف كل واحد منا  
الواجبات والمسؤوليات لعاش الجميع في سعادة ولتغير وجه الأرض ، فنكون  
بذلك قد عرفنا دروس الماضي واعتبرنا بالتاريخ وعبر التاريخ القديم  
والحديث .

#### ● الفصيل :

« نحن في المملكة نبي سياستنا على الشريعة الاسلامية ، وقد بنى المغفور  
له الملك عبد العزيز سياسته على الدين الحنيف وهو يحدد المبادئ والأهداف  
لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة . وكانت جهود المغفور له الملك عبد العزيز  
ترمي لتوحيد البلاد وجمع الشتات لينعم الجميع بالأمن والاستقرار . وجاء كل  
ذلك على أسس العقيدة الاسلامية وشريعته » .

والدين هو نظافة الايمان والقلب والضمير ، ونظافة السلوك ونظافة المعاملة  
والعمل المثمر .

ومن هنا يجيبء الرخاء بزيادة الإنتاج ودفع عجلة التطور والتقدم بالعلم  
والوسائل الحديثة لبناء نهضة شاملة على مستوى رفيع من الفهم للحياة وما  
يعود على الجميع بالنفع فتكون النهضة اقتصادية واجتماعية وأخلاقية .

★ هندرسون : حرصت على هذا اللقاء لأنني أعلم أنني سأقابل  
شخصية علمية فذة أتاحت لها الظروف من التجارب ما قل أن جادت به الأيام  
على زعم آخر ، وعليه كنت أعلم أن النقاش يبحث جوهر المشاكل وجذورها ،  
وأنها لن تكون زيارة شكلية للمجاملة والتعنيات الطيبة .

وما أثلج صدري أن أجد وضوحاً شاملاً للرؤية فقد حددتم العوامل  
النفسية والاجتماعية التي تصاحب التنمية في هذه المرحلة حتى يجد كل مواطن  
حافزاً مادياً ومعنوياً للعمل على البناء وزيادة الإنتاج والمشاركة فنصبح حياته  
قيمة خالية من التوتر والقلق . ولن تضيق أمة حددت قاداتها أهدافهم  
بوضوح وسعوا لتحقيق ذلك بحزم وجد ونظروا للأمور بموضوعية  
وتابعوا الأحداث بتفكير وإمعان وكفلوا الاستقرار والأمان في  
جميع أنحاء البلاد .

وهذا هو التوازن المطلوب في التنمية والتقدم ، وأود أن أشيد بوجه  
خاص بجهودكم الصادقة نحو تقدم المرأة السعودية واشراكها في  
النهضة الشاملة للمملكة ، وقد زرت الجمعيات الخيرية والرعاية  
الصحية ، وعلمت بجهودكم لنشر تعليم الفتاة وبمشروعات الثقافية والرعاية  
للمرأة .

#### ● الفصيل :

« هذا موضوع هام ، ونحن نولي أهمية خاصة ، لأن وضع المرأة في  
المجتمع أساس للأسرة ، وهي ترعى حاضرها وتبني أجيال  
المستقبل ، ويجب المحافظة عليها وعلى تراثها وتقاليدها الحميدة .

نحن نعالج مسائل التنمية من غير إعلان أو  
ضجيج ، لأننا لا نطلب الدعاية . ونسير على  
هدي الدين الحنيف نتبع ارشاده . فقد كرم  
المرأة ودفع شأنها وأوجب تعليمها وتربيتها على  
الخلق الكريم والخصال الشريفة ، فهي عصب  
البيت وهي تقوم بإعداد المواطن الصالح ليوافق  
الحياة ومتاعبها ومشاكلها وتحديات الأيام برأي  
سلم وقلب ثابت .

نحن لا نوافق على الاختلاط السافر والفوضى  
بأن تترك المرأة واجباتها الأولى في منزلها وتهمل  
أطفالها وتجري وراء العمل خارج بيتها من غير  
ضرورة أو انضباط . فهل هذا تقدم أم تأخر؟  
والمرأة عندنا في البداية عصب الحياة وتقوم بكل  
واجباتها بفطرتها السليمة ووعيتها لمسؤولياتها  
وهي تعمل وتكد ، لكنها لا تتخلى عن دينها  
وواجباتها الأساسية .

نرفض من يقول إن المرأة في منزلها حبيسة ومغلوب على أمرها ، لأن  
العكس هو الصحيح . إن مملكة المرأة هي منزلها وأسرته وإذا تخلت  
عن ذلك تكون أخلت بنظام المجتمع وجرت وراء سراب الحياة  
المادية لتجد متاعب المصنع ، وخطر المعمل ، وقسوة الحياة خارج



نتوقع أن يكون تقريركم شافياً مفصلاً للملاحظاتكم واقتراحاتكم لنكسب الوقت .

#### ★ هندرسون :

قت بمناقشات تفصيلية لكل مشروع بعد انتهاء زيارتي وتحدثت مع المسؤولين عنه وسأقوم بوضع تقرير مكتوب لمعالي الوزير ولخبراء الأمم المتحدة وسألتق التقارير الدورية لمتابعة سير العمل . وسيم كل ذلك بتنسيق منظم مع الوزارة ومكتب الممثل المقيم للأمم المتحدة هنا .

#### ● الفصيل :

« نحن نسعى لتحقيق سعادة المواطنين والصالح العام . ونود للدولة أن تكون خادمة للمواطنين وأن لا تسمح لجهازها أن يتحكم في رقاب ومصير العباد .

ولن نسمح أن يكون جهاز الدولة هدفاً في حد ذاته وغاية تنتهي إليها أمور الرعية ، وستكون الدولة ضائعة إذا سمحت بذلك وجعلت إمكانياتها للوزراء والرؤساء يتصرفون ببذخ دون رقيب ، لأن ذلك يجر إلى الفساد والمحسوبية والظلم . فتضيع الثقة وينعدم التعاون المثمر بين المواطنين وأجهزة الدولة .

ويجب أن يكون التعاون مبنياً على تحديد دقيق للواجبات والمسؤوليات ، وعلى أسس التقوى والشرعية .

هذا هو الذي يضمن السلام الاجتماعي والاستقرار الاجتماعي والوحدة الوطنية والتقدم .

#### ★ هندرسون :

أكرر شكري وامتناني وإني لسعيدة بهذا اللقاء وشرف عظيم لي واعتبرها زيارة مفيدة للغاية ولقاء تاريخي بالنسبة لي .

وقف الفصيل ليودع الزائرة وقد طغى عليها الشعور بالسعادة لهذا الحوار .

وحين خرجنا قالت : « هذا رجل عظيم وقائد محنك لمسيرة الخير والبناء والرخاء ، عركته التجارب وعركها .

لقد قابلت عدداً كبيراً من زعماء العالم فما لمست مثل ما لمست من صادق القول ، ووضوح الرؤية ، وعمق التفكير وهيبة الزعامة ومعرفة ببواطن الأمور .

فهذا الفصيل رجل فذ وسيكون للمملكة بقيادته شأن عظيم وأي شأن .. والمستقبل سيحقق له الكثير .

في نهاية هذا الحوار الكبير في مضامينه .. وأهدافه النبيلة ، أعترف أن مثل هذه الاجتماعات بالفصيل كانت لنا نحن العاملين في الأمم المتحدة مرشداً وهداية لمعرفة الفصيل وسياسته وهو يقود مسيرة الإصلاح والخير والمعرفة بحكمة ودراية ببواطن الأمور ، لأنها ثمرة خير من ثمار التجارب العملية ، والمسؤوليات الجسيمة التي تحملها الفصيل منذ صباه ، والتي جعلت منه شخصية قيادية وسلوك قويم ، وذاكرة قوية ، ونظام دقيق .. رحم الله الفصيل .

المنزل مما لا يتفق وطبيعة المرأة ونفسيته .

نحن نؤيد تعليم المرأة كل أنواع العلم المفيد حسب الشريعة الإسلامية لتقوم بما يناسبها من رعاية الأسرة وتربية الأطفال وترعى أوجه البر والجمعيات الخيرية وتساعد المحتاجين والمعوقين ، وتشجع على نشر الثقافة والتوعية وبناء الوطن . وكل ذلك يجب من غير أن تتخلى المرأة بما يأمرها به دينها وتقاليدها وتراثها من أخلاق كريمة تصون نفسها وتحفظ حرمتها وجوهرها وقيمتها ولا تجري وراء الزائف من المدنية الحديثة .

فواجب المرأة الأول بناء الأسرة . والأمومة أكبر سعادة ومفخرة للمرأة ، وواجب الدولة أن تتيح لها الفرصة كاملة للتعليم والثقافة والتوعية والمشاركة في بناء مستقبل الوطن ، ويجب أن توفر لها كذلك الرعاية والحماية والاحترام والثقافة وتزيل المعوقات الجغرافية التي تساعد على العزلة والانزواء ، وسرعة المواصلات والحركة اليوم أتاح فرصاً كبيرة للسفر والمعرفة .

وأريد أن أكرر أن البيت السعيد هو المكان الطبيعي للمرأة وأن حياتها الكريمة في اتباع دينها وبناء أسرتها ووطنها .

★ هندرسون : هذه إجابة صريحة وحكيمة لدور المرأة في المجتمع السليم وحياة المرأة خارج المنزل ليست بلا ثمن فادح ، ففي كثير من الأحيان كان الثمن حياة المصانع القاسية وحياة المكتب الرتيبة ، وكثير من الأعمال لا تتفق وطبيعة المرأة سلبتها الاستقرار المنزلي والنفسي فافسدت على العائلة بهجتها وترباطها وسلبت المرأة أنوثتها وسعادتها وحرمتها من أطفالها ورعايتهم ، وبذلك سلبت المجتمع تماسكه ومعانيه . ونظرة سريعة لمشاكل المرأة العاملة خارج منزلها توضح لنا الأسباب الحقيقية لما يعانيه المجتمع من مشاكل واضطراب وقلق . وما فائدة الحياة من غير معانٍ واستقرار وسعادة . وهذا تنازع الاختصاصات .

#### ● الفصيل :

« نحن نؤمن أن تقوم كل مؤسسة بدورها الفعّال حسب اختصاصاتها . كل فرد في مجال عمله وكل مسؤول في مكان مسؤوليته .

ونحن نعمل لبناء كل وزارة لتقوم بواجباتها الفنية والإدارية وليقوم كل عضو بمهمته يتعاون مع المواطن الصالح ونعطي الفرصة للتعليم والتدريب . ومصيبة الجهاز الإداري أنه يريد أن يتحكم ويتسلط في أمور المواطنين بدلا من خدمتهم .

فنحن في مرحلة النمو نحتاج لخبرة الآخرين حتى لا نكرر الأخطاء ، وقد أصبح العالم اليوم مدينة كبيرة بفضل النقل السريع ووسائل المواصلات الحديثة التي تنقل البشر والانتاج والأفكار والتفاعل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ولا مجال للعزلة أو الانزواء .

هذا عالم اليوم الذي نشاهد فيه الانصهار الاجتماعي وتبلور الحياة الحاضرة والمستقبلية من نتائج هذا الاختلاط العالمي الرهيب .

#### ★ هندرسون :

العالم الحديث يعيش تجربة إنسانية طريفة وفريدة ، فالأقار الصناعية والعلوم الكيماوية وتطبيق التكنولوجيا غير مفاهيم الحياة .

#### ● الفصيل :

« إننا نود أن نعرف الكثير عن تجارب البلاد الأخرى لنستفيد منها ولذلك



# إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد

بقلم: محمد عبد الله الوابل

يؤمن عدم احتكار أي فرد أو أية فئة لمعرفة كيفية التنفيذ ، ومن ثم خلقها من نفسها جزء لا يستغنى عنه ، وتتوفر في هذه الحالة المرونة اللازمة لزيادة الفاعلية أو تقليلها بل وتغيير النظام ككل .

ولشرح هذا التعريف فإنني سأروي هذه الحادثة التي وقعت بالفعل منذ مدة في إدارة شؤون الموظفين بإحدى الوزارات . فقد صادف في أحد الأيام أن غاب الموظف المختص بالاجازات في أحد مواسم كثرة الطلب على الاجازة وغاب معه في نفس الوقت رئيس الشعبة . وقد تعرض المسؤولون في الإدارة لكثير من الضغط من قبل المراجعين ورؤساء الإدارات دعاهم للبحث عن موظف من بين موظفي الإدارة يعرف كيف يتم اجراءات الاجازة ولكنهم لم يفلحوا . وقد تعرضوا في ذلك اليوم لإخراج كبير جعلهم يفكرون في حجم المشكلة لو أن هذا الموظف ورئيسه لا يسمح الله تعرضا لحادث أو أي عائق يمنعهما عن العمل فترة أطول . وقد حفزهم ذلك على السعي لإيجاد حل أبدي لهذه المشكلة وغيرها من مشاكل إدارتهم .

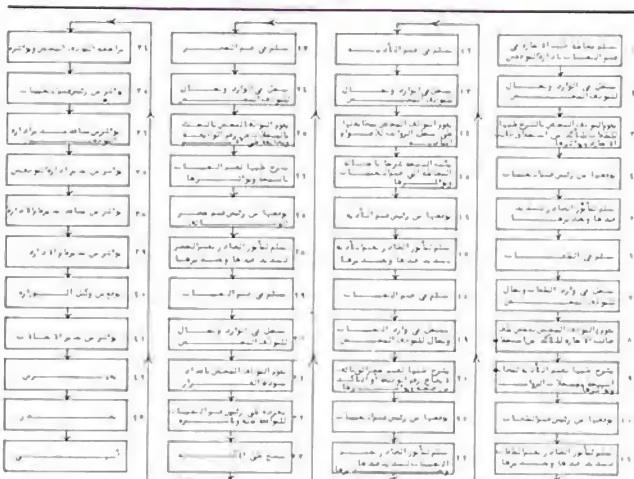
وقد بدأت العملية بتشكيل فريق عمل مصغر حددت مهمته على مراحل وفقاً للترتيب التالي :

## \* المرحلة الأولى : تعريف الوضع الحالي

طلب إلى الفريق في هذه المرحلة أن يقوم بتحليل مجرى سير المعاملات لمعرفة الوضع الحالي للروتين في الإدارة . وقد قام هذا الفريق بتتبع كل نوع من المعاملات ورسم خارطة مسيرتها . ولن يتسع المجال هنا للتعرض لكل أنواع المعاملات ، وإنما سنكتفي بمعاملة الاجازة كمثال على ذلك .

ويوضح الشكل رقم (١-٣) الخارطة التي استطاع الفريق رسمها لسير معاملة الاجازة .

### شكل ١-٣ : خارطة سير معاملة الاجازة قبل المنهجية



الإدارات نوعان : نوع تكون فيه الوظيفة التي تقوم بها الإدارة مستقرة ومستمرة بانتظام تستمد من أنظمتها وإجراءاتها ، بحيث لا تهتز ولا ترتبك أعمالها ولا تتأخر أو تتعطل ويكثر فيها السهو والغلط كلما حدث اهتزاز في جهازها الوظيفي نتيجة لتغيب موظف واحد أو عدد قليل من الموظفين أو استقالتهم أو مرضهم أو تأخرهم . وهذا النوع من الإدارات يسير العمل فيه بصورة منتظمة ومتساوية طوال ساعات الدوام وليس منقطعاً بحسب حضور المدير أو غيابه لبوقع كل شيء . ويعطي تعليقاته عن كل أمر .

والنوع الثاني من الإدارات يكون فيه المدير هو الإدارة فإذا غاب غابت معه وإذا حضر حضرت معه ، ويكون فيها كل موظف ووظيفته متلازمان ، فإذا حضر حضرت الوظيفة ، وإذا غاب غابت وغاب معها العمل الذي يؤديه .

والنوع الأول يتكيف الموظفون فيها مع إجراءات الوظيفة وتقاليدها الإدارية ، أما النوع الثاني فإن الوظيفة تتكيف مع الموظف . والسبب هو أن الأولى لها منهج ، أما الثانية فليس لها منهج ، ومعروف أن الشيء الذي له منهج يكتب منهجه من شخصية مسيره ، فإذا كان مسار الإجراءات ليس محدداً فإنها تكون معقدة أو ميسرة بحسب نفسية الموظف المختص وتهتز كلما تبادلتها الأيدي .

وفي اصطلاحات الإدارة تعرف الأولى بأنها إدارة أنظمة وإجراءات ، بينما تعرف الثانية بأنها إدارة أفراد . والمحلل لهاتين الإدارتين سيلاحظ أن النوع الثاني يبرز فيه عدد قليل من الموظفين يكون ثقل العمل عليهم لأنهم استطاعوا هضم الإجراءات المعقدة وأصبحوا يشكلون مراكز نفوذ يستمدون سلطتهم فيها من احتكارهم للمعلومات ، بينما أصبح باقي الموظفين أصفاراً . أما في النوع الأول فإنه لا يوجد شخص لا يمكن الاستغناء عنه في نفس الوقت الذي يظهر لكل شخص أهميته وقيمته ولكن ضمن المجموع ووفقاً للروح الجماعية .

وفي النوع الثاني ترى المدير هو كل شيء ، وغيابه عن الساحة في أي لحظة يحدث فيها ارتباكاً واضحاً ، بينما مهمة المدير في الحالة الأولى لا يكون تأثيرها مباشراً ، وإنما يمكن في المدى الطويل ، فهو يراقب أداء كل موظف ويفكر في كيفية رفع مستواه وكيفية إيجاد بديل له أو توزيع عمله في حالة غيابه وكيفية زيادة الإنتاج وتطوير أساليب الأداء والتنبؤ بحجم العمل في المستقبل والتخطيط لمواجهةته والتنسيق مع المسؤولين لديه . أما في المدى القصير وفيما يخص العمل اليومي المتكرر فغيابه ليس له تأثير كبير .

## \* منهجية الإجراءات وتبسيطها

إن الفرق بين الإدارة الأولى والإدارة الثانية يكمن في المنهجية . والمنهجية ، إذا جاز اشتقاق هذا الفعل من منهج ، هو تعبير ساستعمله ليدل على إخضاع الحركة أو الاجراء المتكررين لمنهج معين موحد . وفي مجال بحثنا هذا هو وضع اطرار تنفيذية للاجراءات تكون مبسطة وتتوزع فيها المسؤوليات والصلاحيات ، بحيث تكون في مجموعها وحدة متناسقة متكاملة وفي مفرداتها أجزاء واضحة معروفة مهمة كل منها وعلاقتها بغيرها ، وبمبث تسهل رؤيتها ورؤية عملها في اطارها المفرد أو في الاطار العام للمجموع . وبذلك



صدور قرار أو إنهاء معاملة ، اجابك بأن صاحبها لم يراجع ويعتبر ذلك مبرراً كافياً لتعطيلها . ووفقاً لهذا المبدأ ، فإن الوساطة أصبحت ضرورية حتى لصدور قرار الاجازة .

والامر الثاني هو خوف الموظفين من المسؤولية . إذ يلاحظ أن كل هذه الشروحات والتأثيرات والتوريد والتصدير ناتجة عن احتياط كل موظف لنفسه وحمايتها إلى درجة أن مسودة قرار الاجازة وغيرها من المسودات تحفظ في ملف الموظف مع المعاملة . ويدل تاريخ العقوبات في الإدارة إلى أنه عند حدوث غلطة فإن التحقيق لا يعترف بالقرائن والأدلة الظرفية ، وحسن النية من سومتها ، وإنما على الأدلة المكتوبة فقط . وكل عقوبة تحصل تؤكد الصبغة الرسمية لمسار الاجراءات وتعمق الروتين ، وأحياناً تضيف له خطوات جديدة .

والامر الثالث هو عدم إدراك الموظفين للمهمة التسهيلية للإدارة . فإدارات الموظفين هي إدارات تسهيلية مهمتها أداء خدمات معينة لموظفي الجهة ، لكي تستطيع إدارتهم التفرغ لأداء الخدمة المطلوبة من الجهة نفسها . ولذلك فتشؤون الموظفين ، هي الجهة التي يفترض أن تساعد الموظفين على حل مشاكلهم وإرشادهم لأحسن الطرق التي تسهل لهم حصولهم على حقوقهم وقيامهم بواجباتهم . ويتوقع من موظفي إدارة هذه مهمتها أن يتوفر فيهم حب الناس ورغبتهم في المساعدة والاستقبال الودي الناتج من شعورهم العميق بأنهم عيونا لكي يخدموا هؤلاء الناس . ولكن واقعهم يختلف تماماً . فهم يعتبرون أنفسهم في مركز مميز وأن صاحب الحق هو الذي يجب أن يخبط ودهم ويوسط لهم وكانهم يمنحونه صدقه وليس حقاً . ولا شك أن القارئ يصادف يومياً مختلف الموظفين من مختلف الخدمات الخاصة والعامة الذين أوجدوا لخدمته وهم يتمتعون بمثل هذه الصفات .

### \* المرحلة الثالثة : تشخيص الأوضاع غير الصحية ومعالجتها

لا يحتاج المرء إلى مهارة خاصة لكي يستنتج من هذه الخارطة أن :

- ١ - الملفات غير مكتملة ولذلك فإن المعاملة ترسل للتأدية للتأكد من سجلات الرواتب للأشهر والسنين الماضية عن وقائع إجازات الموظف ومطابقتها للمعلومات الموجودة بملفه . وقد كلفت التأدية بالتعاون مع قسم الملفات بإكمال سجل الاجازات لكل موظف ووضعه في ملفه وأعطيت مدة شهر لإكمال ذلك بساعات إضافية . كما كلف قسم حصر الوظائف بتسجيل رقم وظيفة كل موظف في ملفه ووضعت طريقة لاشعار قسم الملفات عن أي تغيير في ذلك .
- ٢ - قسم التعميمات بإدارة شؤون الموظفين هو المسؤول عن إعداد قرار الاجازة ، ولكنه لا يملك المعلومات الضرورية التي يجب أن يتضمنها القرار . وتكليفه بهذه المهمة يضيف خطوات غير ذات قيمة إلى معاملة الاجازة ويطيل دورتها .
- ٣ - غياب « التلمذجة » ، مع أن هذه الاجراءات متكررة وتحدث عشرات المرات في اليوم ، فإن عملية انشاء الجمل والعبارات وإعداد المسودات وعرضها للموافقة عليها هي الاجراءات السائدة . ومعروف أن النموذج بالإضافة إلى كونه يتضمن الحيثيات والجمل والعبارات المتكررة بحيث يتجنب صرف الوقت في إنشائها وكتابتها ، فإنه يقوم مقام كشف بوضوح المعلومات المطلوب أن يتضمنها الاجراء المعين في أي مرحلة ، وبذلك يحصل التوحيد ويتلاشى السهر والنسيان للذين كثيراً ما يستوجب إصدار قرارات الحاقية ويتجنب كذلك صرف الوقت في البحث عنه ، وإضافة معلومات لا تدعو الحاجة لها .
- ٤ - وجود المعلومات بوضع غير منظم (خام) . إن الطريقة القسطنطية المتبعة في البحث عما إذا كان الموظف يستحق إجازة أم لا يستحقها تتكون من عمليات بحث وعمليات حسابية مطولة وقابلة للسهر والغلط . وتبدأ باحضار ملف الموظف والبحث عن تاريخ تعيينه ، وقرارات طي قيده ، وإعادة خدمته إن وجدت . ثم استعراض جميع الأوراق الموجودة في ملفه للبحث بينها عن قرارات اجازاته السابقة ، ثم البحث عن قرارات الاعارة أو الاجازات الدراسية وغيرها التي لا يحتمسب له اجازة عنها . وبعد ذلك تتم عمليات الجمع والطرح . ولا غرو إذا تعطلت المعاملات وحاول الموظف التخلص منها . ومثل قرارات الاجازة تخضع كل الاجراءات الأخرى في كل أقسام الإدارة لهذا النوع من البحث والتصنيف في كل مرة تتكرر ، وللقارئ أن يتصور العمل المرهق الذي يتطلبه إعداد بيان الخدمة أو إعداد بيان الرواتب والحسميات الذي تطلبه مصلحة معاشات

وقد توصل إلى ذلك بمراجعة عدد من معاملات الاجازة المنتهية وقراءة الشروحات والكتابات عليها وتتبع معاملات أخرى منذ دخولها إلى الإدارة وحتى صدور القرار . وهذه الخارطة تمثل المسار المعتاد للمعاملة في الأحوال العادية ، إذ إنه في كثير من الأحيان يحصل أخذ ورد بين هذه الأقسام يزيد من عدد هذه الخطوات ويطيل في المدة بينما في حالات أخرى تختصر هذه الخطوات ، وخاصة خطوات التوريد والتصدير وتنتهي المعاملة في فترة وجيزة وفقاً لحوى الموظف المختص .

ويلاحظ أن هذه الخارطة كانت في السابق مرسومة في غيابة الموظف المختص ورئيسه المباشر فقط ولا يعرفها أحد غيرهما ، وإن مدير الإدارة نفسه لا يستطيع أن يفرض عليها إرادته لأنه يعيش في تنعم شامل لا يسمح بالحكم على حجم العمل ولا على أهمية وضرورة كل خطوة ، وخاصة إذا علمنا أن خطوات بعض أنواع أخرى من المعاملات قد وصلت إلى ٩٥ خطوة .

ومع أن هذه الخارطة تشتمل على خطوات كثيرة هي أقرب إلى اللشاعة منها إلى ما يتطلبه اجراء بسيط ومتكرر . إلا إنها في حد ذاتها تمثل وضعاً أحسن بكثير من الوضع الذي سبقها ، أي حين كانت مرسومة فقط في رأس موظف . فهي الآن تمثل تعريفاً للوضع كما هو ، ويمكن استعمالها كنقطة انطلاق ، كما أنه من الممكن الآن اتمام اجراءات الاجازة في غياب الموظف المختص ولو بصعوبة .

### \* المرحلة الثانية : تحليل ودراسة الوضع الحالي

في الوقت الذي يكون فيه قرار الاجازة قد أعد تكون المعاملة المرفقة معه والتي تشمل الوثائق المؤيدة له ، قد تضخمت واحتوت على عدد من الأوراق والشروحات الجانبية التي تكون مادة لكتيب صغير تكفي قراءته لاشغال كل مسؤول عشر دقائق على الأقل ، هذا إذا استطاع قراءة مختلف الخطوط وكان لديه الجلد الكافي لازالة الدبابيس التي تربط صفحات المعاملة مع بعضها وتجنب مختلف الزوايا .

ويلاحظ المستعرض لسير هذه المعاملة أنها تمر على ثلاثة أقسام في إدارة الموظفين ، وأنها في كل قسم تشغل أربعة موظفين هم موظف الوارد والموظف المختص ورئيس القسم ، ومن ثم موظف الصادر . ويلاحظ التعامل الرسمي بين الأقسام وكأنها إدارات في وزارات مختلفة وليست أقساماً في إدارة واحدة . كما يلاحظ التوريد والتصدير والتسليم وكأنها تتبادل وثائق لا يمكن تمويضها . ثم يلاحظ المركزية المتحكمة وكيف أن الموظف المختص يعد الشرح عليها ويؤشر تحت هذا الشرح ، ثم يوقعه من رئيسه . ويلاحظ في الخطوة (٣١) ، كيف أن الموظف المختص يعد مسودة القرار ، ثم يعرضها على رئيسه للموافقة عليها وكأنها موضوع جديد لا يتكرر عدة مرات في اليوم .

ثم يأتي بعد ذلك هذا القطار من التأثيرات (الخطوات ٣٤-٣٩) ، حيث إن هذا العمل الورقي الهائل يستغرق وقت المسؤولين ويلهمهم عن الأعمال المهمة مع أن تأثير كل منها عليه هو تحصيل ولا قيمة رقابية أو قانونية له . وإذا أنت دخلت مكتب هؤلاء الموظفين أو هؤلاء المسؤولين وجدت سيلاً من المراجعين قد تركوا أعمالهم ووقفوا على رأس الموظف كل يستعجل معاملته وملأوا الدعايلز ومكاتب المسؤولين وأشغلوهم عن العمل بهدوء ، حتى ليتخيل الإنسان نفسه في سوق الحراج وليس في مكاتب حكومية . وإذا غاب أحد هؤلاء المسؤولين أو تأخر كان بمثابة السد في مجرى هذا القطار وعطل العمل ، وأحدث عدم توازن وتخلخل في انتظامه . وإذا حضر هذا المسؤول لمكتبه ووجد جمعاً من المراجعين في انتظاره « لتأشير » معاملاتهم ، شعر بالأهمية والفخر وأصبح يمشي الخيلاء . وإذا نظرت إلى المراجعين وهم ينتظرونه وجدتهم جادون مؤمنون بأهمية الدور الذي يقوم به مع أنه في الواقع لا قيمة لما يقوم به ، ولا يجب أن يفخر الإنسان بعمل يؤديه إذا كان لا قيمة إنتاجية أو عملية أو قانونية أو رقابية له ، وإنما مجرد تعطيل الناس وأشعارهم بأهميته الشخصية .

وبدراسة التقاليد السائدة في الإدارة (الأمر الذي لا تظهره هذه الخارطة) ، وجد بأن هنالك تقليد يجمع عليه وهو أن الذي لا يطالب بحقه لا يحصل عليه ، حتى أنك إذا سألت أحد الموظفين عن السبب في تأخر



التقاعد عند انتهاء خدمات الموظف وقابلية وقوع الأخطاء فيها . ولتبويب المعلومات وتصنيفها « وتحديثها » بصورة مبرجة ومنظمة وجعلها جاهزة وفي متناول اليد بسهولة ويسر ، فقد صممت النماذج والبطاقات وطرق تدفق المعلومات وشكلت فرق تعمل خارج وقت الدوام لانجاز العملية خلال فترات معينة .

٥ - تأثيرات المسؤولين وأهميتها . جرت العادة والتقليد بالآلا ترفع المعاملة رأساً إلى صاحب الصلاحية للبت فيها أو لتوقيع القرار ، وإنما ترفع إليه خلال المهرم الإداري ، بحيث تمر على كل مسؤول يقوم بقراءتها والتأشير عليها حتى لو كانت معاملة متكررة مثل معاملة الاجازة . وأصبح هذا التقليد أمراً مؤكداً يعمل به الصغير والكبير ويؤخذ كأمر مسلم به . وعند بحثه مع الموظفين وبعض المسؤولين عبروا عن إيمانهم بأهميته وأبدوا استغراباً ومقاومة لفكرة الغائه أو قصره على مسؤول واحد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتفقوا على المهمة العملية التي تقوم بها التأشير غير كونها تتضمن موافقة المسؤول المؤثر على الاجراء . فإذا كان المقصود هو التأكد من صحة الاجراء وقانونيته فإن الأمر يشطلب أن يقوم كل مسؤول بقراءة المعاملة ويطلب ملف الموظف للتأكد من المعلومات وهذا غير حاصل فعلاً . كما أن هذه الطريقة تعتبر عملياً مستحيلة خاصة إذا كبر عدد موظفي الجهة وأصبح من المفروض في كل مسؤول أن يتأكد من صحة كل إجراء .

وقد دل تاريخ العقوبات بهذه الإدارة وغيرها إلى أن المؤثر لا يتحمل أية مسؤولية وإنما تعود المسؤولية والعقاب في النهاية على الموظف المختص . وإذا كان المقصود هو اشعار المسؤولين بما يتم في الإدارة والاجراءات التي تتخذ ، فإن هنالك طرقاً أجدي وأوفر من هذه الطريقة ، وإذا كان المقصود به إعطاء موافقة المسؤول المؤثر على الاجراء ، فإن الموافقات تؤخذ لأسباب وبموجب صلاحيات ، والمسؤول لا يملك أن يرفض تمتع أي موظف ليس تابعاً له باجازته أو يمنع أي حق من حقوقه الأخرى . وتاريخ تطور هذا التقليد ورسوخه ليس ذو علاقة بالأمر ، وإنما المهم النتيجة التي تم التوصل إليها وهي أن هذه التأثيرات لا قيمة عملية أو قانونية لها ، وأنه يجب الغاؤها وتفريغ المسؤولين لما هو أهم ، وذلك رغم المقاومة الشديدة والاستخفاف بهذا الاقتراح الذي يرمي إلى انهاء الاجراءات دون موافقة كل المسؤولين في المهرم الإداري عليها .

### \* الاجراءات الجديدة

يوضح الشكل رقم (٢-٣) ، خارطة سير معاملة الاجازة الجديد والذي وضع موضع التنفيذ بعد اكتمال الاصلاحات المذكورة آنفاً .



كما يوضح النموذج التالي الصفحة الخاصة بالاجازة السنوية من دليل إدارة الموظفين الذي تم وضعه بعد ذلك أيضاً . ويلاحظ ما يلي :

١ - أن الملفات قد تم اكتمالها بحيث أصبحت تحتوي على جميع المعلومات الحديثة عن الموظف . وبذلك استغني عن ارسال المعاملة إلى التأدية وحصر الوظائف . وقد تم تبويب المعلومات وتصنيفها بحيث أصبحت عملية التأكد من الاستحقاق لا تستغرق أكثر من نظرة خاطفة على رصيد الاجازات في البطاقة المعدة لذلك داخل الملف . كما تم نقل موظف الاجازات إلى الملفات . وأصبح بيان الخدمة وجميع البيانات المتكررة تسجل المعلومات فيها بصورة منتظمة ومبرجة بحسب وقوعها ، وعند طلبها لأي عرض رسمي لا يستغرق الأمر أكثر من تصويرها ونسخها .

٢ - لقد زادت الفعالية بحيث أصبحت اجراءات الاجازة تتم في عشر دقائق على الأكثر بينما كانت تستغرق ساعة على الأقل ، أي أن بوسع الموظف أن ينهي ست معاملات اجازة في الساعة ، بمعنى أن طاقته الإنتاجية قد زادت بنسبة ٨٣ % . كما أصبح قرار الاجازة يسير من الموظف المختص إلى صاحب الصلاحية رأساً دون أن يشغل المسؤولين الآخرين بقراءته وتأثيره . وقد تمكنت هذه الإدارة نتيجة لذلك من توفير عدد كبير من الموظفين لديها ونقلهم لإدارات أخرى .

٣ - لقد أصبح إحتمال الخطأ والسهو والنياس صغيراً جداً نظراً لسهولة الاجراء وتوفر المعلومات المبوبة ووجود النماذج التي تحدد المعلومات المطلوبة .

٤ - لقد استغني عن الاستلام والتسليم الرسميين لأن المعاملة أصبحت مجرد نموذج واحد يمكن تعويضه في حالة فقدانه .

٥ - أن أي موظف لديه خبرة بسيطة بالاجراءات الإدارية يستطيع عند قراءة الدليل أن يم اجراءات معاملة الاجازة بسهولة وبذلك يتفادى تعطيل العمل عند غياب الموظف المختص أو مرضه ، ويجعل من الممكن واليسر الاستعانة بموظفين غير متفرغين في وقت ندرة الأيدي العاملة كما هو جار حالياً .

٦ - سهولة تدريب الموظفين الجدد حيث إن هذه الأدلة تقوم بمهمة الاطار الذي يدعم الجانب العملي ويرجع إليه للاستدلال كلما دعت الحاجة .

٧ - وضوح عمل أي موظف لرئيسه بمجرد مراجعة الدليل الأمر الذي يتيح له تقييم أدائه وحجم العمل لديه بموضوعية مجردة .

ومع أن التغيير يظهر الآن بسيطاً للقارئ البعيد عن مجريات الأمور إلا أن الأمر في واقعه لم يكن بالبساطة التي يظهر بها الآن ، فلولا حزم المسؤولين في المراكز العليا بالوزارة ورغبتهم الملحة في الاصلاح لما تم تنفيذه . والسبب أن التألم مع الوضع السائد في الاجراءات يولد حالة عقلية ونفسية يصعب تصور غيرها ويعمي الإنسان عن رؤية خلافه . فالحالة التي كانت سائدة قد أخذت على أنها أمر مسلم به وتغييرها أصبح يقاوم بعناد وشدة ، إما لأنه يهدد مركز أحد أو يقلل من قيمته ، أو نتيجة للخوف من أن الوضع الجديد سيحدث فوضى أو تلاعب . ونحن سبق وأن رأينا تقليد الإدارة عندنا المتمثل في الخوف من المسؤولية والتجديد . وأحياناً تكون المقاومة ناتجة من عدم المرونة العقلية التي تدرك الأمور على أنها ساكنة وليست متحركة . ولا شك أن بساطة هذا التحليل والعرض قد ساهم في التشكيك فيه ، فقد تعلمنا تعقيد كل أمر بما في ذلك البديلات الاصلاحية التي إن لم تكن مصحوبة بالعديد من الاصطلاحات الفنية الرنانة والمعادلات الرياضية فلأنها تبدو لنا رديئة . ثم هنالك الخوف من الأخطاء في التنفيذ ، ويندر أن يوجد برنامج اصلاحي لا تصحبه أخطاء ، فهذه تعطي المقاومين فرصة للتشكيك بالبرنامج وتقليل الثقة به .

### \* مقارنة الوضع الجديد بالوضع القديم

لعل القارئ الآن قد أدرك ما كنت أقصد بالمنهج المنتظمة والبسطة . فهو يلاحظ الآن أن لكل معاملة منهج معين وعدد ، وأن تبويب المعلومات أصبح منهجياً أيضاً بحيث يتم بصورة منتظمة ومبرجة . فهو يتم في وقته دون حاجة إلى تذكير أو الحاح لأن خطوات اتمام اجراءات المعاملة تفرضه ، فالقرار مثلاً ، لا يودع الملف إلا بعد التعلم عليه بأنه أشرف في سجل الاجازات وكل السجلات العاملة .

ويلاحظ المرونة التي يتيحها هذا الوضع ، فبالإمكان زيادة الإنتاج بسرعة كما أن في



الإمكان تغيير نظام سير المعاملة كلياً أو جزئياً دون إحداث ارباك يذكر . والان أصبح من الممكن النظر إلى عمل المخص بالاجازات بوضوح سواء في إطاره المفرد أو في الإطار العام للإدارة .

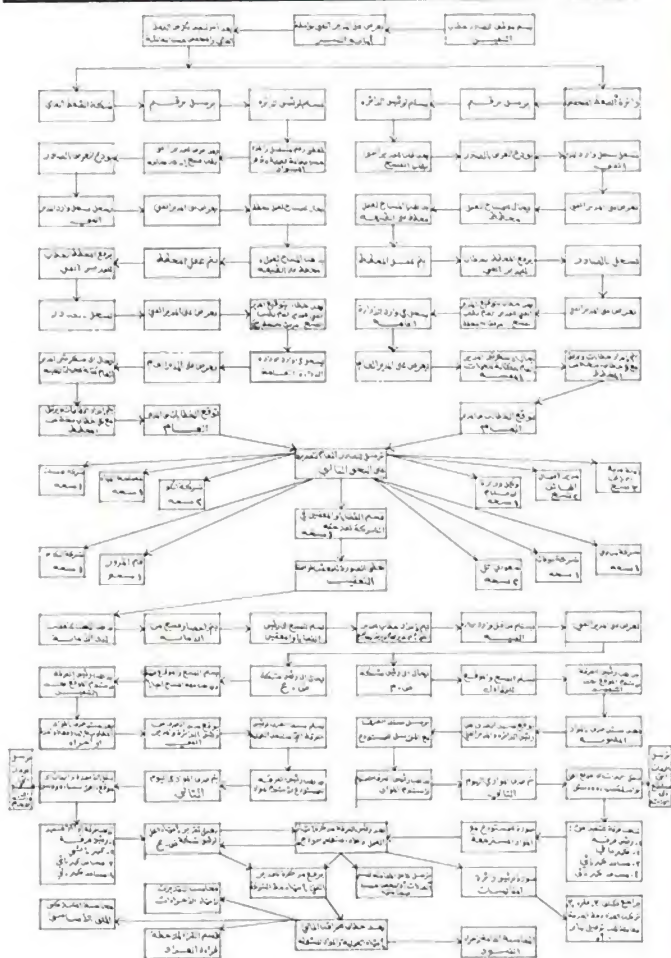
ونعود الآن لننظر على ضوء هذا المفهوم إلى الفرق بين إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد . إن تاريخ أداء الإدارة التي يدور بحثنا حولها يوضح أن كفاءتها وفعاليتها لم تكونا ثابتتين ، فقد زادت ونقصت وفقاً للمديرين الذين مروا عليها . فمن هؤلاء المديرين من كان نشيطاً وله شخصية مؤثرة على موظفيه دفعتهم للعمل والحماس ، وبذلك استطاعت الإدارة أن تحسن أدائها ، ولكن بمجرد غيابه تعود الأمور إلى أسوأ مما كانت عليه قبله ، وذلك لأنه ذو شخصية مهيمنة سلبت الموظفين مقدراً كبيراً من المقدرة على التصرف . وإذا نظرت إلى مثل هذا وجدته غارقاً طول يومه في هذا العمل الورقي الهائل وفوق رأسه طابور من المراجعين ، يبحث موظفيه على إنهاء هذه المعاملة وتلك ، وليس لديه وقت لغير ذلك .

أما المدير في الوضع الجديد ، فإنه قد تفرغ للأعمال المهمة في إدارته مثل معالجة الأمور الغير روتينية وإيجاد حلول لها ، ووضع خطط لتدريب موظفي إدارته وبرنامج لتدرجهم وتقدمهم ، وتأهيل من سيحل محل من سينفك منهم ، ودراسة طرق رفع الأداء وتحسين

الأساليب وزيادة الفعالية ، دراسة مخططات الدولة والتنبؤ بمجم العمل لديه على المدى المتوسط والطويل والتخطيط لمواجهته . الاستعداد للضغوط الموسمية في إدارته ، دراسة التطورات في مجال عمله ومحاولة الاستفادة منها . وجود الوقت الكافي لديه للاجتماع برؤساء الأقسام لديه والاطلاع على مشاكلهم ومساعدتهم على حلها والتنسيق فيما بينهم ، وكذلك موظفيه والمسؤولين في الوزارة ، ومراقبة الأداء في إدارته ، وأخيراً فإن مثل هذا المدير لديه فرص للتفرغ وحضور الندوات والمؤتمرات والتدريب أكثر من المدير في الوضع القديم لأنه لم يجعل من نفسه شخصية لا يمكن الاستغناء عنها .

وبعد فقد استعملت معاملة الاجازة هنا كمثال ، وما قيل عنها ينطبق على غيرها ، مثل معاملات التمييز والترفيه وتوصيل التيار الكهربائي والماء والهاتف واجراءات رخص القيادة ومعاملات تسجيل الصكوك وصرف الاعانات والمنح وتقييم دراسات جدوى المشاريع .. الخ . وإذا كان لدى القارئ أي شك فليتنظر إلى خارطة سير معاملة توصيل التيار الكهربائي المرفقة ، والتي أمل أن تكون قد تغيرت ، ويتفكر في مجال التحسين الكبير الممكن ادخاله عليها .

### «ب» اجراءات تنفيذ خطة الشركة ض.ع ، ض.م



### «م» معاملة طلب توصيل تيار





## الاجازات :

هنالك لمائة أنواع من الاجازات (حالة افتراضية لا تنطبق على أية جهة ومستعملة كمثال فقط) .

هي : الاجازة السنوية ، الاجازة المرضية ، الاجازة الاضطرارية ، واجازة الأعياد ، والاجازة الدراسية ، واجازة الامتحان ، واجازة الحج ، واجازة الخاصة .

### ١ - الاجازة السنوية :

أ) كيفة احتسابها : يستحق الموظف بموجب المادة (٣٧) ، من النظام اجازة سنوية قدرها ثلاثون يوماً بأجر كامل يدفع مقدماً عند قيامه بها وبحسب وفق آخر أجر تقاضاه ، ويشتمل على جميع البدلات التي يتقاضاها بصورة مستمرة مثل ، بدل السكن وبدل النقل ، وذلك بعد خدمة أحد عشر شهراً متواصلة . ويستبعد من خدمة الأحد عشر شهراً تلك أيام الغياب بدون إذن وفترات التدريب التي تزيد على ثلاثة أشهر والابتعاث ، وذلك وفقاً للمواد (٤٤-٤٥) ، من النظام .

### ب) إجراءاتها :

١ - يقوم الموظف بتعبئة الجزء الأول من نموذج طلب الاجازة الذي يوجد في جميع الإدارات ويمكن طلبه من إدارة الموظفين إذا تعلق الحصول عليه . ويكون ذلك من أربع نسخ .

٢ - يقدمه إلى رئيسه الذي يراجع ويوافق عليه وتعتبر موافقة الرئيس اقراراً بتأمين عمل الموظف وتنسيق وتوقيت اجازات موظفيه .

٣ - يرسل إلى قسم الملفات بإدارة الموظفين التي تقوم بتعبئة الجزء الثالث من واقع ملف الموظف ، وتوقيعه من صاحب الصلاحية ، ومن ثم توزيع النسخ كالاتي :

أ) الأصلية لملف الموظف .

ب) الثانية للإدارة المالية ليم صرف راتبه بموجبها .

ج) . . . . .

د) . . . . .

٤ - تؤشر في ملف الموظف وفي بطاقته وتحسم الأيام من رصيد اجازاته ثم تودع ملفه . ويجب التأكد من ذلك قبل إيداعها الملف .

٥ - عند عودته من الاجازة . . . . .

### طلب اجازة

الاسم . . . . . الوظيفة . . . . .
المرتبة . . . . . الإدارة . . . . .
تاريخ ابتداء الاجازة . . . . .
عدد الأيام . . . . . نوع الاجازة . . . . .
توقيع الموظف . . . . . التاريخ : / /
موافقة الرئيس : نوافق على منحه الاجازة المذكورة
ملاحظات : . . . . .
التوقيع : . . . . . التاريخ : / /
لاستعمال إدارة الموظفين فقط :
رصيد الاجازات الحالي : . . . . .
عدد أيام الاجازة الموافق عليها : . . . . .
تاريخ بدء الاجازة : . . . . .
تاريخ العودة للعمل : . . . . .
ملاحظات : . . . . .
أعدها ودققها : الاسم : . . . . .
وافق عليها : الاسم : . . . . . الوظيفة . . . . .





# الطريق إلى الله

اعداد: عايض الراددي

● هل عشت صراعاً نفسياً مع المذاهب الأخرى قبل الإسلام ، وتنقلت من مذهب إلى آخر؟

★ كنت أعيش بين مسلمين في نيويورك ولم يكونوا يأكلون لحم الخنزير ، وهم نظيفو المنظر والمظهر ، وكنت قد قرأت كتاباً حول النظافة أعتقد أنه من تأليف الامام الغزالي ، كل ذلك اثر في نفسي ، وتحققت أن الحركات السياسية ليس لها أساس قوي ومتين من العقيدة والأخلاق ، وعندما عشت بين المسلمين وقفت على أهمية النظافة ، وقيمة الحياة . هذه الأشياء مجتمعة أوجدت في نفسي القناعة الكاملة بقبول الاسلام .

● زوجتك أسلمت قبلك - كما ذكرت - هل إسلامها بتأثير من أخيك المسلم أو بتوافر أسباب أخرى؟

★ زوجتي كانت تشارك في الجماعات الاسلامية ثم تحولت منها إلى جماعة المسلمين السود في أميركا ولكنها لم تصبح عضواً منهم وإنما تعرفت فقط على تعاليمهم ، وفي تلك الفترة التقى أخي بها وأخبرها أن جماعة المسلمين السود ليسوا على الاسلام الصحيح ، وكنت إذ ذاك أتدرب على أداء الصلاة قبل إسلامي كما قلت سابقاً ، فلفتت تدريباتي نظرها إلى الاسلام وكانت لدي الرغبة الأكيدة في الدخول فيه ، وأخيراً أسلمت .

● وهل دفعك إسلامها إلى أن تدخل في الإسلام؟

★ بطبيعة الحال كانت لي علاقة معها قبل أن تسلم ، ولكن عندما أسلمت عرفت أنه ما ينبغي لي أن أعاشرها لأنها أصبحت ذات شخصية مسلمة ولم أكن أسلمت حينذاك .

بعد زمن صرت مسلماً وكنيت من «نيويورك» إلى «انديانا بولس» وتزوجتها على الطريقة الاسلامية وعقدت عقداً شرعياً في مسجد «ياسين» .

● ذكرت أن من دوافع دخولك في الإسلام النظافة في الإسلام وخاصة تحريم أكل لحم الخنزير ، ترى هناك جوانب أخرى مشرقة دفعتك للدخول في الإسلام؟

★ دوافع عدة دفعتني للإسلام منها النظافة كما ذكرت ، ومنها عدم اقتناعي بأسس الحركات السياسية التي أجهدت نفسي فيها ، ودفعني ذلك للبحث عن طريق آخر للسعادة في الحياة ، وكلما قرأت شيئاً عن الاسلام صرت أشعر أن هذا هو الطريق الصحيح ، وكلما قرأت أكثر جذبني إليه أكثر .

● الزمان : يوم ١٦ شعبان ١٣٩٧ هـ ، الموافق ٢ أغسطس (آب) ١٩٧٧ م .

● المكان : اتحاد الطلبة المسلمين في أميركا ، وكندا . وبالتحديد ولاية «انديانا بولس» حيث يوجد المركز الرئيسي لهذا الاتحاد .

● الموضوع : لقاء مع واحد من آلاف الذين عرفوا الطريق إلى الله ، نأسلموا عن قناعة وإيمان بعظمة وعدالة وسلامة رسالة الإسلام السمحة .

● الاسم : بشير أبو بكر .

● القضية : حوار عن كيفية إسلامه .

## الحوار

● متى دخلت في الإسلام؟

★ أسلمت منذ أربع سنوات في الولايات المتحدة في ولاية نيويورك .

● ما الدوافع أو الأسباب التي جعلتك تدخل في دين الإسلام؟

★ هناك جمعيات ومنظمات كثيرة في أميركا تتقاتل فيما بينها بعضها شيوعي ، وبعضها وطني ، وكنت أعمل بها وأنتقل من منظمة إلى أخرى ، وفي أثناء ذلك أطلعني أخي - وكان مسلماً - على الاسلام وأهداني كتباً تشرح تعاليم الاسلام ، وبسببها أصبحت مسلماً .

● ما هي الكتب التي أعطاه لك أخوك؟

★ قرأت كتاباً اسمه «التعاليم الأساسية للإسلام» ولا أذكر مصنفه ، وكتاباً حول الصيام أعتقد أنه من تأليف الامام الغزالي ، تدريت على الوضوء والصلاة مدة سنة قبل أن أدخل في الاسلام وبعد قراءتي هذه الكتب وبعد ما اقتنعت من مبادئ الاسلام من خلال التدريب ، وتعرفت عليها دخلت في الاسلام واهتديت إلى هدى الله .

● هل سبقك أخوك إلى الإسلام بفترة طويلة؟

★ أخي أسلم قبلي بثلاث سنوات ، وفي ذلك الوقت كنت أعمل في الحركات السياسية ، وكان بيني وبين أخي مكاتبات طويلة حول الاسلام ، يريد من خلالها أن يقنعني أن أترك الحركات التي لا فائدة فيها وأن أدخل في الاسلام ، وبعد قناعاتي أسلمت وأسلم أولادي ، أما زوجتي فقد سبقتنني للإسلام .



# تكوين البلورات .. ونمو

## البلورات

بقلم : د. أحمد عبد القادر المهندس

### مقدمة

عالم البلورات هو عالم الجبال والدقة والروعة المتناهية ، إن هذا العالم السحري ليدل بكل وضوح وجلاء على قدرة الخالق العظيم جلت قدرته على خلق الجبال والاكتمال حتى في الجبال . ومهما يكن فلن كمال الشكل البلوري يعتبر من الأشياء التي تثير إعجابنا . ويزداد إعجابنا قوة عندما نراقب فعلياً كيف تنمو البلورات . والواقع أن نمو البلورة يتطلب ملايين من الجزيئات تخرج من المحلول وترتب نفسها في نموذج منتظم ودقيق ، بحيث ينعكس هذا الترتيب الداخلي في شكل بلوري مميز .

إن الدارس للمعادن المختلفة ليصطدم في بداية دراسته بعدد كبير من الأشكال البلورية ، الأمر الذي قد يصرفه عن متابعة الشغف والاهتمام بعالم البلورات ، ودنيا المعادن الواسعة ، ولذلك فإن التعمق قليلاً في أسرار المادة الصلبة وكيفية تشكيلها يعطيه القدرة على معرفة أشكالها وكيفية تكوينها .

إنك تستطيع أن تحصل على بلورات حقيقية وجيدة النمو وذلك بأن تقوم بعمل الظروف المناسبة لذلك . إن البلورات التي تقوم باصطناعها في المعمل لا تعتبر معادن ، ذلك لأن هناك فرقاً بين البلورة والمعدن من حيث التعريف ، فالبلورة عبارة عن جسم صلب متجانس في تركيبه الكيميائي تحده أسطح مستوية طبيعية بينها علاقات تماثل محددة . أما المعدن فهو عبارة عن مادة متجانسة ذات تركيب كيميائي ثابت في حدود معينة ، وله بناء بلوري مميز ، ولا تتشكل بواسطة العوامل البيولوجية ، مثل الحيوان والنبات ، كما أنه لا دخل للإنسان في عملية تشكيلها .

إن الحصول على بلورات حقيقية يعطيك مثلاً حياً لدراسة علم البلورات ، ويستخدم العلماء عديداً من التكنيكات الناجحة لتنمية واصطناع البلورات ، ولعل أبسط هذه التكنيكات ، هو الذي يعنى بتنمية وتكوين بلورات الأملاح القابلة للذوبان في الماء ، وذلك بترسيبها من المحاليل .

### العوامل المؤثرة على تكوين البلورات

إن مراقبة تكون البلورات من الأنوية الدقيقة خلاق بأن يعطي المرء رؤية داخلية لأسس تكون البلورات ، كما يعطيه القدرة على إدراك التنوع الكبير في خواص تلك البلورات التي تختلف أشكالها بتنوع المواد المكونة لها . وتؤثر بعض العوامل في تخليق البلورات وبعض هذه العوامل تكون مميزة للملح ولا يمكن التحكم فيها ، بيد أنه يمكن التحكم ببعض العوامل الأخرى .

إن العوامل التي يتحكم فيها الباحث في عملية نمو وتكوين البلورات تتلخص في الآتي :

١ - درجة حرارة المحلول .

٢ - التغير في حرارة المحلول .

٣ - معدل التبخر للمحلول .

٤ - دقائق الأثرية في المحلول .

٥ - الشوائب الذائبة في المحلول .

٦ - شكل الإناء الذي يحتوي المحلول .

أما العوامل التي يمكن التحكم فيها فهي :

٧ - ذوبانية الملح .

٨ - درجة ميل الملح لفوق التشبع .

٩ - قدرة الملح المتبلور .

فإذا أراد الباحث تكوين وتنمية بعض البلورات ، فإنه يجب أن يضبط الظروف التي ينبغي أن تكون مناسبة للنمو ، وهناك كثير من المواد غير العضوية التي يمكن أن تتبلور بسهولة مثل كبريتات النحاس ،  $\text{CuSO}_4 \cdot 5\text{H}_2\text{O}$  ، الشب البوتاسي ،  $\text{Potassium alum (KAl(SO}_4)_2 \cdot 12\text{H}_2\text{O)}$  ، حديد سيانيد البوتاسيوم  $\text{Pot. Ferricyanide (K}_4\text{Fe(CN)}_6 \cdot 3\text{H}_2\text{O)}$  ، وكلوريد الباريوم  $\text{Barium Chloride (BaCl}_2 \cdot 2\text{H}_2\text{O)}$  ، ويعرض الشكل رقم (١) ، البلورات المميزة للمركبات المذكورة أعلاه . إن كبريتات النحاس تتبلور في نظام ثلاثي الميل وتبدو ذات لون أزرق أزوري عميق ، أما الشب البوتاسي فهو يتبلور في فصيلة المكعب وتبدو أشكاله متبلورة في ثماني الأوجه مع بعض التجمعات البلورية ، والشب البوتاسي عديم اللون .

أما حديد وحديدي سيانيد البوتاسيوم ، فإنها يتبلورا في فصيلة أحادي الميل ، ويبدو حديد سيانيد البوتاسيوم في لون أصفر ليون ، بينما يكون حديد سيانيد البوتاسيوم ذا لون أحمر ياقوتي ، ويتبلور كلوريد الباريوم في فصيلة أحادي الميل ولا لون له . إن جميع الأملاح المذكورة تتميز بأنها ذوابة في الماء ، ولكن من الصعب أن تصل عائلها إلى حالة فوق التشبع  $\text{Supersaturation}$  ، لذلك فإنها تتبلور بسرعة مكونة بلورات كبيرة نامية بدون أدنى صعوبة .

### نمو وتكوين البلورات في المعمل

هناك في الحقيقة ، طريقتان يمكن أن نستخدمهما في تنمية وتكوين البلورات في المعمل

كما يلي :

● الطريقة الأولى : يمكن أن تنمو البلورات في أسفل الإناء ذي القاع المسطح ، وهذا يعتمد على اتجاه تيارات الحمل حول البلورة ، ويمكن أن نوضح هذا بما يلي :

١ - إن المحلول الملاصق للهواء يفقد الماء بوساطة التبخر ، حيث يندو مشبعاً أو فوق مشبع إلى حد ما .

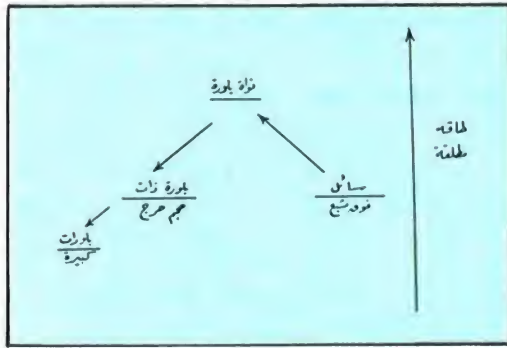
٢ - يصبح المحلول أكثر كثافة ، حيث تغوص أجزاؤه الكثيفة إلى قاع الإناء .

٣ - وهنا يفقد المحلول بعض الملح المذاب الذي ينمو إلى بلورات .

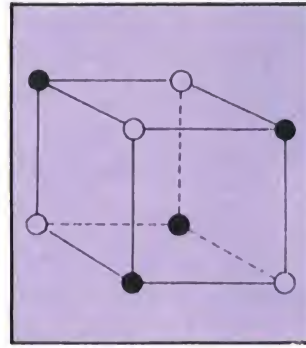
٤ - عندما يصبح المحلول أقل كثافة ، فإنه يصعد إلى أعلى الإناء مرة أخرى .

● أما الطريقة الثانية : فتعتمد على تعليق البلورات على سلك في وسط المحلول ، وفي هذه الظروف ، فإن دورة التكوين التي ذكرت آنفاً ليس لها كبير مفعول .

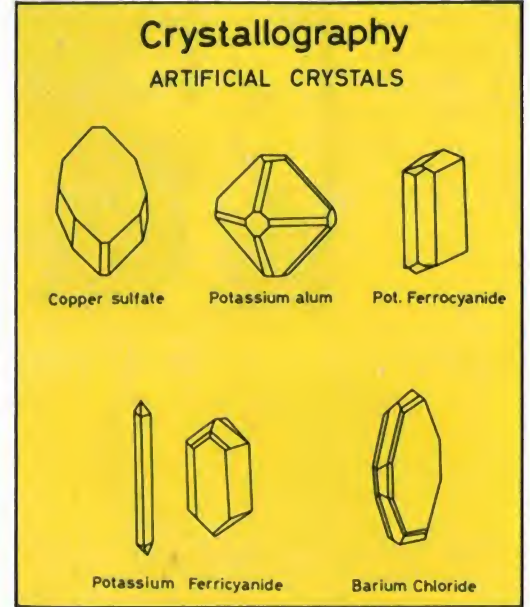




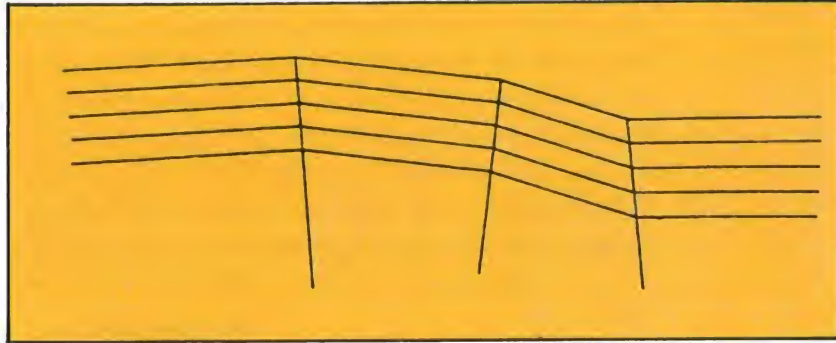
★ شكل (٣) ، العلاقات بين الطاقة المطلقة لحدوث فرق مشبع ونواة البلورة وبلورة صغيرة بالإضافة إلى البلورات الكبيرة ★



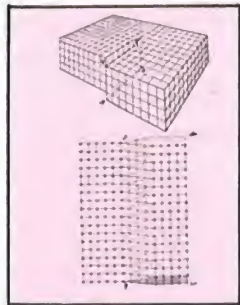
★ شكل (٢) ، عبارة عن وحدة مفردة لتكوين كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ★



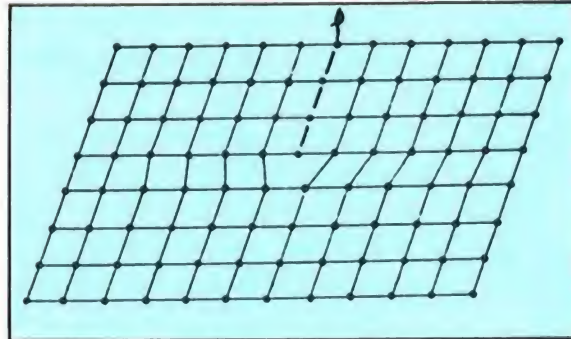
★ شكل (١) ، بلورات اصطناعية تحت في المعمل ، وامحاضها من الجسيم إلى اليسار كالتالي : حديد وسيانيد البوتاسيوم ، الشب البوتاسي ، كبريتات النحاس ، كلوريد الباريوم ، وحديدي سيانيد البوتاسيوم ★



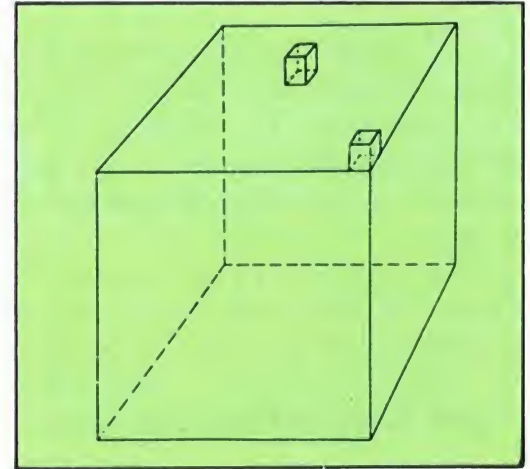
★ شكل (٥) ، عبارة عن سطح بلورة يوضح الكتل الغير موجهة ★



★ شكل (٧) ، بلورة يظهر فيها التخلع الدولي ، على طول الخط . ب. ترتيب الذرات في المستوى أب. ج. إن الدوائر والنقاط تمثل الذرات على جانبي مستوى التخلع ★



★ شكل (٦) ، يوضح 'تخلع الخافة' يوجد خط إضافي من الذرات على امتداد 'أ' ★



★ شكل (٤) ، كتل مضافة إلى بلورة كلوريد الصوديوم ، وجميع هذه الكتل غير ثابتة ★

ولذلك فإن المحلول يجب أن يحرك بلطف مع الاستمرار في عملية التحريك ، ومع أن هذه الطريقة تعطي بعض البلورات النامية ، إلا أن الطريقة الأولى أكثر ملائمة حيث تعطي نتائج طيبة دائماً .

### جدول رقم (١) الذوبانية أو كمية الذوبان

الذوبان في الماء (جرام/لتر)	الملح أو المركب الكيميائي
١٠٠ م	٢٠ م
١١٥٨	٣١٨
١٠٥٠	١٠٨
٩٤٠	٣٢٢
٧٧٥	٤٤٢
٦٨٧	٤١٩

### الطريقة العامة لتكوين البلورات

إن الطريقة العامة لاصطناع وتكوين بلورات كبيرة يمكن أن تلخص في الخطوات التالية :

#### ١ - تحضير المحلول :

ينبغي أن يكون المحلول مشبعاً قبل أن يعطي نتائج طيبة ، وهذا يعني أن نذيب مقداراً كبيراً من الملح ، وهذه الكمية الكبيرة أو القصوى للملح تسمى (كمية الذوبان أو الذوبانية Solubility) . وكمية الذوبان عبارة عن كمية معينة مذابة في محلول معين لأي ملح في أي حرارة معطاة ، ولقد أدرجت هذه الكميات القصوى لأعداد كبيرة من المركبات في جداول كيميائية قياسية .

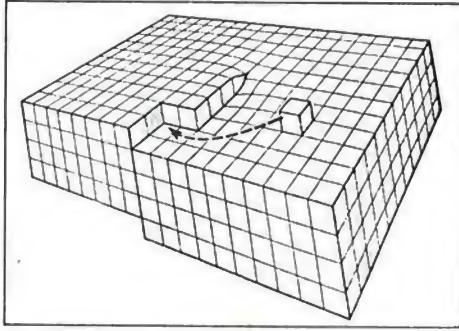
إن ذوبانية الأملاح التي ذكرناها سابقاً يمكن تلخيصها في الجدول رقم (١) ، التالي ونلاحظ أن الذوبانية تزداد مع ارتفاع درجة الحرارة :



★ شكل (٩)، نموذج  
يوضح انماط النمو في بلورة  
كربيد السليكون، ويحدث  
هذا النمو بواسطة التخلع  
الدولي.  
(انظر W. T., Read  
(Jr.), 1953)



★ شكل (٨)، نمو  
البلورة على التخلع الدولي  
الموجود.  
(انظر W. T., Read  
(Jr.), 1953)



(٤) مادة صلبة أ، مادة صلبة ب، بواسطة التبدل للحالة الصلبة .  
وكل هذه العمليات تشترك في أن البلورة لكي يتم فإن البلورات الناتجة يجب أن يكون  
لها طاقة مطلقة غفضة عند بداية التفاعل للنظام . فمثلاً في العملية رقم (١)، نجد أن  
ضغط البخار للنظام يجب أن يزيد عن ضغط البخار للبلورة الناتجة، وفي العملية رقم  
(٢)، نجد أن تركيز الأنواع المذابة في المحلول التي تكون البلورة، لا بد أن تزيد عن  
تركيز هذه الأنواع التي تكونت منها البلورة، عندما تذاب مرة أخرى في سائل، وفي  
العملية رقم (٣)، نجد أن حرارة المصهور يجب أن تكون أقل من درجة الإذابة  
للبلورة، وفي العملية رقم (٤)، نجد أن المادة الصلبة (ب)، يجب أن يكون لها  
طاقة أقل من المادة الصلبة (أ)، ومن ثم يكون لها ذوبانية أقل في المذيب المعطى ولها  
أيضاً ضغط بخاري أقل .

إن عملية تكوين طور بلوري يتضمن خطوتين أساسيتين كالتالي :

(أ) تكوين نواة جديدة .

(ب) أن تنمو هذه النواة لكي تشكل جسماً صغيراً ذا حجم يمكن قياسه .

ويمكن أن نشرح مرحلتي تكوين الطور البلوري كالتالي :

#### (أ) التئوى أو عمل الأنوية (Nucleation)

إنه لمن الأشياء المثيرة للاعجاب أن تنمو البلورات من محلول يحتمسوي على ملايين  
الجزيئات أو الأيونات . دعنا نتخيل أننا نبخر ببطء محلولاً معيناً، سنلاحظ أخيراً بأن  
المحلول سيصبح «فوق مشبع»، وسيظهر بعد ذلك الطور الصلب، وفي البداية عندما  
تبدأ المادة الصلبة في التكون، فإن الجزيئات أو الأيونات تكون النواة التي سوف تنمو لكي  
تكون البلورة . إن هذه النواة البدائية الصغيرة جداً يجب أن تكون غير ثابتة إلى حد  
كبير، وذلك لأنها تحتوي على طاقة سطحية كبيرة جداً . تخيل مثلاً، وحيدة مفردة من  
تركيب كلوريد الصوديوم (انظر الشكل رقم ٢)، وسنجد في هذه الحالة بأن نصف  
قوى التكافؤ يمكن تحقيقها، وسنجد أن هذه البلورة الصغيرة طاقة مطلقة كبيرة جداً، ومن  
ثم ذوبانية كبيرة، مثل هذه النواة الصغيرة تميل إلى الذوبان باستثناء أنها تستطيع أن تنمو  
سريعاً، لكي تحقق حجماً معيناً بحيث تكون فيه الطاقة السطحية صغيرة بالنسبة إلى الطاقة  
الكليّة للبلورة .

عندما تصل النواة المتكونة إلى الحجم الذي تكون فيه طاقتها الحرة مساوية لطاقة المادة  
الأولية، فإنها تكون قد وصلت إلى ما يعرف بالحجم الحرج، ومن ثم فإنها تستطيع أن

إن أسهل طريقة لكي نتأكد من أن المحلول قد تشبع عند درجة حرارة الغرفة (بين  
درجة ٢٠° و ٢٥° م)، هو أن نذيب مقدراً من الملح في لتر من الماء الحار، ثم نضيف  
مقدراً زائداً حوالي ٢٥ ٪ من الملح، ثم نغطي للمحلول الحار فرصة التبريد خلال الليل،  
وفي اليوم التالي، سنلاحظ أن المقدار الزائد من الملح سوف يقذف خارج المحلول على هيئة  
بلورات صغيرة، كما أن المحلول الصافي فوق الراسب سوف يكون مشبعاً . إن هذا المحلول  
يمكن اعتباره الدعامة الأساسية لتكوين البلورات، والذي ينبغي أن يكون دائماً في حالة  
تشبع بزيادة طفيفة من الملح .

#### ب - إعداد حمام لعملية التبلور :

إن إعداد حمام لعملية التبلور يتطلب أن يكون الإناء الذي يوضع فيه المحلول واسعاً  
وذو قاع مسطح، وينبغي أن يدهن السطح الداخلي للإناء بطبقة رقيقة من الفازلين إلى  
مستوى السائل الذي يوضع في الإناء . إن الطبقة الرقيقة من الفازلين، سوف تمنع تكون  
القشرة المتبلورة على جوانب الإناء، وبدون هذه الوقاية البسيطة فإن الملح يمكن أن يترسب  
إلى داخل الإناء في الأسفل والأعلى، مسبباً بعض الاضطراب في عملية التبلور . وبعد  
هذه الاحتياطات، يوضع المحلول في الإناء إلى مستوى الفازلين، (وعادة يصل إلى نصف  
أو ثلاثة أرباع الإناء)، ومن الأفضل أن يُرشح المحلول قبل أن يصب في الإناء حيث أن  
البلورات تتكون حالا على دقائق الأتربة التي يمكن أن تزال بالترشيح، ومن ثم فإن أنوية  
البلورات يمكن أن تطفو على المحلول، كما أن البلورات سوف تنمو بينما يتبخّر المحلول رويداً  
رويداً، ولكي تمنع تكون البلورات المقذوفة التي تحدث بسبب فوق التشبع، فإنه من  
المناسب أن تخفف المحلول بإضافة بعض قطرات من الماء قبل تحريكه .

#### ج - العناية بالحمام المائي :

ينبغي أن يبقى الحمام المائي في درجة حرارة ثابتة تقريباً، وذلك بسبب الزيادة في ذوبانية  
الأملاح على ارتفاع درجة الحرارة، وأيسر طريقة لذلك، هي بقاء الحمام في درجة حرارة  
الغرفة بقدر الإمكان، وبما أن الإناء يستجيب ببطء للتغيرات في الطقس، لذا ينبغي أن  
يكون الحمام المائي في وضع مناسب للاستجابة إلى التحكم فيه بإضافة تغير ببطء في الحرارة  
بدون تأثير ضار على البلورات .

إن تأثير التغيرات البطيئة في الحرارة يمكن أن يرى خلال المناطق الرائقة والمغشية  
للمحلول، ولكن إذا كانت هذه التغيرات عنيفة إلى حد ما فإن البلورات لن تنمو  
إطلاقاً، ونلاحظ أن المحلول الدافئ يرتفع إلى أعلى الإناء حاملاً الأجزاء المذابة من  
البلورات . وبعد التأكد من الظروف الحرارية الجيدة يجب أن يكون معدل التبخر مناسباً  
بحيث لا تنمو البلورات سريعاً، وتصبح ذات شكل مشوه . ويمكن التحكم بمعدل التبخر  
بتغطية الإناء بزجاجة ساعة رقيقة أو بإناء كبير بالإضافة إلى فتح الإناء من آن لآخر، حتى  
يصل المحلول إلى الظروف القصوى لتكون البلورات .

#### د - العناية بالبلورات النامية :

إن الحمام الذي يحتوي على المحلول سوف يعطي بعد فترة قصيرة من الزمن عديداً من  
بذور البلورات .

ويمكن أن تختار بذرتين أو ثلاث بذور تبدو أكثر غموضاً من الأخريات وتزال بقية البذور  
الأخرى بواسطة ملقط مصنوع من مادة الكروم مثلاً . فإذا كان معدل التبخر ببطئاً لدرجة  
كافية فإن هذه البذور سوف تستمر في نموها بدون تكوين أي بذور جديدة .  
وعندما تنمو البلورة فإن بعض البلورات الصغيرة سوف تتعلق بها، ونزال هذه  
البلورات الصغيرة بسهولة، أما البلورة الكبيرة فسوف تنمو بسرعة .  
إن عملية نمو البلورات تتراوح بين أسابيع قليلة إلى عدة أشهر، فبلورة كبريتات  
النحاس التي تزن حوالي نصف كيلو جرام، والتي تنمو بهذه الطريقة تحتاج إلى خمسة أشهر  
تقريباً .

#### ميكانيكية التبلور :

إن التبلور يمكن أن يحدث بالعمليات التالية :

- (١) بخار صلب، بواسطة التكثف .
- (٢) سائل صلب، بواسطة الترسيب .
- (٣) سائل مهلي أو صهير، صلب، بواسطة التجمد .



تقاوم الظروف لكي تنمو. إن علاقات الطاقة مختلف حالات المحاليل المتبلورة يمكن تلخيصها في الشكل رقم (٣) .

إنه من الممكن أن نبين نظرياً أن حجم النواة الحرجة عبارة عن معامل لكيفية «فوق التشبع» للمحلول، ومن ثم فإن أنوية البلورات تتكون بأكثر سهولة عندما تزيد درجة «فوق التشبع» للمحلول، وهذه النظرية يمكن بالتالي أن تنعكس في نوعية المواد المترسبة التي تتكون كالتالي :

- ١ - إذا كان فوق التشبع للمحلول كبيراً، فسوف تتكون أعداد كبيرة من الأنوية والناتج يكون عبارة عن مادة غروية .
- ٢ - وإذا كان فوق التشبع للمحلول متوسطاً، فسوف تتكون بلورات صغيرة .
- ٣ - أما إذا كان فوق التشبع صغيراً، فسوف تتكون بلورات كبيرة ولكنها قليلة العدد .

ولذلك فإن البلورات الكبيرة تنتج إذا كانت درجة فوق التشبع صغيرة أو إذا أضيفت أجنة بلورات إلى محلول فوق مشبع إلى حد ما . إن إنتاج بلورات كبيرة الحجم جداً، مثل البلورات الموجودة في بعض الصخور والتي تصل في أحجامها إلى الأمتار، يمكن أن يكون انعكاساً لدرجة فوق التشبع المنخفضة في المحلول .

إن التئوي أو تكوين الأنوية nucleation، يمكن أيضاً أن يحفز على بعض الأسطح، مثل جدران الوعاء أو ذرات الغبار الموجودة في النظام . إن السطح الذي يحدث فيه التئوي يحتوي في غالب الأحوال على مسافات بين ذرية مقارنة بالسطح الذي يحتوي على المادة الصلبة المتكونة . والحالة الرائعة للتئوي المحفز يمكن أن يوضح بالتفكك الحراري لمركب نترات المنجنيز Manganous nitrate . إن هذا المركب يتفكك إلى أكاسيد التروجنين وأكسيد المنجنيز، وإذا ترسبت هذه النترات على معدن الروتيل وتركيبه الكيميائي ( $TiO_2$ )، قبل التفكك، سيكون الناتج الصلب عبارة عن أكسيد المنجنيز ( $Mn_2O_3$ )، ولكن إذا ترسبت النترات على معدن الكوراندوم وتركيبه الكيميائي ( $Al_2O_3$ )، فإن الناتج سيكون ( $Mn_2O_3$ ) .

عندما يحدث التبدل التالي : صلب — صلب، فإن صعوبة التئوي nucleation، غالباً تحكم معدل التبلور والتبدل هذه العملية . إن أهمية التئوي لهذا التبدل من صلب إلى صلب . يمكن أن يوضح بالمراحل التي تحدث عند تبلور السيليكا غير المتبلورة في درجات الحرارة المنخفضة في وجود الماء . فعند درجات الحرارة أقل من  $870^{\circ}C$ ، فإن الشكل الصلب الثابت للسيليكا هو معدن الكوارتز متعدد الأشكال، ولكن السيليكا غير المتبلورة تشبه إلى حد ما الكريستوباليت Cristobalite، في التركيب ومع أن هذا الشكل أقل ثباتاً من معدن الكوارتز، فإنه يميل إلى أن يتكون أولاً ثم ينتقل بعد ذلك إلى الطور الثابت .

وهذه الظاهرة الأخيرة توضح ما يسمى أحياناً بقاعدة استوالد Ostwald's Step rule.

## ب) نمو البلورات

بمجرد أن تتكون نواة البلورة، فإن المرحلة الثانية من تشكل البلورة تتضمن إضافة الطبقات المرتبة لكي تنتج وحدة أكبر، والواقع أن ميكانيكية وسرعة النمو البلوري قد حظيا بكثير من الأبحاث في السنوات الأخيرة، ولقد وجد في بعض الحالات، مثلاً، أن درجة النمو الملاحظة في المعمل كانت حوالي ( $10^{-13}$ )، عما كان يتوقع قبل التجربة، وهذا الرقم هائل جداً، ولقد علق على ذلك العالم الفيزيائي (كيتل) Kittel بقوله : «هذا سجل كوني في كل زمان، وهو يبين مقدار الاختلاف بين الملاحظة والنظرية» .

إن قليلاً من التأمل يدل على أن مشكلة النمو في البلورات تشبه إلى حد كبير مشكلة التئوي nucleation. خذ في الاعتبار مثلاً، وضع وحدة كتلية إلى السطح المستوي لبلورة كلوريد الصوديوم (ملح الطعام)، كما في الشكل رقم (٤)، إن الأربع ذرات المضافة لكي تكون هذه الكتل فإنها تحتوي على نصف قوة التكاثر المحفزة، ولذلك فإن الكتل المضافة لها طاقة عالية وهي تحتاج إلى درجة كبيرة من فوق التشبع لكي يحدث الاستقرار . ولكن لوحظ أن النمو يحدث بسرعة عند درجة منخفضة نسبياً من فوق التشبع، ولذلك فإن نموذج إضافة الكتل ليس صحيحاً .

ولقد استطاع العلماء حل هذه المشكلة جزئياً باكتشاف نوع آخر من النقص أو العيب في البلورات، وقد أسموه بالتخلعات dislocations . ولقد لاحظ العلماء أنه عندما تتفرق الأشعة السينية عند درجات معينة، فإن سطح البلورة يبدو كالموزايك الذي يحتوي على كتل صغيرة، وكل كتلة تحتوي على تركيب كامل إلى حد ما، ونلاحظ أن هذه الكتل غير موجهة بالنسبة إلى بعضها البعض كما يبدو في الشكل رقم (٥) .

إن طبيعة هذه التخلعات dislocations، والطريقة التي تعطي الكتل ذات الشكل الموزايكي، والذي يحتوي على حدود الحبيبات المائلة يمكن ملاحظتها في الشكل رقم (٦)، وهذا الشكل يبين طبيعة ما يسمى بتخلع الحافة Edge dislocations، وبين الشكل رقم (٧)، ظاهرة التخلع اللولبي والذي يمكن أن يكون غالباً ذا تأثير مسيطر في عملية نمو البلورة .

لنفرض أن هناك بلورة تتكون، فإن الوحدة المضافة إليها سوف تعطي طاقة سطحية إضافية وصغيرة، وخاصة إذا كانت الوحدة مضافة قرب نهاية التخلع dislocation، كما في الشكل رقم (٨)، إن التخلع سوف يميل إلى النمو سريعاً في النهاية عندما تكون قوى التكاثر محفزة إلى درجة كبيرة، وكلما استمر النمو البلوري، فإن التخلع اللولبي سوف يستمر ويتخذ شكلاً لولبياً، حول أصل البلورة .

إن سطح البلورة (شكل رقم ٩)، يبدو شكلاً مقنعاً، لحقيقة هذا النموذج .

## شكل وهيئة البلورة

عندما تنمو البلورات ببطء، فإن الأوجه المتكونة تبدو عادة بسيطة ومستوية، وتتضمن هذه الأوجه المستوية أكبر عدد من القوى المكافئة المحفزة، ولكن إذا نمت البلورة في وجود بعض المواد المذابة الإضافية، فإن هيئة هذه البلورات غالباً تتحور عند مقارنتها بهيئة التي تنتج بدون وجود هذه المواد المذابة .

إن المواد التي تغير هيئة البلورات غير العضوية هي عبارة عن جزيئات عضوية كبيرة . فمثلاً نجد أن كلوريد الصوديوم (ملح الطعام)، عندما يتبلور من الماء الحسالي من الشوائب، فإن البلورات الناتجة تكون عبارة عن بلورات مكعبة ذات ستة أوجه، ولكن إذا أضيف إلى الماء مادة اليوريا ( $NH_4CONH_2$ )، بتركيز مناسب، فإن بلورات ملح الطعام تكون عبارة عن بلورات ثمانية الأوجه . والتفسير لما يحدث يمكن أن ينتج عن الامتصاص المفضل، فمثلاً إذا امتص جزيء عضوي على السطح البلوري بسبب المسافات الذرية المختلفة على المستويات البلورية المختلفة، فإن الجزيء سيمتص بقوة وخصوصاً على الأوجه المفضلة لامتصاصه . وهكذا، فإن معدل النمو النسبي للأوجه يمكن أن يتحور وينتج هيئة معينة للبلورة .

إن تأثير الشوائب على شكل البلورة يمكن أن يظهر بوضوح على مادة حديدي سيانيد البوتاسيوم، ففي المحاليل النقية يتبلور الملح على شكل أسطواني يشبه القلم الرصاص، أما إذا كان المحلول يحتوي على ٥٪ من هيدروكسيد البوتاسيوم، فإن البلورة تنمو نمواً متساوياً حيث تبدو كما في شكل رقم (١) .

إن تجريب بعض الأملاح من حيث قابليتها على التبلور قد أظهر تدرجاً واسعاً في قوة التبلور وثبات البلورة، فمثلاً كرومات البوتاسيوم ( $K_2CrO_4$ )، نجد أنها تتبلور عادة في شكل منتظم إلى درجة كبيرة وكذلك في أشكال مشوهة، أما نترات الصوديوم ( $NaNO_3$ )، وكلوريد الصوديوم، حيث يكونا بلورات هيكلي مملوءة بالسائل . وتنمو بعض الأملاح مثل، كبريتات النيكل ( $NiSO_4 \cdot 6H_2O$ ) على شكل بلورات كبيرة، ولكنها سرعان ما تتحلل ببطء في الهواء (عادة بفقدان ماء التبلر)، وتصيح البلورات غير شفافة، ثم تشكل بعد ذلك مسحوقاً غير متبلور .

## هوامش

- 1-Buckley, H. E., 1951. Crystal growth, John Wiley, & Sons, Inc. New York.
- 2-Fyfe, W. S. 1964. Geochemistry of Solids. MC Graw-Hill Book Co., Inc. New York.
- 3-Hurlbut, C. S. Jr., 1963. Dana's minerals and how to Study them. 3rd. ed, John Wiley, & Sons, Inc., New York.
- 4-Kittel, C., 1956. Introduction to Solid State Physics, 2nd. ed., John Wiley & Sons, Inc., New York.
- 5-Read, W. T., Jr. 1953. Dislocations in Crystals, Mc Graw-Hill Book Company, Inc., New York.
- 6-Vanhook, A. 1961, Crystallization theory and Practice, A. C. S. Monograph 152. Reinhold Publishing Corporation, New York.



# لوحة فناني

- ★ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٥٩ هـ .
- ★ خريج أكاديمية الفنون في روما - إيطاليا .
- ★ حصل على عدد من الجوائز العربية والعالمية .. كما فاز بالمرتبة الثالثة في معرض «البياني الثالث في إسبانيا» .
- ★ اختير عضواً في لجنة التحكيم الدولي في إسبانيا .
- ★ عمل في التدريس الفني فترة من الزمن ، كما عمل مديراً لمركز الفنون الجميلة في جدة .
- ★ أقام عدداً من المعارض في روما ، ميلانو ، باريس ، زيورخ ، بون ، كولون ، نوتردام ، بروكسل ، لندن ، مدريد ، ايبسا ، بيروت ، جدة ، الرياض ، الظهران .
- ★ له ألفا لوحة (٢٠٠٠) زيتية ، ومائية ، منها عدد من اللوحات في المتاحف العالمية .
- ★ يحضر حالياً للدراسات العليا في الفنون في مدريد - إسبانيا ، وفي نفس الوقت يعمل رئيساً لرابطة الفنانين العرب في إسبانيا ، ورئيساً لجمعية الفنون في مدريد لمنطقة الكركوم ، وعضو شرف في مجلة «جيرال» للفن والفكر ، ومجلة «الكركوم» الثقافية .

## اللون :

- ★ يسيطر اللون الأخضر الشفاف على الصورة ، لتأكيد ذلك العالم الأخضر الذي صنعه «الفصل» .. والذي ظل على الدوام ينشره في قلوب أبناء وطنه .. وفي قلب الوطن العربي والإسلامي .
- وقد استطاع الفنان أن يبرز الدور الحضاري المتطور الذي قاده الفصل باصرار ، حيث جعل من اللون الأخضر ، لوناً مزدهراً بالخير والحضرة .. وظل الرجل العظيم في اصراره على غرس أضواء الحضارة في ظلام التخلف على كل مساحة الجزيرة العربية .
- ★ يلاحظ «خفوت» اللون الأخضر في أجزاء من الصورة ، فالفنان يريد أن يقول : «إن الحزن سيطر على كل الأشياء لوداع ذلك الرجل صاحب القلب الأخضر ، الذي ظل مجاهداً في صمت وصمود إلى أن استطاع الخروج بشعبه ووطنه إلى دائرة الضوء .. والمعرفة والتطلع دائماً إلى مستقبل أفضل .
- ★ اللون الأزرق ، يمتد على مساحة اللوحة ، متمزجاً باللون الأخضر ، في «شحوب» ، ذلك اللون الأزرق الذي يرمز إليه الفنان بأنه علامة على الحزن الذي توغل في قلب الوطن والعروبة وانتزع الفرحه والصفاء .. والبهجة عن الأشياء .

## خلفية الصورة :

- ★ أغصان الزيتون ، رمز السلام .. تلك الدعوة المتساعدة التي ظل الفصل مكروساً حياته لها .. سلام لكل العالم .. سلام بلا استسلام ، من أجل عودة الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني .. ولكل شعوب الأرض ، ذلك السلام الذي دعا إليه الدين الإسلامي في تسامح ممزوج بالجهاد .
- ★ إن أغصان الزيتون ، تبدو شاحبة .. حزنًا على لحظة الوداع للرجل الشجاع .. وكذلك يرفرف حوله نائحاً ، وقلبه يرتجف لتلك اللحظة التي اعتصرت فيها القلوب من فوط الألم .
- ★ نلاحظ أيضاً وجود «القدس» بالقرب من قلب الفصل .. ويجواره القرآن الكريم ، حيث كان هناك اصرار أكيد من الرجل وأقسم .. ووعد ، على عودتها للمسلمين كحق لهم .. حتى قد اغتصب ولا بد أن يعود بتكاتف كل العرب ورفع راية السلم والسياف معاً .
- ★ وجوه عديدة يظهر في عيونها الشرود .. وشريط الذكريات لكل ما فعله الفصل من أجل المملكة والوطن العربي كله .

## التعبير :

- ★ نلاحظ في عيني الفصل ، نظرة الوداع للوطن العربي والإسلامي .. ولشعبه ، نظرة رضاء بأنه قد وفقه الله تعالى في غرس أغصان المحبة في القلوب .. وجلب الحضارة للمملكة . والخروج بها إلى دائرة الضوء ، رافعاً يده في وداع الملايين من المسلمين في أنحاء العالم .

## اللوحة :

- ★ لقد استطاع الفنان السعودي «الرضوي» أن يصف بريشته وألوانه موقف الوداع في بساطة شديدة .. بعيداً عن التعقيد .. أو لغة الرمز الذي يلجأ إليها الفن الحديث .







# دور الأم العاملة في تنمية شخصية طفلها



بمناسبة  
عام  
الطفل

بقلم: د. عبد الرحمن عيسوي

★ ظلت المرأة الأوروبية لسنوات طويلة ، تطالب بحقها في التمتع بالعمل في الوظائف والمهن المختلفة ، حتى أتاح لها المجتمع فرص العمل ، فاقتحمت ولا نقول بنجاح كافة مجالات العمل ، وبذلك تضاعفت الأعباء الملقاة على عاتقها ، حتى أصبحت ينوء بها كاهلها ، وتتململ منه قدراتها الطبيعية التي تعجز عن القيام بالواجبات المتعددة التي ألقيت عليها نتيجة لاصرارها على المطالبة بالمساواة في الوظائف بالرجل . . وأدركت أنها إنما كانت تنادي بالمساواة لا من أجل مصلحة الأسرة والمجتمع بقدر ما كانت الرغبة للمساواة بالرجل في حد ذاتها ★

وبعد أن فتحت أبواب العمل أمامها مصاريحها ، بل أصبح العمل خارج المنزل من الواجبات الملقاة عليها ، وأصبحت تجد نفسها ملزمة بالقيام به وفاء لحاجاتها ولحاجات أسرتها . فأصبحت تشعر الآن بالضيق والضجر من مزاوله العمل خارج المنزل إلى جانب أعبائها كزوجة وكأم ، وتطالب بالاعفاء من عبء تلك الأعمال التي ترهقها . هذا هو حال المرأة الأوروبية اليوم .

وليس عمل المرأة خطأ في حد ذاته ، بل إنه حق طبيعي يجب أن تتمتع به ، ويفتح لها المجتمع فرص العمل وعليها أن تختار بنفسها ، وإنما الخطر يكمن في تهديد كيان الأسرة وسلامة الأطفال النفسية والصحية ، فابتعاد المرأة عن جو المنزل لفترات طويلة وعودتها مرهقة من مجال العمل ، بل إن بعض الأعمال تتطلب من المرأة القيام ببعض الأعباء والواجبات العامة أو المتعلقة بعملها أيضاً . مثل هذا الغياب المفروض فرضاً على المرأة العاملة ، يحرم الأطفال من الرعاية النفسية ومن جو العطف والحب والحنان والدفء المفروض أن تضيفه الأم المثالية الصالحة على أبنائها .

فقد وجد أن أطفال الأمهات العاملات أقل تكييفاً من الناحية النفسية عن أطفال الأمهات ربات البيوت ، وقد دلت البحوث الحقلية أن الطفل الصغير ليس في حاجة إلى اشباع حاجته من مأكّل ومشرب وملبس ودفء بصورة آلية ميكانيكية صماء ، وإنما يحتاج في الحّل الأول إلى الشعور بالحب والدفء والحنان ، والمشاركة الوجدانية من خلال تقديم اشباع هذه الدوافع . كما وجد أن أطفال الملاجيء والمدارس الداخلية والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية ، أقل تكييفاً من أطفال الأمهات ربات البيوت .

وتدل الإحصاءات المحلية على وجود نسبة متزايدة من أبناء الأسر الراقية والتي تعمل الأمهات فيها من مرتكبي السلوك المنحرف والعاث والشاذ ، رغم ارتفاع المستوى المادي للأسرة وللشباب ، فأماكن اللهو والعبث تمتلئ بأبناء مثل هذه الأسر فضلاً عما يظهر من اضطرابات نفسية تصيب شخصية الطفل نتيجة للبقاء بمفرده لفترات تطول بطول غياب الأم في العمل أو في نشاطها الخارجي أو نتيجة للبقاء مع الخدم أو الأقارب أو الجيران .





هذا ولا شك أن اشتغال المرأة طوال اليوم ، وما تتكبده من أعباء في المواصلات تجعلها تعود للبيت مرهقة الجسد والأعصاب ، فتثور لأتفه الأسباب في وجه أطفالها وزوجها ، وتصبح غير قادرة على الوفاء بمطالب الأطفال الصغار .

هذا إذا ما سلمنا بتمتع شخصية الأم بالصحة النفسية والسواء والاتزان النفسي ، ولكن هناك قلة من الأمهات العصبيات بطبعهن ، فيزيد العمل من نورتهم وعصبيتهن وتوترهن وتهيجهن في وجه أبنائهن .  
مثل هذا التوتر ينعكس على نفسية الطفل الصغير ويترك بصماته قوية على شخصيته ، ذلك لأنه في مرحلة هو فيها غض العقل والتفكير مرن كالعجينة الطيبة ، ولأنه أمام الأم الثائرة يقف عاجزاً لا حول له ولا قوة ، فيكبت تلك الانفعالات في نفسه وتظل حبيسة نفسه حتى يكبر ، فتجد متنفساً لها في العدوان على المجتمع ككل ، كما حدث ذلك في حادث إطلاق النار على الأستاذ الجامعي .

مثل هذه الظاهرة الخطيرة أي إهمال الطفولة ينبغي أن نوليها أقصى درجات الاهتمام لتكوين أجيال صاعدة قوية سليمة عقلياً ونفسياً وخلقياً واجتماعياً وروحياً وجسدياً . فالمجتمع القوي السلم يتكون من أفراد أقوياء أصحاء أسوياء .  
ويتطلب ذلك التوسع في إنشاء دور الحضانة ، التي تتوفر فيها الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية والتربوية للنشء ، ورفع مستويات الرجال حتى يفي مرتب الرجل وحده لتحمل أعباء الأسرة ، وإعفاء الأم من أعباء العمل ، وخلق نظام العمل نصف الوقت المعمول به في أوروبا لاتاحة الفرصة أمام الأمهات لرعاية أطفالهن إلى جانب القيام بجزء من العمل العام .  
كما يتطلب علاج مثل هذه الظاهرة إعادة النظر في قوانين الأحوال الشخصية ، بحيث لا يودع الطفل في قبضة الأم مهما كانت حالتها النفسية من التوتر والاضطراب ، والأخذ برغبة الطفل وإحساسه ، وإشعار الطفل بأنه محبوب مرغوب فيه وإشعاره بالسعادة والحب والدفء والحنان ، سواء أكان مصدر هذا الحب وتلك الرعاية الأم أم الأب على حد سواء ، لأن الشخص الذي يعيش مع شخصية معتلة يتمص هذه الشخصية ويقلدها شعوراً أو لا شعورياً إلى جانب الآثار المدمرة ، التي تركها معايشة مثل هذه الشخصيات المضطربة على الكبار أنفسهم فما بالك بالصغار .

ومن مظاهر الاهتمام بالطفولة أيضاً ، إعفاء أطعمتهم وملابسهم ولعبهم وحدائقهم وملاهيهم من الضرائب ، بل وإسهام الدولة في نصيب مما يتكلفه الطفل تحقيقاً لرعاية ولرفاهية فلذة أكبادنا ورجال مستقبلنا الباسم .





بمناسبة  
عام  
الطفل

# صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية

بقلم: يعقوب محمد اسحق

عرفت المملكة العربية السعودية صحافة الأطفال أول ما عرفت قبل حوالي عشرين عاماً ، فهي بذلك لم تتأخر كثيراً عن ركب صحافة الأطفال العربية ، إلا أن هذه التجربة الأولى تعثرت بسبب ضعف الإمكانيات المادية وعدم التجاوب معها وقلة المؤمنين بدورها وندرة الأدباء يميلون إلى التأليف للأطفال .

ورئيس تحريرها الأستاذ طاهر زغنخري وهي أول مجلة ثقافية مصورة تصدر للأطفال في المملكة .

- بمطالعة الأعداد التي صدرت منها واحتفظ بها نلاحظ عليها ما يلي :
- ثمنها نصف ريال سعودي .
- تتكون من ١٦ صفحة .
- حجمها ٢٢ × ٣٠ سم .
- صدر منها ٢٧ عدداً فقط خلال سبعة أشهر .
- رئيس تحريرها لم يساهم في تحريرها بعد العدد الخامس منها بعد أن كان منتظماً في كتابة افتتاحية الأعداد الخمسة الأوائل .
- نصف صفحات المجلة مطبوعة بالألوان .
- خمس صفحات منها للإعلانات .
- بها قصة واحدة مصورة بالألوان في كل عدد .
- في كل عدد منها جزآن من قصتين تحريريتين مسلستين .
- توقفت عن الصدور أول مرة بعد العدد الثاني عشر الصادر في ١٣٧٩/٦/٤ هـ ، لمدة ٢٦ يوماً دون إبداء الأسباب .
- توقفت عن الصدور للمرة الثانية بعد العدد الرابع والعشرين الصادر في ١٣٧٩/٩/٢٠ هـ ، لمدة شهر كامل دون إيضاح السبب أيضاً .

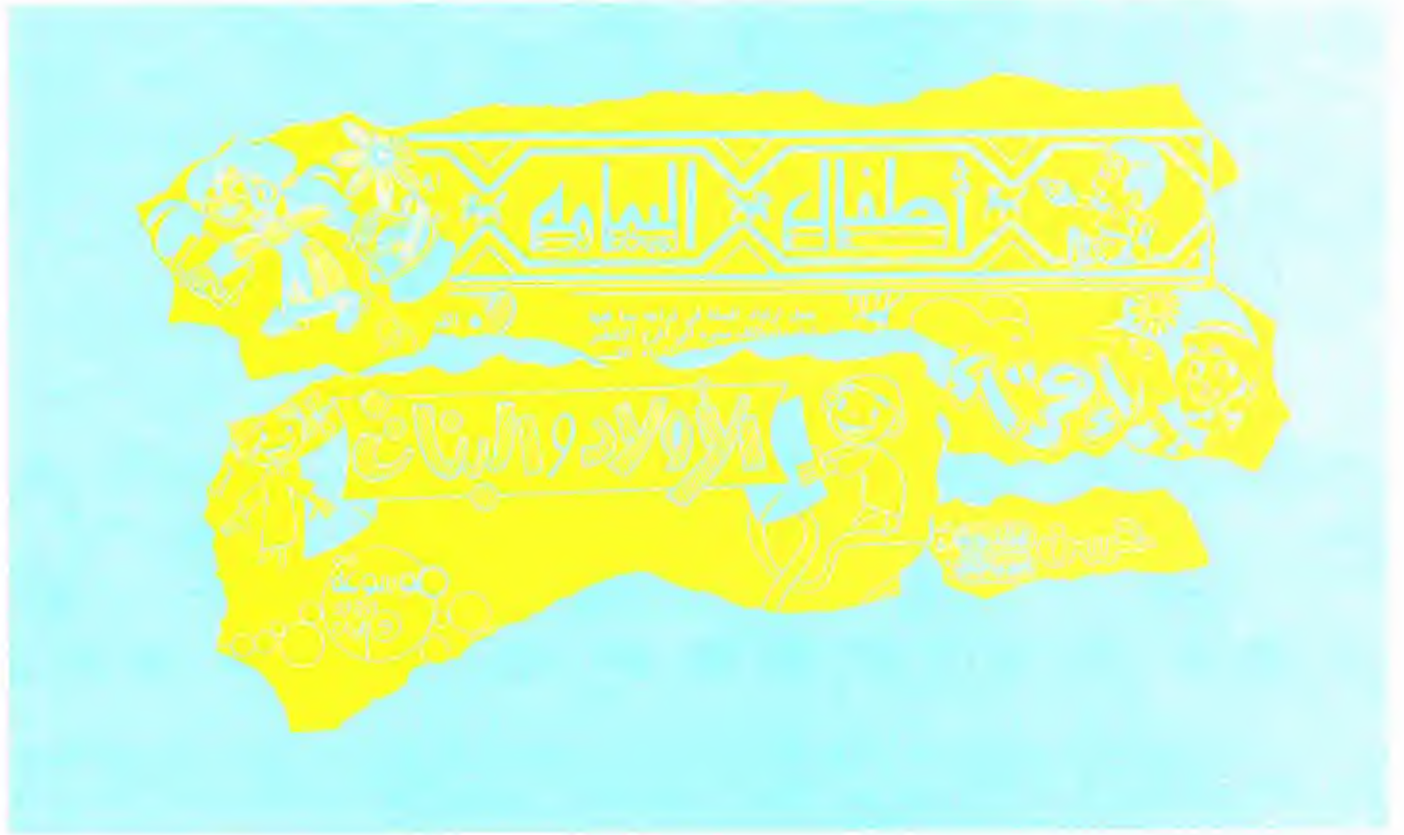
وبعد سنة عشر عاماً من تاريخ التجربة الأولى خاضت الصحف اليومية السعودية تجربتين طبيبتين على شكل صفحة أسبوعية للأطفال ، وتوقفت التجربتان عند صدور مجلة (حسن) الأسبوعية للأطفال التي ما زالت توالي صدورها رغم كل الصعوبات . . وإلى جوار مجلة (حسن) مجلتي (الجمامة) و(اقرأ) الأسبوعيتين تقدمان صفحتين للأطفال ضمن ما تقدمانه لقرائها<sup>(١)</sup> . وهذا البحث استعراض وتحليل لكل التجارب السابقة في صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية والتي ما زالت تشق طريقها .

## أول مجلة أسبوعية للأطفال

قبل إجراء أي تجربة صحفية تمهد لميلاد صحيفة متخصصة للأطفال ولدت أول مجلة للأطفال في المملكة العربية السعودية باسم (الروضة) وكان اشتغال عدد من المواطنين بكتابة وتقديم برامج للأطفال في إذاعة جدة هو الذي أوحى للشاعر الأستاذ طاهر زغنخري بفكرة إصدار أول مجلة للأطفال ، فكان بذلك رائد صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية .

ففي يوم الخميس الموافق ١٤/٣/١٣٧٩ هـ ، الموافق ١٧/٩/١٩٥٩ م ، صدر العدد الأول من مجلة (الروضة) لصاحبها





الوفاء بها ، فانهارت أعصابه وسافر إلى الخارج وحاول أصدقاء المجلة وبعض أصدقائه أن يحتضنوها بعد سفره ، وتمكنوا من اصدارها بعد سفره فترة من الزمن ، ولكنهم اضطروا إلى التخلي عنها لتراكم الحقوق المالية للمطبعة على المجلة وعدم تمكنهم من تسديدها بصفتهم الشخصية .

بعد توقف مجلة (الروضة) عن الصدور بستة عشر يوماً أصدرت جريدة (البلاد) التي تصدرها مؤسسة البلاد للصحافة والنشر أول صفحة أسبوعية للأطفال باسم : (عالم الصغار) في عددها رقم ٤٨٨٦ الصادر في ١٣٩٥/٣/٦ هـ ، من إعداد ورسوم الفنان عادل بطراوي ، واستمرت في الصدور عشرة أشهر تقريباً ، ثم توقفت عن الصدور بعد العدد رقم ٥١٤٥ ، الصادر في ١٣٩٦/١/٢٦ هـ ، وذلك لانتقال خدمات معد ورسام هذه الصفحة في الجريدة إلى مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر تمهيداً لإصدار مجلة (حسن) التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

وبمطالعة صفحات (عالم الصغار) يمكن تحليلها إلى العناصر الآتية :

● كانت تعتمد في الغالب على شخص واحد في إعدادها ورسومها .

● توقفت عن الصدور للمرة الثالثة بعد العدد الخامس والعشرين الصادر في ١٣٧٩/١٠/١٩ هـ ، لمدة أسبوعين دون ذكر الأسباب .  
● توقفت عن الصدور نهائياً بعد العدد السابع والعشرين الصادر في ١٣٧٩/١١/١٧ هـ .

وإذا بحثنا عن أسباب توقف هذه التجربة الرائدة لصحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية ، نجد أن مقدمات تعثرها تعود إلى الأيام التي تلي صدور العدد الخامس منها حينما لم يعد رئيس التحرير يشارك في تحريرها ، وأعلن عن سفره إلى خارج المملكة في العدد الثاني عشر الصادر في ١٣٧٩/٦/٤ هـ .

وبعد توقف رئيس تحريرها عن الكتابة وسفره إلى الخارج تحمل مسؤولية اصدارها الأستاذ عبد الغني قسبي مدير تحرير جريدة (البلاد) حالياً حتى توقفت المجلة عن الصدور للمرة الأولى بعد عددها الثاني عشر لمدة ٢٦ يوماً ، وبعد ذلك تحمل مسؤولية اصدارها الأستاذ محمد زكي عوض حتى صدور آخر عدد منها توقفت خلال ذلك مرتين قبل أن تتوقف عن الصدور نهائياً .

كان صاحب هذه المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ طاهر زغشري قد وضع كل ما يملك من حطام الدنيا من أجل اصدارها ، ولما لم يجد الدعم المادي في الوقت المناسب أفلس وأصبح مديناً للمطابع بمبالغ يعجز عن





- ج - زاوية للتسلية وتنشيط ذهن الطفل بعنوان : (للأذكاء فقط) .
- د - زاوية لمسابقة ثقافية وجائزة .
- هـ - زاوية لصور الأصدقاء .
- و - زاوية لبريد القراء .
- ز - كاريكاتيراً أسبوعياً .

### ثاني مجلة للأطفال

بعد ١٨ عاماً من توقف مجلة (الروضة) عن الصدور أصدرت مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر مجلة (حسن)، وهي مجلة أسبوعية صدر العدد الأول منها يوم الأربعاء ١٣٩٧/٥/٢ هـ، الموافق ١٩٧٧/٤/٢٠ م.

ويعطالعة الأعداد التي صدرت حتى الآن من مجلة (حسن) نلاحظ عليها الملامح الأساسية الآتية :

- تخاطب الأطفال من سن السادسة حتى الخامسة عشرة .
- حجمها ٢٨ × ٢٠ سم .
- تتكون من ٣٢ صفحة كانت كلها ملونة حتى نهاية السنة الأولى من عمرها ثم جرى تخفيض الألوان إلى لونين في ثمان صفحات منها في محاولة لتخفيض تكاليف إنتاجها .
- نصف صفحاتها مخصص للقصاص المصورة الكاملة والمسلسلة .
- غالبية قصصها المصورة مسلسلة .
- في كل عدد منها قصتان تحريريتان كاملتان ، إحداهما دينية ، والأخرى ذات موضوع آخر ، وتحتل كل منها صفحتين من المجلة .
- يضم العدد قصيدة للأطفال .
- بها صفحة للرياضة .

- تنشر أحياناً قصة تحريرية قصيرة وجزءاً من قصة تحريرية مسلسلة في الغالب هي قصة جول فيرن : ( ٨٠ يوماً حول العالم ) .
- تنشر في كل مرة حلقة من قصة مصورة مسلسلة بعنوان (مغامرات طارق في البحر الأحمر) .
- تنشر في كل مرة مسابقة بدون جوائز يكتفى فيها بنشر صورة الفائز الأول وأسماء بقية الفائزين .

- تنشر في زاوية منها صور عدد من أصدقاء الصفحة .
- ترد في زاوية أخرى على بريد القراء .
- تضم في معظم الأحيان زاوية للتسالي والألعاب الذهنية .
- وبقية المواد عبارة عن مواد ثقافية متنوعة يعرف مضمونها من عناوينها مثل : (سؤال وجواب) و(هل تعلم ؟) و(دائرة معارف) .

### ثاني صفحة للأطفال

في ١٣٩٦/٥/٨ هـ، أصدرت جريدة عكاظ اليومية التي تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر صفحة أسبوعية للأطفال باسم (حسن) من إعداد ورسوم الفنان عادل بطراوي تحت إشرافه ومشاركته في تحريرها بكتابة قصصها المصورة ، واستمرت في الصدور مدة خمسين أسبوعاً ثم توقفت عن الصدور في الأسبوع السابق لصدور مجلة (حسن) . ويعطالعة صفحة (حسن) في جريدة عكاظ نلاحظ عليها الآتي :

- تضم الصفحة افتتاحية توجيهية للأطفال .
- أنها تضم الزاوية والمواد التالية :
- ١ - قصة كاملة مرسومة .
- ب - زاويتين لمواد ثقافية بعنوان : (دائرة معارف صغيرة) و(البحث عن الإجابة) .





★ طاهر زعهرى ★  
صاحب أول مجلة أطفال في المملكة



★ أحمد قنديل ★  
كتب شعراً للأطفال



خصصت مجلة (الجمامة) التي تصدرها مؤسسة الجمامة للصحافة والنشر صفحتين للأطفال ابتداء من عددها رقم ٤٦٤ الصادر في ١٣٩٧/٥ هـ، باسم : (أطفال الجمامة) .

وبمطالعة هذه الصفحة نلاحظ ملاحظاتها الآتية :

- بها قصة تحريرية أو مصورة .
- زاوية لصور الأصدقاء .
- زاوية لنشر مختارات الأصدقاء .
- زاوية لتعريف الأطفال بالملكة العربية السعودية .
- زاوية للمعلومات العامة .
- وابتداء من العدد ١٨١ الصادر في ١٣٩٨/٨/١ هـ، صدرت في مجلة (اقرأ) صفحتان للأطفال باسم : (الأولاد والبنات) .
- وبمطالعة هاتين الصفحتين نلاحظ عليها ما يلي :
- بها زاوية للتسالي والألعاب الذهنية .
- زاوية لنشر المواد الثقافية المتنوعة .
- زاوية للقصص والحكايات العربية .
- زاوية لنشر صور الأولاد والبنات .
- قصة تحريرية مرة وقصة مصورة في مرة أخرى .

(١) المجلة : وكذلك صفحة جريدة البلاد التي تقدمها ماما عبادة .

● صفحتان للمعلومات العامة .

● صفحتان للبنات تحويان قصة تحريرية وبعض التوجيهات المناسبة .

● كانت الصفحتان قبل الأخيرة حتى العدد الخامس عشر مخصصتين للشعر الشعبي بعنوان : (قناديل حسن) من تأليف الشاعر المعروف (أحمد قنديل) ثم نشرت فيها موضوعات أخرى لانقطاع الشاعر عن مد المجلة بالجديد من إنتاجه .

● في الغلاف الأخير من كل عدد قصة مصورة قصيرة باستثناء بعض الأعداد .

● تستخدم المجلة الفصحى المبسطة في كل موضوعاتها باستثناء الشعر الشعبي الذي نشر في الأعداد (١ - ١٥) على الصفحتين قبل الأخيرة ، والكاريكاتيرات حيث استخدمت فيها اللغة العامية المستعملة في المنطقة الغربية من المملكة

● كل شخصيات المجلة ترتدي الزي العربي المعروف باستثناء أبطال القصص الكشفية .

● من المحاولات الجديدة للمجلة إحياء بعض الكتب القديمة بعرضها بأسلوب صحفي مناسب للأطفال ، مثل إعادة نشر كتاب :

(كليلة ودمنة) الذي ترجمه عبد الله بن المقفع بأسلوب عصري مصور بعد تخليصه من الأفكار والآراء الفلسفية ، ومن هذه المحاولات تحبيب المسرح للأطفال في المملكة العربية السعودية بنشر نصوص تصلح للتمثيل في الفصول الدراسية أو في أي مكان آخر .

● المجلة تربوية وخالية من الاعلانات التجارية والصناعية .



زهرة

# اللوتس

الجميلة

ملهمة

القنات

والقنات

بقلم: عبد الكريم محمود منجد



\* بحيرة من اللوتس ، تظهر اللوتس في جميع مراحلها ، من البرعم حتى التفتح الكامل \*

الميكانيكية قليلة<sup>(٣)</sup> . أما الجذور والسوق والأوراق في هذه الأنواع من النباتات فهي منحورة محوراً شديداً ، فبشرة جميع الأعضاء غير متكونة . ولذلك فهي قادرة على امتصاص الغازات والمواد الغذائية من الماء مباشرة . والجذور مختزنة في الحجم إلى حد بعيد .

## تسميات اللوتس وأصولها

إن الباحث في تسميات اللوتس الأخرى يجدها كثيرة ، ومحيرة ، بحيث يجد عناء في البحث عنها ، والتأكد منها ، وحصرها ، لصعوبة الإشارة الصريحة أحياناً على أن هذه التسمية الجديدة للزهرة ، هي مثلاً ، تسمية أخرى لمسمى واحد هو اللوتس . ولا يسعفنا في حل هذا الاشكال في التسميات المتعددة للزهرة نفسها ، إلا الكتب الأخرى ، التي تترجم لحياة التسمية الجديدة للزهرة وتصفها ، وللتمثيل أقول : في كتاب لأبي بكر الرازي ، كالحاوي الكبير ، مثلاً ، نجد النيلوفر ، ونجد البشنين ، وهما مسميان للزهرة ذاتها ، لكن الرازي عند وصف البشنين لا يذكر أنها النيلوفر ، فإذا بحثنا في كتاب آخر عن البشنين ، نجده يقول : البشنين هو النيلوفر ، أو اللوتس ، والبشنين بعامية أهل مصر .. هكذا .

ولنلم سريعاً بالتسميات الكثيرة لزهرة اللوتس أو النيلوفر ، التي جاء تعددها نتيجة لتعدد البيئات المناخية التي عاشت فيها ، وأورد التسميات وأصولها هنا ، على سبيل المثال لا الحصر .

فهي نيمفا<sup>(٤)</sup> بالرومية واليونانية .

وهي نيلوفر<sup>(٥)</sup> بالفارسية ، وتعني النبات المنحني أو ذا الأرياش .

## النباتات الطافية

تعتبر زهرة اللوتس من النباتات المدارية الاستوائية التي تعيش في المناطق الحارة والمعتدلة ، ولذلك وجدت في مصر والهند ، وجنوب شرق آسيا ، كتايلند التي تحتفظ إلى اليوم بشيء من القداسة هناك . كما نجد على ضفاف نهر الأمازون بحجم أكبر من غيرها ، نظراً لتوافر الماء والشمس بصورة دائمة .

واللوتس أو النيلوفر ذات فصيلة مستقلة تسمى النيلوفريرات<sup>(١)</sup> ، وهي نبذة طافية ، والنباتات الطافية أنواع مختلفة تعيش في البيئات المائية التي يتراوح عمق الماء فيها من ٦ - ٨ أقدام ، ذات التربة الرسوبية الطينية .

تبدأ الأنواع المختلفة من النباتات الطافية في غزو المساحة التي كانت فيما مضى مشغولة بالرواد من النباتات المغمورة . وتهاجر هذه النباتات الطافية بوساطة ريزوماتها من مواقعها إلى مواقع جديدة الضحلة . ومن أهم هذه الأنواع زنباق الماء المختلفة مثل البشنين (Nymphae) ، وكاستاليا (Castalia) .

ولأنواع هذه النباتات جذور مثبتة في القاع ولها كلها تقريباً ريزومات قد يبلغ طولها بضع أقدام ، ولها سوق تعطي جذوراً عند العقد . وتكون أعناق الأوراق أو الأفرع متفاوتة في الطول بحسب عمق الماء ، بحيث تسمح للأوراق العريضة بأن تطفو بسهولة على سطح الماء<sup>(٢)</sup> .

والنباتات الطافية تتكيف مع الحياة المائية ، وهذه التكيفات تحدث كاستجابة للمحتوى المائي الزائد عن الحد ، لذا ، فالأنسجة الواقية من الإفراط في فقد الماء والأضرار



وكرنب الماء<sup>(٦)</sup> (القرنيط) بالسريانية وا السنسكريتية .

ونيلومبو<sup>(٧)</sup> بالسنگالية (Nyumbo) .

والبشنين<sup>(٨)</sup> بعامية أهل مصر .

والخندقوي<sup>(٩)</sup> بعامية أهل العراق .

ويقال قبطي<sup>(١٠)</sup> ، في مصر أيضاً ، سمي بذلك لحبته الشبيهة بالفول أو البازيلا .

والاهليلج<sup>(١١)</sup> .

والجلجلان<sup>(١٢)</sup> .

والتاجر عند أهل المغرب العربي ، لأن الزهرة تنفتح صباحاً ، وتنغلق مساءً<sup>(١٣)</sup> .

والطرخون . يقول ابن منظور في لسان العرب : « بقل طيب يطبخ مع اللحم » .

وهي الخوذان .. الخ .

### أهمية اللوتس الطبية والغذائية عند الشعوب القديمة

لم تنب عن أذهان القدماء في محاولاتهم التجريبية أهمية اللوتس من الناحيتين الطبية والغذائية . أما من الناحية الطبية ، فقد عرفوا تأثيره كعامل مكسل ، يسبب التراخي والكسل وكثرة النسيان .

يذكر هوميروس في الأوديسة أن شعباً يعيش في شمالي إفريقيا كان يأكل اللوتس ، ويغيا على تلك الحالة الكسلة ، التي يجدها هذا النبات<sup>(١٤)</sup> . لكن ليست هذه فقط أهمية اللوتس من الناحية الطبية عند القدماء زمن هوميروس ، بل كانوا يتطبلون بها علاجاً لأمراض المعدة ، فإن لم يكن لهم داء اتخذوا منه شراباً يفصد من القمار ويخمر سلاقاً طازجة تصلح لأكثر من عشرة أيام<sup>(١٥)</sup> .

يجدنا الباحث علي فهمي خشيم في كتابه «قراءات لبيبة» عن اللوتس وأكلته (اللوتوفوجي) ، فيحدد بيئة الشعب الذي ذكره هوميروس في الأوديسة بشعب ليبيا ، وبالتحديد أكثر الذين يعيشون في جزيرة جربة وحول خليج سرت الصغرى أو خليج قابس اليوم ، أو الذين عاشوا ما بين شرقي قابس حتى كعمام ، كما يحدد ذلك سكيلاكس ويطليموس<sup>(١٦)</sup> .

وعندما نزل رجال أوديسيوس على الشواطئ الليبية كادت هذه النبتة ، بمحلاوة مذاقها تنسبهم أوطانهم الأصلية<sup>(١٧)</sup> ، يقول بطل الأوديسة :

سلا وطنه ، ورغب عن الإياب إليه أبداً ،

ولن يعرف صاحبه مصيره

لئن اشغى من رسل أن يحيا بين أكلة

اللوتس ويطعم تلك الفاكهة

فلن يؤوب أبداً الدهر<sup>(١٨)</sup> .

أما من الناحية الغذائية ، فقد كان مرغوباً في مصر القديمة ، للطبخين الذي كان يصنع من سوقه وجبوه<sup>(١٩)</sup> ، كما كانت الحبات الشبيهة بجبات الفول أو البازيلا وهي صفراء كالزعفران تؤكل أيضاً<sup>(٢٠)</sup> ، وهذه الحبات موجودة في الوعاء الأسفل الحامل لتوزيع الزهرة . ويظهر أن جذور اللوتس أيضاً كانت من مكونات المائدة الصينية منذ القدم ، فقد دلت الحفريات الأثرية التي جرت في الضاحية الشرقية لمدينة تشانغشوا بمقاطعة هونان على وجود بقايا طعام في بعض الأواني الملكية ، مكونة من قطع من جذور اللوتس ، وعظام دجاج ، وأسماك ، ومأكولات مصنوعة من الأرز والقمح . وقد اكتشفت هذه الأواني في قبر لأسرة هان الغربية الملكية (٢٠٦ ق م - ٢٢٤ م) ، يعود تاريخه إلى ٢١٠٠ عام ، وترجع تلك الأواني إلى أسرة الأمير داي<sup>(٢١)</sup> .

### اللوتس في كتب الأطباء المسلمين

قبل أن أتحدث عن فحوى العنوان الأتف الذكر ، أريد أن أوضح أمراً مهماً هنا ، وهو أنه بالرغم من أن التسميات المتعددة التي مرت كلها تختص بزهرة اللوتس نفسها ، إلا أن كتب الطب في العصور الإسلامية زمن ابن سينا والرازي وابن البيطار ، وغيرهم ،

يفردون لكل مسمى من التسميات باباً ، مما يسبب خلطاً بسيطاً لكنه مضمن في فهم خصائص هذه الزهرة النادرة الفريدة . لكن ذلك لا يشكل عائقاً أمامنا أن نفهم أن المؤلف في حديثه عن التسمية الجديدة للزهرة إنما يقصد زهرة اللوتس نفسها التي نتحدث عنها ، فإذا فتحت باب الباء تجده يتحدث عن الباقلا القبطي ، والبشنين ، وإذا فتحت باب النون ، تجده يتحدث عن النيلوفر أو النيوفر ، أو فتحت حرف الحاء فيتحدث عن الخندقوي والخوذان ، لكن المؤلف القديم لا ينسى أن ينوه في كل مرة أحياناً بقوله : النيلوفر ، وهو البشنين عند عوام أهل مصر ، أو ينوه بقوله : البشنين هو الخندقوي عند عوام أهل العراق ، وهو النيلوفر بالفارسية ، وهكذا . . لكنهم يجمعون على أنها هي زهرة اللوتس التي ينص الحكماء على فوائدها الطبية الكثيرة ، ومن هذه الفوائد :

١ - إذا شرب الأصل (الجذر) بالشراب ، نفع من الاسهال المزمن وقشرة الأمعاء وحلل ورم الطحال . وقد يتضمد به لوجع المعدة والمثانة ، وإذا خلط بالماء الصافي وصير على البهق أذهب ، وإذا خلط بالزفت وصير على داء الثعلب أبراه<sup>(٢٢)</sup> .

٢ - قال جالينوس : ينفع من قروح الأمعاء ، وما كان منه أبيض الأصل يقطع النزف العارض للنساء<sup>(٢٣)</sup> .

٣ - زهره ينوم ويسكن الصداع إلا أنه يضعف<sup>(٢٤)</sup> .

٤ - في كتاب الأدوية القلبية ، يقول : إنه يقرب في أحكامه من الكافور إلا أنه يربط لقوته وكثرة برودته ، فيحدث في جوهر الدماغ كلالاً وفتوراً ، إلا أنه يكون محتاجاً إلى ترطيب وتبريد لتعديله<sup>(٢٥)</sup> .

٥ - يقول أبو بكر الرازي عن الباقل القبطي (اللوتس) : عسر الانضمام ، تعرض منه أحلام رديئة ، ويصلح للسعال ، ويزيد في اللحم<sup>(٢٦)</sup> .

٦ - ودهن النيلوفر يدخل في مكونات بعض الحقن التي تعطى لمصابي مرض الديابيطس ، المعروف الآن بمرض البول السكري ، والحقنة تتكون بالإضافة إلى دهن النيلوفر من البقلة الحمقاء ، وماء حي العالم ، وماء الحس ، وماء ورق الخشخاش الطري ، وماء أغصان الورد والشعير ، ودهن ورد ، و...<sup>(٢٧)</sup> ، ويختنق به .

ونحن إذ نعرض لأراء الأطباء المسلمين في زهرة النيلوفر ، نذكر القارئ بطريقة هؤلاء الأطباء العلمية المبينة على الاختيار والتجربة ، وليس فقط على النظريات والتخمين ، ولذا فقد استمر الأوروبيون يدرسون كتب الأطباء المسلمين المبينة على أسس علمية لمدة طويلة في جامعاتهم ككتب ابن سينا والشيخ الرئيس والرازي .

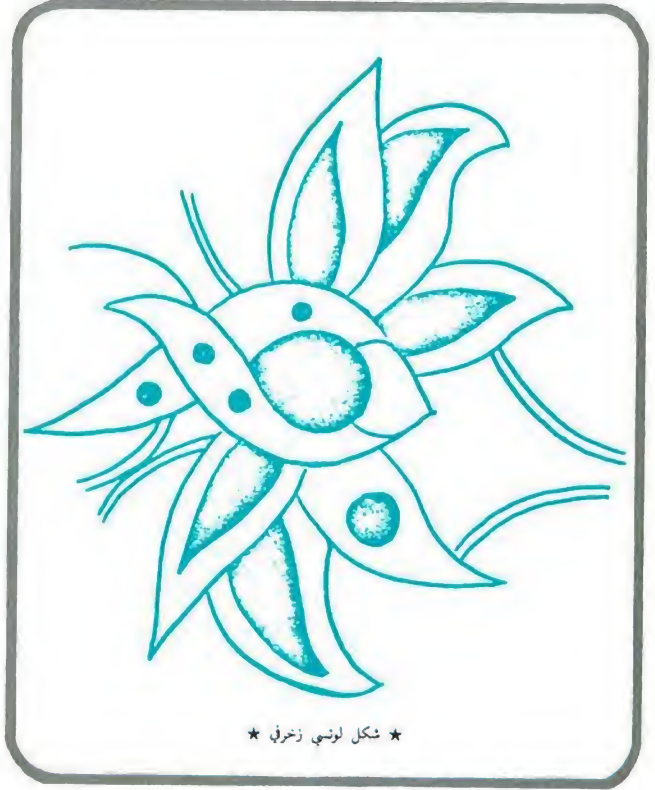
\* اللوتس الفرعوني الأحمر ، وتظهر البتلات الثلاثية واضحة\*





وقد استمر الاهتمام الطبي بالنباتات حتى اليوم بما صاحب هذا الاهتمام من تطور علمي وفق تجارب كثيرة، معتمدة على أحدث الأجهزة المتبعة .

تكاد لا تخلو موسوعة طبية أو علمية أجنبية من إبراز خصائص زهرة النيلوفر والدور الذي تؤديه في صنع العقاقير الطبية كملين، وصالح للسعال، وأوجاع الجنب والرئة والصدر<sup>(٢٨)</sup>، ومدر للبول، كما أنه يزيد في نشاط الجسم الوظيفي، كالمصابين بمرض القلب... الخ<sup>(٢٩)</sup>.



★ شكل لوني زخرفي ★

### اللوتس وتأثيراتها الزخرفية

حظيت زهرة النيلوفر أو اللوتس منذ القدم بهالة من التقديس والاحترام يفوق حظ أي زهرة أخرى . وكان حظها في مصر خاصة أقوى هذه الحظوظ جميعاً . على أننا نجد الحظ يتوزع أيضاً على أزهار ونماذج أخرى . فأوراق الكائنات، لم تخل منها الآثار الاغريقية أو الرومانية، كما لم تخل هذه الآثار من المراوح النخيلية أو أنصافها التي تسمى بالانتيمون<sup>(٣٠)</sup>.

وقد استخدم الفنان الاغريقي أيضاً أصنافاً من النماذج في الزخرفة كورقة اللبلاب وأوراق الزيتون وأوراق العنب وكيزان الصنوبر<sup>(٣١)</sup>. وقد بقيت هذه متجسدة في فن العمارة الأموي الاسلامي، فقبعة الصخرة مزودة بهذه العناصر النباتية، بالإضافة إلى نماذج التمر والرمان واللوز والبندق... الخ، أما العناصر اللوتسية، فنحن نشاهدها بين زخارف الفسيفساء في قبة الصخرة، والزخارف المحفورة في الحجر في واجهة قصر المشتى وقصر الطوبة، وهذه العناصر من النموذج الفرعوني، والمقصود بالنموذج الفرعوني، ما كانت بتلاته (Petals)، موزعة بطريقة زخرفية في صفوف وراء بعضها، فالصف الأول توجد فيه عادة ثلاث بتلات ظاهرة كلها، ووراء صف ثان، صف فيه البتلات بحيث تظل الواحدة منها بين اثنتين من الصف الأول، ثم يأتي صف ثالث تظهر فيه أطراف البتلات من بين أطراف بتلات الصف الأول والثاني وهكذا<sup>(٣٢)</sup>. ومن المثير بالذكر أن العناصر اللوتسية في قبة الصخرة تتصل بعلاقة وثيقة بعناصر لوتسية ساسانية وجدت في قلعة كهنة (بضم الكاف) في فارس وفي طاق بستان<sup>(٣٣)</sup>.

ارتبطت زهرة اللوتس بتقاليد ومعتقدات انتشرت في ربوع العالم القديم، وكان لها دور

كبير في المعتقدات الدينية والأسطورية والاجتماعية والثقافية لبعض الدول . فأهل الهند مثلاً يعتقدون أن بوذا خلق من النيلوفر، والآشوريون يقدسون الثور ذا الأجنحة الثلاثة كرمز للعبادة المثلثة عندهم .

دعونا بنظرة استقرائية نخرج بالجواب أو بعضه على تساؤلنا عن سبب تقديس القدماء لزهرة اللوتس .

كانت الأنهار العظيمة ذات المنسوب المرتفع في مياهها وفيضانها، ذات أهمية كبيرة عند أهل مناطق تلك الأنهار، حتى أصبحت هذه الأنهار سر حياتها، وسبب بقائها، فإذا ما انقطع خيرها، وتوقف فيضانها، حلت المصيبة على الناس، وتهددتهم الموت . فكان عليهم أن يتعهدوا هذه الأنهار عند توقف فيضانها بالقرابين والأدعية، تكفيراً عن ذنوبهم وتقرباً منها، لدفع ما سيحل بهم من موت وخراب إذا انقطعت . فإذا استجاب النهر إلى هؤلاء المتضرعين المتزلفين، وقاضت مياهه على جنبات الأرض، عاد الزرع والنبات إلى اخضراره وروعته، وظهرت زهرة جميلة الألوان عريضة الأوراق تطفو على سطح الماء الذي هو سر حياتهم ومصدر خوفهم عند غيابه، فكانها ارتبطت عندهم بمرض النهر، الذي يفيض بمياهه، كبشرى زاهية حبيبة لدوام هذا العطاء، وقد نمت (بتشديد الميم) عندهم هذا الاحساس تكاثرت هذا النبات الطافي بغزارة في كل مرة يفيض النهر فيها، حيث ترتفع نسبة الطمي (الغرين) في مياه النهر، وعلى جنباته، والطيني هذا هو البيئة الصالحة لنمو هذا النبات وتكاثره .

المتبع لأساطير الشعوب البحرية، لا يجدها تخلص من الأساطير التي تدور حول عرائس الماء التي تظهر للبحارة وتساعدنهم، وربما تساعدهم، كما نرى في أساطير ألف ليلة وليلة المعروفة . لكن الشعوب النهرية التي لم ترق أنهارها إلى ضخامة البحار، أو ابتعدت عن البحر، أوجدت لها عرائس أخرى تفاخر بها وتقديسها، وتخلدها في معابدها، وتصحبها معها إلى الآخرة، كما هي في آثار الفراعنة فيما سئرى .

في اللغة اليونانية تسمى زهرة اللوتس أو النيلوفر بنيمفيا (Nympha)، وتعني عندهم إلهة البحر، ولكنها لم تعتبر عندهم من الآلهة الكبرى كإفروديت مثلاً، بل اعتبرت عندهم إلهة صغرى<sup>(٣٤)</sup>، ومع ذلك ازدانت بها معابدهم، كما ازدانت بها معابد الآشوريين والكلدان .

وفي الحضارة الفرعونية تأخذ الزهرة هالة كبيرة من التقديس حتى غدت شعار الدولة والتاج، وأغنية الصغار في لهوهم، وملهمة الفنان في لوحاته، ومصاحبة المصري إلى آخرته، أليست هي روح الإله عندهم ؟

واعتقد أن عبادة اللوتس أو تقديسها مرتبط بعبادة الشمس عند الفراعنة، فالناظر إلى بقايا الآثار الفرعونية الموجودة الآن في المتاحف، يجد زهرة اللوتس مرافقة لشجرة صغيرة مكروحة تسمى الجمل (بضم الجيم وتسكين العين)، وهي بالعامية (أبو جمران)، والجمل في حركته إلى الخلف وإخراجه التراب، وغير ذلك، ينظر إلى الشمس، ويتأثر بها (\* راجع : دليل المتحف الأردني)، وزهرة اللوتس أيضاً تتفتح في الصباح مع الشمس، وتغفو عند غيابها .

يتحدث الغني المصري عن حبه فيقول :

«سأرتقي صفحة النيل، ومعى حزمة من الغاب أحملها على كاهلي، سأذهب لليلة، فالنهر خر، تباح غابه، وسوخت لوتسه، وإيسارت براعمه، ونفرتم زهوره...»<sup>(٣٥)</sup>

وفي نشد آخر، يخاطب المنشد النيل :

«وعندما يفيض في العاصمة، ينعم الناس بالخير الغزير، فيستشرف الصغير إلى أزهار اللوتس، ويتعنى الدبر أن تجتمع له كل أنواع الخيرات...»<sup>(٣٦)</sup>

ومن أهم الآثار المصرية الفرعونية التي بزهره اللوتس : رأس توت غنخ آمون<sup>(٣٧)</sup>، وكذلك تمثال للنيل في الدولة الوسطى يتدل من يده اللوتس معلقاً به السمك والبط والبردي...<sup>(٣٨)</sup>

وفي العمارة الاسلامية، حظيت اللوتس بالدور الكبير ممثلة بتوجيهها الثلاثي كزخرفة فنية، دون الاهتمام بقداستها القديمة، بل لجعلها الفريد . ومن أهم الآثار تلك قبة الصخرة، وقصراً طوبة والمشتى للذنان بنهما الخليفة الوليد بن يزيد الأموي . وفي العمارة عموماً، يونانية كانت أو مصرية أو إسلامية، لم يُعتمد على شكل واحد



من أشكال الزهرة ، بل تعددت الأشكال والأنواع ذات التأثير الزخرفي ، وهي تتمثل في يلي :

- ١ - الزهرة ، وهي ما زالت برعياً لم تفتتح .
- ٢ - الزهرة الفرعونية الثلاثية البتلات ، المتفتحة ، وهي في شكلها كشعار الكشافة .
- ٣ - الزهرة الساسانية متعددة البتلات الثلاثية ، وهي في أوج تفتيحها .

وأشهر أنواع زهرة اللوتس هو اللوتس المصري ذو اللون الأحمر ، لكن أنواعاً أخرى كاللوتس الساساني الذي يختلف في شكله عن اللوتس الفرعوني ، قد دخلت الزخرفة الإسلامية . وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل آنفاً .

### اللوتس في الشعر العربي

لا شك أن الطبيعة بمظاهرها المتغيرة قد أجبرت الإنسان في مراحل تطوره الزمني والذهني أن يتعامل معها على صعيدين :

- ١ - صعيد الإعجاب والحب . يهيم بها ، ويناجيها ، وكأنه بهذا ينالجي روحه الهائمة في صور الجبال المتنوعة ، المنثورة على بساط الطبيعة .
- ٢ - الصعيد الثاني هو صعيد الخوف والرهبة والعجز عن فهم سر جبروت الطبيعة وقسوتها .

على أنه وقف أمام مشاعر الحب والخوف من الطبيعة ومظاهرها موقف التهيّب ، دفعاً لآخطارها وتقرباً إليها بأعزّ القرايين البشرية . لكنه بعد أن فهم أسرار الطبيعة وتغلب على مشاعر الخوف والرهبة منها ، ففي فيها ، وأصبحت روحه مبهوثة أجزاء فيها ، كما أخذ ينالجيها بأعذب الألحان حتى غدا التفريق بين شعره وبين الطبيعة أمراً صعباً ، «للطبيعة شعر أيضاً يتمثل في حركة الموج ، وجمال الزهر»<sup>(٤٠)</sup> ، كما يقول ولیم هزلیت William Hazlitt ، فالتناغم بين الشاعر والطبيعة تناغم روحي ، ينطلق من سجنه مهما انغلق . فيها هو كيتس يقول : «إذا رأيت عصفوراً أمام نافذة حجرتي كنت جزءاً منه ، أنقر معه الحصى كلما نقر»<sup>(٤١)</sup> .

ويقول شلي : «إن الشاعر بلبل جلس في الظلام يسري عن الوحدة بالنغم العذب»<sup>(٤٢)</sup> .

الأزهار بألوانها البديعة الرائعة ، المتعددة المتنوعة ، وبأريجها العطر ترضي حاسة الإنسان البصرية المفتوحة باستجلاء الألوان ، كما ترضي أنفه الذي يمتلئ بعطرها الساحر ، فلا يجد معنى للمسك ولا الكافور .

وزهرة اللوتس هذه بما لها من ألوان جذابة ساحرة ، الأبيض والأزرق والأصفر ومنها الأحمر الفرعوني المشهور ، وبما لها من أريج عطر ، تميزت عن غيرها من الأزهار الأخرى بذلك العرش المائي الذي تزدهو عليه كمعروس في غاية الحسن ، ومن غيرها يسمو على عرش شفاف من الماء تطفو عليه الأرض كلها . فلا عجب ، إذن ، واللوتس تملك هذا الحسن العطر ، والعرش المنفرد السامي أن ينظر الشاعر إليها على أنها متكبرة ، نرجسية الصفات قوتها ، يقول الشاعر ظافر الحداد :

يا سيِّداً عمت الدنيا فضائله  
وفات سبقتُها ثماني فضائله<sup>(٤٣)</sup>  
أنظر إلى نيلوفر في نرجسيته  
كانه ساعد ضُمَّتْ أنامله

لكن نرجسية النيلوفر لم تكن لتصرف الشاعر عن حبه لزهرة الجميلة ، وعن إعجابه بها ، بل لقد حملها حبه الشخصي بما يكتنف هذا الحب من رقيب وحساد ، وصدود وهجر ، وحياه يتورد خلد المحبوب من فرطه . انظر إلى أبي الزبيدي الأندلسي يقول :

وبركة أحياءها ماؤها  
من زهرها كل نبات عجيب<sup>(٤٤)</sup>  
كان نيلوفرها عاشق  
نهاره يرقب وجه الحبيب



★ رسم توضيحي للصفوف الثلاثة في اللوتس الفرعوني ★

حتى إذا الليل بدا نجمه  
وانصرف المحبوب خوف الرقيب  
أطبق جفنيه عسى في الكرى  
يبصر من فارقته عن قريب

وآخر يقول :

كانه يعشق شمس الضحى  
فأنظره في الصبح وعند المغيب<sup>(٤٥)</sup>  
يرنو إليها مبصراً يومه  
ولا يحاشي نظرات الرقيب  
لا يبتغي وجهاً سوى وجهها  
فعل محب مخلص في حبيب

وشاعر آخر يرسم لنا صورة غزلة جميلة ، صورة الحب المهجور ، المتفاني في حبه ، إنه يستجير بالله ، حتى إذا هجره الحبيب ، غرق نفسه من فرط وجده . يقول ابن الرومي :

... مهجور حب ظل يرفع رأسه  
كالستجير بره من ضده<sup>(٤٦)</sup>  
وكانه إذ غاب عند مساءه  
في الماء فأنحجت نضارة قده  
صب يهدده الحبيب بهجره  
ظلماً ففرق نفسه من وجده

وحب النيلوفر لمحبهته الشمس لا يذانيه حب ، فهو يملك النهار كله يرقبها وينالها ، فإذا غابت أطبق جفنيه على صورة محبته المشرقة ، وغاص في الماء خوف الانقضاح إذا ما ظل يرنو إليها متولهاً ، يقول الشاعر :

... حتى إذا الشمس دنت للمغيب<sup>(٤٧)</sup>

أطبق جفنيه على حبه وغاص في البركة خوف الرقيب

إن المحتبج للشعر العربي الذي قيل في اللوتس (النيلوفر) ، يجد أن الشاعر العربي قد عايش زهرتنا الجميلة عبر حياتها الحافلة ، وكأنه يسجل لنا مذكراتها اليومية ، ومشاعرها الرقيقة ، التي هي في الحقيقة مشاعر الشاعر نفسه . فالشاعر العربي يصف تفتح الزهرة صباحاً ، وانغلاقها مساءً ، ثم غوصها في الماء بعد يوم نشط من العطاء ، بحيث أعطانا صورة جميلة مستقاة من هذا الوضع المتمثل به آنفاً ، وزاد على ذلك صوراً أخرى ، صوراً رائعة غابة في الجبال ، يقول :



فكانه في الماء صاحب مذهب  
لم يبق الشاعر عند هذا الحد في وصفه الحي هذه الزهرة ، وثمة مشاعره لها ، بل  
دقق في ألوانها ، وصفاتها العضوية :

فلونها الأحمر كخد المحبوب المورد

تلبس لوناً يشغل اللحظ حسنه  
وكالسنة النار الحمراء :

أشرب على بركة نيلوفر  
كأنما أزهارها أخرجت  
أو :

كأنها فحمة في رأسها نار<sup>(٥١)</sup>

أما أوراقها العريضة الطافية على وجه الماء ، فهي مرة كالتروس التي يُنقى بها نصلا  
غضبية بالدم (يعني بالتصلب سوف الزهرة) ، وهي مرة ثانية كالدرع التي تكفلها  
الطواويس ، وثالثة كأذان الفيلة :

يقول ابن حمديس الصقلي :

ونيلوفر أوراقه مستديرة  
كما اعترضت خضر التراس وبينها  
ويقول آخر :

كأنه ودع الماء تشمله  
الطواويس<sup>(٥٢)</sup>

وسوف الزهرة أسنة من فضة غضبية بالدم ، وملفوفة بعصائب السندس .  
أو هي :

من مائر من زمرد حلت  
والطياير : العصافير الصغيرة .

ولم يقتصر الشاعر العربي في دقة وصفه على وضع الزهرة وقت تفتحها الكامل ، أو  
على أعضائها الخارجية كأوراقها وسوقها ، لكنه وصفها وهي برعمة بعد ، لم تفتح ،  
ووصف ما بداخل الزهرة ، كالعروق أو الشعرات التي تحيط بتلات الزهرة بها ، يقول :

كأحقاق ياقوت بهن قراضة

وقد غشيت صونا بأغشية خضر<sup>(٥٣)</sup>

ويقول أيضاً :

مداهن الياقوت محمرة

قد ضمنت شعراً من الزعفران<sup>(٥٤)</sup>

وهكذا نرى أن زهرة اللوتس (النيلوفر) قد حبت الطبيعة ذلك  
الجمال الأسر ، وحباها الانسان ذلك التقدير والاحترام .

#### مصادر ومراجع

- ١ - راجع : إبراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط ، ط ٢ ، (القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ، ج ٢ ، ص ٩٧٦ .
- ٢ - راجع : في تفصيل شكل الورقة وتكوينها : أحمد محمد مجاهد وآخرين ، مقامة النبات العام ، ط ٢ ، (القاهرة ، مكتبة التحليل المصرية ، ١٩٦٣م) ، ص ١٩٨ .
- ٣ - راجع : د. محمد شرف ، معجم العلوم الطبية والطبيعية ، ط ٣ ، (بيروت ، مكتبة النهضة) ، ص ٥٤٨ .
- ٥ - ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، (بغداد ، مكتبة المثنى) ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .
- ٦ - المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .
- ٧ - The American Heritage Dictionary ، page 880, 1447 .
- ٨ - ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج ١ ، ص ٩٦ .
- ٩ - راجع : أبا بكر محمد بن زكريا الرازي ، الحاروي الكبير في الطب ، (جند أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٧م) ، ج ٢٠ ، ص ٣٣٦ .
- ١٠ - المصدر نفسه ، ج ٢٠ ، ص ١٥١ .
- ١١ - تحفة الأحباب في مائة الأعشاب ، (باريس ، مطبوعات معهد العلوم المصرية ، ١٩٣٤م) ، ص ١٤ .
- ١٢ - المرجع نفسه ، ص ١٩ ، الغاموس المصري الجديد ، انكليزي عربي ، (بيروت ، دار الفكر للجمع) ، ١٩٧٤م) ، ص ٣٧٥ .
- ١٣ - تحفة الأحباب في مائة الأعشاب ، ص ٣٠ .

١٤ - راجع : منير البعلبكي ، قاموس المورد ، ط ٣ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) ، ص ٥٤١ .

١٥ - راجع : د. علي فهمي خشم ، قراءات ليبية ، (طرابلس الغرب ، دار مكتبة الفكر ، لا ت) ، ص ٦٣ .

١٦ - المرجع نفسه ، ص ٥٩ .

١٧ - المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

١٨ - المرجع نفسه ، ص ٦٠ ، راجع : هوميروس ، الأوديسة ، ترجمة دويحي خشبة ، سلسلة روايات الهلال ، العدد ٢٥٣ ، (القاهرة ، يناير - كانون الثاني - ١٩٧٠م) ، حيث ورد النص نثراً : «ثم عرضوا عليهم من لمر اللوتس العجيب ، الذي ينسى أكله ما سلف من حياته ، ونبئت (بتشديد التاء) ما بينه وبين وطنه من وشجه لما يفكر فيه ، وإذا فكر فيه لما يوتر أن يرند إليه ، بل يصيح كل مناه أن يأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب ، وأن يعيش أبد الدهر بين أولئك اللوتس في السحراء» .

١٩ - راجع : لويس معلوف ، للتجدد في اللغة ، ط ٢٠ ، (بيروت ، دار الشرق ، ١٩٦٩م) ، ص ٨٥٠ .

٢٠ - راجع : قراءات ليبية ، ص ٦٣ .

٢١ - راجع : مكتشفات أثرية جديدة في الصين ، ص ٢٨ .

٢٢ - راجع : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

٢٣ - المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

٢٤ و ٢٥ - المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

٢٦ - الحاروي الكبير في الطب ، ج ٢٠ ، ص ١٤٩ .

٢٧ - راجع : عبد اللطيف البغدادي ، مقالان في الحواس ومساائل طبيعية ، دراسة وتحقيق د. بسول غلويجي ، ود. سعيد عبده ، (الكويت ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٢م) ، ص ١٤٠ .

٢٨ - راجع : د. محمود مصطفى النيماتى ، معجم أسماء النباتات الواردة في نواح العروس للزبيدي ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٥م) ، ص ٨ ، نقلاً عن كتاب الصراح من الصالح ، لأبي الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشي ، وقد نقل أبو الفضل ذلك من القاموس المحيط ، راجع : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، (القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٥٢م) ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

٢٩ - راجع : Longman modern English dictionary (New York, 1976), page 639 .  
٣٠ - راجع : فريد شافعي ، العبارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة) ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للنشر ، ١٩٧٠م) ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٣١ - المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٣٢ - المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ ، وراجع أيضاً أبا صالح الأثني ، الفن الإسلامي ، أصوله فلسفته ومدارسه ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩م) ، ص ١٥٥ .

٣٣ - العبارة العربية في مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٣٤ - راجع : Longman modern English dictionary, page: 768 .

٣٥ - راجع : د. نعمات أحمد فؤاد ، النيل في الأدب المصري ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢م) ، ص ٧٣ .

٣٦ - المرجع نفسه ، ص ٧٦ .

٣٧ - راجع : Janson, History of Art, page 33 .

٣٨ - النيل في الأدب المصري ، ص ٦٧ .

٣٩ - للتوسع في معرفة أنواع اللوتس الأخرى ، وشيء من التفصيل ، راجع : سمير عطا ، اللوتس زهرة مصر والمند ، مجلة العربي ، العدد ٢١٥ ، (الكويت) .

٤٠ - راجع : د. سيد توفيل ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، (القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٥م) ، ص ١٠ .

٤١ - المرجع نفسه ، ص ١٠ .

٤٢ - المرجع نفسه ، ص ١٠ .

٤٣ - راجع : علي بن طاهر الأزدي المصري ، غرائب التنبيهات على عجائب التنبيهات ، تحقيق محمد زغلول سلام ، ومصطفى الصاوي الجبوني ، (القاهرة ، دار المعارف ، لا ت) ، ص ٩٠ .

٤٤ - راجع : أحمد بن عبد الوهاب النوري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (القاهرة ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، لا ت) ، ج ١١ ، ص ٢٢١ .

٤٥ - المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .

٤٦ - المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٢٣ .

٤٧ - المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٢٤ .

٤٨ - البيت للتوحي ، والتحقيق يرجع إلى ابن حمديس كما في مطلع البدر ، ج ١ ، ص ١١٢ ، راجع : نهاية الأرب ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .

٤٩ - غرائب التنبيهات ، ص ٨٩ .

٥٠ و ٥١ - راجع : عبد الجبار بن حمديس الصقلي ، ديوان ابن حمديس ، تح . إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) ، ص ٥ .

٥٢ - راجع : ديوان ابن حمديس الصقلي ، ص ١٨٥ .

٥٣ - راجع : نهاية الأرب ، ج ١١ ، ص ٢٢٥ .

٥٤ - راجع : غرائب التنبيهات ، ص ٩٠ .

٥٥ - المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

٥٦ - ديوان ابن حمديس الصقلي ، ص ٤٩٠ .



# رسالة غير لطيفة!

لست أشك في أنك شاعر بالصدق ، وأنت تقرأ أسطوري الأول هذه ... وكانك تكلمت نفسك : هوذا صديق تعرفت إليه في باريس ، قد أتاحت له مغادرتي فرنسا أن يعمل محلي في غرفة ذات مطل ، بعد أن كان يسكن الطابق الثاني ، يلاحقني برسالة منه إلي في وطني ، لينهمسي بأنني ... قليل عناية بالنظافة ! فآية تهمة ! وأي صديق ! مهلاً ، يا صديقي ... أنا ما أهيت كلامي ! إنني في دخولي الغرفة ساكناً جديداً هنا ، وبينما أغلق الباب بذلك « الدوياس » الكبير الذي تعرف ، سقط منه إلى الأرض صرصور ، ماراً عبر كفي ! ومع أنه كان صرصوراً « صغيراً » ، إلا

صديقي العزيز ! أنت ما إن تركت الغرفة وغادرت باريس عائداً إلى وطنك ، حتى أقبلت « المنظفة » ، يمسحها وموادها ، فأزالت ما تخلف عنك من « أوساخ » ... فخرجت الغرفة من بين يديها « قضي » ، كما نقول العامة في بلدي . ثم إن مديرة « المجتمع » أوعزت بتسليمي إياها في اليوم التالي : غرفة « نظيفة » ، مرتبة ، في الطابق السابع ، ذات قميص وهواء ومناظر خلابة ... هي الغرفة ذاتها ، الرقم ٧٠٧ ، التي أمضيت فيها أشهر إيفادك السنة في العاصمة الفرنسية ، يا صديقي !



— مما قيل إن أبا عثمان كان يعد أميراً للبخلاء في عصره ! فأخذ يجمع نوادر نظرائه ، قبل أن يخرجها إلى الناس في كتابه البديع الشهير : « البخلاء » ، رغبة منه نفية في أن « يسقطه عيب البخل فيه على الآخرين !

ولعلك تذكر ، يا صديقي ، أن الجميع ضحكوا لحظتها من أعياق قلوبهم ... عدا اثنين : أنت كاطلاً عظيم غيظك ، وأنا ، إمعاناً مني في استشارتهم للضحك واستشارة المزيد من غيظك ... أما تذكر هذه « السالفة » هل نسيها ، يا عزيزي ؟

ولن أعفيك ، في رسالي هذه ، من أن أدكر بك أنك كنت تظن على نفسك بشراء « سخان » كهربائي تعد عليه القهوة والشاي ، وتسلق البيض أكلتك المفضلة ، السهلة التحضير السريعة التكاليف . وقد كنت تؤمن لنفسك هذه الأمور على نحو أو آخر : فلما البيض فتسلقه عند جيرائك ، وأما القهوة والشاي ، فقد دأبت على أن تزورنا - نحن أصحابك - في غرفنا على الرجب والسعة ... تدخل على كل منا ، قائلاً بأخوة حميمة : « أين قهوتك التي عودتنا عليها ، يا أستاذ ... ؟ » .

« أنت ، يا اخت مفيدة ، إن « شاياتك » ما في الجميع أطيب منها ! » ... وأحياناً نطلب ، مع الشاي ، قطعة من ... جينة « البقرة الضاحكة » ، ومع قطعة الجبن نطلب بضع حبات من الزيتون ! فيكون لك ، بين ضحك الأصحاب ومرحك المستلطف ، عشاء واف أنت طلبته في غير بيتك . وكتم تنبأه بأنك « تقطعها برقاب الناس » ، تزورهم في غرفهم ، شارباً أكلاً ، دون أن تمكنهم من أن يطأوا عتبة غرفتك ! وإذا اتفق لأحدهم أن تحاور هذه العتبة - ونادراً ما يقع ذلك لأنك لا تستقر في غرفتك - لم تقدم له فنجان قهوة ، متعللاً دائماً.

أن ما اتباني من القرف ، كان بمقدار ما داخلني من العجب وأنا أرى الصراصير تتراكم في جوانب المفصلة وفي أرجاء الغرفة : عجبت كيف أنها لم تمت من الجوع ، صراصير ، في غرفة لم تدخلها كسرة من خبز أو قتررة من سكر ؟!

أراك ، الآن ، تتضاحك من نزق ، وتنتم : عادت حليلة ! همة البخل ذاتها ! وتضيف : أجل ، أيها الأصدقاء ، أنا لا أستقبل في غرفتي ضيوفاً ، وأظلل أضيف نفسي عند أصحابي في غرفهم ، شحاً مني ، كسلأ ، سموه ما تشاؤون ! ماذا هنالك بعد !

لا أحب أن تغضب ، يا صديقي . وإن كان مظهرك غاضباً « يلذ » لي عن قرب ! إني ، في رسالي هذه ، إنما رغبت في أن أستهيد وإياك ، على البعد ، بعض ذكرياتنا العزيزة التي نسجتنا حياتنا المشتركة في الجميع السكني هذا ، في ضاحية كاشان جنوبي باريس .

هل تذكر ليلة كنا فيها ساهرين عند أحد الأصحاب ، ودار الحديث حول شؤون الفكر والأدب ، فستلست عمّن تقرأ من الكتاب ، قدماء ومحدثين ، فأنشأت تقول : « من المحدثين أقرأ للعقاد والمازني وطه حسين ، ومن القدماء ... » ، وعددت أسماء ، دون أن تأتي على ذكر سيد النثرين العرب « أبا عثمان الجاحظ » ، فسلوت لي نفسي ، الإشارة ، أن أمدخل قائلاً :

« ليتك ، يا أبا فؤاد ، قرأت الجاحظ ، وبخاصة كتابه « البخلاء » ... فاقترديت به في ما فعل » .

فساءلت سيدة من الحاضرين ، هي صديقتنا « مفيدة » التي تنتمي إلى دولة عربية تقع إلى جوار بلدنا :

« وماذا فعل الجاحظ ، يا « أبا فراس » ؟ » .





جرى على قلبي ذكر القهوة والشاي .. فكان لا بد من أن أتذكر « الشاي » الذي دعوتنا إلى تناوله في أحد مقاهي « مونبارناس » . كنا ، يومها ، ثلاثة : أنت ، وأنا ، وصديقتنا العزيزة مفيدة ، وقد غادرتنا لتونا محلات « فثاك » الشهيرة : أنت اشتريت سفونية لـ « ليتوفن » ، واشتريت أنا مجموعات من الحكايا والأساطير عند الشعوب ، وأودعت مفيدة فيلماً ملوناً كانت قد التقطت صورته بمصورتها .

البرد ، في ذلك اليوم الشتوي ، كان قارساً . ولسنا ندرري - مفيدة وأنا - كيف عصفت بك عاصف من الكرم - كمصيف الريح في ذلك المساء الباريسي - فدعوتنا إلى أن نأخذ قحداً من الشاي في مقهى « لانور » ( البرج ) !

غمزتي مفيدة ، ونحن ندلف إلى المقهى ، بعينها باسم فرحة ، وكان لسان حالمًا يقول : « يا للأريحية المفاجئة ! » . فابتسمت لها مستجيبةً لغمزتها ولفرحها ، وفي نفسي تتردد عبارة لم ألبث أن سكتها في أذنها ونحن نشق طريقنا بين المناضد :

« إنها لحظة ضعف » منه ... « أردت » به إلى أن ... يدعونا ! ! .

ولاحظت أنت إشراق وجهينا ، فتساءلت عما بنا ، فأجابتك صديقتنا ، التي كانت لا تزال تعيرك سخانها :

« الحق ، إننا سعداء جداً بتناول الشاي الحار في هذا اليوم البارد ! » .

فرحت تعدد لنا مزايا تناول الشاي في هذا المقهى ، المثل على « پلاس دو رين » ( ساحة الملكات ) ، فيما نحن نرشف من أقداحنا متلذذين لأنه كان بدعوة منك أكثر من تلذذنا بشكته أو حرارته !

فلما آن لنا أن نمضي ، أخذت أنت وريقة الحساب ، وقرأت الرقم فيها ، و« قسمته » على

بأن ليس عندك سخان تعد على ناره القهوة ... والواقع ، إن ما كنت تفتقده هو النار ، مضافاً إليها البن والسكر !

وعلى ذكر السخان الكهربائي ، هل تذكر أياماً باريسية اشتد فيها البرد ، وأنت ، كما ظللت تردد ، رجل « بريء » ، فلم يدفئك ما يمر في غرفتك من أنابيب التدفئة المركزية ، وبدلاً من أن يملك هذا على شراء سخان تصبح استفادتك منه مضاعفة - في الطبخ وفي الاستدفاء ، كما يفعل بعض نزلاء المجمع من البريدين - لمت تطلب مني ومن صديقتنا « مفيدة » استعارة سخانينا الاثنين !

— وكيف ؟ ( سألناك مستغربين ) وكل منا يستعمل سخانه في الصباح وفي المساء ؟

— أخذهما منك قبيل النوم ، وأردهما في الصباح !

وقد استجبنا لك في المرة الأولى ، وكان مما زاد في استعدادنا للاستجابة تلك الليلة ، أن الثلج كان قد غطي باريس بوشاح أبيض . ثم اكتشفنا ، في اليوم التالي ، أننا وقعنا في « مطب » صغير : ذلك أنك لم ترد في الصباح إلى كل منا سخانه ، كما أننا نخرجنا أن نطرق الباب عليك ، موقظينك ، سائلين عما لنا من سخان عندك . وظللت تغط في نومك الهنيء . واضطررنا إلى أن نغدر إلى أعمالنا بظهور ينقصه الشاي أو القهوة . وذلك ما جعلني ، أنا ، أعدل عن إعارتك سخاناً ... وظلت مفيدة تقدم لك سخانها ، على استحياء ، كلما عصفت البرد في سماء باريس ، وأنت في ذلك تعيرني :

« أرايت ، يا أبا فراس ، كم أن اختنا مفيدة أكرم منك يدا ! » .

فكنت ، يا صديقي العزيز ، تنهني بالبخل في الاعارة ، وتنسى بملك في شراء ما أنت في أمس الحاجة إليه !



— ثلاثة فرنكات ونصف الفرنك !

أعلنت ذلك بصوت مرتفع ... ثم دسست يدك في جيبك ، فخرجت بقبضة نفود ، انتفيت منها ، ونحن ننظر مذهولين ، ثلاثة فرنكات ونصف ، وضعتها بعناية في طبقك إلى جوار الفنتجان ، وأنت تقول :

«نحن في فرنسا ، لنعامل على الطريقة الفرنسية !...» .

فأدهشنا قولك ، صعبنا ... حتى أن مفيدة لم تتألك من أن تراجعك بعتاب :

«أبا فؤاد! الست أنت من دعانا إلى تناول الشاي؟!» .

أجبت ، ضاحكاً مرحاً ، كعادتك :

«دعوتكما ، لا أنكر ، ولكن من أجل أن يشرب كل منا على حسابه ! ولماذا

أتولى الدفع عنكما ؟ نحن جميعاً غريباء في بلد غريب !» .

بعدئذ ، حدثتني مفيدة ، وختمت حديثها بهذا السؤال :

«طيب ، وعندما يزورنا في غرفنا دون دعوة ، ويطلب أن نقدم له القهوة والشاي والجبنة

والزيتون ... هل يفعل ذلك على الطريقة الفرنسية أيضاً؟!» .

أجبها هازلاً :

«في تلك الليالي ، يكون هو وحده الأجنبي ، ونحن من أبناء البلد !» .

ثم إني نقلت لك هذا الحوار ، فضحكت له طويلاً ... وقلت :

«اذن ، فقد كان «مغلباً» في «لاتور» شريه ! كنت أدرك من البداية أنكما واقعان في هذا

«الظن» !» .

وما فاتني أن أسألك :

«أبا فؤاد ! إن راتب «المنحة» الذي تقبض ، هو ذاته ما يقبضه كل منا نحن معشر الموظفين

إلى باريس ... خبرني ، أين تذهب به كله ؟» .

قلت لي :-

«أنت تعرف كم أهوى الفن والموسيقى ! إني أكثر من الستردد على المسارح

وحضور الحفلات الموسيقية ، وهذا يكلفني غالباً في باريس !» .

واعترف لك ، أيها الصديق الحميم ، بأنه قد مسني يوماً كثيراً من المعجب ... ولقد ظللت ،

ثلاثة أيام بلياليها ، وأنا أنساءل عن «وظيفة الفن» ، وما يمكن أن يفعله في النفس فن الموسيقى

خاصة ... قبل أن أنهي إلى هذه المقولة : إن امرأة أعربياً لم تكسبه أرض بلاده وسماؤها

خصيصة كرم اليد ، يستحيل عليه أن يكتسبها في بلاد الغرب بفعل الموسيقى

والتي يهجم بها ، حتى ولو كانت لبتوفن أو شوبان أو برليوز !!

كان ذلك عندما غادرت ، ذات ليلة شتوية ، «القطار السريع» (R.E.R.) ، في محطة «أركوي - كاشان» القريبة من المجمع ، عائداً إلى البيت ، وأنت متدثر بمعطفك ومعتمر برنيطة رمادية اللون ... فرأيت ، في ذلك الزقاق المنحدر من باب المحطة نحو الشارع ، أروسة فتيان مراهقين ، قد تخلف عنهم رابعهم ، الذي راح يعايب فتاة صبية تريد أن تعبر الزقاق وهو يمنحها بأن ييسط ذراعيه دونها !

ولست تدري أنت ، كما لا يدري أحد من معارفك ، أية نفحة من الحمية والنجدة واثنتك تلك اللحظة ، فأقبلت على المراهق المعايب ، تخاطبه بلهجة رقيقة قد غاليت في تهذيبها :

«لماذا تضايقها ، يا سيد ؟ دعها تمر ؟» .

ولما كان الناس في هذه البلاد لم يعتادوا أن «يتدخل» أحد منهم في شؤون أحد ، فقد اعترى المراهق ذهول من أن يتدخل «عابر سبيل» ، بدا له من لكتته أنه أجنبي ، ليحول بينه وبين أن يمارس ما حلا له من حفاقة !

ما وقع للفتى المراهق أن «ذهوله» جعله يرخي ذراعه فيتناح للصبيّة المحصورة أن تتحرر . ذهوله ذاته جعله يطلق صرخة عشواء ... تنبه لها رفاقه الثلاثة ، فهبوا يسألونه نادبين أنفسهم لكل كربة :

«ماذا هنالك ؟ ماذا جرى؟!» .

أعلن الفتى :

«تصوروا ! ذلك الأجنبي الـ... ، ذو البرنيطة الرمادية ، يقول لي : لماذا تضايق الفتاة ، دعها تمر !» .

استغفر الفتيان ، غضبوا ، ناروا ... وأنت ، يا صديقي - ولك الحق - زجفت قلبك . سمعهم يقلعون «مقترحاتهم» :

«هل نضريه ؟ هل نرميه أرضاً ؟ أتريد أن نأتي به إليك؟...» .

ههنا ، تعين عليك أن توازن بين قولك ، وأنت التحيل الضاوي ، وبين قوة الحمق الأربعة ، فوجدت أنك الخاسر في كل ميزان ، حتى ولو كان «مخفر الشرطة» على مقربة ... فحثت خطاك ، وصوت أحدهم يترامى إليك :

«هل نضريه على رأسه و«نطير» له البرنيطة في الفضاء؟!» .

الموازنة بين القوتين ، كانت قد انتهت بك إلى أن تؤثر القرار ، لما كان منك إلا أن أطلقت ساقبك للريح ... فإذا الأشقياء يصرخون في إثرك هازنين ضاجين :

«هوهوو... النجدة!... يا شرطة المجديده!... واغوثاه!... هوهوو!...» .

وبدلاً من أن تنجّه نحو موقف الأوتوبس ، الذي يقلك عادة عبر أربعة مواقف إلى المجمع ، انجذبت قصد التواري نحو طريق أخرى ... فحسبنا على قدميك ، في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، ونفقت بين أيدينا تفاصيل الحادثة . فكان عجباً مما بدا من الفتيان الأربعة ، لا بدانيه ، أو يفوقه عندي ، إلا إعجابي العظيم بما بدر منك من نحوه وشهامه ، تغفرا بل تمحونا كثيراً عما «يشاع» عنك من تهم البخل ، يا صديقي !

رسالتي هذه إليك ، قد يصفها غيرك بأنها صريحة ، واضحة ، تضع النقاط على الحروف ... وقد يراها آخرون مرحلة! ... وربما زعم فريق ثالث أنها ... ملتزمة ومهادفة ، وإنسانية النزعة! أيضاً!!

أنت تقول عني : مغرور ، «بغريش» كلاماً سبقاً ثم يحسب أنه يكتب «أدباً» ! إذا كان هذا حقاً ما يدور في خاطرك الآن ، فاسمع لي أن أظن بأنني أصبت في رسالتي الهدف ! ولو كنت - على النقيض من ذلك - أطريت فيك من بخل ، وجعلت منه خلة عاطرة وسجية كريمة يفخر بها صاحبها ، أكون اذن قد كتبت أدباً ؟ أم جعلت نفسي نصيراً للبخل والبخلاء ، وذلك ما لم يقع فيه ببخل عصره في كتابه السالف الذكر؟!

اشتد ، الآن ، ضيقك بي وغضبيك علي . فرسالتي ، في رأيك ، نابية ... فإن خففت الوصف قلت إنها مزعجة! ... فإن ترفقت قلت : رسالة غير لطيفة!!

نقول : «رسالة ... غير لطيفة» ؟ راق لي منك هذا «التعبير» ! لسوف أجعله عنواناً للرسالة . وسأدلك على المجلة التي تنشر فيها ، لتقرأها مطبوعة طباعة أنيقة ! ولن أنسى أن أهديك نسخة من الكتاب الذي سنشر فيه ! فإني أريد لك أن تحتفظ بالرسالة : مكتوبة بخط يدي ، ومنشورة في مجلة وفي كتاب!!

وبانتظار أن تردني منك رسالة جوابية تضاهي رسالتي هذه ... أتمنى لك أسعد الأوقات ، أيها الصديق الذي ألهمني هذه السطور ...

صديقك المشتاق

«أبو قراس»

. . . . . الرسالة من مُرسَل إليه حقيقي !

باريس : فاضل السباعي

هأنذا قد أوصلتك بمحبيتي إلى حفاقة الغضب ، يا صديقي ! أم أنك غضبت فعلاً ، وغضبت جداً ، فأنت تهم بأن تمزق رسالتي وتذروها في الهواء ؟ ولكن مهلاً ، مهلاً ، انتظر حتى أكمل حديثي وترجيبي ذكرياتنا المشتركة ، أيها الصديق !

قد بدرت منك ، فجأة ، في يوم مشهود!





# كولوشا

— ولدي !

أكان فتي كبيراً؟

— كان في الثانية عشرة .

— متى مات؟

— منذ أربع سنوات .

وأرسلت زفرة عميقة ، ودسّت الخصلة النافرة من شعرها في موضعها تحت الشال . كان النهار حاراً ، والشمس تصب جحيمها دون رحمة على مدينة الموق . . . وغدا العشب القليل المبتثق على الصخور بني اللون بفعل الحرارة والغبار . وسكنت أوراق الشجيرات المغبرة الحشنة المنتصبة كئيبة بين الصليبان وكأنها مائة هي الأخرى .

سألت ، وأنا أدلّ على قبر الصبي :

— وما سبب موته؟

اجابتي في اقتضاب ، وهي تمدّ يداً مغضنة ترّبت فيها على القبر :

في زاوية من المقبرة ، بين قبور غطتها أوراق الأشجار وغسلتها مياه الأمطار وصقلتها الريح ، كانت امرأة في ثوب من قماش رخيص مهلهل على رأسها شال أسود تجلس عند أحد القبور ، تحت ظلال فروع قليلة لشجرتين من شجر البتولا عاريتين من الأوراق .

كانت تنسدل على إحدى وجنتيها خصلة شعر أشيب ، وشفتاها الرقيقتان تبدوان مزمومتين ، فيما اثنت زاويتا فمها إلى أسفل وأحاطت بهما تجمعات تم عن الحزن . . وكانت جفونها مقرحة من البكاء والسهد في ليال طويلة . كانت المرأة تجلس من دون حركة ، وكنت أقف على مقربة أعانها . لم تتحرك لدى اقترابي منها ، بل رفعت إليّ عينيّ كبيرتين لا حياة فيها ، وتركتهما تنخفضان مرة ثانية من غير أن تبدي أي مظهر من مظاهر الفضول أو الخرج ، أو ما ينم عن أن اقترابي منها أثار شيئاً من الشعور في نفسها . حييتها في اقتضاب ، واستفسرت عمّن دفن في ذلك القبر ، فردت في رصانة ولا مبالاة :



— داسته سنابك الخيل حتى مات .

كنت اعرف أي أجافي الذوق والمجاملة ، غير أن إعراض المرأة وهدوءها اثاراني ، فوسوست لي نزوة لم أدر لها سبباً ترغيني في رؤية العبرات في مآقبيها . كان ثمة شيء غير طبيعي في سكونها ، وإن لم يفتني أن أتبين في الوقت ذاته أنه لم يكن مصطنعاً .

حملها سؤالي على أن ترفع عينيها مرة أخرى إليّ ، وتأمليتي متفحصه في صمت من فرعي إلى قدمي ، وأرسلت زفرة قصيرة ، وتسرعت تسرد عليّ قصتها في صوت وقور يهزه الأسى :

— اسمع ما حدث .. كان أبوه في السجن محكوماً بجرم اختلاس ، وقد أمضى عاماً ونصف العام .. وكنا في تلك الفترة قد أتينا على كل ما أدرنا من مال ، لم يكن كثيراً هذا المال المدخر ، على أية حال . وما إن خرج من السجن حتى كنا قد بلغنا من الفقر حداً اضطرني إلى اتخاذ ثمار اللفت وقوداً للتدفئة . فلقد أعطاني بستاني أعرفه حمولة عربية من اللفت الثالث ، فجففتها ، وشرعت أستعملها وقوداً مع الروث المجفف ، فكانت تبعث دخاناً رهيباً وتفسد مذاق الطعام . وذهب كولوشا إلى المدرسة . كان صبيّاً رقيق الحركة ، سريع البديهة ، يحضر معي إلى البيت كل ما يصادف من قطع الأخشاب والوقود التي يعثر عليها أثناء عودته من الدرس . وكان الوقت ربيعاً ، والجليد يذوب . ولم يكن لدى كولوشا ما يتنعل غير حذاءين من اللباد ، فإذا خلعهما بدت قدماه حراوين كالدم . في تلك الأثناء أدخلوا سبيل والده من السجن ، ونقلوه إلى البيت في عربة بعد أن أصيب بالشلل . ورقد في البيت بمرقني وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة ، وأرقمه وأنا أقول في نفسي : « أنت سبب هذا البلاء كله . والآن ، كيف تراني أطعمك ؟ أنت تستأهل أن يلقي بك في مستنقع قاذورات ، وهذا ما يطيب لي أن أفعل بك » . وبكى كولوشا حين وقعت عليه عيناه ، وشحب وجهه حتى صار كالصفحة العذراء ، وترقرقت العبرات غزيرة كبيرة على وجنتيه ، فسألني :

— ماذا أصابه ، يا أمي ؟

فقلت :

— أخذ حظه من الحياة .

منذ ذلك اليوم صارت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ . وشرعت أعمل حتى غدت جلدأ على عظم . ولم أكن أحصل رغم تعبتي كله على أكثر من عشرين كوبيكاً .. هذا في الأيام التي يهب فيها السعد إلى نجديتي . وكانت حياتي أسوأ من الموت ، وما أكثر ما فكرت في أن أقتل نفسي . وفطن كولوشا إلى حالي ، فساءت حاله النفسية كثيراً .

هتفت مرة وقد خيل إليّ أني لم أعد أطيق احتمالاً :

— يا لهذه الحياة اللعينة التي أحياء ! ليتني أموت . أو ليت أحدكم يموت !

كنت أوجه الحديث إلى كولوشا وأبيه . فهز الأب رأسه كمن يقول : « سوف أرحل سريعاً ، فلا تقلني ، بل اصبري » . ورمقني كولوشا بنظرة طويلة ثم أشاح عني وغادر البيت . شعرت بالندم عندما خرج ، غير أن الوقت قد فات ، وقت الندم قد فات ، ولم تعد ثمة فرصة لتداركه . ولم تمر ساعة حتى جاءني شرطي في عربة ، وقال :

— أنت السيدة شيشينينا ؟

وغاص قلبي بين ضلوعي . واسترسل الشرطي يقول :

— أنت مدعوة إلى المستشفى . خيول التاجر أنوخين داست ولدك .

ركبت لتوي إلى المستشفى ، وأنا أتقلب على نار متقدة . وظللت أخطب نفسي طوال الطريق قائلة :

— ماذا فعلت ، أيها المرأة التعيسة ؟

وصلنا أخيراً ، فإذا كولوشا راقد في سرير وقد لف جسده بالضاد . ابتسم في وجهي وانحدرت الدموع على وجنتيه ، وقال في صوت هامس :

— اغفري لي ، يا أماه .. فقد أخذ الشرطي النقود .

— أية نقود ، يا كولوشا ؟

— النقود التي أعطانيها المارة في الطريق ، وأنوخين أيضاً .

— وفيم أعطوك النقود ؟

— لهذا ...

وأرسل أنبأ خافئاً قصيراً ، واتسعت عيناه . فقلت :

— كيف لم تر الخيل وهي مقبلة عليك ، يا كولوشا ؟

فرد ببساطة ووضح :

— رايتها ، يا أماه . ولكنني لم أحاول أن آحول عن طريقها .

خطر لي أن الناس سيعطوني نقوداً إذا وقعت تحتها .. وقد أعطوني فعلاً .

هذا ما قال لي . وتبينت كل شيء . أدركت ما فعل ملاكي بنفسه ، لكن بعد فوات الأوان . مات في الصباح التالي بعد أن بقي محتفظاً بصفاء ذهنه حتى اللحظة الأخيرة ، وظل يردد :

— اشتري لأبي هذا ، واشتري له ذاك .. واشتري لنفسك أيضاً .

لكنما كانت لدينا أموال طائلة . كان هنالك سبعة وأربعون روبلاً . فذهبت إلى التاجر أنوخين ولكنه رفض أن يمنحني أكثر من خمسة روبلات ، وهو يزجر معترضاً ويقول :

— ألقى الصبي نفسه تحت الخيل وقد رآه الكثيرون . ففيم جئت تستجديني مالا ؟

لم أذهب إليه بعد ذلك . هذا ما حدث ، أيها الشاب .

كفت عن الكلام ، واستعادت ما كانت عليه من جمود وبرود .

كانت المقبرة هادئة مهجورة ، وكانت الصلبان والأشجار الذائبة وكتبان التراب والمرأة الجامدة التي جلست على القبر في ذلك الوضع الحزين .. هذه الأشياء كلها كانت تجعلني أفكر في الموت والألام التي يعانيها البشر .

وكانت السماء خالية من السحب وهي تصب على الأرض قيظاً خانقاً . فتنازلت بعض النقود من جيبي ، وأعطيته للمرءة التي كانت لا تريح على قيد الحياة في حين أن المصيبة قتلها .

هزت رأسها ، وقالت في تمهل غريب :

— لا تزعج نفسك ، أيها الشاب ، لقد نلت كفايتي اليوم .

ولم أعد أرغب في المزيد .. أنا وحيدة في الحياة .. وحيدة تماماً .

وأرسلت زفرة حزينة وزمت شفيتها النحيلتين في عصارة من الحزن .





تأليف: هانز كريستيان أندرسون  
ترجمها بتصرف: عبد الله حسين بغدادي



بمناسبة  
عام  
الطفل

# بانعة الثقاب



يوم سيء حقيقة ! لم يشتر أحد منها خلاله عوداً واحداً ، ولم يدخل في جيبها خلاله أي درهم على الإطلاق ، كانت تتضور جوعاً ، وترتعش برداً ، تبدو جد بانسة ... تلك الصغيرة المسكينة ! شرانق الجليد تهوي ، وتتخلل شرانق شعرها الحريري الأشقر ذي العقصات الناعمة الملتفة حول رقبتها ، ولكنها ... هل تفكر لحظة بشعرها ، وهل تشغلها عقصاته ؟ لا .. إنها مأخوذة بأشياء أخرى ، مأخوذة بتلك النوافذ التي ينبعث النور منها والتي تقبع خلفها الغرف الدافئة المفروشة ، مأخوذة برائحة اللحوم المشوية التي تفعم الشوارع ، مأخوذة بالعيد وما يحمله لأطفال غيرها ... عيد رأس السنة الجديدة . ذاك ما كان يشغل رأسها الصغير حقاً .

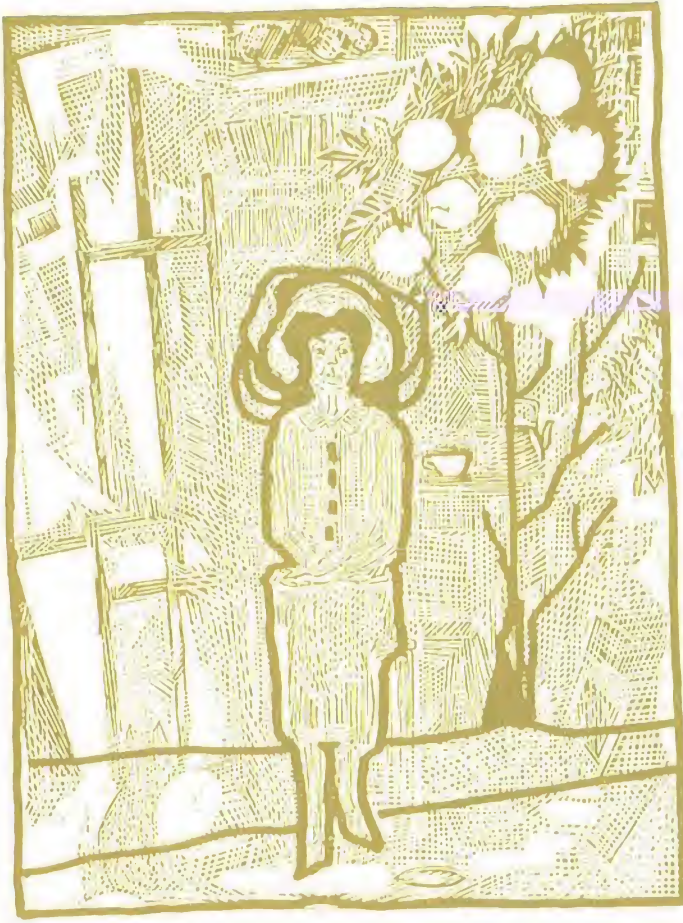
جلست من تعب ومن برد منحنية على نفسها في زاوية بين بيتين ... الصقيع يحثوها ويمزق جسمها الصغير ... يخدره شيئاً فشيئاً كالشلل ، فلا تستطيع الاستمرار ، ولا تجرؤ على العودة إلى بيت أبيها خالية اليدين من النقود ، مملوءة الجراب بعلب الثقاب ، فهي

كان الوقت بارداً ، والجليد أخذاً في التساقط ، والمساء غير بعيد !! تلك كانت آخر ليلة من العام ، ليلة رأس السنة الجديدة ، كما تدعى .

في عتمة ذلك المساء ، ووسط صقيعة الجليدي القارس ، كانت هناك صبية صغيرة رثة الثياب ، فقيرة ، تضرب الطرقات عارية الرأس ، حافية القدمين ، عندما غادرت البيت ، كانت قدميها تغوصان في خفين كبيرين أبلهما فرط استخدام والدتها لهما ، فلم يقدر لقدميها البقاء فيها طويلاً . لقد كانا من السعة بحيث فقدت أحدهما وهي تعبر بسرعة أحد الشوارع بين سيارتين ، وخطف الآخر منها صبي شقي قانلاً لها إنه يود استخدامه مهداً لأبنة القادم .

واصلت سيرها وقد علت قدميها حمرة يشوبها في بعض الأماكن أزرقاكن من شدة البرد ، حاملة على صدرها جراباً محشواً بعدد هائل من علب الثقاب ، وفي يدها اليمنى علبة واحدة تلوح بها للعاشرين .





وبيد مرتعشة ، ونفس تواقه ، أشعلت العود الثالث ، وإذا بها  
تحت شجرة كبيرة تتدلى على أغصانها الخضراء آلاف الشموع المتلألئة ،  
آلاف الصور والزخارف الملونة ، لكنها عندما رفعت يديها للمس  
الشموع سقط الثقاب على الأرض منطفئاً غير أن ضوء الشموع لم يزل  
يتراقص أمامها فأخذت تحديق في الشمعات اللاتي أخذت في  
الارتفاع ... والارتفاع ، وعيناها تتابع هذا الصعود حتى أدركت أخيراً  
أن الشموع التي كانت تتابع صعودها لم تكن غير نجوم السماء .  
احتواها اليأس فأشعلت عوداً رابعاً ، ظهرت لها في ضوئه جدتها  
التي ماتت منذ حين ، وهي تنظر إليها بحنو وهدوء فصرخت الصغيرة  
بكل قوتها « خذيني معك الآن يا جدة ، خذيني قبل أن ينطفئ  
الكبريت فتختفين كما اختفى من قبل ، في الظلام الموقد ، والأوزة ،  
والشجرة » ... فإذا بالعود ينطفئ فعلاً ، لكنها أسرع إلى إشعال  
جميع ما تبقى في العلبة من أعواد حرصاً منها على استبقاء جدتها . وفي  
وهج الأعواد المشتعلة مدت الجدة يديها ورفعت الفتاة إلى صدرها ..  
واختفى بعد ذلك كل شيء عن إدراك الفتاة وشعورها .  
عند خروج الناس صباح العيد من بيوتهم رأوا فتاة قابضة عند  
زاوية بيتين حمرة الوجنات على فها ابتسامة متجمدة ... لكنها  
ميتة !

لقد ماتت الصبية برداً في آخر يوم من أيام السنة . ولم يظهر أول  
يوم من العام الجديد ، إلا على جثة مكومة في ركن بارد ويدها علبة  
أحترق جميع ما بداخلها من أعواد ، فأخذ الناس يتهايمون  
« لقد أرادت أن تتدفأ ! » .

تعرف ما ينتظرها من ضرب وركل عقاباً لها . ثم إن البيت ليس أقل  
برداً من هذه الزاوية ، ذلك البيت الذي يقيم فيه أهلها تحت  
السطح ، والذي يتخلله الهواء من كل جانب ، بالرغم من الجهود التي  
بذلوها لسد الشقوق الكبيرة بالتبن وبمزق القماش القديمة .  
إنها تموت برداً ، ويدها الصغيرتان قد خدرتا ، والألم يعصف  
بجميع مفاصلها ، وهي تنظر إلى علبة الثقاب التي بيدها وتقول في  
نفسها : « لو أنني أسحب عوداً واحداً فقط من هذه العلبة وأشعله ،  
أو أنني أجروء على ذلك ، إذن لإنبعث الدفء في أعضائي وشعرت  
بالراحة ، وذهب عني الألم » ، وبعد تردد سحبت عوداً وأشعلته ...  
وإذا الضوء دافئ كضوء شمعة صغيرة ! أخذت تغطيه بيدها لتشعر  
بدفئه الذي يتخلل أصابعها المتجمدة . يا له من ضوء غريب ! بدا  
للصبية من سحره أنها جالسة أمام موقد كبير من الحديد المزخرف  
تضطرم فيه نار نادرة اللهب ، ويشع من حوله الدفء . فأخذت  
الفتاة المسكينة تمد قدميها لتحصلا على نصيبها من الدفء فإذا  
بالشمعة تنطفئ ، وفجأة يختفي الموقد ولم يبق لها من تحيلها غير عود  
من الثقاب محترق بين أصابعها .

أسرعت بإشعال عود آخر انعكس ضوؤه على جدار البيت فبدا لها  
شفافاً كأنما هو جدار من ضباب ، رأت من خلاله غرفة ، قد مدت  
بوسطها مائدة فاخرة عليها أوزة محشوة بمختلف أصناف التوابل  
المشهية والخضار ، قفزت فجأة من صحنها متدحرجة نحو الفتاة التي ،  
عندما مدت يدها لتناولها ، انطفأ الكبريت وارتطمت يدها بجدار  
سميك بارد .



# الترجمة العربية للشعر العالمي إلى أين تسير؟

بقلم: محمد فهدى الحمدان

لا شك في أن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة تفقده أثن ما يعتز به الشعر ، وهو موسيقاه والقالب الذي صيغ فيه ، وهذه الجناية تؤثر بدورها على العاطفة ، إن لم تتجن على غيرها فتمسخ المعنى وتتحدى قواعد النحو والصرف .

وليس معنى ذلك أني لا أقرأ ترجمة الشعر ، وإنما قصدت أن الترجمة تضر بالشعر ، فلا أقل من أن نحاول التخفيف من آثار هذه الأضرار ، وذلك بأن يعتمد الكتاب المترجمون إلى فهم القصيدة أولاً ، ثم التأثر والانفعال بها ، ثم ترجمتها شعراً أو نثراً لا بأسلوب أدبي مقبول ، بأسلوب مفكك ركيك ، ولا بترجمة حرفية باردة !!

لا مانع من الترجمة إذن ضمن هذا الإطار فحسب !!  
أنظروا معي إلى لغة (أكلوني البراغيث) ، في ترجمة مجلة (شعر) لقصيدة (بحر) ، للشاعر التشيكوسلوفاكي (بيتر هايرلنغ)<sup>(١)</sup> : (بحر في مسكن الخلزون/ نداء بإذن الصدف/ وخراباً ، منذ القدم ، صارت المدن / الريح يمامة / من بأسرها ؟ / يتحدثن دائماً / عن البحر / اليمامات) !! .  
فقد جمع المترجم نون النسوة واليمامات معاً ، فصار عندنا فاعلان لفعل واحد ، وقدم خبر (صار) عليها وعلى اسمها دون مبرر ، والسبب واضح هو أن المترجم الفاضل يترجم العبارات ترجمة حرفية ، ويرصفها كما كانت مرصوفة ومرتبطة في الشعر الأجنبي في لغته الأصلية ، دون فهم لقواعد لغتنا ودون أن يتحلى بما يتطلبه الشعر من موهبة وذوق وإحساس جمالي فني !! .

وهو يفصل المتلازمين عن بعضها ، فيفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه ، وبين الفعل وفاعله ، والواقع أن قضية الفصل التعسفي وتمزيق الجملة الواحدة إلى أشلاء مبعثرة على سطور عدة ، هي سمة يتسم بها الشعر المشور والمترجم والشعر الحر جميعاً ، وربما كان الشعراء يعتبرونه من مظاهر التجديد والإبداع ، والله في خلقه شؤون !!

ونعود إلى القصيدة السابقة ، ولنقرأها مرات ومرات فهل ن تأثر بها ؟! . .  
لقد استحالت بين يدي المترجم الفاضل أشلاء منحطة بلا روح ولا فن ولا جمال . إنها الترجمة الحرفية الركيكة الأسلوب !!  
وأنظروا إلى قصيدة (النفيسة) لبايرون ، كيف مسخها المترجم وجعلها جثة منحطة<sup>(٢)</sup> :

لقد استيقظ الأموات / - أظل نائماً .. ؟ / والعالم في حرب ضد المستبد / - أظل منحنياً .. ؟ / والحصاد قد نضج / - أتردد في حصاده .. ؟ / لا أستطيع النوم فالشوك يقض مضجعي ، / وهناك نفير يحتاج أذني كل يوم / وصداه يغمر قلبي) !! .

إننا لو استعرضنا الترجمات الشعرية العربية ، التي تحملها إلينا الصحف والمجلات العربية كل يوم ، لوجدناها جميعاً على هذه الشاكلة ، ركيكة سقيمة باردة محشوة بالأغلاط ممسوخة ، وأسباب هذا في رأينا :

إما عدم الإحاطة باللغة الأجنبية المترجم عنها وفهم أسرارها ، وإما عدم الإحاطة باللغة العربية وفهم أسرارها أيضاً ، وإما السرعة لأنهم يتعجلون في الكتابة رغبة في النشر وقبض الأجور ، مع أن عدداً من الأدباء العرب قد سلكوا طريقاً سليمة للترجمة ، فهما الشاعر العوضي الوكيل ، والسيدة س . عبد الرزاق صبري ، في ترجمتهما لكتاب (أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم) ، وقد ترجما فيه سيراً موجزة لحياة خمسة



★ د . إبراهيم ناجي ★



★ أحمد حسن الزيات ★



★ لامارتين ★



★ فيكتور هيجو ★



من أعلام الشعر الفرنسي هم : لامارتين ، ألفريد دي فيني ، فيكتور هيجو ، ألفريد دي موسيه ، بول فرلين ، واتباعه السيلين الطبيعيين لترجمة الشعر ، وهما ترجمته شعراً أو نثراً فنياً ، وهما نحن نحترق مقطعين من قصيدة ( الوحدة ) ، للشاعر لامارتين :

أسرح الطرف في الوادي الذي أنبسطت  
أمام عيني ووجداني مرآتيه  
والشمس تسبح نحو الغرب في طفل  
وقد جلست حزين الفكر عانيه  
في ظل صفصافة أمست كهولتها  
( تذرو الشجون على الوادي وما فيه )  
أرى هنا غالباً في وحدة عجب  
مشرداً ، وكان القلب في تيه

كم يهدير النهر في واديه منطلقاً  
وفوق أمواجه وشي من الزبد  
لقد تلوى على الوادي وسار إلى  
حيث اختفى ، مخدراً في ظلمة الأبد  
وفي البحيرة ماء راح في سنة  
قد لفه عبقرى الصمت في برد  
نجم المساء سما من عندها صعداً  
إلى السماء ، وما أبهاه في الصعد

وترجمها نثراً هكذا :

غالباً .. على الجبل .. وفي ظلال بلوطة معمرة  
اجلس ساهماً حزناً ، والشمس في ساعة الغروب  
أسرح الطرف هنا وهناك في رحاب الوادي  
الذي أنبسط أمام عيني لوحاته المختلفة

هناك يسمع هدير النهر ذي الموجات المزددة  
والذي يتلوى تلوي الأفعى ، ثم يختفي في ظلمات الأبد  
وهناك البحيرة الساكنة بمياهها النائمة  
التي يرتفع من عندها كوكب الليل في السماء الزرقاء<sup>(٣)</sup> .

ومن إجراء مقارنة بين الترجمتين الشعرية والنثرية ، نجد أن الشاعرين قد دفعتهما الضرورة الشعرية أو السرعة أو العجز ، لأننا يجب أن نسمي الأمور بمسمياتها دون مجاملة ، أقول :

دفعتهما إلى أن يحشوا الأبيات بالفاظ ، بل بأفكار تخفف من قيمة القصيدة ، فقد جعلوا الصفصافة مثلاً تذرو كهولتها الشجون على الوادي وما فيه :

في ظل صفصافة أمست كهولتها  
تذرو الشجون على الوادي وما فيه

أما كون البلوطة ، في الترجمة النثرية قد أضحت صفصافة ، في الترجمة الشعرية فهو أمر لن أعلق عليه ، ولو أن الشاعر محمد عبد الغني حسن ، قد أشار إليه واعتبره من الضرورة الشعرية ، فهو ليس من الضرورة الشعرية في شيء ، لأن إيقاعها الموسيقي متشابه ولا ينكسر الوزن الشعري إذا قلنا بلوطة ، ولكن هناك فارق بين الترجمة الشعرية والنثرية ، فالنثرية هي الأرقى ، ولكن الشعرية حسنة أيضاً ، وهي أفضل بكثير من ذلك الركام الذي تلفظه الصحف والمجلات العربية ، إذ يبقى متصفاً بصفات الشعر أو الأدب ، بعكس الركام الذي ياباه الذوق الفني الأصيل !!

وها هي طائفة من الشعراء والأدباء تترجم قصيدة ( البحيرة ) ، للشاعر لامارتين ، وها نحن نقطف المقاطع الأولى لترجماتهم :

يقول أحمد حسن الزيات :

أهكذا قضى الله أن نبحر في عباب الحياة  
مدفوعين في ظلام الأبد من شاطئ إلى شاطئ  
دون أن نملك الرجوع إلى ملجأ أو الرسو ذات يوم على مرفأ ؟  
أنظري أينها البحيرة ! ها هو ذا العام قد كاد  
يشارف تمامه ، وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة  
أرتقب عبثاً عودة جوليا إليها : جالساً فوق الصخرة  
التي كنت تربتها جالسة عليها

كذلك بالأمس كنت تهديرين فوق هذه  
الصخور المعلقة ، وتتكسر أواذك على جوانبها  
الممزقة ، ويقذف هواؤك الزبد على قدميها المعبودتين

وإن كان لنا ملاحظة على ترجمة الزيات ، فهي حول هذا البتر التعسفي للجمل والفصل بين المتلازمات !! .. أما علي محمود طه فيقول :

ليت شعري أهكذا نحن نمضي  
في عباب إلى شواطئ غمض  
ونحوض الزمان في جنح ليل  
أبدي يضني النفوس وينضي  
وضفاف الحياة ترمقها العي  
من ، فبعض يمر في إثر بعض  
دون أن نملك الرجوع إلى ما  
فات منها ولا الرسو بأرض

حدثي القلب يا بحيرة مالي  
لا أرى (أولفير) فوق ضفافك  
أوشك العام أن يمر ، وهذا  
موعد للقاء في مصطافك  
صخرة العهد ويك ها أنذا عد  
ت ، فإذا لديك عن أضيافك ؟



عدت وحدي أرقى الضفاف بعيد  
من ، سفكت دمعها الليالي السوافك

ويقول د . نقولا فياض :

أهكذا أبداً تمضي أمانينا  
نطوي الحياة وليل الموت يطويها  
تجري بنا سفن الأعمار مآخرة  
بحر الوجود ، ولا نلقى مراسينا  
بحيرة الحب حياك الحيا فلکم  
كانت مياهاك بالنجوى تحيينا  
قد كنت أرجو ختام العام يجمعنا  
واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا

ويقول د . إبراهيم ناجي :

من شاطئ لشواطئ جدد  
يرمي بنا ليل من الأبد  
ما مر منه مضي فلم يعد  
هيات مرسى يومه لغد

\*\*\*

سنة مضت وختامها حانا  
والدهر فرق شملنا أبدا  
ناج البحيرة وحدك الآننا  
واجلس بهذا الصخر منفردا

ويقول الشاعر محمد عبد الغني حسن ، في ترجمته لقصيدة (دنيا  
الكتاب) ، للشاعر الأميركي (كلارنس داي) :

دنيا الكتاب عجيبة الأكوان  
من دون ما خلقت يد الإنسان  
لا شيء مما خلده يمينه  
باق على الأباد والأزمان  
كم من صروح زلزلت جنباتها  
ومالك صارت إلى فقدان  
وحضارة عاشت طويلاً وانطوت  
وأقيم بنيان على بنيان  
أما الكتاب فإن في أسفاره  
ما شاهدت أحداث كل زمان  
شاب المدى من جانبيه ولم يزل  
حلو الشبيبة ريق الريعان  
وكان برده كأول عهده  
أيام سطر ناضر الأردن  
يفضي لأفئدة الرجال بكل ما  
حوت القلوب طوين في الأكفان

ولعل أهم أثر أدبي عالمي أهتم بنقله الشعراء العرب هو (رباعيات عمر  
الخيّام) ، وقد ترجمت شعراً ونثراً عن أصلها الفارسي وعن الانكليزية ، فقد  
ترجمها : وديع البستاني ، شعراً عن الانكليزية ، وكذلك فعل محمد  
السباعي ومحمد الهاشمي ، أما جميل صدقي الزهاوي ، فقد ترجمها  
عن الفارسية شعراً ونثراً ، وكذلك ترجمها أحمد رامي وعبد الحق فاضل  
(من العراق) ، شعراً عن الفارسية ، وكذلك ترجمها الدكتور أحمد زكي  
أبو شادي وأحمد الصافي النجفي شعراً ، وترجمها نثراً أحمد حامد  
الصراف ، وكانت ترجمة عبد الحق فاضل أفضل ترجمة على رأي  
الأستاذ محمد عبد الغني حسن (٤) .

وما نحن نقتطف نماذج من ترجمات الرباعيات :

●● يقول وديع البستاني في ترجمته للنشيد الخاص بقصر (جشيد)

و(بهرام جور) :

\* عبد الحق فاضل \*



قصر (جشيد) يجمع الندمان  
صار كنأ للخشف في الصححان  
ومقيلاً للضبب والثعلبان  
و(ابن جور) الصياد صيد وأردى  
ومن العرش حط حطاً للحد  
بقر الوحش فوقه رائحات  
غاديات تحتاحه أسرابا

ونرى الألفاظ هنا صعبة وغريبة ، وهذا ناجم عن تأثره بالتراث من  
ناحية ، وعن سعيه الواعي إلى التقعر والاتيان بالكلمات الصعبة وفقاً للذوق  
والمعايير الشائعة في عصره !!

●● وقد ترجم الشاعر العراقي عبد الحق فاضل هذا النشيد عينه  
بقوله :

يا لجمشيد وقصر كان فيه يشرب  
ولدت فيه ظباء واستكن الثعلب  
يا لبهرام الذي كان يصيد العير عمرا  
أرايت القير كيف اصطاده لا يرهب ؟

أما النشيد الخاص بصيرورة القصور العامرة إلى خراب مهما ارتفعت إلى  
ذروة الأفلاك فقد وقعت لنا منه ثلاث ترجمات شعرية ، أولها لوديع  
البستاني :

رب قصر طالت ذراه السماكا  
وترأت قباه أنلاكا  
وملوك كانت تخمر هناك  
وجباه تعنو على الأعتاب  
بوقار العباد في المحراب  
وهناك اليوم الحمام ينادي  
يوسفأ والغراب يدعو الغرابا

●● وثانيها لعبد الحق فاضل :

رب قصر زحم الأفلاك يوماً منكباه



\* أحمد الصافي النجفي \*



وملوك عفرت حر النواصي في ثراه  
وقعت عيني على فاختة فوق ثراه  
قعدت تندب أهليه ، وتنعي من بناه

●● وثالثها لأحمد رامي :

تلك القصور الشاهقات البناء  
منازل العز ومجلى السناء  
قد نعب البوم على رسمها  
يصيح : أين المجد ؟ أين الثراء

●● أما أحمد حامد الصراف ، الذي ترجم الرباعيات نثراً ، فيقول في ترجمة هذا النشيد :

(إن القصر الذي كان يتسامى مع الفلك كنفاً إلى كنف ، والذي كان الملوك يضعون على أعتابه الجباه ، قد رأينا الفاختة على شرفاته تسجع قائلة « كوكوكوكو » أي : أين ، أين ، أين ؟ ) .

●● ويقول عبد الحق فاضل ، في ترجمته لنشيد الكوز :

كان هذا الكوز مثلي عاشقاً جد كئيب  
سحرته طرة اغبوب بالحسن العجيب  
وتأمل عروة في جیده موثقة  
فلقد كانت ذراعاً طوقت جيد حبيب

●● ويقول وديع البستاني ، في ترجمته للنشيد ذاته :

وكأني بالكوز قد كان صبا  
مبغداً ، أملاً دنواً وقرباً  
هائماً ماتاً غراماً وحبا  
وكأني بعروتيه ذراعاً  
عاشق ضم من أحب وداعاً

صاح ! هذا المصير : ناس ، فطين  
فاوان لا تعرف الأصحابا

فهذه الترجمة قد بذل فيها جهد .. ولا شيء كالآداب يحتاج إلى جهد لأنه من الفنون ، والفنون لا تنهض إلا بالآداب والعمل والهمة القعساء والمثابرة ، والدقة متضافرة مع الأصالة والمعانة والإحساس الصادق . ومنه نشأ القول بأن الشاعر المجيد يغمس قلمه بقلبه ليكتب ، والفنان يغمس ريشته بدمه ليرسم ، أما أدباؤنا اليوم فيغمسون أقلامهم في الماء ليكتبوا ، فتراهم يجنحون إلى تخفيف القبول ليرفروا على أنفسهم كثيراً من الجهد والعناء ، ولا أقسو عليهم إذا اعتبرت محاولاتهم هذه خروجاً عن جادة الآداب الرفيع ذاته ، فلا شيء يكلف الأديب أن يكون كاللدجاجة ، عليها أن تبيض يومياً ، أو كالآلة عليها أن تؤدي عملها باستمرار . وإذا ما كان كذلك فسيخرج للناس كل غث وبارد ، وسينقلب إلى صحافي لا أكثر !!

وإنه لا شيء يسيء إلى الفن وإلى الشاعر الذي يبدع هذا الفن ويسطره بمداد قلبه وجراحه أكثر من عبث المترجمين الآليين به . وإلا فما معنى أن نقرأ الشعر الفرنسي على هذا البرود وهذه الركافة والتفكك :

(والرمل المنبوش البحر الذي أختار) و(التشهير الذي الأزهار حساسة أمامه) في ترجمة ناديا تويني !<sup>(٥)</sup> .

وما معنى أن تكتب قصيدة الشاعرة (سيليفيا بلات) من أميركا الشالية على هذه الشاكلة :

(الوجوه التي / تتزاحم نحو الوجود / مجرورة / مبتورة . / قبعة الغياب المدماة / أتسلق طوال الليل / مسافة ، لأجل هذا الشيء أعطيته / حب / لأجل عينين مبللتين وصرخة حادة / بصاق أبيض / السلامبالاة ! / الثمار السوداء تترنح وتسقط / المرأة تشعر ، / الصورة / الحرب ، الاجهاض كزئبق منفلس .) !! .

ما الفائدة من مثل هذه الترجمات ؟

ونقرأ للكاتب (الياس ندور) أشعاراً مترجمة عن (ميشال ديشي) ، وهي بعنوان (الفقرة ٥ أعمال ١٩٦٦م) ، تمتد على صفحات مجلة (الأداب الأجنبية) السورية ، من الصفحة ٥٤ ، حتى نهاية الصفحة ١٠٩ ، وهي بحرف دقيق ، والسؤال الذي تثيره للوهلة الأولى هو : لم لم تنشر في كتاب مستقل ؟!

والسؤال الثاني هو : كيف تتسع مجلة لمثل هذا العمل المطول ؟ . وعلى كل حال ليس لنا علاقة بهذا ، فالأمر متروك لأولي الأمر ، لكن ما يعينني هو اقتطاف مقطع قصيد أن يكون صغيراً لعرضه على القراء :<sup>(٦)</sup> .

(العالم يمتد فصولاً صقيع البحر / فوق هذا الخليج حيث أشجار الدردار نتناقش بالأبواق / عندما نستلب الريح قرون الشمس / أو الأزهار أيضاً .

الأحد فوق الرواق / الجمهور نص إيراقي عتيق / الخزي الذي عشنه مثل أوب / والذي نرفضه من أجل مصرنا / نسافر مباشرة إلى اللامرئي) !!

وأعتقد أن القراء يلاحظون أن لا حياة في هذا النص ، ثم يلاحظون التفكك والركافة والفصل القسري بين الكلمات !! .

ولا بد أن نؤكد ثانية على أنه من الأفضل ترجمة الشعر إلى شعر ، وإن كنا نقر ترجمته إلى نثر أدبي فني مقبول كترجمة دريني خشبة مثلاً لآلياذة هوميروس وغيرها !!

المهم أن نحس أننا أمام أديب مبدع قد استطاع أن يتأثر بالعمل الأدبي وأن يعيد إنشاءه من جديد على شكل هو إلى الابتكار والإبداع أقرب !!

أما المترجمون الآليون ، فعليهم ترجمة الكتب الأخرى غير الأدبية ، وعليهم ألا يقتربوا من الشعر خاصة !! .. إن الأمثلة المقتطعة السابقة قد رسمت السبيل الطبيعي للترجمة الشعرية ، وعلى غيرهم أن يقتفوا آثارهم ، أما غير الأصحاء وغير القادرين فعليهم أن يدعوا الترجمة الشعرية ويبحثوا عن عمل آخر يحمدون فيه !! .

### هوامش

(١) - مجلة شعر - اللبنانية ، العدد ٣٦ - خريف ١٩٦٧ م .

(٢) - مجلة - الطليعة - السورية ، العدد ١٤٩ ، ٢ نيسان (أبريل) ١٩٦٩ م .

(٣) محمد عبد الغني حسن : فن الترجمة في الأدب العربي . القاهرة ، الدار المصرية للترجمة ، مارس (آذار) ١٩٦٦ م .

(٤) محمد عبد الغني حسن : فن الترجمة في الأدب العربي . ص ١١٦ .

(٥) - مجلة شعر - اللبنانية ، العدد ٣٦ ، خريف ١٩٦٧ م .

(٦) - مجلة - الأدب الأجنبية - السورية ، العدد ٢ ، السنة الثانية ، صفحة ٩٩ .



## دائرة المعارف

### قصصية

معهم زمناً ثم ينجح في التخلص منهم ، ثم ينهم ظمناً ويسجن حيناً ، ثم ينتقل في بيئات مختلفة فيعمل خادماً فطبيباً ثم يختلط بالمثلين ، ثم يصيح من رجال القصر .



#### حي بن يقظان :

تأليف ابن طفيل ( ١١١٠ هـ - ١٨٨٦ م ) ، تحكي نشأة طفل هو (حي) نشأ في جزيرة مهجورة لا يعرف والده ، فربته غزالة ظننه ولدها المفقود حتى كبر وصار ذا فكر وفلسفة وإشراق ، وأن الجزيرة منصوف اسمه (أسال) فتعارفا ، وتعلم (حي) منه اللغة وغيرها ، ثم ذهباً إلى الجزيرة المجاورة ليهديا من فيها فلم يقلحا فعادا إلى جزيرتهما ليتبعدا حتى يأتيها أمر الله . . وقد أثرت هذه القصة في الآداب العالمية وبخاصة الأدب الإسباني .



#### خان الخليلي :

تأليف نجيب محفوظ ( ١٩١٢ - ٢٠٠٠ م ) ، يصور فيها نجيب محفوظ قطاع الطبقة المتوسطة - كعادته - في المنطقة القديمة بالعاصمة المصرية حيث حي (المحسين) ، و خان الخليلي ، ويطل الرواية ( أحمد عاكف ) نموذج لطبقته ، وهو نموذج فريد يحاول أن ينال قسطاً من التعليم الجامعي لكنه يخفق مع إيمانه الشديد بقدرته وكفاءته ، وكما فشل في التعليم فشل في الحياة العاطفية ، وبذلك انتهى إلى دائرة الفشل لأسباب ترجع إلى عدم قدرته على الحسم والتركيز .



#### دون كيخوته :

تأليف سرفانتس ( ١٥٤٧ - ١٦١٦ م ) ، من عيون الأدب العالمي وسميت باسم بطلها السري الذي افتنع بباديء الفروسية وتناقص فيها أصدقاء وحلم بتطبيقها ، وقد تقلدها في حفل سامر أقامه صاحب فندق ، واصطنع لنفسه فتاة أحلام وسار على حصانه المزجل ، ثم يحارب تجار ( طليطلة ) فيضربونه ، وهنا يرى صديقه القس أن كتيه هي مبعث جنون أحلامه فيحرقها ، ويظل في تخيلاته الوهمية فيتصور طواحين الهواء عملاقة تستعد لنزاله ، ثم يتعرض لموقف يناله فيه الأذى كسابقه ، ويظل في غمخاته وأحلامه حتى يظل حبيباً في بيته حزناً بائساً ، وقد ترجم الجزء الأول منها الدكتور عبد العزيز الأهواني .



#### الذئاب :

تأليف أحمد إبراهيم الفقيه (ليبيا) ، تصور القصة كيف هاجمت الذئاب البطل (عثمان الغول) فقتل ليلة باردة عاصفة بأكملها فوق جذع شجرة عجوز بطرد الذئاب بغصن جاف ويكاد في كل لحظة يسقط لقمة سائغة بين أنياب الذئاب الجائعة ، حتى طلع الصباح وسدات الذئاب تتسلل واحداً بعد الآخر ، وكان آخرها ذلك الذئب الرمادي الصغير الذي أطعمه رغيته ، وعاد عثمان الغول إلى قريته نجب في قبضة الممزق ، وهو يلتفت شملاً ويمساً ، وكلما تكسرت تحت قدميه عشية يابسة ارتعشت أصابعه .



#### الأخوة كرامازوف :

لدستوفسكي ( ١٨٢١ - ١٨٨١ م ) ، تحكي حياة أسرة هي الأب (فيودور) الشيخ اللاهي ، والأبناء : «ميتيا» ، «إيفان» ، «الْيوشا» ، والابن غير الشرعي «سمير ديكوف» ، والآخر غيبب ذكي محتال يعيش خادماً في المنزل ، وأطهرهم اليوشا ، أما ميتيا فضابط ذو عواطف متناقضة ، أما إيفان فكان يبغيض ميتيا . وتدور أحداث القصة وتنتهي بالحكم على ميتيا بالاشتغال الشاقة ، وقد كان في نية المؤلف أن يكمل القصة في عمل آخر .



#### البحث عن الزمن الضائع :

بروست ( ١٨٧١ - ١٩٢٢ م ) ، وفيها يصور بروست عالماً لا حدود له إلا ما تفرضه العين التي تنظر إليه ولا وجود له إلا من خلال رؤية العين مع الاعتماد على الرمز ، وبهم بروست البطل والراوي ساعياً وراء الزمن المفقود في رواية داخلية تعتبر بداية الرواية «الفينومينولوجية» لأنها لا نصف العالم الوهمي والواقعي بل تدرس وتنقد وتحلل الصور التي بين يدي الإنسان . وقد أثرت في حركة الفن القصصي الحديث ، وجاء بعده من خلطوا بين أجزاء الواقع ومستويات المكان والزمان ، ورفضوا السرد المنطقي الموضوعي ، ومالوا للخيال المبدع .



#### التوأمان :

للكتاب السعودي عبد القدوس الأنصاري . . تبدو أهمية هذه القصة الطويلة كما يذكر الدكتور منصور الحازمي في حولة كلية الآداب - الرياض (مج ٣) - في أنها تعتبر التجربة الأولى في الميدان القصصي ، إذ صدرت سنة ١٩٣٠ م ، وقد كتب مؤلفها على غلافها : ( أول رواية صدرت بالحجاز ) ، والرواية من النوع التعليمي .



#### الثلاثية :

تأليف نجيب محفوظ . . وتضم الأجزاء التالية حسب الترتيب : بين القصرين ، وقصر الشوق ، والسكرية ، وتحكي قصة حياة أسرة مصرية من الطبقة المتوسطة في خضم ألوان النشاط الإنساني ، وفي تسلسل أجيال ما بين الجد والآباء والأحفاد ، مع تباين النزعات والميول والانجذبات وتناقضها في كثير من الأحيان ، وقد تأثر فيها نجيب محفوظ بقصة (تسلسل الأجيال) عن الأدب الإنجليزي .



#### جيل بلا :

تأليف لوساج . . يرحل «جيل بلا» من بلده ليدرس في الجامعة ، وتحدث له أحداث في الطريق تحول مجرى حياته ، فيسرقه اللصوص في الطريق ، ثم يقع في قبضة قطاع الطرق ، ويسق





#### رسالة الغفران :

من تأليف أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ - ١٠٥٩م)، هي رحلة تخيلها أبو العلاء في الجنة، وفي الموقف، وفي النار، ليحل في عالم خياله مسائل ومشكلات ضاق بها في عالم واقعته من العقاب والثواب، والغفران أو عذمه، مع فيض من مسائل الأدب واللغة في قالب ساخر ناقد لغوي، وكان خياله فيها فريداً، وبه صارت من قصص المخاطرات الغيبية الذهنية.. وقد أثرت في الكوميديا الإغية لدانتي الإيطالي، وكلاهما تأثر بقصة الإسراء والمعراج.



#### زينب :

تأليف محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦م)، يعتبرها معظم النقاد رائدة الرواية الفنية الحديثة في الأدب العربي، إذ نشرها لأول مرة سنة ١٩١٢م متخفياً وراء لقب (مصري فلاح) ثم أفصح عن اسمه في الطبعة التالية. وقد كتبها وهو طالب في باريس.. وتعالج شؤون أسرة ريفية في ريف مصر، من خلال واقع حياة الريف واهتمام بالجانب العاطفي والانجلاء الرومانسي. وعلى الرغم من شهرة هيكل في هذا المجال القصصي بتلك الباكورة فإنه أحجم عن الكتابة القصصية مدة طويلة حتى سنة ١٩٥٥م، إذ أصدر رواية «هكذا خلقت» ولم يكتب إلا بضعة قصص نشرها بالغلل والمصور فيما بين هذين التاريخين.



#### سنة أيام :

تأليف حلم بركات.. نشرت الرواية في بيروت سنة ١٩٦١م، ويطلها سهيل يراقب الناس كما يراقب نفسه، وقد أُنذر الأعداء مدينته (دير البلح) أن تستسلم أو تمسح عن وجه الأرض، وخطب في الجماهير ثائراً، ويشارك في التدريب على السلاح، ويجد الموت يهدد أمه في الحب، ثم يقع أسيراً ويعذب ثم يوقف الأعداء التعذيب ويصعدون به إلى سطح السجن ويشيرون إلى مدينته التي تحترق.



#### شجرة البؤس :

للدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م)، صدرت الرواية سنة ١٩٤٤م مصورة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتعرض لصراع العقل والعلم والمنطق من ناحية، والتسواكل من ناحية أخرى.. ويبتها الصعيد المصري بما فيه من عادات وتقاليد، وقد تأثر بها نجيب محفوظ في رواياته التي ترصد تسلسل الأجيال.



#### صراخ في ليل طويل :

تأليف جبرا إبراهيم جبرا.. كتبها سنة ١٩٤٦م في القدس، ونشرها سنة ١٩٥٥م في بغداد، أي إنه تعمد تأخير نشرها إلى ذلك الحين، وعلى لسان بطلها (أمين) تتجلى شخصية المثقف ونظرته إلى المستقبل. وقد كتب عنها الدكتور شكري عياد في مجلة الفكر الكويتية (مج ٣).



#### الضحية :

تأليف عبد المنعم الصاوي.. هي أحد أجزاء ثلاثية الصاوي التي عنوانها الساقية،

وتتكون من : الضحية - دار المعارف ١٩٦٢م في ٥٠٩ ص، والنصيب - دار الكاتب العربي ١٩٦٨م في ٧٠٧ ص، والرحيل - دار المعارف ١٩٦٧م في ٥٥٧ ص، وللكاتب أعمال قصصية أخرى منها : شراع أبيض (١٩٦٥م)، ومامارا (١٩٦٧م)، وهذا الرجل (١٩٤٨م).



#### الطاعون :

كامي (فرنسا) (١٩١٣ - ١٩٦٠م)، إحدى روايات الكاتب الفرنسي كامي، الذي كتب أيضاً الغرب وأسطورة سيزيف.. وقد ظهرت الطاعون سنة ١٩٤٧م، وتصور بلدة وهران وأهلها يعيشون عيشة آليّة في تجارهم وأربابهم، وما هو البطل (تارو) يعتنق فلسفة العبث ويدون مذكرات، ثم يحل الطاعون بالمدينة، ويتجسد الألم، ويتحقق الفراق بين كل صاحبين، ويتالم الطفل حتى يبلغ كامي روعة التصوير إذ يجسد لنا مظهر تالم الطفل لمرض الطاعون واحتضاره.



من القصص : الظلال في الجانب الآخر لمحمود دياب، وظبية البيان لأحمد صراف (مصر). (وهذا حرف يقل وروده في أول الروايات والمجموعات القصصية).



#### عودة الروح :

لتوفيق الحكيم (١٩٠٢ - ١٩٥٠م)، تألت هذه الرواية شهرة فائقة من بين روايات توفيق الحكيم، ذلك أنها تعد من خير ما صور مصر في مواجهتها للقضايا الوطنية والاجتماعية، وكان فيها توفيق الحكيم ابن بيئته حقاً، وصور البطل الوطني والاجتماعي، كما صور الطبقات الاجتماعية آنذاك.. وقد كان للرواية أصداء بعيدة في المحيط الأدبي.



#### الغثيان :

جان بول سارتر (١٩٠٥ - ٢٠٠٠م)، ظهرت ١٩٣٨م، وهي أول ما اشتهر به سارتر، وقد لاقت نجاحاً وشهرة، وتحكي يوميات إنسان انقطع عن مجتمعه، وتأمل الوجود، وبدأ يفقد كثيراً من معتقداته، وفي الرواية نجد المؤلف ينزع الفئاع عن وجوه الناس بمختلف طبقاتهم، وفي الرواية نجد المؤلف يتنخل عن مهمة الراوي، وحرار النقد في الكشف عن مضمونها أي هادفة أم غير هادفة.



#### فاوست :

أسطورة عالمية الأصل فيها أن عالماً ألمانياً هو فاوست كان فيلسوفاً كبراً يزعم أن له صلة بالشياطين، ويزعمون أنه كان ساحراً يخاطب الموتى ويقع بدمه عقداً مع الشيطان بطبع فيه الشيطان على أن يرجع الشيطان له شياجه.. وقد توالى الأعمال الأدبية حول هذه الأسطورة واختلفت في تناول الأحداث منها : مسرحية مازلو، ومسرحية جوته.



#### القفر فوق الحائط القصير :

لأبي بكر خالد (السودان)، رواية تعالج بيئة زقاق من الأذقة الشعبية يدخل أحدها وهو





#### هدامة :

تأليف سليمان الخليفي (الكويت)، صدرت هذه المجموعة بالكويت سنة ١٩٧٤م، وقد حملت المجموعة اسم آخر أقصوصة بها . وتصور شاباً جسوراً طويلاً قوياً يقوم بمغامرات ثم عن شجاعة وجراة . . والأقصوصة لم تكتب ببساطة الحكاية التقليدية بل خالطها تعقيد فني مقصود ويستخدم عدة أمور منها **المونولوج الداخلي** يجعل الشخصية تحتاج من داخلها، ومنها طريقة السيناريو في العرض بالانتقال بالحدث من مكان إلى آخر وكذلك الزمن . والكاتب أحد كتّاب الفن القصصي المعاصر ومن جيل سليمان الشطي، وإسماعيل فهد إسماعيل وأمثالها .



#### الوهم والحقيقة :

لمحمد أبو المعاطي أبو النجا . . وهي المجموعة القصصية الثالثة للكاتب، إذ سبقتها مجموعتان هما فتاة في المدينة سنة ١٩٦٠م، والابتسامة الغامضة سنة ١٩٦٣م . وفي المجموعة اهتمام بالفارق الجوهري بين الوهم والحقيقة، حتى لنجد بطل الوهم والحقيقة أكثر انشغالا بقضايا ميتافيزيقية، وينطوي على نفسه، وكلما حاول اللحاق بالحقيقة وانغمس فيها فرت منه وأفلتت من أصابعه كالشعاع ويظل في حيرته حتى يكاد يقترب من حافة الجنون .



#### لادسياس :

لأحمد شوقي (١٨٦٩ - ١٩٣٢م)، عني شوقي فيها بالتعبير، واعتمد في تطور الحوادث تطوراً خارجياً على عنصر الزمن . وقد تجلّى تأثيره **بالمقامة** **وآل ليلة وليلة**، وقصص الفروسية، فالأمير (حماس) المصري يتزوج من الأميرة اليونانية (لادسياس) ويفقد عرشه الفرعوني وتختطف الأميرة، لكنه يجتاز ما يعترض طريقه من صعاب حتى يتمكن من استعادة عرشه ثم يسترجع عجبته .



#### يوليسيس :

لجيمس جويس (١٨٨٢ - ١٩٤١م)، يوليسيس أو أوليس أو عوليس صدرت سنة ١٩٢٢م، مصورة معاناة الإنسان فيما بين الحزبين العالميتين، معتمدة على التحليل النفسي، وحوادثها تدور في **إيرلندا** منظرية لحوادث الأوديسيا ملحمة **هوميروس**، ولا يسودها منطق قصصي، وزمنها أقل من أربع وعشرين ساعة، وهي دقيقة تستعصي على التلخيص لاعتمادها الشديد على الجانب النفسي، وكما حدث في الأوديسيا أن تعارف الأب **يوليسيس** والابن **تليماك**، يتعارف هنا الأب بلوم بابنه ستيفن . ولا تقوم الرواية على أحكام البناء الفني ولا على الحكاية، إذ يرى «جويس» أن على الفن الروائي أن يستخدم الرمز لكي يشير إلى تعقيد الواقع، ولهذا اعتمد كثيراً على الرموز والأسطورة والمونولوج الداخلي، والكاركتاير .



#### كليلة ودمنة :

لابن المقفع (١٠٦هـ - ١٤٤هـ)، قصص على لسان الحيوان، وهي تموير من البهلوية (كاليبج وديمنج)، وهما من أبناء آوى، وفي الهندية **كاراتاكا ودامانكا**، وقد نشأت أصلاً في الهند ثم ترجمت إلى لغة الفرس، إذ سمع **كسرى أنوشروان** (٥٣١ - ٥٧٩م) بها فأرسل طبيبه «برزويه» إلى الهند كي يجلها ثم يترجمها إلى البهلوية، ثم أضيفت إليها إضافات فارسية، كما ترجمت إلى الآرامية (السريانية) ثم ترجمها عبد الله بن المقفع إلى العربية حوالي سنة ٧٥٠م، وأضيفت إليها إضافات عربية .

وقد سبقت فيها الحكمة على السنة الحيوانات والطيور والبهايم . وقد أثرت في الآداب التالية لعصرها، وقد نسج **إخوان الصفا** على منوالها، ونظم **سهل بن هارون** على نسفها كتاباً سماه (ثعلبة وعفراء) ونظمه ابن الهبارة شعراً .



#### الليلة الأخيرة :

تأليف فاضل السبياعي (سوريا)، مجموعة قصص قصيرة تضم عشر قصص من بينها قصتان تبدو إيميتها في تناولها لعالم الأطفال : الأولى عنوانها : (الأرجوحة) بطلها طفلة صغيرة أراد أبوها أن يبيع أرجوحتهما حاجته إلى المال، وعندما أدركت الطفلة ذلك قبلت أن تعيد السعادة لأبيها ووافقت، ثم انفجرت الأزمة وجاء المال فعُدل الأب عن البيع . أما الثانية فعنوانها (عيد من الأعياد) حيث يفرح الطفل بالجلباب الجديد في العيد، واكل الكعك، وأنشيد العيد الجميلة والمبهجة .



#### المسخ :

تأليف كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤م)، رواية نفسية تصور بطلاً يعمل لحساب منزل نجاري ويعمل أسرته بعد إفلاس والده، ويحقق لأخته فرصة مواصلة دراساتها الموسيقية، ثم اضطرب ذات ليلة بأحلام مروعة، وجد نفسه على أثرها قد مسخ حشرة كبيرة دون أن ينسى طبيعته الخيرة العطوف، فامتزل عن أقرابه وأهله تحت سريره بعد أن اكتشف نفورهم من منظره الجديد، وظل يتغذى بالفضلات، وقد تجنّب الجميع إلا خادمة كانت تلقى إليه بقشر التفاح، وتحدّثه كأنه لم يمسح، وسمع أخته ذات ليلة تعزف فتسلل من تحت سريره وذهب إلى حيث تجتمع الأسرة فنفروا منه، ورماء والدها بتفاحة قصمت ظهره، فرجع مثلاً لموت في بطنه في غيبته، وحين كنسنته الخادمة قالت : «أيها الحيوان المسكين لقد استرحت من العذاب» .



#### نداء الجهول :

لمحمود تيمور (١٨٩٤ - ١٩٧٣م)، صدرت سنة ١٩٣٩م، ويحكى فيها المؤلف الأحداث بضمير المتكلم، أما مكانها فلبنان، وأما زمانها فسنه ١٩٠٨م، وقد اصطنع أسماء الأماكن من خياله، أما شخصياتهم : الراوي، والشيخ عاد، وحبيب الحادم، وميس إيفانيس، ومجاصص، وكنعان، ويوسف الصافي . وتشغل الرواية بالبحث عن قصر مسحور «تسكنه الأشباح ينظروا عليه بطن الجبل» وتحمل الرواية سمات فن تيمور من إحكام الصياغة، وجودة الحوار، وسعة الخيال، وقصاحة الحوار .



تلمسان .. والقاهرة ..

من خلال رحلتي مع « الفصيل » العزيزة .. وجدت أن أنوه ببعض الملاحظات الجديرة بالأخذ في سبيل السعي لما هو أجمل وأفضل وأكمل .. راجياً سماع صدى لملاحظاتي .

١ - الاستطلاعات التي تقوم بها المجلة متفاوتة من حيث المعلومات التفصيلية الهامة التي تثبت صورة البلد المستطلع في ذهن القارئ والمواطن العربي .. مما لا ينصف بعض البلدان .. فعلى سبيل المثال لا الحصر استطلاع الرباط جاء أوفى من استطلاع تلمسان وأقصد بأوفى أنه قد أخذ حقه من المعلومات التاريخية والجغرافية على قسط أكبر . وقد هضمتم (تلمسان) في استطلاعكم الأخير .. وإن كان بقلم أحد أبناء القطر الجزائري فهو بحسب استطلاعاً على المجلة لقرائها .. فما لم يعرفه قارئ استطلاعكم بعد .

إن تلمسان تلفظ بصورة صحيحة كما تلفظ في المغرب الأوسط وسالفاً عن خالف « تلمسان » وهي تقابل فاس مراکش من حيث كونها عاصمتا الثقافة الإسلامية في هذين الجزئين العزيزين من المغرب العربي الإسلامي العزيز . وتقابل أيضاً غرناطة الأندلس فتسمى غرناطة إفريقيا من حيث كثرة المساجد والمعالم الإسلامية من أضرحة ومزارات .. الخ .

ومما لم يحضر القارئ العادي بعد وهو في نظري من أولويات تلمسان .. إنها دار « المقرري » صاحب « نفح الطيب » العلامة ابن تلمسان المؤرخ العظيم للأندلس ومجدد ذكرياتها بالشرق .. مؤرخ لسان الدين بن الخطيب ومحبي تراثه والذي وردت المدينة في آثاره موصوفة (بتلمسان المحروسة) .

كما فات الأستاذ المستطلع أن يذكر لنا أن تلمسان هي عاصمة دولة بني عباد مدة قرن ونصف .  
.. وما زالت لي ملاحظات أرى تقديمها .

مجلة الفصيل - ص ١٥٤

\*  
أخبار  
رأى  
للعمارة  
في  
تلمسان  
\*



أين الخريطة الجغرافية من استطلاعاتكم .. في الحقيقة إنني في غاية الاستغراب أمام تغيب الخريطة ، فالقارئ العادي بل وفوق العادي لا يعرف أين موقع تلمسان من خريطة المغرب الأوسط (الجزائر) المجاهدة . فالخريطة ضرورة بالغة لكل مدينة . إنه لا يعرف أن تلمسان هي دار الضيافة بين المغربين العزيزين الأوسط والأقصى (الجزائر ومراكش) ، وهي ترتفع عن سطح البحر المتوسط ٨٣٠ متراً .. وما دمتم قد أطلقتكم على غرناطة زينة الدنيا .. فلماذا لا تطلقون على تلمسان .. زينة البلدان؟!

٢ - وأعود بكم للقاهرة عاصمة (المآذن العربية) فاتكم مما فات أن تذكروا أن اسم (القاهرة) قد ورد ١٤ مرة في مدن وولايات الولايات المتحدة . مثل ولاية ايللنوي مثلاً . وكولومبيا .. وغيرهما . كما ورد هذا الاسم الجميل في إيطاليا وكندا . وهذه المعلومة .. استقيتها من كتاب البريد السنوي الذي تصدره منظمة اتحاد البريد العالمي بـيرن - سويسرا .

٣ - بقيت واحدة !

في العدد الأخير - الثاني من السنة الثانية - ورد هذا التناقض عن الطبيب المسلم - ابن سينا - ابن خلكان يعد كتب ابن سينا مئة كتاب .. في حين يحصيها الأستاذ عبد الحليم منتصر ٢٧٦ كتاباً .. والملاحظان وردتا على التوالي بمقتالي :

- الاحلام عند ابن سينا - سعيد يعقوب ، ص ١١٢ .
  - وبين التراث والمعاصرة ، د . أحمد الضبيب ، ص ٣٢ .
- وهو تناقض ملفت .. محير!!

وبعد : ما كنت لأسطر ملاحظاتي هاته .. لولا حرصني على « الفصيل » وتطلعي إليها على أنها هي النور والأمل للأجيال .. أرجو أن تلاقي صداها لديكم .. والله من وراء القصد

عبد الغني عبد الهادي  
عمان - الأردن



أجاب فضيلة الشيخ الراوي على هذا السؤال بقوله :

« بالنسبة لموضوع النسخ والمنسوخ في الحديث فإنه علم من علوم الحديث ، يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ . فما ثبت تقدمه كان منسوخاً ، وما ثبت تأخره كان ناسخاً .

ومعرفة ذلك العلم من أهم ما يجب على من يتصدى للبحث في أحكام الشريعة . ومن أحسن ما يمكن دراسته في هذا العلم « كتاب الاعتبار » في بيان النسخ والمنسوخ من الآثار . تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني المتوفي سنة ٥٨٤ هـ ، وهو مطبوع عدة طبعات ، ومتداول في أيدي طلاب العلم . والله ولي التوفيق .

●● القارئة «نجاه . س . ن» من الرياض في المملكة العربية السعودية ، تقول إنها قرأت في مجلة «أسري» الكويتية في عددها رقم ٢٩ السنة ١٤ بتاريخ ٧٨/٩/١٦ م ، موضوعاً بعنوان «الطلاق ومهزلة اسمها المحلل» ورد فيه حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام نصه «إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرته ، وإن تركتها - أي أمسكتها على ما هي عليه - استمتعت بها على عوج» .

وتسأل الأخت القارئة هل هذا الحديث وارد عن الرسول ﷺ أم لا ؟ ● يقول فضيلة الشيخ محمد الراوي : «إن الحديث صحيح ، وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه : فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء» متفق عليه .

وفي رواية في الصحيحين : «المرأة كالضلع إن أقتها كسرته ، وإن استمتعت بها وفيها عوج» .

وفي رواية لمسلم : «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرته وكسرها طلاقها» .

● من حلب - في سورية ، يسأل القارىء «بشار أوبري» عن الحركة القاديانية ، ويطلب أن نعطيها معلومات عنها . . وعن نشأتها في الهند . . وطبيعة أهدافها .

●● وقد أجاب فضيلة الشيخ محمد الراوي رئيس قسم التفسير - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قائلاً : «ظهرت الحركة القاديانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، في بلاد الهند . . وصاحب هذه الدعوى هو «ميرزا غلام أحمد القادياني» المولود عام (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م) ، من أسرة نزحت قديماً من «سمرقند» . . واستوطنت قرية «قاديان» . . مات في شهر مايو (أيار) عام ١٩٠٨ م ، في «لاهور» . . ونقلت جثته إلى «قاديان» حيث دفن في المقبرة المسماة بـ «مقبرة الجنة» عندهم .

وقد مرت دعواه بعدة مراحل . . ظهر في أولها بمظهر المجدد المصلح ، وانتهى إلى القول «بأنه صادق كموسى وعيسى وداوود ومحمد ﷺ ، وقد عين الأنبياء زمان بعثي ، وذلك هو عصرنا هذا» .

ويرى شاعر الإسلام محمد اقبال «أن القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ، ومؤامرة ضد الإسلام ، وديانة مستقلة ، وأنها محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ . . وأنها تريد أن تحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة للنبي الهندي» .

وقد ساند هذه الدعوى منذ نشأتها المستعمرون والصليبيون لما فيها من مصلحة لهم بإبطال الجهاد ، وفتح ثغرات التشكيك في الإسلام ، وإضعاف أهله . وقد امتدت في كثير من البلاد بمساندة الاستعمار ومؤازرته ضمن مخطط تدمير الإسلام وإبادة أهله . . والله تعالى غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

●● كما أجاب فضيلة الشيخ الراوي على سؤال آخر للقارىء «بشار أوبري» الذي يسأله فيه «هل وصل حكم النسخ والمنسوخ من القرآن الكريم إلى الأحاديث النبوية أيضاً ؟» .



## جامع القرويين

بعد هذا الجامع أقدم جامعة إسلامية في العالم، وهو من أشهر المعالم التاريخية بالغرب الأقصى، وقد كانت تدرس به العلوم الدينية واللغوية والأدبية والفلسفية والرياضية والكأوية، مثله في هذا، كالجامة الأزهرية والطنطاوية بمصر، وقد حافظ خلال مئات السنين على تراثنا الأدبي والثقافي القومي، كما حافظ كذلك على لغتنا العربية وكتب العلوم العربية القديمة. وهذه الجامعة قصة لطيفة، فقبل أكثر من ١١٠٠ سنة، جاء من مدينة القيروان في تونس إلى مدينة فاس بالمغرب رجل غني وابناه، حين كان الإنسان العربي حراً في اختيار أية مدينة عربية ليعيش بها. وحين مات هذا الغني القيرواني في فاس، قررت ابنته فاطمة الفهرية القيروانية، الملقبة «بأم البنين»، أن تشيد من إرثه مسجداً، وذلك سنة ٨٥٩م/٢٤٥هـ. ومع الأيام تحول هذا الصرح العمراني الجميل، بفنه ووسائله العربي الإسلامي، وعمارته وشكله الهندسي المغربي، إلى جامعة القرويين. وكانت تضم هذه الجامعة منذ بنيت آلاف الطلاب من شتى البلدان، فيهم المغربي والجزائري والليبي والأندلسي وحتى الأوروبي، مما تجدر الإشارة إليه أن البابا سلفستر الثاني الرومي، الذي كان أول من أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا، وعن طريقها عرفها أميركا، درس هو الآخر بهذه الجامعة العتيقة.

المكيثسي أحمد - فاس  
حي باب عامر - المغرب

## وثيقة تاريخية

أقدم شكري العميق إلى أسرة تحرير مجلة «الفصل» الغراء، على هذا المجهود العظيم. وبمناسبة كثرة الحديث حول القدس، وارجاع القدس إلى اليد الإسلامية، أرجو منكم شاكراً لكم

مساعيدكم، أن تقوم مجلة «الفصل» بطبع وثيقة معاهدة فتح بيت المقدس، الموقعة بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقس إيلياء «القدس» وصورة عنها  
محمد سعيد العسة - دمشق

● المجلة : طالع العدد ٢١ من هذه المجلة الصادر في شهر ربيع الأول ٩٩هـ، التحقيق المنشور عن مدينة القدس. وعند حصولنا على صورة أصل الوثيقة سوف نرودك بها

المجلة. . والسياسة

نحية عربية طيبة أهديكم إياها من صميم الفؤاد، راجياً لكم دوام الصحة و«الفصل»، المزيد من التقدم والازدهار.

لقد كنا حقاً نفتقر إلى المجالات الثقافية، التي نتم باطلاع الفاري، على آخر ما يدور حوله من تطورات علمية وثقافية، وتوسع معرفته، حتى صدرت «الفصل»، فسدت فراغاً لا بأس به في هذا المجال.

إن مجلتكم - بل مجلتنا - التي ما تزال في طور الشباب، حققت الكثير مما تستحق أسرة التحرير عليه عميق الشكر.

الدرب طويل، وجهودكم كفيلة بتحقيق المزيد من الخير والمعرفة للشباب العربي. وهنا، بصفتي أحد قراء «الفصل»، أود تقديم بعض الملاحظات حول المجلة:

(١) لاحظنا أن المجلة لا تهتم بالموضوعات السياسية، ليس من الممكن مثلاً، تخصيص مقال سياسي في كل عدد، يتناول آخر التطورات السياسية على الساحة العربية؟

(٢) بالنسبة للمسابقة ومنعاً لأي التباس، أرى من الأفضل أن تذكروا بالتحديد آخر موعد لاستلام الإجابات، بدل أن تقولوا: أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

(٣) قرأت في أحد أعداد المجلة، أن لديكم مشروعاً يقضي بتجليد

أعداد كل سنة من المجلة، لتلبية رغبات القراء باقتنائها. أود أن أعرب لكم عن تقديري للمشروع وأرجو أن ينفذ قريباً.

يوسف محمود سليمان  
أميون - الكورة  
لبنان الشمالي

## ● المجلة :

١ - نعتز بأن المجلة لا تهتم بالموضوعات السياسية المعاصرة، فهذا منهجها. لأن السياسة لها مجالاتها الكثيرة اليومية، والأسبوعية، ونحن نحرص على الجانب الثقافي والتاريخي منها، ولا تفكر في زج المجلة في لعبة السياسة.

٢ - لو علمت أن المجلة تصدر مع مطلع كل شهر هجري، لعرفت أن آخر موعد لقبول الإجابة هو ٤٥ يوماً، وعليك الحساب، ومع ذلك فتحسن نراعي قضية تأخير وصول المجلة أحياناً، إلى بعض البلدان العربية.

٣ - موضوع تجليد أعداد المجلة يحظى باهتمامنا، وسوف نعلن عن ذلك بعد الانتهاء منه. والله الموفق.

## العارة الإسلامية

إنني أتمنى أن نتاح لي فرص الاطلاع على التراث المعماري الإسلامي القديم، الزاهر والحديث العظيم، الذي تخر به بلادكم الجميلة وأود بمشيشة الله سبحانه وتعالى، أن تكون دراسي هندسية من الآن وحتى الدكتوراه، كبحت واحد مستمر في العمارة الإسلامية، والحلول العملية لمشاكل المنطقة العربية، في تخطيط المدن العربية والسكن المربح لخاص لكل أسرة مسلمة، تعيش على أرضنا العربية الحبيبة، ولكن المشكلة أننا في دراستنا بالكلية مطالبون دائماً بأن نتبع الحلول الأوروبية والمراجع والكتب الأوروبية، وذلك مما يخلق لي مشاكل في الدراسة مع الأساتذة، إذ إن قلة منهم التي تطبق الحلول العربية، والكثرة منهم أوروبية، فهل نحن أوروبيون ليكون التصميم المعماري لمدننا وبيوتنا

## نسخة من بيوت أوروبا؟

لا اعتقد ذلك فنحن خلفنا عرباً مسلمين ونعيش على أرض عربية لها دينها وخلفها وتقاليدها، التي تستمد من تاريخها وحضارتها ومجدها الزاهر، تلك الأمة التي قادت في يوم من الأيام، العالم كله، يوم كان العالم كله يعيش في جهالة وفي ظلام دامس، وكانت هذه الأمة الإسلامية منار الحضارة.

إنني أرجو أن تمدوا لي يد العون لاستطيع أن أدرس هذا المجد العظيم، الذي كان لأمتنا في يوم من الأيام الغاية، ولأحاول أن أعمل على منواله، فلعن الله بكمري وبوقفتي أن أصل بمشيتته وتوقيفه إلى تحقيق الهدف الذي كرست حياتي له.

فتحي مصطفى إبراهيم  
طالب بكلية الهندسة -  
جامعة الاسكندرية

## ● المجلة : رسالتك أيها الصديق

فتحي تثير قضية على جانب كبير من الأهمية، ونحن لا نملك إلا أن نهب بالجامعات العربية والإسلامية للاهتمام بالهندسة المعمارية الإسلامية من خلال مشاهجها، وأن يكون له اختصاص ومنخصصون، وهذا لا يمنع من وجود مواد تهتم بالفن المعماري الحديث، وبذلك نستطيع أن نجتمع بين القديم والحديث.

وحسب علمنا أن أغلب كليات الهندسة تعنى بتاريخ فن العمارة الإسلامية، إلا أننا نتطلع أن يكون هذا الفن مستقلاً، وتخصصاً مميزاً لتخريج جيل من المعماريين في الفن الإسلامي. وإذا كان لنا رأي في مثل ظرفك، فإننا ننصح بالاطلاع الحر خارج الكلية، حيث توجد كتب تبحث في فن العمارة الإسلامية، وهي موجودة في أغلب مكتبات القاهرة والاسكندرية.

وفي إمكانك الاستعانة بأساتذتك في معرفة أسماء هذه الكتب، حتى يهيء الله للجامعات العربية الإسلامية الظروف المناسبة لتدارك هذا النقص. والله الموفق.



\* الأخ مصلح عبد المؤمن إمام، القاهرة، مصر  
بإمكانك أن تتقدم مباشرة بطلبك إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض أو إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

\* الأخ محمد سعد الجهني، مكة المكرمة، السعودية  
محاولتك القصصية لا بأس بها ونرجو أن تستمر في الكتابة والإطلاع حتى تصل إلى المستوى الذي تريده.. والمجلة لا تنشر المحاولات.

\* الأخ خالد كزيرة، حلب، سورية  
شكراً على تقديرِك والمجلة نلتزم بالفعل بالخط الإسلامي، ولا نعتقد أن ما أشرت إليه يخرج عن هذا الخط.. فاطمئن.

\* الأخ جهاد حجازي، جيود، سورية  
اقتراحتك لا تنفق ومجلة ثقافية شهرية متخصصة كمجلتنا.. ومع هذا نشكر لك اهتمامك وتقديرِك.

\* الأخ أيهم العكاري، حماة، سورية  
شكراً على هديتك وهي صور عن مدينة حماة.. أما عن الكتابة في باب «مدينة وتاريخ» فالأمر يختلف عن مجرد الملاحظات.. إنها دراسة وأقية يكتبها للمجلة المتخصصون وتتطلب الرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع.

\* الأخ محمد سعيد العسة، دمشق، سورية  
لقد استبدلنا «الهدي» بخدمة

صحفية مختلفة، وعلى حسب خطة المجلة الموضوعية من قبل.. ولا نعتقد أن مشكلة تأخير وصول المجلة أصبحت قائمة الآن بعد انتظام الطبع والتوزيع.. شكراً على تقديرِك.

\* الأخت تليدا خليفة، الرياض، السعودية  
نرجو المزيد من الاهتمام بقراءة الشعر حتى يمكنك كتابة شعر يصل إلى المستوى الذي يتناسب والمجلة.. وشكراً لك على مشاعرك.

\* الأخ محيي الدين الطحان، حلب، سورية  
سبق وأن صحتت المجلة هذا الخطأ في عددها الخامس الصادر في شهر ذي القعدة ١٣٩٧ هـ.. وشكراً على اهتمامك وتحياتك.

\* الأخ أسامة عبد العزيز هاشم، جدة، السعودية  
نرجو أن تقرأ مزيداً من الشعر وأن تحاول الكتابة مرات أخرى علك تصل إلى المستوى المرجو.. وشكراً على اهتمامك.

\* الأخ المقيس حسن بن محمد، الدار البيضاء، المغرب  
رئيس التحرير يشكرُك على مشاعرك وتقديرِك لكلمته عن «المعادلة الصعبة» المنشورة في العدد الثاني عشر.. كما أن المجلة لم تعد تتأخر في الصدور والوصول إلى جهات التوزيع المسؤولة.

\* الأخت مريم عبد العزيز، الدوحة، قطر  
شكراً على تحياتك الرقيقة.. أما عن «مناظر للسعودية» فهي موجودة في باب «مدينة وتاريخ» ولا يمكننا أن نرسلها لكل قارئ.. على حدة.. وأما عن «الهدي» فقد استنفدت أغراضها كما كان مقرراً لها في خطة المجلة.. وأما عن «شعر العامية» فالمجلة حريصة على نشر الشعر أو أي مادة أخرى باللغة الفصحى لأنها توزع في العالم العربي كله ولا نريد أن تكون اللهجات المختلفة عتبة

في سبيل انتشار المجلة تحقيقاً لهدفها الثقافي.. ومع هذا يمكنك إرسال أي كتب، وعموماً فالمجلة لا تشجع العامية.

\* الأخ رشيد عنوب، الدار البيضاء، المغرب  
المجلة لا تنشر «شعر العامية» كما نرجو أن يتحسن هذا المستوى من شعرك مستقبلاً وبالممارسة إن شاء الله.

\* الأخ عماد مختار، حمص، سورية  
المجلة ترفض مبدأ نشر أو تخصيص باب «للمراسلات»، وهي ليست «واسطة» بين الأصدقاء.. ألا يمكنك أن ترسل مباشرة لمن ترغب طالما أن هناك معرفة بينك وبينه؟

\* الأخ خالد طريفي، اللاذقية، سورية  
نرجو لك الشفاء العاجل بإذن الله.. ولا يمكن أن يم العلاج من أي مرض بالمراسلة، فيمكنك عرض نفسك على طبيب أخصائي دون الاعتماد فقط على القراءة عن الأمراض بشكل نظري.

\* الأخ حسن علي سليمان، الدغدي، دقهلية، مصر  
شكراً على تحيتك، ولكن نأسف لعدم نشر قصيدتك، ونرجو أن تحقق مستوى يفرض نفسه على وسائل النشر الراقية.

\* الأخ موسى مراد سردار، حلب، سورية  
لا يمكننا الحكم على مستوى مقالاتك شفهياً.. أما عن المكافآت، ألا ترى أن هذا الأمر سابق لأوانه وأن الموافقة على النشر أسبق من تحديد المكافأة؟

\* الأخ أحمد عبد الله حمد، دمشق، سورية  
ملاحظتك صحيحة، ونؤكد أن «مجلتنا» هي بحق «ثقافية» وليست

«مشروعاً تجارياً».. وشكراً على تقديرِك.

\* الأخ أحمد خليل خطاب، الاسكندرية، مصر  
يمكنك إرسال ما تريد إلى من تريد، فالمجلة ليست وسيلة اتصال خارج إطارها الثقافي ورسالتها العلمية.. نرجو لك التوفيق.

\* الأخوة حسين أحمد محمد، عمود فتح الله رضوان (مصر)، خليفة (المغرب)، أحمد شوقي (لبنان) سبق وردنا على مثل هذا السؤال، ومع هذا فنعيد القول ونكره، بأن المجلة ثقافية متخصصة ولا يمكنها أن تتناول «الرياضة» إلا من الناحية الحضارية والتاريخية، وقد نشرت المجلة موضوعاً مفصلاً عن «كرة القدم» في العدد التاسع، ربيع الأول ١٣٩٨ هـ.. كما أن باب المصايف والطرقات والتسليّة غير وارد على الإطلاق.. وقد قلنا هذا الكلام وكررناه وما زلنا نكره.

\* الأخ عبد المحي يوسف، سراج الدين، الطائف، السعودية  
المجلة ثقافية وليست حقلاً لتجارب الهواة ومحاولات الناشئين.

\* الأخ صبحي المسون، حلب، سورية  
شكراً على تقديرِك.. ولو تابعت أعداد المجلة لوجدت أن الموضوع المثار إليه في رسالتك قد استوفى حقه بالرد على الكاتب.

\* الأخ أحمد قطاع، حلب، سورية  
إننا ندرس اقتراحك بعناية خاصة وهناك رسائل أخرى طالبت بنفس الاقتراح.

\* الأخ إبراهيم صبحي، الناطور، دمشق، سورية  
سبق وشرحنا طريقة اختيار الفائزين.. شكراً على تقديرِك.





## وردت الجديدة المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء نقائي جديد من شأنه أن يفتح امام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

الكتاب من تأليف فضيلة الشيخ عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام .. وتقديم صاحب السمو الملكي الأمير نايف ابن عبد العزيز وزير الداخلية .. يقع في ٣٩ صفحة من القطع المتوسط.



واخضرت الأرض  
وقصص أخرى

مجموعة قصصية صدرت عن سلسلة «قصص مختارة» للفاصل طه حواس، اجتذبت على ١٤ قصة، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .



المرأة المغربية والتصوف  
في القرن الحادي عشر الهجري

كتاب صدر في المغرب من تأليف مصطفى عبد السلام المهام .. وقدم له المفكر المغربي المعروف الأستاذ عبد الله كتون .. وقد أوضح المؤلف الدوافع التي تكن وراء اهتمامه بهذه القضية .. في نهاية الكتاب عدد من صور بعض المساجد المشهورة في المغرب .. يقع في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط، طبع مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء .

تراجم لحياهم، كما أورد أمام الترجمة العربية للقصيدة النص الأصلي باللغة الإيطالية، وهذا تأكيد على ثقة الدكتور الناعوري فيما قدمه من تراجم، والكتاب قين بأن يوصف بأنه ديوان شعر .. ويوجرافيا . وقد سبق للدكتور الناعوري أن نقل إلى العربية عدداً من الأعمال الأدبية الإيطالية .. يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات من القطع الصغير - مطابع الفباء - الأدب - دمشق .

### اعلام الأدب في لادقية العرب

كتاب من تأليف فؤاد غريب .. وهو القسم الرابع من الجزء الثاني حيث قدم من خلاله تراجم ومختارات شعرية ونثرية لعشرة من اعلام الأدب في مدينة اللاذقية في سورية مع صورهم .. والمؤلف فؤاد غريب يعزم أن يجعل من عمله هذا موسوعة تقع في ١٦ جزء تصدر في سلسلة .. يقع الكتاب في ٨٥ صفحة من القطع الصغير في طباعة عادية تنفق وظروف المؤلف المادية المحدودة .

### القارب الأخير

مجموعة قصص قصيرة تأليف «طه حواس» تطرح بعض المشكلات الاجتماعية من خلال رؤية الفنان لواقع هذه المشكلات .. وقد ضمت المجموعة ١٤ قصة منها قصة «القارب الصغير» التي أخذت عنواناً للمجموعة .. تقع في ٢٣٥ صفحة من القطع الصغير، الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

### صحائف مطوية

مجموعة من المقالات تناولت جهود الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية في التوعية الإسلامية، ودعمه للدعوة السلفية .. ونبذة عن الحركة الإصلاحية في القرن الثاني عشر، وما وصلت إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. وفي مقالة موجزة عن بعض أئمة الدعوة من آل الشيخ في نجد .

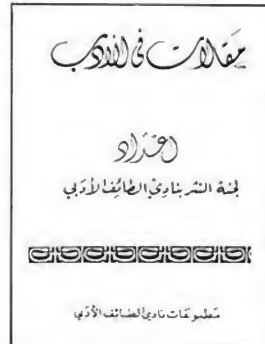
رحلته التي تعتبر رحلة ضبط فيها مؤلفها مراحل قوافل الحجاج من المغرب إلى مكة المكرمة .

الكتاب من تحقيق علي الشنوفي، نشر الشركة التونسية للتوزيع .. يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط، ويتميز بفهارسه المتعددة التي بذل فيها المحقق جهداً علمياً طيباً .

### مطبوعات نادي الطائفة الأدبي

صدر عن نادي الطائفة الأدبي في المملكة العربية السعودية الكتابان التاليان :

● «ملف نادي الطائفة الأدبي - الثاني - لعام ١٣٩٧/٩٦ هـ» ويحتوي على بعض نشاطات النادي، وما كتب عنه في الصحف .. كما يحتوي على عدد من الدراسات الأدبية .. والقصص القصيرة، والقصائد الشعرية .. يقع في ٩٨ صفحة من القطع المتوسط، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .



● «مقالات في الأدب - إعداد لجنة النثر بالنادي» ويحتوي على عدد من الدراسات التراثية والمعاصرة، والنقد .. يقع في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط، طبع «مطابع الزاوي» بالطائف .

### مختارات من الشعر الإيطالي المعاصر

مجموعة من قصائد عدد كبير من الشعراء الإيطاليين قام بترجمتها الأديب العربي الدكتور عيسى الناعوري، أمين عام جمع اللغة العربية الأردني .. وقد ضم الكتاب خمسة وعشرين شاعراً .. ولم يكتف المترجم بترجمة قصائدهم، بل أورد

### مشيخة ابن الجوزي

واحد من كتب التراث الديني مؤلفه جمال الدين أبو الفرج عبيد الرحمن ابن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري (من ذرية أبي بكر الصديق)، الفقيه الحنبل الذي اشتهر بغزارة مصنفاته التي يروى أنها زيادة عن ثلاثمائة وأربعين مصنفات، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كراس واحد، أوصلها ابن تيمية إلى أكثر من ألف في التاريخ، والترجمة، والحديث، والتفسير، والوعظ، وغيرها .

وكتابه هذا «المشيخة» تراجم لشيخ ابن الجوزي، بهم المعني بالحديث والإنسانية، والمعني بتراجم بعض العلماء في القرن السادس الهجري من أهل بغداد وبعض الوافدين إليها .

الجلدير بالذكر أن ابن الجوزي من مواليد درب حبيب بمدينة بغداد عام ٥٠٨ هـ - ١١١٤ م، وفي رواية عام ٥١٠ هـ - ١١١٦ م، تقريباً .. وتوفي عام ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م .

الكتاب من تقديم وتحقيق الشيخ محمد محفوظ، الذي عرف بالمؤلف، والآراء المختلفة التي قبلت عنه وعن مصنفاته .. قدم للكتاب الشيخ عبد الله بن إبراهيم الانصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر .. يقع في ٢٨٥ صفحة من القطع المتوسط طبع الشركة التونسية للتوزيع في تونس على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر .

### الرحلة الحجازية

تأليف محمد السنوسي، المفكر التونسي المولود في ٢٢ ذو القعدة ١٢٦٧ هـ (١٧ سبتمبر/أيلول/ ١٨٥٠ م)، وبعد هذا الكتاب الجزء الثالث والأخير من الرحلة الحجازية التي تتألف من (أموذج) في مزية السفر، وجزء أول فيها رآه المؤلف من قسم إيطاليا، وجزء ثان في الأستانة وآسيا الصغرى المشرقة بالحجاز الأشهر .. وهذا هو الجزء الثالث الذي احتوى على التعريف بخمسة وعشرين من الرجال الاعلام المشاهير في العلم والحديث والأدب والسياسة والحرب، الذين اجتمع بهم المؤلف أثناء



# مسابقة مجلة الفيصل

أسف .. وإعتذار

★ للمرة الثانية نعتذر للقارىء عن خطأ حدث في شروط مسابقة عدد شعبان ، وصحناه في عدد شهر رمضان .. وما يؤسف له بشدة أن هذا الخطأ نفسه تكرر في شروط مسابقة العدد الماضي في الوقت الذي لم تتغير الشروط في الأعداد التي سبقته .. لهذا نلفت أنظار الأخوة القراء أن شروط وتوزيع قيمة الجائزة لم تتغير .. وأسفنا يتضاعف لتكرار الخطأ .. معذرة للقارىء .. والكمال لله وحده ★

## شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي:

- أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال
- ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال
- ج - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ - المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحة عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص. ب. (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

## نتائج مسابقة العدد ١٤

★ فازت الأخت (عفاف محمد محمود - دمشق - شارع مدحت باشا - طالع الفضة - زقاق المنشار - رقم ١٤ - سورية) بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠ ريال سعودي) .

★ الأخ (عبدالرحمن عبدالعزيز الشبل - المدينة المنورة - ص. ب. ١٤٩٨ السعودية) فاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠ ريال سعودي) .  
★ الأخ (عبدالرزاق عبدالسلام كمون - صفاقس - ص. ب. ٣٣٣ - تونس) فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠ ريال سعودي) .

★ وفاز كل من الأخوة التالية أسمائهم بجائزة مالية قيمة كل جائزة ٥٠٠ ريال سعودي :  
★ الأخ عادل محمد علي نشار ، ١٩ درب المناصرة المتفرع من شارع المناصرة - العتبة الخضراء - القاهرة - مصر .

★ الأخت منى وحيد مناع - خيطان - شارع المطار الرئيسي - عمارة الحميدة - طابق ٤ بواسطة محمد مروان مراد - الكويت .

★ الأخ عيسى سعد الحربي - دكان معتاد صالح الخالدي - باب مكة - جدة .

★ الأخت نعمة حسن عباس - مخيم ويقل للاجئين الفلسطينيين - بواسطة مدير المخيم - بعلبك - لبنان .

★ الأخ محمود عبدالغني محمود - مكتبة الفيومي - جبل الحسين - عمان - الأردن .

★ الأخت آمال حسين مصطفى - ٢١ شارع ابن الرشيد - الجيزة - مصر .

★ الأخت دلال أحمد فانوس - الشارقة - ص. ب. ٣٨٥ - الامارات العربية المتحدة .

مبروك .. ونتمنى للآخرين الذين لم يوفقوا ، الفوز في المسابقات القادمة .



● السؤال الأول :

عرفت مكة المكرمة تاريخياً بعدد من الأسماء .. أذكر خمسة منها ( العدد الأول ) .

● السؤال الثاني :

صحابي ، من السابقين إلى الإسلام ، كان من أثرياء مكة ، وحين أراد الهجرة إلى المدينة المنورة منعه مشركو قريش من الهجرة بماله ، فتركه جميعه ، وهاجر فقيراً بماله ، غنياً بإيمانه .. توفي بالمدينة عام ٣٨ هـ / ٦٥٩ م .. من هو ؟

● السؤال الثالث :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الخصائص - المدخل إلى الأعداد - تفسير التحرير والتنوير - قصة حياتي - الايضاح (في النحو) - (العدد الثاني) .

● السؤال الرابع :

واحة جرى فيها التحكيم بعد معركة « صفين » بين أنصار علي ، وأنصار معاوية بشأن الخلافة .. أين تقع ؟

● السؤال الخامس :

أهم الغدد الصماء .. تفرز من الهرمونات أكثر مما تفرزه أية غدة أخرى رغم صغر حجمها الذي لا يزيد على حجم الحمصة .. وتؤثر في نشاط جميع الغدد .. ما اسم هذه الغدة ؟ ( العدد الثالث ) .

● السؤال السادس :

ما هي نغفات السلم الموسيقي ؟

● السؤال السابع :

أذكر خمسة أشكال من أشكال الأسطurlابات التي عرفت قديماً ( العدد ١٨ ) .

● السؤال الثامن :

من اخترع الدواليب المنفوخة للسيارات .. ومتى ؟

(ماركوني عام ١٨٨٨ م ، أم جون بويد دنلوب عام ١٨٤٠ م ، أم بل عام ١٩٢١ م) .

● السؤال التاسع :

في أية مناسبة يضرب كل مثل من هذه الأمثال :

تلذع المرأة وتصيء - رضي من الغنيمة بالاياب - دونه خرط القتاد - بلغ السيل الزبى - لا في العير ولا في النفير .

السؤال العاشر :

طبيب .. وشاعر (١٢٥٠ - ١٣١٠ هـ) ، ولد بالموصل ، وتوفي بالقاهرة ... له « طيف الخيال في معرفة خيال الظل » .. أول من أظهر باللغة الفصحى روايات الخيالاني ، أو « قرقوز » .. من هو ؟

تسوية  
مسابقة مجلة  
الفيصل

● العدد ٩١ ●

الإسم :  
المهنة :  
العنوان :  
-----



# أجوبة مسابقة العدد "١٤"

- ج ١ القبائل ومساكنها :  
شمر : شمال نجد - حائل وما حولها وتمتد إلى باديته الشام والعراق .  
صنهاجة : المغرب - شمال إفريقيا والصحراء الكبرى .  
هذيل : بين مكة والمدينة .  
طسم : اليمامة .  
جديس : اليمامة .  
هواره : المغرب - شمال إفريقيا والصحراء الكبرى .  
عزة : تمتد من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالبادية السورية .  
حنيفة : اليمامة - الدرعية وما حولها .  
الخزرج : المدينة المنورة .  
ثقيف : الطائف وضواحيها .
- ج ٢ الجرف القاري هو مساحة من اليابسة تغطيها مياه ضحلة ..  
وتحتوي على ثروات تتمثل في الثروات المعدنية ، كما تحتضن في أعماقها مستودعات من الغاز والزيوت .
- ج ٣ السد الذي بناه العرب ويعتبره المؤرخون أقدم خزان للماء في العالم هو سد مأرب .
- ج ٤ مؤلفو الكتب التالية هم :  
فجر الاسلام : أحمد أمين .  
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني .  
المنار المنيف في الصحيح والضعيف : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم .  
جمال على معطف القيصر : زيفريد هونكة .  
لحن العامة : ابن هشام اللخمي .  
عجائب المخلوقات : زكريا محمد القزويني .  
الصيدلة في الطب : أبو الریحان محمد بن أحمد البيروني .  
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ابن فضل الله العمري .
- ج ٥ أول فدائي في الاسلام اعتبره المؤرخون الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ج ٦ فيزوف : يقع بالقرب من مدينة نابولي في إيطاليا .  
ميرابي : في أندونيسيا .  
تال : في الفلبين .  
مونت لا منجتون : في غينيا الجديدة .  
أريزونا : في المكسيك .
- ج ٧ أول سكرتير للأمم المتحدة هو السياسي النرويجي تريغفي لي .
- ج ٨ الهاتف : جراهام بل .  
السيافور : شابييه .  
اللاسلكي : جوجليملو ماركوني .
- ج ٩ بعض أنواع السرطان .. وأسبابها :  
سرطان الرئة : أكثر شيوعاً ، وينتشر بين المدخنين وبعض من يزاولون مهنة التعدين .  
سرطان الجلد : من أسبابه التعرض لأشعة الشمس فوق البنفسجية .  
سرطان البلعوم والفم والحلق والحنجرة والكبد : ومن أهم أسبابه التدخين والكحول .  
سرطان الكولون : ومن أسبابه تناول كميات كبيرة من اللحوم .  
سرطان المعدة : ومن أسبابه تناول الأطعمة المدخنة كالأسماك والمواد الكيماوية المتشكلة في هذه الأطعمة .
- ج ١٠ الملكة المسلمة التي ماتت مقتولة بعد أن تولت الحكم هانين يوماً ، وكان لها الفضل في انتصار المسلمين على إحدى الحملات الصليبية هي شجرة الدر .



# ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE  
PUBLISHED BY  
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:  
Riyadh-Saudi Arabia  
Al-Faisal Magazine  
P.O.Box 3  
Tel.: 41968

# الفصل

مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن  
دار الفیصل الثقافية

المراسلات  
الرياض - المملكة العربية السعودية  
مجلة الفصل  
ص.ب (٣)  
هاتف: ٤١٩٦٨

## في أوروبا.. وأمريكا.. وآسيا

بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيه استرليني
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
ألمانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة إيطالية
إسبانيا	١٠٠ بيزيتا إسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درهما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الأمريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات

الإعلانات:  
يتفق عليها  
مع الإدارة

## أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الإمارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بنة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ ملجم
السودان	٢٥٠ ملجم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ ملجم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

## أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي  
لغير الأفراد ٢٠٠ ٥٥ ٥٥  
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل